

الروض الاليف

في شرح السيرة النبوية لابن هشام

الرَّوَضُ الْأَنْفُ

فِي شَرْحِ السَّيْرِ النَّبَوِيَّةِ لِابْنِ هِشَامٍ

لِلْإِمَامِ الْمُجَدِّدِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّهَيْلِيِّ

٥٠٨ - ٥٨١ هـ

وَمَعَهُ

السَّيْرَةُ النَّبَوِيَّةُ لِلْإِمَامِ ابْنِ هِشَامٍ

الْمُتَوَفَّى ٢١٨ هـ

الجزء الرابع

تَحْقِيقٌ وَتَعْلِيقٌ وَشَرْحٌ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْوَكِيلُ

توزيع

بِئْتَبَارِ الْعَالَمِ بِحَبْرَةٍ

حَى الشَّعْرِ

٦٨٧٧٠١٤ ث

الناشر

مَكْتَبَةُ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ

القاهرة ١٠٤٢٤٠٨٦

۱۹۹۰ - ۱۴۱۰ م

مفتش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد
صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الأئمة المهتدين .

« وبعد » فهذا هو الجزء الرابع من السيرة وشرحها « الروض الأنف »
للإمام السهيلي والله وحده أسأل أن يعين على تمامه

عبد الرحمن الوكيل

كفاية الله أمر المستهزئين

قال ابن إسحاق : فأقام رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - على أمر الله تعالى صابرا محتسبا ، مؤذيا إلى قومه النصيحة على ما يلقي منهم من التكذيب والأذى والاستهزاء . وكان عطاء المستهزين - كما حدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير خمسة نَقَر من قومهم ، وكانوا ذوى أسنان وشرف في قومهم .

من بنى أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب : الأسود بن المطلب بن أسد أبو زمعة ، وكان رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى - قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه به ، فقال : اللهم أعْمِ بصره وأنكِله ولده .

ومن بنى زهرة بن كلاب : الأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف ابن زهرة .

ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة : الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم .

ومن بنى سَهْم بن عمرو بن هُصَيص بن كَعْب : العاصُ بن وائل بن هشام . قال ابن هشام : العاصُ بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سَهْم .

ومن بنى خُزاعة : الحارث بن الطلائِلة بن عمرو بن الحارث بن عبد عمرو ابن لؤي بن مِلْكَان .

فلما تمادوا في الشر ، وأكثروا برسول الله - صلى الله عليه وسلم -
الاستهزاء ، أنزل الله تعالى عليه : ﴿ فَأَعْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ .
إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾
الحجر : ٩٣ - ٩٥ .

قال ابن إسحاق فحدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، أو غيره
من العلماء أن جبريل أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهم يطوفون بالبیت ،
فقام ، وقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى جنبه ، فرّ به الأسود بن المطلب ،
فرمى في وجهه بورقة خضراء ، فعمى ، ومرّ به الأسود بن عبد يغوث ، فأشار
إلى بطنه ، فاستسقى فأت منه حَبْنًا . ومرّ به الوليد بن المغيرة فأشار إلى أثر
جرح بأسفل كعب رجله ، كان أصابه قبل ذلك بسنين ، وهو يجرّ سبّله ،
وذلك أنه مرّ برجل من خزاعة وهو يرش نبلًا له ، فتعلق سهم من نبله بإزاره ،
فخدش في رجله ذلك الخدش ، وليس بشيء ، فانتفض به ، فقتله . ومرّ به
العاص بن وائل ، فأشار إلى أخمص رجله ، وخرج على حمار له يريد الطائف ،
فرَبَضَ به على شُبارقة ، فدخلت في أخمص رجله شوكة ، فقتلته ومرّ به الحارث
ابن الظلّالة ، فأشار إلى رأسه ، فامتعض قَيْحًا فقتله .

الوليد وأبو أزيهر

قال ابن إسحاق : فلما حضرت الوليد الوفاة دعا بنيّه ، وكانوا ثلاثة :
هشام بن الوليد ، والوليد بن الوليد ، وخالد بن الوليد ، فقال لهم : أيّ بنيّ ،

أوصيكم بثلاث ، فلا تُضيّعوا فيهن : دَمِي فِي خُرَاعَةٍ ، فَلَا تَطْلُغْهُ ، وَاللَّهُ إِنِّي
لَأَعْلَمُ أَهْمَ مِنْهُ بُرْءًا ، وَلَسَكُنِي أَخْشَى أَنْ تُسَبُّوا بِهِ بَعْدَ الْيَوْمِ ، وَرِبَايَ
فِي ثَقِيفٍ ، فَلَا تَدْعُوهُ حَتَّى تَأْخُذُوهُ ، وَغَفْرِي عِنْدَ أَبِي أَرْيَهْرِ ، فَلَا يَفُوتَنَّكُمْ
بِهِ . وَكَانَ أَبُو أَرْيَهْرِ قَدْ زَوَّجَهُ بَنَاتًا ، ثُمَّ أَمْسَكَهَا عَنْهُ فَلَمْ يَدْخُلْهَا عَلَيْهِ حَتَّى مَاتَ .

فَلَمَّا هَلَكَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ ، وَثَبَتَ بَنُو مَخْزُومٍ عَلَى خُرَاعَةٍ يَطْلُبُونَ مِنْهُمْ
عَقْلَ الْوَلِيدِ ، وَقَالُوا : إِنَّمَا قَتَلَهُ سَهْمٌ صَاحِبُكُمْ - وَكَانَ لِبْنِي كَعْبٍ حِائِفٌ مِنْ بَنِي
عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ - فَأَبَتْ عَلَيْهِمْ خُرَاعَةُ ذَلِكَ ، حَتَّى تَقَاوِلُوا أَشْعَارًا ، وَغُلْظَ
بَيْنِهِمُ الْأُمَرَاءَ - وَكَانَ الَّذِي أَصَابَ الْوَلِيدَ سَهْمُهُ رَجُلًا مِنْ بَنِي كَعْبٍ بَنِي عَمْرِو
مِنْ خُرَاعَةٍ - فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو
ابْنِ مَخْزُومٍ :

لَمَنِي زَعِيمٌ أَنْ تَسِيرُوا ، فَتَهْرُبُوا وَأَنْ تَتْرَكَوا الظَّهْرَانَ تَعْوَى ثَعَالِيهِ
وَأَنْ تَتْرَكَوا مَاءَ بَجِزْعَةٍ أَطْرَافًا وَأَنْ تَسْأَلُوا : أَيْ الْأَرَاكِطِيبِ ؟
فَإِنَّا أَنَاسٌ لَا تُنْطَلِّ دِمَاؤُنَا وَلَا يَتَعَالَى صَاعِدًا مَنُ نَحَارِبِهِ

وَكَانَتِ الظَّهْرَانُ وَالْأَرَاكِ مَنَازِلَ بَنِي كَعْبٍ ، مِنْ خُرَاعَةٍ . فَأَجَابَهُ الْجَلُودُ
ابْنُ أَبِي الْجَلُودِ ، أَخُو بَنِي كَعْبٍ بَنِي عَمْرِو الْخُرَاعِيِّ ، فَقَالَ :

وَاللَّهِ لَا نُؤْتِي الْوَلِيدَ ظُلَامَةً وَلَئِمَّا قَرَوْا يَوْمًا تَزُولُ كَوَاكِبُهُ
وَيَصْرَعُ مِنْكُمْ مُسَمِّنٌ بَعْدَ مُسَمِّنٍ وَتُفْتَحُ بَعْدَ الْمَوْتِ قَسْرًا مَشَارِبُهُ
إِذَا مَا أَكَلْتُمْ خُبْزَكُمْ وَخَزِيرَكُمْ فَكَلَّكُمْ بِأَكْيَ الْوَلِيدِ وَنَادِبِهِ

ثم إن الناس تراءوا وعرفوا أنما يخشى القوم السُّبَّةَ ، فأعطتهم خِزَاءَهُ
بعض العقْل ، وانصرفوا عن بعض . فلما اصطَلَحَ القومُ قال الجون بن
أبي الجون :

وقائلةً لَمَّا اصطَلَحْنَا نَعَجُّهَا لَمَّا قَدْ حَمَلْنَا لِلْوَلِيدِ وَقَائِلِ
أَلَمْ تُقْسِمُوا تَوْتُوا الْوَلِيدَ ظُلَامَةً وَلَمَّا تَرَوْا يَوْمًا كَثِيرَ الْبَلَابِلِ
فَنَحْنُ خَلَطْنَا الْحَرْبَ بِالسَّلَامِ فَاسْتَوَتْ فَأَمَّ هَوَاهُ آمَنَّا كُلَّ رَاحِلِ

ثم لم يَنْتَهِ الْجَوْنُ بْنُ أَبِي الْجَوْنِ حَتَّى افْتَخَرَ بِمَقْتَلِ الْوَلِيدِ ، وَذَكَرَ أَنَّهُمْ
أَصَابُوهُ ، وَكَانَ ذَلِكَ بَاطِلًا . فَاحْتَقَ بِالْوَلِيدِ وَبَوَلَدَهُ وَقَوْمَهُ مِنْ ذَلِكَ مَا حَذَرَهُ ،
فَقَالَ الْجَوْنُ بْنُ أَبِي الْجَوْنِ :

أَلَا زَعَمَ الْمُغِيرَةُ أَنَّ كَعْبًا مَكَّةَ مِنْهُمْ قَدَّرَ كَثِيرُ
فَلَا تَفْخَرُ مُغِيرَةُ أَنْ تَرَاهَا بِهَا يَمْشِي الْمُعَلَّجُ وَالْمَهْدِرُ
بِهَا آبَاؤُنَا ، وَبِهَا وَلَدُنَا كَمَا أَرْضَى بِمَشْبَتِهِ ثَبِيرُ
وَمَا قَالَ الْمُغِيرَةُ ذَلِكَ إِلَّا لِيَعْلَمَ شَأْنُنَا أَوْ يَسْتَنْبِرُ
فَإِنَّ دَمَ الْوَلِيدِ يُطَلَّ إِنَّا نَطَلَّ دِمَاءَ أَنْتِ بِهَا خَبِيرُ
كِسَاءُ الزَّائِلِ الْمَيِّمُونَ سَمَّيَاهَا زُعَافًا وَهُوَ مَمْتَلِيٌّ بِهَيْدِرُ
فَخَرَّ بِيْطْنُ مَسَكَّةَ مُسَلَّحِيًّا كَأَنَّهُ عِنْدَ وَجْهِهِ بَعِيرُ
سَيَكْفِينِي مِطَالُ أَبِي هِشَامٍ صَفَارٌ جَعْدَةُ الْأُوبَارِ خُورُ

قال ابن هشام : تركنا منها بيتا واحدا أقذع فيه

ثورة لمقتل أبي أزيهر

قال ابن إسحاق : ثم عدا هشام بن الوليد على أبي أزيهر ، وهو بسوق ذى المجاز ، وكانت عند أبي سفيان بن حرب بنت أزيهر ، وكان أبو أزيهر رجلاً شريفاً في قومه - فقتله بغير الوليد الذي كان عنده ، لوصية أبيه إياه ، وذلك بعد أن هاجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة ومضى بدر ، وأصيب به من أصيب من أشرف قريش من المشركين ؛ فخرج يزيد بن أبي سفيان ، فجمع بني عبد مناف ، وأبو سفيان بن ذى المجاز ، فقال الناس : أخفِر أبو سفيان في صهره ، فهو نائر به ، فلما سمع أبو سفيان بالذي صنع ابنه يزيد - وكان أبو سفيان رجلاً حليماً منسكراً ، يحب قومه ، حبا شديداً - انحط سريعا إلى مكة ، وخشى أن يكون بين قريش حدث في أبي أزيهر ، فأتى ابنه وهو في الحديد ، في قومه من بني عبد مناف والمطيبين ، فأخذ الرمح من يده ، ثم ضرب به على رأسه ضربة هذاه منها ، ثم قال له ؛ فبعتك الله ! أتريد أن تضرب قريشا بغيرهم بغير في رجل من دؤوس . سنؤتيهم العقول إن قباوه ، وأطفا ذلك الأمر .

فأنبعث حسان بن ثابت يحرّض في دم أبي أزيهر ، ويعير أبا سفيان خفرته ويحجبه ، فقال :

غدا أهل ضوَجَى ذى المجاز كليهما وجاز ابن حرب بالعمس ما يقدو
ولم يمنع العير الصروط ذماره وما منعت مخزاة والدِها هند

كسائك هشام بن الوليد ثيابهُ فأنبل وأخلف مثلها جُداً بعدُ
فَقَتْنَى وَطَرَاً مِنْهُ فَأَصْبَحَ مَا جَدَاً وَأَصْبَحَتْ رَخَواً مَا نَحَبَ وَمَا نَعَدُوا
فَلَوْ أَنَّ أَشْيَاخًا يَبْدِرُ تَشَاهَدُوا أَبَلَّ نَعَالَ الْقَوْمِ مُعْتَبِطٌ وَرَدَّ

فلما بلغ أبا سُفْيَانَ قَوْلُ حَسَّانَ قَالَ : يَرِيدُ حَسَّانُ أَنْ يَضْرِبَ بَعْضَنَا
بِبَعْضٍ فِي رَجُلٍ مِنْ دَوْسٍ ! بئس والله ما ظنَّ !

آية الربا من البقرة

ولما أسلم أهل الطائف كلَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن
الوليد في ربا الوليد ، الذي كان في ثقيف ، لما كان أبوه أوصاه به .

قال ابن إسحاق : فذكر لي بعضُ أهل العلم أن هؤلاء الآيات من تحريم
ما بقي من الربا بأيدي الناس نزلن في ذلك من طلب خالد الربا : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ، وَذَرُّوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ) البقرة : ٢٧٨
إلى آخر القصة فيها .

الهمم بأخذ ثار أبي أزيهر

ولم يكن في أبي أزيهر ثارٌ نعلمه ، حتى حَجَزَ الإسلامُ بين الناس ، إلا
أن ضرار بن الخطاب بن مرداس الفهري خرج في نفرٍ من قُرَيْشٍ إلى أرض
دَوْسٍ ، فنزلوا على امرأة يقال لها أم غيلان ، مولاة لدَوْسٍ ، وكانت تَمْشُطُ
النِّسَاءَ ، وتجهِّزُ العرائسَ ، فأرادت دَوْسُ قتلهم بأبي أزيهر ، فقامت دونهم
أم غيلان ونسوةٌ معها ، حتى منعتهم ، فقال ضرار بن الخطاب في ذلك :

جَزَى اللَّهُ عَمَّا أُمَّ غَيْلَانَ صَالِحًا ونسوتها إذْ هُنَّ شُتَّ عَوَاطِلُ
فَهَنَ دَفَعَنَ الْمَوْتَ بَعْدَ اقْتِرَابِهِ وقد بَرَزَتْ لِلشَّائِرِينَ الْمَقَاتِلُ
دَعَتْ دَعْوَةً دَوَّسًا فَسَالَتْ شَعَابُهَا بَعَزَ وَأَدَّتْهَا الشَّرَاحُ الْقَوَابِلُ
وَعَمْرًا جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا فَمَا وَنَى وما بردتْ منه لَدَى الْمَفَاصِلِ
فَجَرَدَتْ سَيِّفِي ثُمَّ قَتُّ بَنَصْلُهُ وعن أَى نَفْسٍ بَعْدَ نَفْسِي أَقَاتِلُ

عمل أم غيلان

قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة : أن التي قامت دونِ ضرار أم جميل ،
ويقال : أم غيلان ، قال : ويجوز أن تكون أم غيلان قامت مع أم جميل
فيمن قام دونه .

فلما قام عمرُ بن الخطاب أتته أم جميل ، وهي تُرى أنه أخوه : فلما
انتهبت له عَرَفَ القِصَّةَ ، فقال : إني لستُ بأخيه إلا في الإسلام ، وهو غاز ،
وقد عرفتُ مِنْتَكَ عليه ، فأعطاها على أنها ابنة سَبِيل .

قال الراوى : قال ابن هشام : وكانِ ضرار لحق عمرَ بن الخطاب يوم أحد ،
فجعل يُنْصَرُّ به بِعَرَضِ الرَّمْحِ ، ويقول : انْجُ يا ابن الخطاب لا أقتلك ، فكان
عمر يعرفها له بعد إسلامه .

من المؤذنين لرسول الله

قال ابن إسحاق : وكان النفر الذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بيته أبا لهب ، والحكم بن العاص بن أمية ، وعُقبة بن أبي مُعَيْط ، وعدى

ابن خمراء التَّقْفِيّ ، وابن الأَصْدَاءِ الْهَذَلِيّ ، وكانوا جيرانه لم يُسَلِّمَ منهم أحد إلا الْحَكَمَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ ، فكان أحدهم - فيما ذكر لي - يطرح عليه صلى الله عليه وسلم رَحَمَ الشاة وهو يُصَلِّي ، وكان أحدهم يطرحها في بُرْمَتِهِ إذا نُصِبَتْ لَهُ . حتى اتخذ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - حجراً يستتر به منهم إذا صلى ، فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا طرخوا عليه ذلك الأذى ، كما حدثني عمرُ بن عبد الله بن عُرْوَةَ ابن الزبير ، عن عُرْوَةَ بن الزبير ، يخرج به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على العمود ، فيقف به على بابه ، ثم يقول : يَا بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ ، أَيَّ جَوَارٍ هَذَا ! ثُمَّ يُلْقِيهِ فِي الطَّرِيقِ .

مَاعَانَاهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاة أبي طالب وخديجة

قال ابن إسحاق : ثم إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا في عام واحد ، فتتابع على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم المصائبُ بِهَؤُلَاءِ خَدِيجَةٍ ، وكانت له وَزِيرٌ صِدِّيقٌ عَلَى الْإِسْلَامِ ، يشكو إليها ، وبهؤلاء عمُّه أبي طالب ، وكان له عضداً وَحِرْزاً فِي أَمْرِهِ ، وَمَنْعَةً وَنَاصِراً عَلَى قَوْمِهِ ، وَذَلِكَ قَبْلَ مُهَاجِرِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ بِثَلَاثِ سَنِينَ . فلما هلك أبو طالب ، نالت قريشُ من رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تكن تَطْمَعُ بِهِ فِي حَيَاةِ أَبِي طَالِبٍ ، حتى اعترضه سَفِيهَةٌ مِنْ سُفَهَاءِ قُرَيْشٍ ، فَنَثَرَ عَلَى رَأْسِهِ تَرَاباً .

قال ابن إسحاق : فحدثني هشام بن عروة ، عن أبيه عروة بن الزبير ، قال : لما نثر ذلك السفيةُ على رأس رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - ذلك الترابَ

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على رأسه ، فقامت إليه إحدى بناته ، فجعلت تفسل عنه التراب وهي تبكي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها : لا تبكي يا بُنَيَّةُ ، فإن الله مانعٌ أباك . قال : ويقول بين ذلك : ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه ، حتى مات أبو طالب .

ما حدث بين النبي صلى الله عليه وسلم

وبين أبي طالب والمشركين

قال ابن إسحاق : ولما اشتكى أبو طالب ، وبلغ قريشاً ثقله ، قالت قريش بعضها لبعض : إن حُزّة وعمر ، قد أسلما وقد فشا أمرُ محمد في قبائل قُريش كلها ، فاطلّقوا بنا إلى أبي طالب ، فليأخذ لنا على ابن أخيه ، ولْيُعْطِه منّا ، والله ما نأمن أن يبتزّونا أمرنا .

قال ابن إسحاق : فحدثني العباسُ بن عبد الله بن مَعْبُد عن بعض أهله ، عن ابن عباس ، قال : مشّوا إلى أبي طالب فكلّموه ، وهم أشراف قومه : عتبة ابن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وأمّية بن خلف ، وأبو سفيان بن حرب ، في رجال من أشرافهم ، فقالوا : يا أبا طالب ، إنك منّا حيث قد علمت ، وقد حَصَرَكَ ماترى ، وتحوّفتنا عليك ، وقد علمت الذى بيننا وبين ابن أخيك ، فادّعه ، فخذْ له منّا ، وخذْ لنا منه ، ليكف عنا ، ونكفّ عنه ، وليدعنا وديننا ، وندعه ودينه ، فبعث إليه أبو طالب ، فجاءه فقال : يا ابن أخى : هؤلاء أشرافُ قومك ، قد اجتمعوا لك ، لِيُعْطوك ،

وأيأخذوا منك . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، كلمة واحدة تعطونهاها تملكون بها العرب ، وتدين لكم بها العجم . قال : فقال أبو جهل : نعم وأبيك ، وعشر كلمات ، قال : تقوان : لا إله إلا الله ، وتخلعون ما تعبدون من دونه . قال : فصنقوا بأيديهم ، ثم قالوا : أتريد يا محمد أن تجعل الآلهة إلهًا واحدًا ، إن أمرك لعجب : ثم قال بعضهم لبعض : إنه والله ما هذا الرجل بمعطيك شيئا مما تريدون فانطلقوا ، وامنضوا على دين آبائكم ، حتى يحكم الله بينكم وبينه . قال : ثم تفرقوا .

الرسول يرجو أن يسلم أبو طالب

فقال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم : والله يا ابن أخي ، ما رأيتك سألتهم شططًا ؛ فلما قالها أبو طالب طمِع رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - في إسلامه ، فجعل يقول له : أي عم ، فأنت فقلها ، أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة . قال : فلما رأى حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : يا ابن أخي ، والله لو لا مخافة النسبة إليك ، وعلى بنى أبيك من بعدى ، وأن تظن قُرَيش أني قتلها جزعا من الموت اقاتها ، لا أقولها إلا لأمرِك بها . قال : فلما تقارب من أبي طالب الموت ، قال : نظر العباسُ إليه يحرك شفيعه ، قال : فأصغى إليه بأذنه ، قال : فقال يا ابن أخي ، والله لقد قال أخى الكلمة التي أمرته أن يقولها ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم أسمع .

ما نزل فيمن طلبوا العهد على الرسول عند أبي طالب

قال : وأنزل الله تعالى في الرَّهط الذين كانوا اجتمعوا إليه ، وقال لهم ما قال ، وردوا عليه ماوردوا : « ص . القرآن ذى الذِّكْر ، بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ) . . إلى قوله تعالى : (أَجْعَلِ الْآلِهَةَ آلِهَةً وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ . وانطلقَ المَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ . إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَاد . ما سمعنا بهذا فِي الْمِدَّةِ الْآخِرَةِ) يعنون النصارى ، لقولهم : (إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ) - (إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ) ثم هلك أبو طالب .

عن المستهزئين وملطه

فصل : وذكر حديثَ المستهزئين الذين أنزل الله فيهم : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُوا أَمْرَهُ ﴾ (١) وذكر فيهم الحارث بن الطَّلَاطِلَة (١)، والطَّلَاطِلَةُ : أمه، قاله أبو الوليد القسبي ، والطَّلَاطِلَةُ في اللغة : الداهية ، قال أبو عبيد : كُلُّ دَاءٍ عُضَالٌ فَهُوَ : طَّلَاطِلَةٌ ، وذكر في نسبه عبدَ عمرو بن مَلَكَانَ بالضبطين جميعاً ، وفي حاشية كتاب الشيخ الحافظ أبي بحر ، قال : قد تقدم من قول ابن حبيب انحنوى أن الناس ليس فيهم مَلَكَانَ بفتح الميم واللام إلا مَلَكَانَ بن جَرْمِ بْنِ زَبَّانَ بن حُلُوَانِ عِمْرَانَ بن الخفافِ بن قُضَاعَةَ ، ومَلَكَانَ بن عباد بن عِيَاضِ ابن عُقْبَةَ بن السَّكُونِ بن أشرس ، وإخوة عدى هم : نُجَيْبٌ عرفوا بأهمهم

(١) هو في تفسير ابن كثير : ابن غيطة ، وغيطة أمه

تُحْيِيْب بنت دُؤْم بن ثوبان ، وهم من كِنْدَة ، وكل من في الناس وغيرهما
مِنْ مَلِكَان مَكْسُور الميم - اكن اللام ، وقال مشايخ خزاعة : في خزاعة مَلَكَان^(١) .
بفتح الميم ، قال الفاضل : يعنى ابن حبيب : مَلَكَان بن أَفْصَى بن حارثة بن نَعْمَانَة
ابن عمرو بن عامر ، وقال غير ابن حبيب كالذى يخرج من عبارته : إن الذى
في خَزَاعَة إنما هو مَلَكَان بن أَفْصَى مثل مَلَكَان بن عدى بن عبد مناة
من الرباب الذين منهم ذو الرِّثْمَة الشاعر ، ومثل مَلَكَان بن عبد مناة من الرباب
أيضاً رَهْط شُفْيَان بن سَعِيد الثَّوْرِي . وذكر في المستهزئين الأسود بن عُبَيْدِ يَغُوث
الزهرى روى أنه لما أنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ نزل جبريل
عليه السلام فحنا ظهر الأسود ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خالى خالى^(٢) ،
فقال له جبريل : خَلَّ عَنْكَ ، ثم حناه حتى قتله ، ذكره الدَّارِ قُطْنِي :

(١) ضبط أبو على الفخالى نفلا عن ابن الأنباري ملكان بن حزم بن زبان.
بفتح الميم وسكون اللام في ص ١٩٠ > ٢ وفي ص ٢٠٩ > ٣ قال : كل
ما في العرب : مَلَكَان و بكسر الميم مع سكون اللام ، إلا ملكان و بفتح الميم
وسكون اللام ، بن جرم بن ربان بالجيم والراء في جرم وبالراء في ربان . وقال
البكري في التنبيه على أوهام الفخالى في أماليه : الذى في جرم بن ربان هو : ملكان .
بفتح اللام والميم ، وليس هو بإسكان اللام كما أورده ، وكذلك ملكان بن عباد
ابن عياض بن عقبة بن السكون ، وهذا باب واسع ، والذى ذكر منه أبو على
برض و قليل ، من شد ، وغيض من فيض ، ص ١١٦ التنبيه ط ٢

(٢) هو ابن خال النبي صلى الله عليه وسلم لا خاله ، وقد اضطربت الروايات
في مصيره ، فإحداهن ما ذكر ابن إسحاق في السيرة ، والثانية هذه التي نقلها السمعاني
عن الدارقطني ، وهى عند ابن أبي حاتم والبلاذرى عن عكرمة ، وأنه حنا ظهره
حتى أحق وقف صدره ، أى انحنى ، وأخرى أنه خرج من عند أهله حتى فُتَّصَبَتْه

مريت الوابر بن المغيرة :

فصل : وذكر وفاة الوليد بن المغيرة ، وقوله لبنيه : وعقرى عند أبي أزيهر الدؤسي لاندعوه^(١) العقر : دية الفرج المنصوب ، وأصله في البكر من أجل التذمية ، ومنه عقر السرج الفرس : إذا أدماه ، وبنيضة العقر منه ؛ لأنهم كانوا يقيسون البكر بالبيضة^(٢) ، ليعرفوا بكورتها ، وقيل : عقر بضم العين ، لأنه بمعنى يضع .

عن مقتل أبي أزيهر وموقف دوس :

وذكر قتل هشام بن الوليد لأبي أزيهر وخبر أم غيلان مع ضرار حين أجارته ، ومن تمام الخبر : أن دوسا لما بلغها مقتل أبي أزيهر الدؤسي ، وثبت على رجال من قريش كانوا عندهم ، فقتلوا منهم بجير بن العوام أخا الزبير ، وأرادوا قتل ضرار بن الخطاب ، فأجارته أم غيلان وابنها عوف ، قال ضرار : لقد أذخمتني بين درعها وبدنها ، حتى إني لأجد تسبيد ركبها ، والتسبيد : موضع الخلق من الشعر ، وكان الذي قتل بجيراً صبيح بن سعد أو مليح ابن سعد جد أبي هريرة لأمه ؛ لأن أمه أمة بنت مليح أو صبيح .

= السوم ، حتى صار حبشياً ، فلم يبق فيه أهله ، فصار يطوف بشعاب مكة ، حتى مات عطشاً ، وأخرى أنه عطش ، فشرب حتى انشق بطنه ، وأخرى . وأخرى . فهل يسكن قلب إلى مثل هذه المضطربات ؟

(١) الذي في السيرة : فلا يفوتكم .

(٢) في القاموس عن العقر أنه استبراء المرأة ، لينظر أبكر هي أم غير بكر .

عن أطرقا ومن أعظم أنه :

فصل : وذكر شعر عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة وفيه :

وأن تتركوا ماءً بِجِزْعَةِ أَطْرِقَا

وَالْجِزْعَةُ وَالْجِزْعُ بمعنى واحد ، وهو معظم الوادى ، وقال ابن الأعرابي : هو ما انتهى منه ، وأطرقا اسم علم لموضع سمى بفعل الأمر اللاتنين ، فهو مخيئ لا يعرب ، وقيل : إن أصل تسميته بذلك أن ثلاثة نفر مروا بها خائفين ، فسمع أحدهم صوتا ، فقال لصاحبيه : أطرقا ، أى : أنصتا ، حتى نرى ما هذا الصوت ، فسمى المكان بأطرقا^(١) ، والله أعلم . وذكر شعر الجون بن أبي الجون ، وفيه :

ألم تُقسِمُوا تُؤْتُوا الوليد ظَلَامَةً

أراد : أن تؤتوا ، ومعناه : أن لا تؤتوا كما جاء فى التنزيل : (يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا) النساء : ١٧٦ فى قول طائفة ، ومعناه عندى : كره لكم أن تَضِلُّوا^(٢) ، وقد قدمنا فى الجزء قبل هذا كلام على أن ، ومقتضاها وشيئا من

(١) هو كما ذكر فى مراصد الاطلاع ، وفيه أن أطرقا موضع بنواحى مكة من منازل خزاعة وهذيل .

(٢) يقول الليثاوى فى تفسير الآية : أى يبين الله لكم ضلالكم الذى من شأنكم إذا خليتم وطباعكم لتحترزوا عنه ، وتحترزوا خلافه ، أو يبين لكم الحق والصواب كراهة أن تضلوا ، وقيل : لئلا تضلوا ، فحذف لا ، وهو قول الكوفيين ،

أسرارها فيه غنية ، وإذا كان الكلامُ محمولا على معناها فالنصب جائز ، والرفع جائز أيضا ، كما أنشدوا :

أَلَا أَيُّهَا الزَّاجِرِيُّ أَحْضَرُ الْوَغَى^(١)

بنصب : أحضرَ ورفعهُ ، وأنشد سيديويه :

وَنَهَيْتُ نَفْسِي بَعْدَمَا كِدْتُ أَفْعَلَهُ^(٥)

يريد : أن أفعله ، وإذا رفعت في هذا الموضع لم يُذهب الرفع معنى أن فقد

(١) البيت من معلقة طرفة بن العبد البكري ، وبديته :
وَأَنْ أَشْهَدُ اللَّذَاتِ هَلْ أَنْتَ غُلْدِي

وبعد :

فإن كنت لا تستطيع دفع منيتي فذرنى أبادرها بما ملكك يدي
والبيت من شواهد سيديويه في الكتاب ص ٥٢ ج ١ ، ويستدل به الكوفيون
على أن الناصبة تعمل في غير المواضع المحدودة ، ودليلهم : أن الشاعر عطف
عليه قوله : وَأَنْ أَشْهَدَ . ومنع البصريون ذلك بأن عوامل الأفعال ضعيفة
لا تعمل مع الحذف ، وإذا حذف ارتفع الفعل . وقالوا : إن رواية البيت عندهم
إنما هي بالرفع . انظر ص ٨٣ ج ١ خزائن الأدب ص ٣٣٨ شرح شواهد
ابن عقيل للشيخ عبد المنعم الجر جاوى ط ١٩١٤ ، ص ٥٢ ج ١ الكتاب لسيديويه
(٢) هو من شواهد سيديويه . وقد نسبته إلى عمار بن جوين الطائي ، وأوله :
فَلَمْ أَرْ مِثْلَهَا خَبَاسَةً وَاحِدَ

وقد عقب عليه سيديويه بقوله : وحله على أن : لأن الشعر قد يستعملون
أن همنا مضطربين كثيرا ، ص ١٥٥ ج ١ الكتاب لسيديويه ، وقال عنه اللسان :
هو لعمر بن جوين ، أو امرئ النيس ، وفيه : واجد بدلا من : واحد . ونقل عن
سيديويه ما قاله . والخباسة : المنعم .

حكى سيديويه : مره يحفرها^(١) ، وقدره تقديرين ، أحدهما : أن يريد الحال أى :
مره حافراً لها ، والثانى : أن يريد : مره أن يحفرها ، وارتفع الفعل لما ذهب
أن من اللفظ ، ويَبِّينُ ابنُ جنى الفرقَ بين التقديرين ، وقال : إذا نويت أن
فالفعلُ مستقبلاً ، وإذا لم تَنْوِها فالفعل حاضر ، وههنا مسألة من العرب ذكرها
الطبرى ، قال : العرب تقول لمن توجه فى أمر : تصنع ماذا وتفعل ؟ ماذا على
تقدير : تريد أن تصنع ماذا ، فإذا قالوا : تريد ماذا لم يكن إلا رفعاً ، لأن المعنى
الذى يجلب معنى أن الناصبة ليس فى قوله : تريد ؛ إذ لا يستقيم أن تقول : تريد
أن تريد ماذا ، يعنى : أن الإرادة لا تتراد .

شعر الجوده :

وذكر شعر الجون أيضاً ، وفيه :

بها يمشى المَعْلَهجُ والمِهيرُ

المهير : ابن المهوره الحرّة والمَعْلَهجُ : المتردد فى الإماء^(٢) كأنه منحوت من

(١) ورد قوله هذا فى ص ٤٥١ وما بعدها ج ١ المكتاب اسديويه ، وهو من
شواهد المذكورة تحت باب : وهذا باب من الجزء ينجزم فيه الفعل إذا كان
جواباً لأمر أو نهى أو استفهام أو تمن أو عرض ،

(٢) فى شرح السيرة لأبى ذر الحُشنى : والمهير : الصحيح النسب ، يريد أن أمه
حرة بهر ، والمعلج : المطعون عليه فى فيه ، وهو لاحق أيضاً ، وفى اللسان :
المعلج أن يؤخذ الجلد فيقدم إلى النار حتى يلين ، فيمضغ ، ويبلع ، وكان ذلك
من ما كل القوم فى الجماعات . . والمعلج : الذى ولد من جنسين مختلفين ، والذى
ليس بخالص النسب .

أَصْلين : من المِلْج لأن الأمة : عِلْجَة ، ومن اللَّهْج ^(١) ، كَأَن وَاطِيءَ الأُمَّةِ
قَدْ لَهَجَ بِهَا ، وَنَجِدَتْ لَفْظَ المَلْهَجِ من هذين اللفظين .

وفيه :

كما أَرَسِيَ بِمَشْبَتِهِ كَبِيرُ

كذا صحت الرواية في أَرَسِيَ بالتخفيف وهو زِحَافٌ داخلٌ على زحاف ؛ لأن
تَسْكِينَ اللامِ مِنْ مُفَاعَلَتَيْنِ فِي الوَافِرِ زِحَافٌ ، وَلِأَنَّهُ حَسَنٌ كَثِيرٌ ، فَلَمَّا كَثُرَ
شَبَّهَ هَذَا الشَّاعِرُ بِمَفَاعِيلَ ؛ لِأَنَّهُ عَلَى وَزْنِهِ ، وَمَفَاعِييَانِ يَحْسُنُ حَذْفُ الْيَاءِ مِنْهَا
فِي الطَّوِيلِ ، فَيَصِيرُ فَعُولَانِ مُفَاعِلَيْنِ ، فَلِذَلِكَ أَدْخَلَ هَذَا الشَّاعِرُ الزِحَافَ عَلَى
مُفَاعَلَتَيْنِ لِأَنَّهُ بَعْدَ السَّكُونِ فِي وَزْنِ مَفَاعِيلِنِ الَّتِي تَحذفُ يَأْوُهَا حَذْفًا مُسْتَحْسِنًا ،
فَتَدْبِرُهُ ، فَإِنَّهُ مَا يَحِجُّ فِي عِلْمِ الْعُرُوضِ ^(١) .

من أسواق العرب :

فصل : وأنشد الحسن بن ثابت :

(١) من معاني العالج : الرجل من كفار العجم . واللاج : الولوج بالثب . وطبع
به إذا أغرى به ، فثابر عليه ، ومن معاني القصيدة كما ذكر الخشني . أَرَسِيَ : استقر
وثبت ، والزحاف : الذي فيه السم ، والبهير من البهر وهو انقطاع النفس ،
والمسلحجب : الممد وبالهاء المهمل ذكره صاحب كتاب العين لا غير . وعند وجهه :
أى سقطته والخور : العزيزات اللبن

(٢) سبق الكلام عن هذه المصطلحات .

غدا أهل ضَوْجِي ذى المجازِ بُسْحَرَةٍ^(١)

ضَوْجُ الوادى : جانبه ، وذو المجاز : سوقٌ عند عَرَفَةِ كانت العربُ إذا حَجَّتْ أقامت بسوق عكاظٍ شهرَ شَوَّالٍ ، ثم تنتقل إلى سوق مَجَنَّةَ^(٢) فتقيم فيه عشرين يوما من ذى القعدة ، ثم تنتقل إلى سوق ذى المجاز^(٣) فتقيم فيه إلى أيام الحج ، وكانوا يتفاخرون في سوق عكاظ شهر شوال إذا اجتمعوا ، ويقال : عَكَظَ الرجلُ صاحبه إذا فاخره وغَلَبَ به بالفاخرة ، فسُميت عكاظ لذلك^(٤) .

(١) السحرة : السحر الأعلى . والبيت في الفسخ الذى بين يدى ، وفي شرح السيرة للخشنى : غدا أهل ضوجى ذى المجاز كليهما .
(٢) فى المراسد عن مجنة : اسم سوق للعرب كانت فى الجاهلية ، قيل : بمر الظهران . قرب جبل يقال له : الأصفر كانت به تقوم العشرة الاخر من ذى القعدة ، وقبلها من أوله عكاظ ، وقيل مجنة : بلد على أميال من مكة ، وقيل : جبيل بجانب طفيل ، وهو لبنى الدبل . ويقول يافوت فى معجمه : وإياه أراد بلال حين كان يتمثل :

الآليت شعرى هل أبين ليلة بواد ، وحولى أذخر وجيليل
ومل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل

(٣) ذو المجاز : موضع سوق يعرفه على ناحية كبكب عن يمين الإمام على فرسخ . كانت به تقوم فى الجاهلية ثمانية أيام ، وقيل : هو ماء من أصل كبكب لهديل خلف عرفة . وككبب جبل خلف عرفات مشرف عليه ، قيل هو الجبل الأحمر الذى يجعله الوائف بعرفة فى ظهره .

(٤) فى القاموس . عكظه يعكظه : حبسه وعركه ، وآهره ورد عليه فخره ، وكغراب : سوق بصحراء بين نخلة والطائف ، كانت تقوم هلال ذى القعدة ، وتستمر عشرين يوما . وتجتمع قبائل العرب ، فيتعاكظون ، أى يتفاخرون ويتناشدون .

وذكر :

كَيْلَ نِعَالِ الْقَوْمِ مُغْتَبِطٌ وَرُدُّ

يعنى : الدَّمَّ الْعَبِيطَ^(١).

ما أنزل الله في الربا

فصل : وذكر ما أنزل الله في الربا الآيات من سورة البقرة ، وقد قدمنا في حديث بنيان الكعبة من قولهم : لا تنفقوا فيها رباً ولا مهرَ بغيٍّ ، وأن في ذلك دليلاً على قِدَمِ تحريمه عليهم في شرع إبراهيم عليه السلام ، أوفى غيره من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين^(٢) وذلك أَنَّهُ من أقبح الأعمال لما فيه من هَدمِ جانب المروءة ، وإيثار الخرص مع بعد الأمل ، ونسيان بَغْتَةِ الأجل ، وترك التوسعة وحسن المعاملة ، ومن تأمل أبواب الربا لاح له شر التحريم من جهة الجشع المانع من حسن المعاشرة والذريعة إلى ترك القرض ، وما فيه ، وفي التوسعة من مكارم الأخلاق ، ولذلك قال سبحانه : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾^(٣) البقرة : ٢٧٩ . غضباً منه على أهله ، ولهذه النكتة

(١) الخالص الطرى .

(٢) ورد في الإصحاح الثاني والعشرين من سفر الخروج أحد أسفار العهد القديم الذى بيد اليهود والمسيحيين : « إن أقرضت فضة لشعبي الفقير الذى عندك فلا تكون له كالمرابي لا تسعروا عليه ربا » رقم ٣٦ .

(٣) يقول الإمام ابن القيم حول هذه الآية : « لم يحى هذا الوعيد في كبيرة سوى الربا ، وقطع الطريق ، والسعى في الأرض بالامساد ، لأن كل واحد منهم مفسد في الأرض ، قاطع الطريق على الناس . هذا بقره لهم ، وتساطه عليهم ، =

قالت عائشة لأم محبة مولاة زيد بن أرقم : أبلغني زيدا تمنى زيد بن أرقم أن قد أبطل جهاده مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين ذكرت لها عنه مسألة من البيوع تشبه الربا ، فقالت : أبطل جهاده ، ولم تقل صلاته ولا صيامه ، لأن السيئات لا تُحِبُّ الحَسَنَاتِ ، ولكن خَصَّتْ الجهادَ بالإبطال ، لأنه حرب لأعداء الله ، وآكلُ الربا قد أذن بحربٍ من الله ، فهو ضده ، ولا يجتمع الضدان ، وهذا معنى ذكره أبو الحسن بن بطال في شرح الجامع ، وتلك المسألة المذكورة في المُدَوَّنة ، لكن إسنادها إلى عائشة ضعيف .

وفاة أبي طالب ووصيته

ذكر ابن إسحاق وفاة أبي طالب إلى آخر القصة ، وفيها قال العباس : والله لقد قال أخى الكلمة التى أمرته بها ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم : لم أسمع .

== وهذا بائناؤه من تفرج كربانهم إلا بتحصيلهم كربات أشد منها ، فأخبر عن قطاع الطريق بأنهم يحاربون الله ورسوله ، وآذن هؤلاء إن لم يتركوا الربا بحربه وحرب رسوله ، التفسير القيم لابن القيم ص ١٧٢ ط السنة المحمدية ١٣٦٨ ، ١٩٤٩ . وقد ورد حديث : لعن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - آكل الربا ، وموكله وشاهد به . وكان به الخ ، وقد رواه أحمد وأبو داود والترمذى وابن ماجه . جئنا الله لعنته .

من معاني قصيدة ضرار بن الخطاب : الشعث : المتفيرات الشعور ، العواطل : اللاتى لا حل لهن . الشعاب : جمع شعبة ، وهو مسيل الماء فى الحرة ، والقوايل : التى تقابل بعضها بعضا ، الشراج : جمع شرج وهو مسيل الماء من الحرة إلى السهل . الونى : الضعف والفتور ، ونصل السيف : حده . عن شرح السيرة لأبى ذر سو القاموس .

قال المؤلف : شهادة العباس لأبي طالب لو أداها بعد ما أسلم ، لكانت مقبولة ، ولم يرد بقوله لم أسمع ، لأن الشاهد العدل إذا قال : سمعت ، وقال من هو أعدل منه : لم أسمع أخذَ بقول من أثبت السماع ، لأن عدم السماع يحتمل أسبابا منعت الشاهد من السمع ، ولكن العباس شهد بذلك قبل أن يُسلم مع أن الصحيح من الأثر ، قد أثبت لأبي طالب الوفاة على الكفر والشرك^(١) وأثبت نزول هذه الآية فيه : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ التوبة : ١١٣ وثبت في الصحيح أيضا أن العباس قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أبا طالب كان يحوُّطك وينصرك ، ويفض بك ، فهل ينفعه ذلك ؟ قال : « نعم وجدته في عَمَرَاتٍ من النار ، فأخرجته إلى ضَحَضَاح » وفي الصحيح أيضا من طريق أبي سعيد ، أنه - عليه السلام - قال : لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة ، فيجعل في ضَحَضَاحٍ من النار يبلغ كعبيه يلقى منه دماغا » وفي رواية أخرى : كما يلقى المِرْجَلُ بالقُمَّمِ ، وهي مُشْكِلَةٌ^(٢) ، وقال بعض أهل العلم :

(١) أخرج الإمام أحمد بسنده عن ابن المسيب عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي - ص - وعنده أبو جهل ، وعبد الله بن أبي أمية . فقال : أي عم ، قل : لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله عز وجل . فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ؟ فقال : أنا على ملة عبد المطلب ، فقال النبي - ص - لاستغفرن لك ما لم أنه عنك ، فزلت : (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين . ولو كانوا أولى قربي من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) قال : ونزلت فيه : (إنك لا تهدي من أحببت ، ولكن الله يهدي من يشاء) وقد أخرجه البخاري ومسلم

(٢) لأن الرجل : قدر من نحاس ، والقمم قم أيضا : ما يسخن فيه الماء من نحاس وغيره . ويكون ضيق الرأس ، ويقول ابن الأثير في النهاية تعليقا على هذه =

الْقَمَمُ : هو البُسرُ الأخضر يُطبخ في المِرْجَل استعجالاً لنضجه ، يفعل ذلك أهل الحاجة ، وفي رواية يونس عن ابن إسحاق زيادة ، وهي أنه قال : يغلي منها دماغه حتى يسيل على قدميه ، ومن باب النظر في حكمة الله ، ومشكلة الجزاء للعمل أن أبا طالب كان مع رسول الله بجملة مَتَحَرِّبًا له ، إلا أنه مثبت لقدميه على مِلَّة عبد المطلب ، حتى قال عند الموت : أنا على مِلَّة عبد المطلب ، فسلط المذاب على قدميه خاصَّةً لتثبيته إياها على ملة آباءه ، ثبتنا الله على الصراط المستقيم .

وذكر قول الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ التوبة : ١٣ وقد استغفر عليه السلام يوم أُحُدٍ فقال : اللهم اغفر لقومي ، فإنهم لا يعلمون ، وذلك حين جَرَحَ المشركون وجهه وقتلوا عمه . وكثيراً من أصحابه ، ولا يصح أن تكون الآية نزلت في عمه ناسخةً لاستغفاره يوم أُحُدٍ ، لأنَّ وفاة عمه كانت قبل ذلك بمكة ، ولا ينسخ المتقدم المتأخراً ، وقد أُجيب عن هذا السؤال بأجوبة : أن قيل : استغفاره لقومه مشروطٌ بتوبتهم من الشرك ، كأنه أراد الدعاء لهم بالتوبة حتى يغفر لهم ، ويُقوَّى هذا القول روايةً من روى : اللهم اهْدِ قومي فإنهم لا يعلمون ، وقد ذكرها ابن إسحاق ، رواها عنه بعض رواة الكتاب بهذا اللفظ ، وقيل : مغفرة تُصرف عنهم عقوبة الدنيا من المسخ والخسف ، ونحو ذلك ، ووجهه

== الرواية : د هكذا روى ، ورواه بعضهم : كما يغلي المِرْجَل والقَمَم وهو أبين إن ساعدته صحة الرواية ،

ثالث ، وهو أن تكون الآية تأخر نزولها ، فنزلت بالمدينة ناسخة للاستغفار للمشرّكين ، فيسكون سبب نزولها متقدما ، ونزولها متأخرا لاسيما ، وهي في سورة براءة وبراءة ، من آخر ما نزل ، فتسكون على هذا ناسخة للاستغفار بن جميعا ، وفي الصحيح أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دخل على أبي طالب عند موته ، وعنده أبو جهل ، وعبد الله بن أبي أمية ، فقال : يا عمّ قل : لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله ، فقال له أبو جهل وابن أبي أمية : أترغبُ عن ملة عبد المطّاب ، فقال : أنا على ملة عبد المطّاب ، وظاهر الحديث يقتضى أن عبد المطّاب مات على الشرك ، ووجدت في بعض كتب المسعودي اختلافا في عبد المطّاب ، وأنه قد قال فيه : مات مسلما لما رأى من الدلائل على نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - وعلم أنه لا يبعث إلا بالتوحيد^(١) ، فله أعلم ، غير أن في مسند البزار ، وفي كتاب النسوى من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لفاطمة ، وقد عزّت قوما من الأنصار عن ميثهم : اهلك بلغت معهم الكدّى ، ويروى الكرى بالراء ، يعنى : القبور ، فقالت : لا ، فقال : لو كفت معهم الكدّى^(٢) أو كما قال ، مارأيت

(١) النبي - صلى الله عليه وسلم - نفسه لم يكن يعلم شيئا عن نبوته قبل المبعث تدبر قول ربنا سبحانه : (ووجدك ضالا فهدى) وقوله : (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان) .

(٢) الرواية لو بلغت معهم الكدى ، أو : لو بلغت معهم . وقد ورد تفسير الكدى بالقبور عن ربيعة بن سيف من تابعي أهل مصر ، وفيه مقال لا يقدح في حسن الإسناد ، وفي الرواية أن الرسول وص ، حين سأل فاطمة عن ذلك أنها قالت له : معاذ الله ، وقد سمعتك تذكر فيها ما تذكر . رواه أبو داود والنسائي

الجنة ، حتى يراها جدُّ أبيك ، وقد أخرجه أبوداود ، ولم يذكر فيه حتى يدخلها جد أبيك ، وكذلك لم يذكر فيه : ما دخلت الجنة ، وفي قوله : جد أبيك ، ولم يقل : جدك يعني : أباه توطئة للحديث الضعيف الذي قدمنا ذكره أن الله أحيا أمه وأباه ، وآمنا به ، فالله أعلم ، ويحتمل أن يكون أراد تخويفها بقوله ، حتى يدخلها جد أبيك ، فتتوهم أنه الجد الكافر ، ومن جدوده عليه السلام : إسماعيل وإبراهيم ، لأن قوله عليه السلام حق ، وبلوغها معهم الكُدَى لا يوجب خلودا في النار ، فهذا من لطيف السكناية فافهمه ، وحكى عن هشام ابن السائب أوابنه أنه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع إليه وجوه قريش ، فأوصاهم ، فقال : يامعشر قريش ، أنتم صفوة الله من خلقه ، وقلبُ العرب ، فيكم السيد المطاع ، وفيكم المقدم الشجاع ، والواسع الباع ، واعلموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً إلا أحرزتموه ، ولا شرفاً إلا أدركتموه ، فلستم بذالك على الناس الفضيلة ولهم به إليكم الوسيلة ، والناسُ انكم حزب ، وعلى حربكم ألب ، وإنى أوصيكم بتعظيم هذه البنية^(١) ، فإن فيها مَرَضَةً للرب ، وقواماً للمعاش ، وَنَبَاتاً لِلْوَطْأَةِ ، صَلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَا تَقْطَعُوهَا ، فإن في صلة الرِّجَمِ مَنْسَأَةً في الأجل ، وَسِعَةً في العدد ، واتركوا النِّبْغِيَّ وَالْمُعْتَوِقَ ، ففيهما هَلَكَةُ القرون قبلكم ، أجيئوا إلّا عى ، وأعطوا السائل ، فإن فيهما شرف الحياة والممات ، عليكم بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، فإن فيهما محبة في الخالص ، ومكرمة في العام ، وإنى أوصيكم بحمد خيراً ، فإنه الأمين .

في قریش ، والصديق في العرب ، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به ، وقد جاء بأمرٍ قبله الجفنان ، وأنكره اللسان مخافة الشنآن ، وایم الله كأنی أنظر إلى صَعَالِك^(١) العرب ، وأهل البر في الأطراف والمُسْتَضْعَفِينَ من الناس ، قد أجابوا دعوته ، وصدقوا كلمته وعظموا أمره ، فحاض بهم غمرات الموت ، فصارت رؤسها قریش وصناديدها أذنابا ودورها خرابا ، وضعفاؤها أربابا ، وإذا أعظمهم عليه ، أخو جهم إليه ، وأبعدهم منه ، أخناهم عنده ، قد تحضته العرب وِدَادَهَا ، وأصفت له فؤادها ، وأعطته قيادها ، دونكم يامشر قریش ابن أبيكم ، كونوا له ولاية ولحزبه حمة ، والله لا يسلك أحد منكم سبيله إلا رَشَد ، ولا يأخذ أحد بهذيه إلا سَعِد ، ولو كان لنفسی مدة ، ولا جلی تأخير ، لكففت عنه الهزاهز^(٢) ، ولدافعت عنه الدواهي ، ثم هلك :

تفسير المشي في سورة ص :

فصل : وذكر ما أنزل الله تعالى في قولهم : ﴿ أَنْ امْشُوا ، واضربوا على أهلكم ﴾ وذكر بعض أهل التفسير أن قولهم : امشوا من المشاء ، لامن المشي والمشاء : تمامه المال وزيادته ، يقال مشى الرجل ، وامشى : إذا تمامه . قال الشاعر :

وَكُلُّ فَتًى وَإِنْ أَمْشَى وَأَثَرِي سَعَخَاجَةٌ عَنِ الدَّيَّامُنُونِ^(٣)

(١) جمع : صعلوك : الفقير

(٢) الهزاهز : الفتن يهتز فيها الناس . وفي الأصل : عند الهزاهز وهو خطأ !

(٣) البيت للابغة الذبياني ، وبهذه :

وكل فتى بما عمئت يداه وما أجرت عوامله رهين

وقال الراجز :

والشاةُ لَا تَمْشِي عَلَى الْهَمَّاعِ^(١)

أى : لَا تَمْشِي ، وَالْهَمَّاعُ : الذَّنْبُ ، وقاله الخطابي في معنى الآية ، كأنهم أرادوا أن الْمَشَاءَ والبركة في صبرهم على آلهتهم ، وَحَمَلَهَا عَلَى الْمَشْيِ أَظْهَرَ في اللغة ، والله أعلم .

تتابع المصائب بموت خديجة :

وذكر تتابع المصائب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بموت خديجة ثم بموت عمه ، وذكر الزبير في حديث أسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة ، وهي في الموت ، فقال : تَكْرهين ما أرى منك يا خديجة ،

(١) الرجز غير منسوب في اللسان إلى أحد في مادتي هملع ، ومادة مشى ، وهو في هذه هكذا :

مثلى لا تحسن قولاً ففعلى
العير لا يمشى مع الهملع
لا تأمرينى ببنيات أسفع

يعنى الغنم ، وأسفع : اسم كبش
وفي مادة هملع :

لأ تأمرينى ببنيات أسفع
فالشاة لا تمشى مع الهملع

والهملع والسملع : الذَّنْبُ الخفيف ، وقوله لَا تَمْشِي مع الهملع ، أى :
لَا تَمْشِي مع الذَّنْبِ .

الرسول يسعي إلى الطائف

قال ابن إسحاق : ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله - صلى الله عليه وسلم من الأذى ما لم تسكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، يلتمس الثمرة من ثقيف ، والمنة بهم من قومه ، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل ، فخرج إليهم وحده .

موقف ثقيف من الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف ، عمد إلى نقر من ثقيف ، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرفهم ، وهم إخوة ثلاثة : عبد ياليل بن عمرو بن عُمير ، ومسعود بن عمرو بن عُمير ، وحبيب بن عمرو بن عُمير بن عوف بن

وقد يجعل الله في السكره خيرا أشعرت أن الله قد أعلمني أنه سَيُزَوِّجُنِي مَعَكَ في الجنة مريم ابنة عمران ، وكلثوم أخت موسى ، وآسية امرأة فرعون ، فقالت . آله أعلمك بهذا يا رسول الله ؟ فقال : نعم ، فقالت : بالرفاء والبنين ، وذكر أيضا في الحديث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أطلع خديجة من عِنَبِ الجنة ^(١) ؟ .

(١) ليس لهذا سند صحيح

عُقْدَةَ بَنِ غَيْرَةَ بْنِ عَوْفٍ بْنِ ثَقِيفٍ ، وَعِنْدَ أَحَدِهِمْ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ مِنْ بَنِي جُمَحٍ ،
فَجَلَسَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ ، وَكَلَّمَهُمْ بِمَا جَاءَهُمْ
لَهُ مِنْ نُصْرَتِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ ، وَالْقِيَامِ مَعَهُ عَلَى مَنْ خَالَفَهُ مِنْ قَوْمِهِ ؛ فَقَالَ لَهُ أَحَدُهُمْ :
هُوَ يَمُرُّ بِثِيَابِ الْكُفَّةِ إِنْ كَانَ اللَّهُ أَرْسَلَكَ ؛ وَقَالَ الْآخَرُ : أَمَّا وَجَدَ اللَّهُ أَحَدًا
يُرْسِلُهُ غَيْرَكَ ! وَقَالَ الثَّالِثُ : وَاللَّهِ لَا أَكَلِّمُكَ أَبَدًا . لَنْ كُنْتَ رَسُولًا مِنْ
اللَّهِ كَمَا تَقُولُ ، لَأَنْتَ أَعْظَمُ خَطَرًا مِنْ أَنْ أُرَدَّ عَلَيْكَ الْكَلَامُ ، وَلَنْ كُنْتَ
تَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ ، مَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَكَلِّمَكَ . فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
مِنْ عِنْدِهِمْ وَقَدْ يَثُوسُ مِنْ خَيْرِ ثَقِيفٍ ، وَقَدْ قَالَ لَهُمْ — فِيمَا ذُكِرَ لِي — : إِذَا
فَعَلْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ فَاصْنَعُوا عَنِّي ، وَكَرِهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَبْلُغَ قَوْمَهُ
عَنْهُ ، فَيَذْثُرَهُمْ ذَلِكَ عَلَيْهِ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : قَالَ عَبِيدُ بْنُ الْأَبْرَصِ :

وَلَقَدْ أَتَانِي عَنْ تَمِيمٍ أَنَّهُمْ ذَرُّوا لَقَتْلِي عَامِرَ وَتَعْصَبُوا

فَلَمْ يَفْعَلُوا ، وَأَعْرَوْا بِهِ سَفَاهَهُمْ وَعَبِيدَهُمْ ، يَسْبُونَهُ وَيَصِيحُونَ بِهِ ، حَتَّى
اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ ، وَأَجْتَنَوْهُ إِلَى حَانِطِ لُثَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ ، وَهَمَّا
فِيهِ ، وَرَجَعَ عَنْهُ مِنْ سَفَاهٍ ثَقِيفٍ مَنْ كَانَ يَتَّبِعُهُ ، فَعَمِدَ إِلَى ظِلِّ حَبَلَةٍ مِنْ عُنْبٍ ،
فَجَلَسَ فِيهِ . وَابْنَا رَبِيعَةَ يَنْظُرَانِ إِلَيْهِ ، وَيَرَيَانِ مَالِقٍ مِنْ سُفَهَاءِ أَهْلِ الطَّائِفِ ،
وَقَدْ لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فِيمَا ذُكِرَ لِي — الْمَرْأَةَ الَّتِي مِنْ بَنِي
جُمَحٍ ، فَقَالَ لَهَا : مَاذَا لَقِينَا مِنْ أَحْمَانِكَ ؟

فَلَمَّا اطْمَأَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : فِيمَا ذُكِرَ لِي : اللَّهُمَّ إِلَيْكَ
أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي ، وَقِلَّةَ حِيلَتِي ، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ .

أنت ربّ المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى مَنْ تَكَلِّمْنِي ؟ إلى بعيد يتجهّمنى ؟
أم إلى عدوّ مَلَكْتَهُ أُمْرِى ؟ إن لم يكن بك على غَضَبٍ فلا أبالى ، ولكن
عافيتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح
عليه أمرُ الدنيا والآخرة من أن تُنزل بى غضبك ، أو يحلّ علىّ سَخَطُكَ ،
لك العُتْبَى حتى تَرْضَى ، ولا حول ولا قوّة إلا بك .

قال : فلما رآه ابنا ربّيعه ، عُتْبَةُ وشَيْبَةُ ، وماتى ، تحرّكت له رَحْمَتُهُما
فدَعَا غلاما لهما نصرانيا ، يقال له عَدَّاس فقالا له : خذ قِطْعًا من العنب ،
فَضَعْهُ فى هذا الطَّبَق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ، فقل له يأكل منه . ففعل
عَدَّاسُ ، ثم أقبل به حتى وَضَعَهُ بين يدى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
ثم قال له : كُلْ ، فلمّا وضع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيه يده ، قال : باسم
الله ، ثم أكل ، فنظر عَدَّاس فى وجهه ، ثم قال : والله إن هذا الكلامَ ما يقوله
أهلُ هذه البلاد ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن أهل أى البلاد
أنت يا عَدَّاس ، وما دينك ؟ قال : نصرانى ، وأنا رجل من أهل نِينوى ،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ؟
فقال له عَدَّاس : وما يُدْرِيك ما يونس بن متى ؟ فقال رسولُ الله صلى الله
عليه وسلم ذاك أخى ، كان نبيا وأنا نبي ، فأكبّ عَدَّاس على رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقبّل رأسه ويديّه وقَدَميه .

قال : يقول ابنا ربّيعه أحدهما لصاحبه : أمّا غلامك فقد أفسده عليك .
فلما جاءهما عَدَّاس ، قالاه : ويلك يا عَدَّاس ! مالك تقبّل رأسَ هذا الرجل
ويديّه وقَدَميه ؟ قال : ياسيدى ما فى الأرض شىء خير من هذا ، لقد أخبرنى

بأمر ما بعلمه إلا نبي ، قال له : ويحك يا عدّاس ، لا يضرّ فنّك عن دينك ، فإنّ دينك خير من دينه .

أمر جن نصيبين

قال : ثم إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - انصرف من الطائف راجعا إلى مكة ، حين يئس من خير ثقيف ، حتى إذا كان بدخلة قام من جوف الليل يضلّ ، فمرّ به النّفر من الجنّ الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى ، وهم - فيما ذكر لي - سبعة نفر من جنّ أهل نصيبين فاستمعوا له ، فلما قرع من صلاته وتوّأ إلى قومهم منذرين ، قد آمنوا وأجابوا إلى ما سمعوا . فقصّ الله خبرهم عليه صلى الله عليه وسلم ، قال الله عزّ وجلّ ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَيُخْرِجُكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ وقال تبارك وتعالى : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ ﴾ إلى آخر القصة من خبرهم في هذه السورة .

عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم

نفسه على القبائل

قال ابن إسحاق : ثم قدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وقومه أشدّ جا كانوا عليه من خلافه وفراق دينه ، إلا قليلا مستضعفين ، ممن آمن به . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه في العواصم ، إذا كانت ،

على قبائل العرب يدعوهم إلى الله ، ويخبرهم أنه نبي مُؤسِّل ، ويسألهم أن
يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به .

قال ابن إسحاق : فحدثني من أصحابنا ، من لا أتهم ، عن زيد بن أسلم عن
ربيعة بن عباد الدبلي أو من حدثه أبو الزناد عنه - قال ابن هشام : ربيعة
ابن عباد .

قال ابن إسحاق : وحدثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ،
قال : سمعت ربيعة بن عباد ، يحدثه أبي ، قال : إني لغلام شاب مع أبي بمي ،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب ، فيقول :
يا بني فلان ، إني رسول الله إليكم ، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ،
وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بي ، وتصدقوا
بي ، وتمنعوني ، حتى أبين عن الله ما بعثني به . قال : وخلفه رجل أحول
وضي ، له غديرتان عليه حلة عدنية ، فإذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قوله ، وما دعا إليه ، قال ذلك الرجل : يا بني فلان ، إن هذا إنما يدعوك
أن تسلكوا اللات والعزى من أعناقكم ، وحلفاءكم من الجن من بني مالك
ابن أقيش ، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تطيعوه ، ولا تسمعوا منه .

قال : فقلت لأبي : يا أبت ، من هذا الذي يتبعه ويردّ عليه ما يقول ؟ قال :
هذا عمه عبد العزى بن عبد المطّاب ، أبو لهب .

قال ابن هشام : قال النابغة :

كَأَنَّكَ مِنْ جَمَالِ بَنِي أُقَيْشٍ يُقَفِّعُ خَلْفَ رَجُلَيْهِ بِسَنْ

قال ابن إسحاق : حدثنا ابنُ شهاب الزهريّ : أنه أتى كِنْدَةَ في منازلهم ،
وفيهمْ سيِّدُهم يُقال له : مُلَيْح ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعرض عليهم نفسه ،
فأَبَوْا عليه .

العرض على بني كلب

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حصين :
أنه أتى كَلْبًا في منازلهم ، إلى بَطْنٍ منهم يُقال لهم : بنو عبد الله ، فدعاهم إلى الله
وعرض عليهم نفسه ، حتى إنه ليقولُ لهم : يا بني عبد الله ، إن الله عزّ وجلّ
قد أحسن اسم أبيكم ، فلم يقبلوا منه ماعرض عليهم .

العرض على بني حنيفة

قال ابن إسحاق : وحدثني بعضُ أصحابنا عن عبد الله بن كعب بن مالك :
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بني حَنِيفَةَ في منازلهم ، فدعاهم إلى الله
وعرض عليهم نفسه ، فلم يكن أحدٌ من العرب أقبحَ عليه رداً منهم .

العرض على بني عامر

قال ابن إسحاق : وحدثني الزهريّ أنه أتى بني عامر بن صعصعة ، فدعاهم
إلى الله عزّ وجلّ ، وعرض عليهم نفسه ، فقال له رجل منهم - يُقال له :

بَيْحَرَةَ بْنِ فِرَاسٍ . قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : فِرَاسُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ قُشَيْرٍ
ابْنِ كَعْبٍ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرٍ بْنِ صَمْعَةَ : وَاللَّهِ ، لَوْ أَنِّي أَخَذْتُ هَذَا الْفَتَى
مِنْ قُرَيْشٍ ، لَأَكَلْتُ بِهِ الْعَرَبَ ، ثُمَّ قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ نَحْنُ نَابِعُنَاكَ عَلَى أَمْرِكَ ،
ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللَّهُ عَلَى مَنْ خَالَفَكَ ، أَيْكُونُ لَنَا الْأَمْرُ مِنْ بَعْدِكَ ؟ قَالَ : الْأَمْرُ إِلَى
اللَّهِ يَضَعُهُ حَيْثُ يَشَاءُ ، قَالَ : فَقَالَ لَهُ : أَفَتُنْهَدِفُ نَحْوَرَنَا لِلْعَرَبِ دُونَكَ ، فَأَذَا
أَظْهَرَكَ اللَّهُ كَانَ الْأَمْرُ لغيرنا ! لاحتاجة لنا بأمرِكَ ، فَأَبَوْا عَلَيْهِ .

فلما صدر الناسُ رجعتُ بنو عامرٍ إلى شيخٍ لهم ، قد كانت أدرَكَهُ
السن ، حتى لا يقدر أن يُوافيَ معهم المواسمَ ، فكانوا إذا رَجَعُوا إليه حَدَّثُوهُ
بِمَا يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْمَوْسَمِ ، فلما قَدَمُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ الْعَامَ سَأَلَهُمْ عَمَّا كَانَ
فِي مَوْسَمِهِمْ ، فَقَالُوا : جَاءَنَا فَتَى مِنْ قُرَيْشٍ ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، يزعم
أنه نَبِيٌّ ، يدعونا إلى أن نَمْنَعَهُ وَنَقُومَ مَعَهُ ، ونُخْرِجُ بِهِ إِلَى بِلَادِنَا . قَالَ : فَوَضَعَ
الشَّيْخُ يَدَيْهِ عَلَى رَأْسِهِ ثُمَّ قَالَ : يَا بَنِي عَامِرَ ، هل لَهَا مِنْ تَلَافٍ ، هل لِدُنَانَا بَآهَا
مِنْ مَطْلَبٍ ، وَالَّذِي نَفْسُ فُلَانٍ بِيَدِهِ ، مَا تَقُولُهَا إِسْمَاعِيلِي قَطُّ ، وَإِنِهَا لِحَقٌّ ،
فَأَيْنَ رَأْيُكُمْ كَانَ عَنْكُمْ .

عرض على العرب في المواسم

قال ابن إسحاق : فكان رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم على ذلك من أمره ،
كلما اجتمع له الناسُ بِالْمَوْسَمِ أَتَاهُمْ يَدْعُو الْقَبَائِلَ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الْإِسْلَامِ ،
وَيَعْرِضُ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ ، وما جاء به من الهدى والرحمة ، وهو لا يسمع

بقادم يقدم مكة من العرب ، له اسمٌ وشرف ، إلا تصدّى له ، فدعاه إلى الله .
وعرض عليه ما عنده .

حديث سويد بن صامت

قال ابن إسحاق: وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري ، ثم الظفري:
عن أشياخ من قومه ، قالوا :

قدم سويد بن صامت ، أخو بني عمرو بن عوف ، مكة حاجاً أو مُعتمراً ،
وكان سويد إنما يسميه قومه فيهم : الكامل ، بجلده وشعره وشرفه ونسبه .
وهو الذي يقول :

ألا ربّ من تدعو صدّيقاً ولو ترى مقالته بالغيب ساءك ما يفرى ،
مقالته كالشهد ما كان شاهداً وبالغيب مأثور على ثغرة النحر
يسرّك باديه وتحت أديمه نيميّة غشّ تبتري عقب الظن
تبين لك العينان ما هو كاتمٌ من الغلّ والبغضاء بالنظر الشر
قرشني بخير طالما قد برّيتني وخير الموالى من يريش ولا يبري

وهو الذي يقول : ونافر رجلاً من بني سليم ، ثم أحد بني زغب بن
مالك مئة ناقة ، إلى كاهنة من كهّان العرب ، فقضت له . فانصرف عنها هو
والشملى ليس معهما غيرها ، فلما فرقت بينهما الطريق ، قال : مالي ، يا أخا
بني سليم قال : أبعتُ إليك به ؛ قال : فمن لي بذلك إذا فُتني به ؟ قال : أباء .

قال : كلا ، والذي نفس سُوَيْدٍ بيده ، لا تفارقني حتى أوتى بمالي ، فاتخذنا
ففضرب به الأرض ، ثم أوثقه رباطاً ثم انطلق به إلى دار بني عمرو بن عوف ،
فلم يزل عنده حتى بعثت إليه سُلَيْمٌ بالذي له ، فقال في ذلك :

لَا تَحْسَبْنِي يَا بَنَ رُغَبِ بْنِ مَالِكٍ كَمَنْ كَفَتْ تُرْدِي بِالْغَيُوبِ وَتَخْتَلُ
تَحُولَاتِ قِرْنَانَا إِذْ صُرِعَتْ بَعْزَةٌ كَذَلِكَ إِنَّ الْحَازِمَ الْمُتَحَوِّلَ
ضَرَبْتُ بِهِ إِبْطَ الشَّمَالِ فَلَمْ يَزَلْ عَلَى كُلِّ حَالٍ خَدَهُ هُوَ أَسْفَلَ
فِي أَشْعَارِ كَثِيرَةٍ كَانَ يَقُولُهَا .

فَصَدَدِي لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ سَمِعَ بِهِ ، فَدَعَاهُ إِلَى اللَّهِ .
وإِلَى الْإِسْلَامِ ، فَقَالَ لَهُ سُوَيْدٌ : فاعمل الذي معك مثل الذي معي ، فقال له .
رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : وما الذي معك ؟ قَالَ بِحَجَلَةِ لَقْمَانَ - يَعْنِي حِكْمَةَ لَقْمَانَ .
فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اعرضها عليّ فَعَرَضَهَا عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ :
إِنْ هَذَا الْكَلَامُ حَسَنٌ ، وَالَّذِي مَعِيَ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا ، قَرَأَنُ أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ ،
هُوَ هُدًى وَنُورٌ . فَتَلَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ ، وَدَعَاهُ إِلَى
الْإِسْلَامِ ، فَلَمْ يَبْعُدْ مِنْهُ ، وَقَالَ : إِنْ هَذَا لَقَوْلٌ حَسَنٌ . ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ ، فَقَدِمَ
الْمَدِينَةَ عَلَى قَوْمِهِ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ قَتَلْتَهُ الْخَزْرَجُ ، فَإِنْ كَانَ رِجَالٌ مِنْ قَوْمِهِ
لَيَقُولُونَ : إِنَّا أَنْزَرَاهُ قَدْ قُتِلَ وَهُوَ مُسْلِمٌ . وَكَانَ قَتْلُهُ قَبْلَ يَوْمِ بُعَاثَ .

إسلام إياس بن معاذ وقصة أبي الحيسر

قال ابن إسحاق : وحدثني الحَصِين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد ابن مُعَاذ عن محمود بن لَبِيد ، قال : لما قَدِمَ أَبُو الْحَيْسَر ، أَنَسُ بْنُ رَافِعٍ ، مَكَّةَ ومعه فِثْيَةٌ من بنى عُبَيْدِ الْأَشْهَلِ ، فِيهِمْ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاذٍ ، يَلْتَمِسُونَ الْحِلْفَ من قُرَيْشٍ على قومهم من الْخَزْرَجِ ، سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَتَاهُمْ لِمَجْلِسٍ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ لَهُمْ : هَلْ لَكُمْ فِي خَيْرٍ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ ؟ فَقَالُوا لَهُ : وَمَا ذَاكَ ؟ قَالَ : أَنَا رَسُولُ اللَّهِ بَعَثَنِي إِلَى الْعِبَادِ ، أَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا يَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ الْكِتَابَ . قَالَ : ثُمَّ ذَكَرَ لَهُمُ الْإِسْلَامَ ، وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ . قَالَ : فَقَالَ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاذٍ ، وَكَانَ غُلَامًا حَدَّثَنَا : أَيُّ قَوْمٍ ، هَذَا وَاللَّهِ خَيْرٌ مِمَّا جِئْتُمْ لَهُ . قَالَ : فَيَأْخُذُ أَبُو الْحَيْسَر ، أَنَسُ بْنُ رَافِعٍ ، حَفْنَةً من تَرَابِ الْبَطْحَاءِ ، فَضَرَبَ بِهَا وَجْهَ إِيَّاسِ بْنِ مُعَاذٍ ، وَقَالَ : دَعْنَا مِنْكَ ، فَلَتَمَرَى . لَقَدْ جِئْنَا بِغَيْرِ هَذَا . قَالَ : فَصَمَتَ إِيَّاسُ ، وَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُمْ ، وَانْصَرَفُوا إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَكَانَتْ وَقْعَةٌ بُعَاثَ بَيْنِ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ .

قال : ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ إِيَّاسُ بْنُ مُعَاذٍ أَنْ هَلَكَ . قَالَ محمود بن لَبِيد : فَأَخْبَرَنِي مَنْ حَضَرَهُ من قَوْمِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ : أَنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا بِسَمْعُونَهُ يَهْلِلُ اللَّهُ تَعَالَى وَيُكَبِّرُهُ وَيُحَمِّدُهُ وَيُسَبِّحُهُ حَتَّى مَاتَ ، فَمَا كَانُوا يَشْكُونَ أَنْ قَدْ مَاتَ مُسْلِمًا ، لَقَدْ كَانَ اسْتِشْمَارَ الْإِسْلَامِ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ ، حِينَ سَمِعَ من رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا سَمِعَ .

الرسول مع نفر من الخزرج عند العقبة

قال ابن إسحاق : فلما أراد الله عزّ وجلّ إظهار دينه ، وإعزاز نبيّه صلى الله عليه وسلم ، وإيجاز مواعده له ، خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، في الموسم الذي لقيه فيه النَّفَرُ من الأنصار ، فعرض نفسه على قبائل العرب ، كما كان يصنع في كلِّ موسم . فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عُمر بن قتادة ، عن أشياخ من قومه ، قالوا : لما لقيهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال لهم : من أنتم ؟ قالوا : نَفَرٌ من الخزرج ، قال : أمِن موالى يهود ؟ قالوا : نعم ، قال : أفلا تجلسون أكلّمكم ؟ قالوا : بلى . فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . وكان مما صنع الله لهم به في الإسلام ، أن يهود كانوا معهم في بلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان ، وكانوا قد عزّوهم ببلادهم ، فكانوا إذا كان بينهم شيء ، قالوا لهم : إن نبيّاً مبعوث الآن ، قد أظلم زمانه ، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم . فلما كلّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ، ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم لبعض : يا قوم ، تعلّموا والله إنه للنبيّ الذي توعدّكم به يهود ، فلا تسبقنّكم إليه . فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدّقوه وقبّلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ، وقالوا : إنا قد تركنا قومنا ، ولاقوم . بينهم إمن العداوة

والشر ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك ، فستقدم عليهم ، فنذعوهم إلى
أمرك ، وتعرض عليهم الذي أجبتك إليه من هذا الدين ، فان يجمعهم الله عليه
فلا رجل أعز منك .

ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى بلادهم ،
وقد آمنوا وصدقوا .

أسماء الخزرجيين الذين التقوا بالرسول عند العقبة

قال ابن إسحاق : وهم - فيما ذكر لي : ستة نفر من الخزرج ، منهم من
بنى النجار - وهو تيم الله - ثم من بنى مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن
الخزرج بن حارثة بن عمرو بن عامر : أسعد بن زُرارة بن عدس بن عبید
ابن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، وهو أبو أمانة ، وعوف بن الحارث
ابن رفاعه بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار ، وهو ابن عَفراء .
قال ابن هشام : وعَفراء بنتُ عبید بن ثعلبة بن عبید بن ثعلبة بن غنم
ابن مالك بن النجار .

قال ابن إسحاق : ومن بنى زُرَيْق بن عامر بن زُرَيْق بن
عبد حارثة بن مالك بن غَضَب بن جُشم بن الخزرج : رافع بن مالك بن
اللقحان بن عمرو بن عامر بن زُرَيْق .

قال ابن هشام : ويقال عامر بن الأزرق .

قال ابن إسحاق : ومن بنى سلمة بن سعد بن علي بن ساردة بن يزيد
ابن جشم بن الخزرج ، ثم من بنى سواد بن غنم بن كعب بن سلمة : قطبة
ابن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد .

قال ابن هشام : عمرو بن سواد ، وأيس لسواد ابن يقال له : غنم .

قال ابن إسحاق : ومن بنى حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة :
عقبة بن عامر بن نابت بن زيد بن حرام .

ومن بنى عبدة بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة : جابر بن عبد الله
ابن رباب بن النعمان بن سنان بن عبدة .

فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ودعاهم إلى الإسلام حتى فتوا فيهم ، فلم يبق دار من ديار الأنصار إلا وفيها
ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف

وسندكر السبب في تسميتها بالطائف ، وأن الدمون !! رجل من الصدق
من حضر موت نزلها ، فقال لأهلها . ألا أبني لكم حائطا يطيف ببلدتكم
فبناه ، فسميت : الطائف ، وقيل غير ذلك مما سندكره .

وقوله : فيذكرها عليه ، قد فسرته ابن هشام ، وأنشد :

ذُرُّوا لِقَتْلَى عامِرٍ وَتَعْصَبُوا

وفي الحديث لما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ضرب النساء قال: ذئير النساء على أزواجهن، وفسره أبو عبيد بالنشوز على الأزواج، وأنشد البيت الذي أنشده ابن هشام، ومعنى كلامهما واحد.

وذكر مالمق من أشراف ثقيف، وذكر موسى بن عقبة زيادة في الحديث حين أغروا به سفهاءهم، قال: وكان يمشى بين سمطين منهم، فكما نقلوا، قدما، رجوا عراقيبه بالحجارة، حتى اختضب فعلاه بالدماء، وذكر التميمي كما ذكر ابن عقبة، وزاد قال: كان إذا أذلقته^(١) الحجارة، قعد إلى الأرض، فيأخذون بمضديه^(٢)، فيقيمونه فإذا مشى رجوه، وهم يضحكون حتى انتهى إلى الموضع الذي ذكره ابن إسحاق من حائط عتبة وشيبة.

قال ابن إسحاق: فجلس إلى ظل حبة، والحبة السكرمة، اشتق اسمها من الحبل، لأنها تحمل بالعنب، ولذلك فتح تحمل الشجرة والنخلة، فقيل: تحمل بفتح الحاء تشبيها بحمل المرأة، وقد يقال فيه: حمل بالكسر تشبيها بالحمل الذي على الظهر^(٣)، ومن قال في السكرمة حبة بسكون الباء، فليس بالمعروف،

(١) في النهاية لابن الأثير: «في حديث ما عر: فلما أذلقته الحجارة جمر وفر، أي بلغ منه منتهى الجهد حتى قلق».

(٢) فيها أربع لغات: كسر الضاد وضهها وسكونها مع فتح العين، وبضم العين مع سكون الضاد

(٣) في إصلاح المنطق لابن السكيت: الحمل - بفتح الحاء - ما كان في بطن، أو على رأس شجرة، وجمعه أحمال، والحمل - بكسر الحاء - ما حمل على ظهر أو رأس

وقد قال أبو الحسن بن كيسان في نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع حبيل الحبلية^(١)، إنه بيع العنب قبل أن يطيب، كما جاء في الحديث الآخر من نهيه عن بيع التمر قبل أن يبدو صلاحه، وهو قول غريب لم يذهب إليه أحد في تأويل الحديث، وقد قال عمر بن الخطاب في الأرضين التي افتتحت في زمانه - وقد قيل له: قسمها على الذين افتتحوها - فقال: والله لأدعنها حتى يجاهد بها حبيل الحبلية، يريد: أولادها في البطون. ذكره أبو عبيد في كتاب الأموال، والقول الذي ذكره أبو الحسن في حبيل الحبلية وقع في كتاب الألفاظ ليعقوب. وإنما أشكل عليه وعلى غيره دخول الماء في الحبلية، حتى قالوا فيه أقوالاً كلها هباء، فمنهم من قال: إنما قال الحبلية لأنها بهيمة أو جنيثة، ومنهم من قال: دخلت للجماعة، ومنهم من قال: للمبالغة، وهذا كله ينعكس عليهم بقوله: حبيل الحبلية، فإنه لم تدخل الماء إلا في أحد اللفظين دون الثاني، وتبطل أيضاً على من قال أراد: معنى البهيمة بحديث عمر المتقدم، وإنما النكتة في ذلك أن الحبل ما دام حبلاً لا يدري: أذكر هو أم أنثى، لم يسم حبلاً، فإذا كانت أنثى، وبلغت حد الحمل، فحبلت فذاك الحبل هو الذي نهى عن بيعه، والأول قد علمت أنوثته بعد الولادة، فغير عنه بالحبلية، وصار معنى الكلام أنه نهى عن بيع حبيل الجنيثة التي كانت حبلاً لا يعرف ما هي، ثم عرف بعد الوضع، وكذلك في الآدميين، فإذا لا يقال لها: حبلية إلا بعد المعرفة بأنها أنثى،

(١) في القاموس: الحبلية - بضم الحاء - الكرم أو أصل من أصوله،

والحبل محركة: شجر العنب، وربما سكن

وعند ذكر الحبل الثانى لأن هذه الأثنى قبل أن تحبل ، وهى صغيرة : رِخْلَى ، وتسمى أيضا حائلا وأشباه ذلك ، وقد زال عنها أسم الحبل فإذا حبلت ، وذكر حبلها وازدوج ذكره مع الحالة الأولى التى كانت فيها حبلا فُرِّقَ بين اللفظين بتاء التأنيث ، وخص اللفظ الذى هو عبارة عن الأثنى بالتاء دون اللفظ الذى لا يُدرى ما هو : أذكر أم أنثى ، وقد كان المعنى قريبا والمأخذ سهلا لا يحتاج إلى هذه الإطالة لولا ما قدمناه من تخليطهم فى تأويل هذا الكلام الفصيح البليغ الذى لا يَقْدُرُ قَدْرُهُ فى البلاغة إلا عالم بجوهر الكلام .

نور الله ووجهه

فصل : وذكر دعاءه - عاياه السلام - عند الشدة ، وقوله : اللهم إني أشكو إليك ضَعْفَ قُوَّتِي وقَلَّةَ حِيلَتِي إلى آخر الدعاء ، وفيه : أعوذ بنور وجهك الكريم الذى أشرقت به الظلمات ، وصَلَحَ عليه أمرُ الدنيا والآخرة ، ويُسأل عن النور هنا ، ومعنى الوجه ، وإشراق الظلمات ، أما التوجه إذا جاء ذكره فى الكتاب والسنة ، فهو ينقسم فى الذكر إلى موطنين : موطن تقرب واسترضاء بعمل ، كقوله تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ وكقوله : ﴿ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾ فالملطوب فى هذا الموطن : رضاه وقبوله للعمل ، وإقباله على العبد العامل ، وأصله أن من رضى عنك ، أقبل عليك ، ومن غضب عليك أعرض عنك ، ولم يُرِكَ وَجْهَهُ ، فأفاد قوله : بوجهك هاهنا معنى الرضى والقبول ، والإقبال ، وليس بصلة فى الكلام كما قال أبو عبيدة لأن قوله ذلك هراء من القول ، ومعنى الصلة عنده : أنها كلمة لا تنفذ إلا تأكيداً للكلام ،

وهذا قول من غلظ طبعه وبعُد بالعُجْمَة عن فهم البلاغة قلبه وكذلك قال هو ومن قلَّده في قوله تعالى : ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ الرحمن : ٢٧ أى يبقى ربُّك ، وكلُّ شيء هالك إلا وجهه ، أى : إلا إِيَّاه ، فعلى هذا قد خلا ذكر ، الوجه من حِكْمَة ، وكيف تخلو كلمة منه من الحكمة ، وهو الكتاب الحكيم ، ولكن هذا هو للوطن الثانى من مواطن ذكر الوجه ، والمعنى به مظهر إلى القلوب والبصائر من أوصاف جلاله ومجده ، والوجه لغة مظهر من الشيء ممقولا كان أو محسوسا ، تقول : هذا وجه المسألة ، ووجه الحديث ، أى : الظاهر إلى رأيك منه ، وكذلك الثوب مظهر إلى بصرك منه ، والبصائر لا تحيط بأوصاف جلاله ، وما يظهر لها من ذلك أقل مما يغيب عنها ، وهو الظاهر والباطن - تعالى وجل - وكذلك فى الجنة نظر أهلها إلى وجهه سبحانه إنما هو نظر إلى ما يرون من ظاهر جلاله إليهم عند تجليه ، ورفع الحجاب دونهم ، وما لا يدركون من ذلك الجلال أكثر مما أدركوا .

وقوله سبحانه : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ الرحمن : ٢٦ ، ٢٧ لما كانت السموات والأرض ، قد أظهرت من قدرته وسلطانه ، ما أظهرت أخبر تعالى أن فناءها لا يغير ما علم من سلطانه وظهر إلى البصائر من جلاله ، فقد كان ذلك الجلال قبل أن يخلقها ، وهو باق بعد فنائها كما كان فى القدم ، فهو ذو الجلال والإكرام ، قال الحسن : معناه : تتجلى بالبهاء وأكرم من شاء بالنظر إلى وجهه أما الأشعرى فذهب فى معنى الوجه إلى ما ذهب فيه من معنى العين واليد ، وأنها صفات لله تعالى لم تُعلم من جهة

(م ٤ — الروض الانف ج ٤)

العقول ، ولا من جهة الشرع المنقول ، وهذه عَجْمَةٌ أيضاً فإنه نزل بإسان عربي مبين ، فقد فهمته العرب لما نزل بإسانها ، وليس في لغتها أن الوجهة صفة ولا إشكال على المؤمن منهم ، ولا على الكافر في معنى هذه الآية التي احتيج آخر الزمان إلى الكلام فيها مع العجمان ، لأن المؤمن لم يخش على عقيدته شكاً ولا تشبيهاً ، فلم يستفسر أحدٌ منهم رسول الله عليه السلام ، ولا سألته عن هذه الآية التي هي اليوم مشكلة عند عوام الناس^(١) ، ولا الكافر في ذلك.

(١) كلامه هنا جيد ، ولقد سأل الصحابة عن المحيض ، والأنتال واليتامى ، والقتال في الشهر الحرام ، وعن الخمر والميسر ، وعما ينفقون ، وعن غير ذلك كما بين كتاب الله ، والمتدبر لما أثبتته القرآن من أسئلتهم لا يجد من بينها سؤالاً عن عين الله أو وجهه أو يديه مما يؤكد أنهم آمنوا بأن الله سبحانه كل هذا الذي ذكر في القرآن ، وأنهم آمنوا بأن ما يضاف إلى الخلاق لا يمكن أن يكون مشبهاً لما يضاف إلى المخلوق ، لأن الله يقول (ليس كمثله شيء) ولأن العقل الصحيح يحيل ذلك

أما الأشعري فهو على بن إسماعيل بن إسحاق وكنيته أبو الحسن ولد بالبصرة سنة ٢٧٠ هـ . أو ٢٦٠ هـ وقد أقام على دين المعتزلة قرابة أربعين عاماً ، ثم غاب عن الناس مدة خمسة عشر يوماً ، ثم خرج إلى المسجد الجامع بالبصرة ، فصعد على منبره ونادى بصوت جهوري : أنا فلان بن فلان ، اشهدوا على أنني كنت على غير دين الإسلام ، وأني قد أسلمت الساعة . وأني تائب مما كنت أقول بالاعتزال ، ثم نزل ، ومضى يؤلف الكتب ضد المعتزلة والرافضة والجمامية والخواارج ، ولكن كان لا يزال يعاني مسأماً من الاعتزال بدا في تأويله لبعض الصفات فكان مذهبه مزيجاً من آراء المعتزلة وآراء المحدثين ، ثم انتهى به الأمر إلى تأييد مذهب أهل السنة في الصفات . وإليك ما انتهى إليه أمره في أمر الصفات الإلهية : « إن كثيراً من الزائدين عن الحق من المعتزلة ، وأهل القدر مالت بهم ==

== أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم ، ومن مضى من أسلافهم ، فناولوا من القرآن على آرائهم تأويلًا لم ينزل الله به سلطانًا ، ولا أوضح به برهانا ، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين ، ولا عن السلف المتقدمين ، فخالقوا روايات الصحابة عليهم السلام عن نبي الله صلوات الله عليه وسلامه في رؤية الله عز وجل بالأبصار ، ودفعوا أن يكون لله وجه مع قوله عز وجل : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وأنكروا أن يكون له يدان مع قوله : (لما خلقت بيدي) وأنكروا أن يكون له عين مع قوله (تجري بأعيننا) ، (ولتصنع على عني)

وبعد أن أصدر حكمه على مؤولة الصفات ومعطلتها بالزيغ قال : « فإن قال لنا قائل : قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة . فمرفرنا قولكم الذي به تقولون وديانتكم التي بها تدينون ، قيل له : قولنا الذي نقوله به ، وديانتنا التي ندين بها : التمسك بكتاب ربنا عز وجل وبسنة نبينا « ص » ، وماروى عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتمدون ، ثم فصل معتقده تفصيلا واضحا ، ورد في قوة على مؤولة الصفات ، وإليك بعض ما قاله : « فن سألنا ، فقال : أتقولون : إن الله سبحانه وجه ؟ قيل له نقول ذلك خلافا لما قاله المبتدعون . وقد دل على ذلك قول الله عز وجل : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام) وإن سئلنا : أتقولون إن الله يدين ؟ قيل نقول ذلك ، وقد دل عليه قوله عز وجل : (يد الله فوق أيديهم) وقال عز وجل : (لما خلقت بيدي) وقال عز وجل : (بل يدها مبسوطتان) الخ . وقد ذكر كل هذا في كتابه الإبانة تحت هذا العنوان « باب الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين » كما فصل معتقده في كتابه (مقالات الإسلاميين ، وقد ورد معتقده في كتاب الإبانة من ص ٧ إلى ص ٤١ وهو مطبوع سنة ١٣٤٨ . أما في مقالات الإسلاميين فقد ورد في ص ٣٢ وما بعده » ١٠ من طبع النهضة . وانظر أيضا تبين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري للإمام ابن عساكر فقد فصل ما ذكره الأشعري في الإبانة ، وانظر كتاب « الصفات الإلهية » فقد استقصيت فيه القول عن الصفات عن ==

الزمان لم يتعلق بها في معرض المناقضة والمجادلة ، كما فعلوا في قوله تعالى : ﴿ إِنْ كُنْ

== أكثر أئمة الأشاعرة كالباقلاني والجويني وابن فورك والرازي والغزالي .

هذا وقد فصل الإمام الجليل ابن القيم آراء المؤولة والمعطلة في الصفات كتابه الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ط السلفية سنة ١٣٤٨ وإليك بعض ما ذكره باختصار : وجه الرب جل جلاله حيث ورد في الكتاب والسنة ، فليس بمجاز بل على حقيقته ، واختلف المعطلون في جهة التجوز في هذا فقالت طائفة : لفظ الوجه زائد ، والتقدير : وبقي ربك . . وقالت فرقة أخرى منهم الوجه بمعنى الذات ، وهذا قول أولئك وإن اختلفوا في التعبير عنه ، وقالت فرقة : ثوابه ، وجزاؤه ، فجعله هؤلاء مخلوقا منفصلا ، قالوا : لأن المراد هو الثواب ، وهذه أقوال نعوذ بوجه الله العظيم من أن يجعلنا من أهلها ، ثم ذكر الإمام ابن القيم ما رد به عثمان بن سعيد الدارمي على بشر المريسي فقال : ولما فرغ المريسي من إنكار اليبدين ونفيهما عن الله أقبل قبل وجهه الله ذي الجلال والإكرام ، لينفيه عنه ، كما نفى عنه اليبدين ، فلم يدع غاية في إنكار وجهه الله ذي الجلال والإكرام والجحود به حتى ادعى أن وجهه الله الذي وصفه بأنه ذو الجلال والإكرام مخلوق ، لأنه ادعى أنه أعمال مخلوقه يتوجه بها إليه ، وثواب وإنعام مخلوق يثيب به العامل ، وزعم أنه قبله الله ، وقبله الله لاشك مخلوقه .

ثم ذكر بالتفصيل ما رد به الدارمي على المريسي لإثبات أن الله وجهه حقيقة لا مجازا ستة وعشرين وجها منها : أن الصحابة رضی الله عنهم والتابعين وجميع أهل السنة والحديث والأئمة الأربعة وأهل الاستقامة من أتباعهم متفقون على أن المؤمنين يرون وجه ربهم في الجنة ، وهي الزيادة التي فسر بها النبي ﷺ ، والصحابة : (الذين أحسنوا الحسنی وزيادة) فروى مسلم في صحيحه بإسناده عن النبي ﷺ في قوله : (الذين أحسنوا الحسنی وزيادة) قال : النظر إلى وجهه ﷻ تعالى ، فمن أنكر حقيقة الوجه ، لم يكن للنظر عنده حقيقة ولا سيما إذا أنكر الوجه والعلو فيعود النظر عنده إلى خيال مجرد ص ١٧٤ وما بعدها ص ٢ الصواعق المرسلة ،

وما تعبدون من دُون الله حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴿ الأنبياء : ٩٨ ولا قال أحدٌ منهم :
يزعم محمد أن الله ما يشبهه شيء من خلقه ، ثم يُثبت له وجهاً ويدين إلى غير
ذلك فدل على أنهم لم يَرَوْا في الآية إشكالا ، وتلقَّوا معانيها على غير التشبيه ،
وعرفوا من سَمَانَةِ الكلام ، ومَلَاحة الاستعارة أنه مُعْجِزٌ ، فلم يَتَعَاطَوْا له
مُعارضة ، ولا تَوَهَّمُوا فيه مُناقضة ، وقد أَمَلينا في معنى اليدين والدين مسألة
بديعة جدا ، فلتنظر هنالك .

وأما النورُ فعِبارة عن الظهور وانكشاف الحقائق الإلهية ، وبه أشرقت
الظلمات ، أى أشرقت محالها وهى القلوب التى كانت فيها ظلماتُ الجَهالة
والشكوك ، فاستنارت القلوبُ بنور الله ، وقد قال المفسرون فى قوله تعالى :
﴿ مَثَلُ نُورِهِ ﴾ أى : مَثَلُ نُورِهِ فى قلب فى المؤمن كَمِشْكَاةٍ ، فهو إذا
نور الإيمان والعرفة : الْمُجَلِّى لِكُلِّ ظَلَمَةٍ وشك ، قال كعب : الْمِشْكَاةُ
مَثَلٌ لِفَتْهِيمِهِ ، والمصباحُ مَثَلٌ لِّلِسَانِهِ ، والزجاجة : مَثَلٌ لِّاصْدَرِهِ ، أو لقلبه أى :
قلب محمد صلى الله عليه وسلم ، وقال أعوذ بنور وجهك ، ولو قال : بنورك
لحسن ، ولكن توسل إليه بما أودع قلبه من نوره ، فتوسل إلى نعمته بنعمته
وإلى فَضْله ورحمته بفضله ورحمته ، وقد تكون الظلماتُ هاهنا أيضاً الظلماتُ
المحسوسة وإشراقها جلالتها على خالقها ، وكذلك الأنوار المحسوسة ، السُّكُلُ
دالٌّ عليه فهو نور النور ، أى : مظهره مُنَوِّرُ الظلمات ، أى جاعلها نورا
فى حكم الدلالة عليه سبحانه وتعالى ^(١) .

(١) الله نور : رد الإمام ابن القيم على من زعم أن هذا الاسم مجاز فى كتابه =

== والصواعق، ردا عظيما، وإليك بعض ما ذكره «إن النور جاء في أسمائه تعالى، وهذا الاسم بما تلقته الأمة بالقبول، وأثبتوه في أسمائه الحسنی . . ومحال أن يسمى نفسه نورا، وليس له نور ولاصفة النور ثابتة له، كما أن من المستحيل أن يكون عليما قديرا سميعا بصيرا، ولا علم له ولا قدرة بل صحة هذه الأسماء عليه مستلزمة لثبوت معانيها له، وانتفاء حقائقها عنه مستلزم لنفيها عنه، والثاني باطل قطعاً فتعين الأول، ثم يقول: «إن النبي صلى الله عليه وسلم لما سأله أبوذر هل رأيت ربك، قال: «نور أنى أراه، رواه مسلم في صحيحه، وفي الحديث قولان: أحدهما: أن معناه: ثم نور، أى: فهناك نور منغى رؤيته، ويدل على هذا المعنى شيئان أحدهما: قوله في اللفظ الآخر في الحديث. رأيت نورا، فهذا النور الذى رآه، هو الذى حال بينه وبين رؤية الذات. الثانى: قوله في حديث أبى موسى: «إن الله لا ينام، ولا يذغى له أن ينام، يخفض القسط، ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجاب النور، لو كشفه، لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، رواه مسلم في صحيحه . . المعنى الثانى في الحديث أنه سبحانه نور، فلا يمكنى رؤيته، لأن نوره الذى لو كشف الحجاب عنه لأحرقت السموات والأرض وما بينهما ما منع من رؤيته، فإن كان المراد هو المعنى الثانى، فظاهر، وإن كان الأول فلا ريب أنه إذا كان نور الحجاب مانعا من ذاته، فتور ذاته سبحانه أعظم من نور الحجاب، بل الحجاب إنما استنار بنوره، فإن نور السموات إذا كان من نور وجهه — كما قال عبد الله بن مسعود — فتور الحجاب الذى فوق السموات أولى أن يكون من نوره، وهل يعقل أن يكون النور حجاب من ليس له نور ؟ هذا أبين المحال، وعلى هذا، فلا تناقض بين قوله: «رأيت نورا، وبين قوله: «نور أنى أراه، فإن المنفى مكلفه الرؤية للذات المقدسة، والمثبت: رؤية ماظهر من نور الذات، ثم يقول: «ما ثبت فى الصحيحين عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا قام من الليل: «اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض، الحديث وهو يقتضى أن كونه ==

== نور السموات والأرض مغاير لكونه رب السموات والأرض ، ومعلوم أن إصلاحه السموات والأرض بالأنوار وهدايته لمن فيها هي ربوبيته ، فدل على أن معنى كونه نور السموات والأرض أمر وراء ربوبيتهما ، ثم ذكر ما نقله ابن فورك عن مذهب الأشعري في هذا ، فقال : « إن المشهور من مذهبه - يعني مذهب الأشعري - بأن الله سبحانه نور لا كالأنوار حقيقة لا بمعنى أنه هاد ، وعلى ذلك نص - أي الأشعري - في كتاب التوحيد في باب مفرد لذلك تكلم فيه على المعتزلة ، إذ تأولوا ذلك على معنى أنه هاد ، فقال : إن سأل عن الله عز وجل أنور هو ؟ قيل له : كلامك يحتمل وجهين إن كنت تريد أنه نور يتجزأ يجوز عليه الزيادة والنقصان ، فلا وهذه صفة النور المخلوق ، وإن كنت تريد معنى ما قاله الله سبحانه : (الله نور السموات والأرض) فالله سبحانه نور السموات والأرض على ما قال ، فإن قال : فما معنى قولك : نور ؟ قيل له : قد أخبرناك ما معنى النور المخلوق ، وما معنى النور الخالق ، وهو سبحانه الذي ليس كمثله شيء . ومن تعدى أن يقول : الله نور ، فقد تعدى إلى غير سبيل المؤمنين ، لأن الله لم يكن يسمى نفسه لعباده بما ليس هو به ، فإن قال لا أعرف النور إلا بهذا النور المضى المتجزى ، قيل له : فإن كان لا يكون نور إلا كذلك ، فكذلك لا يكون شيئاً إلا وحكمه حكم ذلك الشيء ، ثم قال ابن فورك : فإذا قال الله عز وجل : إني نور ، قلت : أنا هو نور على ما قال سبحانه وتعالى ، وقلت أنت ليس هو نوراً ، فمن المثبت له على الحقيقة : أنا أو أنت ؟ وكيف يتبين الحق فيه إلا من جهة ما أخبر الله سبحانه ، والدافع لما قال الله كافر بالله ، ثم ذكر ابن القيم ما يأتي : « وقال أبو بكر بن العربي : قد اختلف الناس بعد معرفتهم بالنور على ستة أقوال ، الأول : معناه : هاد ، قاله ابن عباس ، والثاني معناه : منور ، قاله ابن مسعود . : . والثالث ، مزين ، وهو يرجع إلى معنى منور قاله أبي بن كعب ، الرابع : أنه ظاهر ، الخامس : ذو النور . السادس : أنه نور لا كالأنوار ، قاله أبو الحسن الأشعري قال : وقالت المعتزلة : لا يقال له نور إلا بإضافة ، قال : الصحيح عندنا أنه نور ، لا كالأنوار ، لأنه حقيقة ، ==

خبر عداس

فصل : وذكر خبر عدّاس غلام عُتْبَةَ وشَيْدَةَ ابني ربيعة حين جاء بالتُفْطِ
من عندهما إلى آخر القصة ، وفيه قبولُ هدية المشرك ، وأن لا يتورّع عن
طعامه ، وسيأتي استقصاء ذلك إن شاء الله تعالى ، وزاد التّيميُّ فيها أن عدّاساً
حين سمعه يذكر يونسَ بن مَتَّى قال : والله لقد خَرَجْتُ منها يعني : نينوى ^(١) ،
وما فيها عشرةٌ يعرفون : مامّتي ، فمن أين عرفت أنت مَتَّى ، وأنت أمي ، وفي
أمة أُمِّيَّة ؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : هو أخي ، كان نبياً ، وأنا نبي ،
وذكروا أيضاً أن عدّاساً لما أراد سيده الخروج إلى بدر أمراه بالخروج معهم
فقال لهما : أقتال ذلك الرجل الذي رأيته بمحاط - كما تريدان ، والله ما تقوم له
الجبال ، فقالا له : وَيَمْحَكَ يا عدّاس : قد سَجَرَك بلسانه ، وعند مالقي رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - من أهل الطائف ، مالقي ، ودعا بالدعاء ^(٢) المتقدم ، نزل
عليه جبريلُ ومعه ملكُ الجبال كما روى البخاري عن عبد الله بن يوسف ، عن
يونس ، عن ابن شهابٍ قال : حدثني عُرْوَةُ أن عائشةَ زوج النبي - صلى الله
عليه وسلم - حدثته أنها قالت للنبي عليه السلام : هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ

والعدول عن الحقيقة إلى أنه هاد ومنور ، وما أشبه ذلك هو مجاز من غير
دليل لا يصح ، ثم ضعف ما نقل عن ابن عباس ، لأنه منقطع - راجع الجزء
الثاني من الصواعق المرسلة من ص ١٨٨ إلى ص ٢٠٥ .

(١) تروى بضم النون أيضاً والفتح أشهر والخشني .

(٢) لم يخرج حديث هذا الدعاء سوى الطبراني عن عبد الله بن جعفر .

عليك من أحدٍ ؟ فقال : لقد لقيتُ من قومك ، وكان أشدَّ مألقيت منهم يوم العقبة إذ عرَضْتُ نفسي على ابن عبْدٍ يالِيلِ بن عبْدٍ كَلَالٍ ، فلم يجِبني إلى ما أردت ، فانطلقت على وجهي ، وأنا مهموم ، فلم أَسْتَفِقْ إلَّا وأنا بقرْنِ الثَّعَالِبِ ^(١) ، فرفعت رأسي ، فإذا أنا بسحابة قد أظَلَّتني ، فنظرتُ فإذا فيها جبريلُ ، فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وماردُوا عليك ، وقد بعثَ إليك مَلَكَ الجبال ، لتأمره بما شئتَ فيهم ، فناداني مَلَكُ الجبال ، فسَلَّمَ عَلَيَّ فقال : يا محمد ذلك لك ، إن شئتَ أطبق عليهم الأخشابين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ، ولا يشرك به شيئاً . هكذا قال في الحديث : ابن عبْدٍ كَلَالٍ ، وهو خلافه مانسبه ابن إسحاق .

من نصيبين :

فصل : وذَكَرَ حديث وفد جنِّ نصيبين ، وما أنزل الله فيهم ، وقد أَمَلِينَا أول المبعثين من هذا الكتاب طرفاً من أخبارهم وبيننا هنالك أسماءهم ، ونَصِيبِينَ مَدِينَةً بالشَّامِ أنبأ عليها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم . رَوَى أَنَّهُ قال : رفعت إلى نصيبين حتى رأيتُها فدعوت الله أن يعَذِّبَ نَهْرُها ، وَيَنْصُرَ شَجَرُها ، وَيَطِيبَ ثَمَرُها أو قال : وَيَكْثُرَ ثَمَرُها ، وتقدم في أسمائهم ما ذكره ، ابن دُرَيْدٍ قال : هم : منشى وماشى وشاصر وماصر والأحقب ، ولم يزد على

(١) هي ميقات أهل نجد تلقاء مكة على يوم وليلة .

تسمية هؤلاء ، وقد ذكرنا تمام أسمائهم فيما تقدم ، وفي الصحيح أن الذي أذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالجن ليلة الجن شجرة ، وأنهم سألوه الزاد ، فقال : كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ يَقَعُ فِي يَدِ أَحَدِهِمْ . أوفر ما يكون لحماً ، وكل بَعْرٍ علفٌ لدوابهم . زاد ابن سلام في تفسيره أن البَعْر يعود خَضِرًا لدوابهم ، ثم نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يُسْتَنْجَى بِالْعَظْمِ وَالرَّوْثِ ، وقال : إنه زاد إخوانكم من الجن ، ولفظ الحديث في كتاب مسلم كما قدمناه : « كل عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ » ، ولفظه في كتاب أبي داود : « كل عَظْمٍ لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ » ، وأكثر الأحاديث تدل على معنى رواية أبي داود ، وقال بعض العلماء رواية مُسْلِمٍ في الجن المؤمنين ، والرواية الأخرى في حق الشياطين منهم ، وهذا قول صحيح تعضده الأحاديث إلا أنا نذكره الإطالة ، وفي هذا رَدٌّ على من زعم أن الجن لا يأكل ولا يشرب ، وتأولوا قوله - عليه السلام - إن الشيطان يأكل بِشِمَالِهِ ، ويشرب بِشِمَالِهِ على غير ظاهره ، وهم ثلاثة أصناف كما جاء في حديث آخر : صِنْفٌ عَلَى صُورِ الْحَيَّاتِ ، وَصِنْفٌ عَلَى صُورِ الْكِلَابِ سُودٌ وَصِنْفٌ رِيحٌ طَيَّارَةٌ أَوْ قَالَ : هَمَّاقَةٌ ذَوُّوا أَجْنَحَةٍ ، وزاد بعض الرواة في الحديث : وَصِنْفٌ يَحْمِلُونَ وَيَظْمَعُونَ ، وهم السَّمَّاءُ ، ولعل هذا الصِّنْفُ الطَّيَّارُ هو الذي لا يأكل ، ولا يشرب إن صح القول المتقدم والله أعلم . وروينا في حديث سمعته يقرأ على الشيخ الحافظ أبي بكر بن العربي بسنده إلى جابر بن عبد الله ، قال : بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نمشي إذ جاءت حَيَّةٌ ، فقامت إلى جنبه ، وأدنت فافها من أذنه ، وكانت تناجيه ، أو نحو هذا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : نعم فأنصرفت ، قال جابر : فسألته ، فأخبرني أنه

رجل من الجن ، وأنه قول له : مُرْ أُمَّتَكَ لَا يَسْتَنْجُوا بِالرُّؤُوثِ ، وَلَا بِالرِّمَّةِ ،
فإن الله جعل لنا في ذلك رزقا .

ذكر عرصه نفسه على القبائل :

فصل : وذكر عَرَضَهُ نَفْسَهُ - صلى الله عليه وسلم - على القبائل ، ليؤمنوا به ،
ولينصروه قبيلةً قبيلةً ، فذكر بنى حنيفة ، واسم حنيفة : أُنَالُ بْنُ لُجَيْمٍ ، ولجيم :
تصغير اللّجَمِ ، وهى دُوَيْبَةُ ، قال قُطْرُبٌ ، وأنشد :

لَهَا ذَنْبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْعُرْوِ سَ إِلَى سَبَّةٍ مِثْلُ جَحْرِ اللَّجَمِ

ابن صَعْبِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ ، وسَمَى حَنِيفَةً لِحَنَفٍ كَانَ فِي رَجْلَيْهِ ،
وقيل : بل حنيفة أمهم ، وهى بنت كاهل بن أسد عُرِفُوا بِهَا ، وهم أهل اليمامة ،
وأصحاب مُسَيْلَمَةَ الْكَذَّابِ ، وقد أُمْلَيْنَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ سَبَبَ نَزْوِهِمْ
اليمامة وأول من نزلها منهم .

وذكر بَيْنَجَرَ بْنِ فِرَاسِ الْعَامِرِيِّ ، وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم :
أَفَنُهِدُ نُحُورَنَا ، لِلْعَرَبِ دُونَكَ . نُهِدِفُ أَيْ : نَجْعَلُهَا هَدَفًا لِسَهَامِهِمْ ،
وَالنَّهْدِفُ : الْفَرَسُ .

وذكر قولَ الشَّيْخِ : هَلْ لَهَا مِنْ تَلَافٍ ، أَيْ : تَدَارُكٍ ، وَهُوَ تَفَاعُلٌ مِنْ
مِنْ : تَلَا فَيُتِمُّهُمْ ، وَهَلْ لَهَا نَابَاهَا مِنْ مَطْلَبٍ : مِثْلُ ضَرْبِ لِسَافَاتِهِ مِنْهَا ،
وَأَصْلُهُ : مَنْ ذُنَابَى الطَّائِرَ : إِذَا أَفْلَتَ مِنَ الْحَبَالَةِ ، فَطَلَبَتْ الْأَخْذَ بِذُنَابَاهُ ،
وَقَالَ : مَا يَقُولُهَا إِسْمَاعِيلُ قَطْ . أَيْ : مَا ادَّعَى النَّبُوَّةَ كَاذِبًا أَحَدٌ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلِ

عرضه نفسه علي كندة :

فصل : وذكر عرضه نفسه علي كِنْدَةَ ، وهم بنو ثور بن مُرَّة بن أدد بن زيد بن ميسع بن عمرو بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان بن سبأ^(١) علي أحد الأقوال بين النسابين في كِنْدَةَ ، وسمى كِنْدَةَ لأنه كَنَد أباه ، أي عَمَّهُ^(٢) ، وسمى ابنه مُرْتَعاً لأنه كان يعمل لمن أتاه من قومه مُرْتَعاً ، فهم بنو مُرْتَع ابن ثور ، وقد قيل إن ثوراً هو مُرْتَع ، وكندة أبوه^(٣) .

في هذا الكتاب تنمة لفائده

فصل : وذكر غير ابن إسحاق ما لم يذكر ابن إسحاق مما رأيت إملأه بعضه في هذا الكتاب تنمة لفائده . ذكر قاسمُ بن ثابت والخطابي عرضه

(١) نسب ثور في جهرة ابن حزم هكذا : وهؤلاء بنو كندة ، وهو ثور ابن عفير بن عدى بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب ابن زيد بن كهلان بن سبأ ص ٣٩٤ . ٣٩٩ وهو في قلائد الجمان للقلقشندي أبي العباس أحمد بن علي ص ٧١ كما في الجهرة .

(٢) في الاشتقاق لابن دريد : ومن قبائل زيد بن كهلان : كندة ، وهو كندى ، واسمه : ثور وكندة من قولهم : كند نعمة الله عز وجل ، أي كفرها ، ومن قول الله جل ثناؤه : إن الإنسان لربه لكنود ص ٣٦٢ وقال صاحب حماة ، وسمى كندة لأنه كند أباه أي كفر نعمته ص ٧١ قلائد الجمان .

(٣) في جهرة ابن حزم « ولد كندة بن عفير : معاوية وأشرس ، ثم يقول : من بطون كندة : معاوية ووهب وبدار والرائش بطون كبار ، وهم بنو الحارث ابن معاوية بن ثور بن مرتع ، وهو عمرو بن معاوية بن كندة ، ص ٣٩٩ وعلى هذا يكون مرتع هو ابن ابن كندة .

نفسه على بنى ذهل بن تغلب ، ثم على بنى شيبان بن تغلب ، فذكر الخطابي وقاسم^(١) جعيما ما كان من كلام أبي بكر مع دغفل بن حنظلة الذهلي زاد قاسم تسكلة الحديث فرأينا أن نذكر زيادة قاسم ، فإنهما تليق بهذا الكتاب . قال : ثم دفعنا إلى مجلس آخر إليهم السكينة والوقار ، فتقدم أبو بكر ، فسلم قال على : وكان أبو بكر مقدما في كل خير ، فقال ثمن القوم ، فقالوا : من شيبان بن تغلب ، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : بأبي أنت وأمي ، هؤلاء غرر في قومهم ، وفيهم مفروق بن عمرو وهاني بن قبيصة ، ومثنى بن حارثة ، والنعمان بن شريك ؛ وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالا وإسانا^(٢) وكانت له غديرتان تسقطان على تربتيه^(٣) ، وكان أدنى القوم مجلسا من أبي بكر ، فقال له أبو بكر : كيف العدد فيكم ؟ قال له مفروق : إنا لنزيد على الألف ، ولن تغلب ألف من قلة فقال أبو بكر : كيف المنعة

(١) ذكر الزرقاني في شرحه على المواهب ص ٣٠٩ ج ١ شرح المواهب أن هذا الحديث أخرجه الحاكم وأبو نعيم والبيهقي بإسناد حسن عن ابن عباس . وقرأ في الأمل ص ٢٨٤ ج ٢ ، ص ٢٥٥ ج ٢ الأمل ص ٢ وفي حاشية الاشتقاق بقلم الأستاذ عبد السلام هارون : « بخط مغلطى : دغفل هذا لقي النبي عليه السلام ، وهو ابن ثلاث وستين سنة قاله البخاري . وقال : لا يعرف له إدراك النبي عليه السلام وتابعه على القول جماعة منهم : ابن حبان والزهرى وابن سعد وابن أبي حاتم ، والعسكري ، ص ٣٥١ الاشتقاق .

(٢) انظر الاشتقاق ص ٣٥٨ ، وفيه عن هاني : وكان شرفيا عظيم القدر . وكان نصرانيا ، وأدرك الإسلام فلم يسلم ، ومات بالكوفة .

(٣) النرية : واحدة الترائب ، وهى عظام الصدر .

فيمكم؟ فقال مفروق: علينا الجهد ، ولكل قوم جد ، فقال أبو بكر : كيف الحزب ييمكم وبين عدوكم؟ فقال مفروق : إنا لأشدُّ مانكون غَضَبًا لحين نلقى ، وإنا لأشدُّ مانكون لقاء حين نغضب ، وإنا لنؤثر الجياد على الأولاد ، والسلاح على اللِّقَاح^(١) ، والنصر من عند الله ، يُدِيلُنَا مَرَّةً وَيُدْبِلُ عَلَيْنَا ، لعلك أخو قريش؟ فقال أبكر أَوْ قَدْ بَلَغَكُمْ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ، فهاهو ذا ، فقال مفروق : قد بلغنا أنه يذكر ذلك ، فإلى م تدعو إليه يا أخا قريش ؟ فتقدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أدعو إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنى رسولُ الله ، وإلى أن تُؤْوُونِي ، وَتَنْصُرُونِي ، فإن قريشا قد ظهرت على أمر الله ، وكذبت رسوله ، واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغنى الحميد ، فقال مفروق : وإلى م تدعو أيضا يا أخا قريش ؟ فتلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَنزِلْ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ، مَنْ نَزَقَ كُمْ وَإِبَاهُمْ ، وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، ذَلِكَ وَمَا كُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) الأنعام : ١٥١ فقال مفروق : وإلى مم تدعو أيضا يا أخا قريش ؟ فتلا رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ، وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى ، وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) النحل : ٩٠ فقال مفروق : دعوتَ والله يا أخا قريش إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، والله لقد أَفِكَ قَوْمٌ كَذَّبوك ، وظاهروا عليك ، وكأنه أراد أن يَشْرَكَ

في الكلام هاني بن قبيصة ، فقال : وهذا هاني بن قبيصة شيخنا ، وصاحب ديننا ، فقال هاني : قد سمعت مقالتك يا أخا قریش ، وإني أرى أن تر كننا ديننا واتباعنا إياك على دينك لمجلس جلسته إيانا ليس له أول ولا آخر زلة في الرأي ، وقلة نظير في العاقبة ، وإنما تكون الزلة مع العجلة ، ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عتدا ، ولكن ترجع وترجع وتنظر وننظر ، وكأنه أحب أن يشركه في الكلام المثنى ، فقال : وهذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا ، فقال المثنى : قد سمعت مقالتك يا أخا قریش ، والجواب : هو جواب هاني بن قبيصة في تركنا ديننا ، واتباعنا إياك لمجلس جلسته إيانا ليس له أول ولا آخر ، وإنما نزلنا بين صريان اليمامة والسمامة ^(١) ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم ما هذان الصريان ؟ فقال أنهار كسرى ، ومياه العرب ، فأما ما كان من أنهار كسرى ، فذنب صاحبيه غير مغفور ، وعذره غير مقبول ، وأما ما كان من مياه العرب ، فذنبه مغفور وعذره مقبول ، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا يحدث حدنا ولا نؤوى محدثنا ، وإني أرى هذا

(١) في النهاية لابن الأثير : وإنما نزلنا الصريين ، وهو الصواب ، ثم قال اليمامة والسمامة . وقال عن المصري : وهو الماء المجتمع ، وذكرها مرة أخرى في مادة صير . وفي حديث عرضه على القبائل : قال له المثنى بن حارثة : إنا نزلنا بين صيرين : اليمامة والسمامة . فقال رسول الله ص : وما هذان الصيران ؟ فقال : مياه العرب . وأنهار كسرى الصير : الماء الذي يحضره الناس ، وقد صار القوم يصيرون إذا حضروا الماء . ويروى : بين صيرتين وهي فعلة منه ، ويروى بين صريين تثنية صرى . وقد تقدم النهاية مادة صرى وصير لابن الأثير . والصواب : السمادة ، وهي بادية بين الكوفة والسماء . أدماء لكلب .

الأمَر الذى تدعوننا إليه هو مما تَكْرَهُه الملوكُ ، فإن أحببتَ أن نُؤثِرَكَ
وننصرَكَ مما يلى مِياه القَرَب ، فَعَلْنَا فَعَالَ رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم -
ما أَسَأْتُمْ فى الرد ، إِذْ أَفْصَحْتُمْ بِالصِّدْقِ ، وَإِنْ دِينُ اللَّهِ لَنْ يَنْصُرَهُ إِلَّا مَنْ حَاطَهُ
مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ لَمْ تَلْبِثُوا إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى يورِثَكُمُ اللَّهُ أَرْضَهُمْ
وَأَمْوَالَهُمْ وَيُفْرِشَكُم نِسَاءَهُمْ ، أَتَسْبِّحُونَ اللَّهَ وَتُقَدِّسُونَهُ ، فَقَالَ النُّعْمَانُ بْنُ
كَشْرِيكٍ : اللَّهُمَّ لَكَ ذَا ، فَتَلَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا . وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ ثُمَّ نَهَضَ النَّبِيُّ -
صلى الله عليه وسلم - فَأَخَذَ بِيَدِي ، فَقَالَ : يَا أَبَا بَكْرٍ يَا أَبَا حَسَنٍ أَيْةُ أَخْلَاقٍ
فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، مَا أَشْرَفَهَا بِهَا يَدْفَعُ اللَّهُ بِأَسْرِ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ ، وَبِهَا يَتَحَاجِزُونَ
فِيمَا بَيْنَهُمْ قَالَ : ثُمَّ دَفَعْنَا إِلَى مَجْلِسِ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ ، فَمَا نَهَضْنَا حَتَّى بَايَعُوا
النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ، وَكَانُوا صُدُقَاءَ صُبْرَاءَ ، وَرَوَى فِي حَدِيثٍ مُسْنَدٍ
إِلَى طَارِقٍ ، قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَرَّتَيْنِ : رَأَيْتُهُ بِسُوقِ
ذِي الْمَجَازِ يَعْزِضُ نَفْسَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ ، يَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
تُعْلِمُوا ، وَخَلَقَهُ رَجُلٌ لَهُ غَدِيرَتَانِ يَرْجُمُهُ بِالْحِجَارَةِ ، حَتَّى أَذْمَى كَعْبِيهِ ، يَقُولُ :
يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسْمَعُوا مِنْهُ ، فَإِنَّهُ كَذَّابٌ ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ ، فَقِيلَ : هُوَ غُلَامٌ
عَبْدُ الْمُطَّابِ ، قُلْتُ وَمَنْ الرَّجُلُ يَرْجُمُهُ ؟ فَقِيلَ لِي : هُوَ عَمْرُو عَبْدِ الْعُزَّى أَبُو لَهَبٍ ،
وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطَوْلِهِ . خَرَجَ الدَّارُ قُطْنِي ، وَوَقَعَ أَيْضًا فِي السَّيْرَةِ مِنْ رِوَايَةِ
يُونُسَ .

حديث سويد بن صامت:

فصل : ذكر حديث سويد بن صامت وشعره ، وفي الشعر :

وبالغيبِ ماثورٌ على مُغَرِّقِ النَّحْرِ

يعنى السيف ، وماثورٌ : من الأثر وهو : فَرِندٌ^(١) السيف ، ويقال فيه :
أثر وإثر . قال الشاعر :

جلاها الصَّيْعَلُونَ فَأَخَاصُوهَا

خِفَافًا كُنْهَا يَتَّقِي بَأْثَرُ^(٢)

أراد : يَتَّقِي ، وسَوَيْدٌ : هو : الكامل ، وهو ابن الصَّائِتِ بن حَوْطٍ

(١) جوهر السيف وشبهه والسيف نفسه

(٢) البيت أنشده عيسى بن عمر لخفاف بن نديبة .

وقبل البيت :

ولم أرقبهم حياً لقاها أقاموا بين قاصية وحجر
رماح مشقف حلت نصالا يلحن كأنهن نجوم بدر

انظر ص ١٢٥ ج ٢ الأمالى للقالى ط ٢ ، ص ٧٥٢ سمط اللآلى للقالى

والمعنى : إذا نظر الناظر إليها اتصل شعاعها بعينه ، فلم يتمكن من النظر إليها
فذلك اتقاؤها بأثرها والأصمعى لا يعرف فى الأثر إلا الفتح يقال : سيف ماثور
أى فى متنه أثر ، وقيل هو الذى يقال إنه يعمل له الجن ، وليس من الأثر الذى هو
الفرند . قال ابن سيدة : وعندى أن الماثور مفعول لا فعل له كما ذهب إليه أبو على
فى المفتود الذى هو الجبان

ابن حبيب بن عوف بن عمرو بن مالک بن الأوس^(١) وأمه أَيْلَى بنت عمرو النجارية أخت سلمى بنت عمرو [بن زيد بن لبید بن خدّاش بن عامر ابن غنم بن عدی بن النجار] تيم الله بن نعلبة بن عمرو بن الخزرج أم عبد المطلب ابن هاشم ، فسُوِّدَ هذا ابن خالة عبد المطلب ، وبنتُ سويد هي أم عاتكة أخت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل امرأة عمر بن الخطاب ، فهو جدّها لأُمّها واسم أمّها: زينب ، وقيل : جليلة بنت سويد ، هكذا ذكره الزُّبَيْر بن أبى بكر^(٢) .

ذكر مجنة لقمان :

فصل : وذكر مجنة لقمان ، وهي الصحيفة ، وكانها مفعلة من اجلال والجلالة ، أما الجلالة فمن صفة الخلق ، والجلال من صفة الله تعالى ، وقد أجاز بعضهم أن يقال في المخلوق جلال و جلالة وأنشد :

(١) نسبه في جمهرة ابن حزم هكذا : « سويد بن الصامت بن خالد بن عطية ابن خوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالک بن الأوسى ، وقد تقدم نسبه في السيرة كما ذكر ابن حزم ، ولكن فيها حوط بالحاء المهملة ، وفي الإصابة : سويد بن الصامت بن خالد بن عقبة الأوسى ذكره ابن شاهين وقال : شك في إسلامه ، وقال أبو عمر : أنا أشك فيه كما شك غيرى . . . ويعلق ابن حجر على ما روى ابن إسحاق بقوله : فإن صح ما قالوا لم يعد في الصحابة لانه لم يلق النبي . . . ص ، مؤمن .

(٢) يقول الخشنى في شرح السيرة ص ١١٧ عن بنى زعب لأنها بفتح الزاى وضمتها وكسرها والعين المهملة . وزعب بالزاء المكسورة والغين المعجمة قيده الدارقطنى ، وذكر أن الطبرى حكاه كذلك

فَلَاذَا جَلَالِ هَيْبَتِهِ لِجَلَالَةِ وَلَاذَا ضِيَاعِ هُنَّ يَتْرُكْنَ لِلْفَقْرِ^(١)

وَلْتَمَانُ كَانَ نَوْبِيَا مِنْ أَهْلِ أَيْلَةٍ وَهُوَ لَقْمَانُ بْنُ عَنَقَاءَ بْنِ سُرُورٍ^(٢) فِيمَا ذَكَرُوا
وَابْنَهُ الَّذِي ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ هُوَ ثَارَانُ فِيمَا ذَكَرَ الرَّجَّاجُ وَغَيْرُهُ ، وَقَدْ قِيلَ
فِي اسْمِهِ غَيْرَ ذَلِكَ ، وَابْنُ بَلْقَمَانَ بْنِ عَادِ الْجَمَيْرِيِّ .

ذَكَرَ قَدُومُ أَبِي الْخَبَرِ :

فصل : وَذَكَرَ قَدُومُ أَبِي الْخَبَرِ أَنَسُ بْنُ رَافِعِ بْنِ يَطْلُبِ الْخُفِّ ، وَذَلِكَ

(١) الْبَيْتُ لِهَدْبَةِ بْنِ خَشْرَمِ بْنِ كَرْزٍ : بْنُ حَجَرِ بْنِ أَبِي حِمَةَ الْكَاهِنِ صَاحِبِ
الْعَزَى وَسَادَتِهَا أَحَدُ بَنِي سَعْدِ هَذِيمٍ مِنْ قَضَاعَةَ . وَهَدْبَةُ : شَاعِرٌ لِإِسْلَامِي يُكْنَى
أَبَا عَمِيرٍ : وَقَبْلَ الْبَيْتِ :

رَأَيْتُ أَخَا الدُّنْيَا ، وَإِنْ كَانَ خَافِضًا أَخَا سَفَرِيسَى بِهِ ، وَهُوَ لَا يَدْرِي
وَالْأَرْضُ كَمَنْ صَالِحٍ قَدْ تَكَمَّاتٍ عَلَيْهِ فَوَارَتْهُ بِكَمَاعَةِ الْقَفْرِ
وَيُرَوِّى الْبَيْتَ الْأَوَّلَ هَكَذَا :

أَلَا يَا قَوْمَ النَّوَائِبِ وَالْأَدْهَرِ وَلِلْحَرِّ يَأْتِي حَتْفُهُ وَهُوَ لَا يَدْرِي
انْظُرْ ص ٢٤٦ ح ١ الْأَمَالِي لِلْقَالِي ط ٢ ، ص ٥٥٦ ، ٦٣٩ سَمَطُ الْكَلَى لِلْبَكْرِى
وَمَرْجِعُ السَّهْبِيلِي فِي هَذَا هُوَ الْأَمَالِي ، وَرَأَى الْأَصْمَعِيُّ أَنَّ الْجَلَالَ لَا يَقَالُ
إِلَّا فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ وَقَدْ يَقَالُ :

وَيَعْقِبُ الْبَكْرِى فِي السَّمَطِ عَلَى رَأْيِ الْقَالِي فِي كَلِمَةِ مَجْلَةٍ بِفَتْحِ الْجِيمِ : لِأَنَّا هُوَ
مَجْلَةٌ — بِكَسْرِ الْجِيمِ . قَالَ أَبُو عَمِيْدَةَ : كُلُّ كِتَابٍ عِنْدَ الْعَرَبِ مَجْلَةٌ بِكَسْرِ الْجِيمِ ،
وَقَدْ رَوَى غَيْرُهُ فِيهِ الْفَتْحَ

(٢) فِي تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ : سِدُوسٌ ، وَفِيهِ يَذْكَرُ أَنَّ الْأَكْثَرِينَ مِنْ
السَّلَفِ عَلَى أَنَّ لَقْمَانَ كَانَ عَبْدًا صَالِحًا مِنْ غَيْرِ نَبْوَةٍ . وَفِيهِ وَفِي غَيْرِهِ تَفْصِيْلَاتٌ
كَثِيرَةٌ عَنْهُ .

بسبب الحرب التي كانت بين الأوس والخزرج ، وهي حرب بُعث المذكورة ،
ولهم فيها أيام مشهورة هلك فيها كثيرٌ من صناديدهم وأشرافهم ، وبُعث اسم
أرضٍ بها عرفت ^(١) .

بدء إسلام الأنصار

ولم يكن الأنصار اسما لهم في الجاهلية ، حتى سماهم الله به في الإسلام ، وهم :
بنو الأوس والخزرج ، والخزرج : الريح الباردة ^(٢) وقال بعضهم : وهي
الجنوبُ خاصّةً ، ودخول الألف واللام في الأوس على حد دخولها في التيم
جمع : تيمى وهو من باب : رومي وروم ، لأن الأوس هي العطية أو العوض ،
ومثل هذا إذا كان عَلمًا لا يدخله الألف واللام ، ألا ترى أن كل أوسٍ
في العرب غير هذا ، فإنه بغير ألف ولام كأوس بن حارثة الطائي وغيره

(١) يقول الخشنى : وروى هنا : بُعث بالعين المعجمة أيضاً ، ويصرف
ولا يصرف ، ويقول البكري في معجم ما استعجم : ذكر عن الخليل : بُعث ولم
يسمع من غيره .

هذا ويقال إن القبائل التي عرض نفسه عليها أيام المواسم هي بنو عامر وغسان
وبنو فزارة ، وبنو مرة وبنو حنيفة ، وبنو سليم ، وبنو عبس ، وبنو نصر ،
وثعلبة بن عكابة ، وكندة ، وكنب ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو عذرة وقيس
ابن الخطيم ، وأبو الحيسر أنس بن أبي رافع . هكذا في إمتاع الأسماع لتقى الدين
أحمد بن علي المقرئ ١ ط ١٩٤١ ص ٣٠ ، وفيه أنه بدأ بكندة ، ثم أتى كلباً
ثم بنى حنيفة ، ثم بنى عامر .

(٢) في الاشتقاق لابن دريد : الخزرج : الريح العاصف ص ٤٣٧ .

وكذلك ، أوس^(١) وأويس : الذئب قال الراجز :

يَأْتِيَتْ شِعْرَى عَنْهُ وَالْأَمْرُ عَمَمٌ مَا فَعَلَ الْيَوْمَ أُوَيْسٌ بِالْقَمَمِ^(٢)

وأبوهم^(٣) حارثة بن ثعلبة [بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن حارثة
الغظريف بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزدي] ، وهو أيضاً :
والدُّخْرَاعَةُ على أحد القولين ، وأمه^(٤) : قَيْلَةُ بنت كاهل بن عُدْرَةَ قُضَاعِيَّةٌ
ويقال : هي بنت جَفْنَةَ ، واسمها غَنْبَةُ بن عمرو بن عامر ، وقيل : بنت سَيْعٍ^(٥)
ابن الهون بن خُزَيْمَةَ بن مدركة ، قاله الزبير بن أبي بكر في كتاب أخبار المدينة.
والأنصار : جمع نَاصِرٍ على غير قياس في جمع فاعل^(٦) ، ولكن على

(١) أوس بن حارثة بن لام رأس طيء ، عاش — كما قيل — مائتي سنة ،
وهناك أوس بن حجر الشاعر الجاهلي ، وأوس بن حذيفة من فرسان ثقيف الذي
أدرك الإسلام وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وأوس بن المعلّى ، وأوس
مغراء وأوس مناة الحنيك من خثعم ، ولكن هناك الأوس من صعبة بن همان .

(٢) البيت للهذلي ، وهو في اللسان :

يَأْتِيَتْ شِعْرَى عَنْكَ ، وَالْأَمْرُ أَمَمٌ مَا فَعَلَ الْيَوْمَ أُوَيْسٌ فِي النَّعَمِ

(٣) أي والد الأوس والخزرج .

(٤) أي أم الأوس والخزرج ، ونسبها في جمهرة ابن حزم هكذا . وقيلة
بنت الأرمم بن عمرو بن جفنة بن عمرو مزيقياء ، ص ٣١٢ ط ١ والزيادة
التي زدتها من الجمهرة .

(٥) اسمه في نسب قريش . يثع .

(٦) إذا كان فاعل وصفا دالا على غريزة وسجية أو أمر فطري فإنه يجمع

تقدير حذف الألف من ناصر ، لأنها زائدة ، فالأسم على تقدير حذفها : ثلاني
والثلاثي يجمع على أفعال ، وقد قالوا في نحوه صاحب وأصحاب وشاهد
وأشهاد .

وذكر قول النبي - صلى الله عليه وسلم - لِلنَّكَرِ مِنَ الْأَنْصَارِ : أمن موالى
يهود أنتم أى من حلفائهم ، والمولى يجمع : الحليف وابن العم والمُعْتَق والمُعْتَق
لأنه مَفْعَلٌ من الولاية ، وجاء على وزن مفعول ، لأنه مَفْرَعٌ ومَلْجَأٌ لوائيه فجاء
على وزن ماعو في معناه .

وذكر النفر القادمين في العام الثاني الذين بايعوه بَيْعَةَ النِّسَاءِ ، وقد ذكر
الله تعالى بَيْعَةَ النِّسَاءِ فِي الْقُرْآنِ فَقَالَ : (يُبَايِعُكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكَنَّ بِاللَّهِ
شَيْئًا) الممتحنة ٤٣١ الآية ، فأراد بببيعة النساء أنهم لم يبايعوه على اقتتال ،
وكانت مبايعته للنساء أن يأخذَ عليهن العهد والميثاق ، فإذا أقررن بِالسَّلَاطَةِ
قَالَ : قَدْ بَايَعْتُكُمْ ، ومامست يده يدَ امرأة في مبايعة^(١) كذلك قالت

على فعلاء مثل شاعر وشعراء ، وعاقل وعقلاء ، وكذلك إذا كان دالا على ما يشبهه
الغريزة والسجية في طول بقائها مثل صالح وصلاح ، وإذا كان فاعل دالا على
وصف يدل على آفة طارئة من ألم أو عيب ، أو نقص ، أو موت جمع على فعلى
مثل هالك وهلكى .

(١) في حديث رواه البخارى عن عائشة أنها قالت : د ولا والله ما مست
يده يد امرأة في المبايعة قط ، ما يبايعهن إلا بقوله : قد بايعتكن على ذلك ،
وفي حديث آخر رواه أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث سفيان
ابن عيينة ، والنسائى أيضاً من حديث الثورى ومالك بن أنس كلهم عن محمد

بيعة العقبة الأولى

حتى إذا كان العامُ المُتَّيَلِّبُ وأتى المَوْسِمُ من الأنصار اثنا عشر رجلاً ،
فلقوه بالعقبة ؛ وهى العقبة الأولى ، فبايعوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
على بَيْعَةِ النساء ، وذلك قبل أن تُفترَضَ عليهم الحرب .

منهم من بنى النَجَّار ، ثم بنى مالك بن النَجَّار : أسعدُ بن زُرارة بن عُدَس
ابن عُبيد بن ثعلبة بن غَنَم بن مالك بن النجار ، وهو أبو أُمَامَةَ ؛ وَعَوْفُ ،
ومعاذ ، ابنا الحارث بن رفاعَةَ بن سَواد بن مالك بن غَنَم بن مالك بن النَجَّار ،
وهما ابنا عَفراء .

عائشة ، وقد روى أنها كن يأخذن بيده فى البيعة من فوق ثَوْبٍ ، وهو قول
عامر الشعبي ، ذكره عنه ابن سلام فى تفسيره ، والأول أصح وقد ذكر أبو بكر
محمد بن الحسن المَقْرئى النقاش فى صفة بيعة النساء وجهاً ثالثاً أورد فيه آثاراً ،
وهو أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يغمس يده فى إماء وتغمس المرأة
يدها فيه عند المبايعة ، فيكون ذلك عقداً للبيعة ، وإيس هذا بالشهور ، ولا هو
عند أهل الحديث بالثبوت ، غير أن ابن إسحاق أيضاً قد ذكره فى رواية عن
يونس عن أبان بن أبي صالح ، وذكر أنساب الذين بايعوه ، وسفعية فى بيعة
العقبة وغزاة بدر ، وهناك يقع التنبيه على ما يحتاج إليه بعون الله .

ابن المنكدر ، وقال الترمذى : حسن صحيح ، لا نعرفه إلا من حديث محمد
ابن المنكدر . فى هذا الحديث ورد « قلنا يا رسول الله : ألا تصافحنا ؟ قال لى
لا أصافح النساء ، إنما قولى لامرأة واحدة قولى لمائة امرأة ،

ومن بنى زريق بن عامر : رافعُ بن مالك بن العَجَلان بن عمرو بن عامر
ابن زريق ، وذَكْوَان بن عبد قَيْس بن خَلْدَة بن مُخَلِّد بن عامر بن زُرَيْق .

قال ابن هشام : ذَكْوَان ، مهاجرى أنصارى .

ومن بنى عَوْف بن الخزرج ، ثم من بنى غَنَم بن عَوْف بن عمرو بن
عَوْف بن الخزرج ، ومُ الْقَوَاقِلُ : عُبَادَة بن الصامت بن قَيْس بن أصرم
ابن فِهْر بن ثعلبة بن غَنَم ؛ وأبو عبد الرحمن ، وهو يزيد بن ثعلبة بن خَزْمة
ابن أصرم بن عمرو بن عَمَّارة ، من بنى غُصَيْفَة ، من بَلِيّ ، حليف لهم .

قال ابن هشام : وإنما قيل لهم : القواقل ، لأنهم كانوا إذا استجار بهم
الرجل دفعوا له سهما ، وقالوا له : قَوِّلْ به . بَيْتَرَبَ حيث شئت .

قال ابن هشام : الْقَوَاقِلُ : ضرب من المشى .

وقال ابن إسحاق : ومن بنى سالم بن عَوْف بن عمرو بن الخزرج ، ثم من
بنى العَجَلان بن زيد بن غَنَم بن سالم : العباس بن عُبَادَة بن نَعْلَة بن مالك
ابن العَجَلان .

ومن بنى سَلَمَة بن سَعْد بن عليّ بن أسد بن سارْدَة بن زَيْد بن جُشَم
ابن الخزرج ، ثم من بنى حَرَام بن كَعْب بن غَنَم بن سَلَمَة : عُثْبَة بن عامر
ابن نابي بن زَيْد بن حَرَام .

ومن بنى سواد بن غَنَم بن كَعْب بن سَلَمَة قُطَيْبَة بن عامر بن حَدِيدَة بن
عمرو بن غَنَم بن سواد .

رجال العقبة من الأوس

وشَهِدَها من الأوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ثم من بني
عَبْدِ الأشهل بن جُشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس :
أبو الهيثم بن التَّيَّهَان ، واسمه مالك .

قال ابن هشام : التَّيَّهَان : يخفف وينقل ، كقوله ميت وميَّت .

رجال العقبة الأولى من بني عمرو

ومن بني عمرو بن عَوْف بن مالك بن الأوس : عُويم بن ساعدة .

بيعة العقبة

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن (أبي) مَرْثَد
ابن عبد الله اليزني ، عن عبد الرحمن بن عُسَيْلَةَ الصَّنَابِجِي ، عن عبادة بن
الصامت ، قال : كنت فيمن حَضَرَ العقبة الأولى ، وكُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ رجلاً ،
فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء ، وذلك قبل أن تُفْتَرَضَ
الحَرْبُ ، على أن لا نُشْرِكَ بالله شيئاً ، ولا نَسْرِقَ ، ولا نَزْنِيَ ، ولا نَقْتُلَ
أولادنا ، ولا نَأْتِيَ بيهتان تُفْتَرِيه من بين أيدينا وأرجلنا ، ولا نَقْصِيه في
مَعْرُوف . فان وَفَّيْتُمْ فإِليكُم الجنة . وإِنْ غَشَّيْتُمْ مِنْ ذَلِكَ شيئاً فَأَمْرُكُمْ إِلَى اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ إِنْ شَاءَ عَذَابٌ وَإِنْ شَاءَ غَفْرٌ .

قال ابن إسحاق وذكر ابنُ شهاب الزهريّ ، عن عائذ الله بن عبد الله

الْخَوْلَانِي أَبِي إِدْرِيسَ أَنَّ عِبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ حَدَّثَهُ أَنَّهُ قَالَ : بَايَعَنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَلَّةِ الْعَقَبَةِ الْأُولَى عَلَى أَنْ لَا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا نَسْرِقَ ، وَلَا نَزْنِيَ ، وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا ، وَلَا نَأْتِيَ بِبَهْتَانٍ نَقْتَرِيهِ مِنْ بَيْنِ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا ، وَلَا نَعْصِيهِ فِي مَعْرُوفٍ ، فَإِنْ وَفَيْتُمْ فَلَكُمْ الْجَنَّةُ ، وَإِنْ غَشَيْتُمْ مِنْ ذَلِكَ فَأُخِذْتُمْ بِحَدِّهِ فِي الدُّنْيَا ، فَهُوَ كُفَّارَةٌ لَهُ ، وَإِنْ سَتَرْتُمْ عَلَيْهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَأَمْرُكُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَ ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ .

مصعب بن عمير ووفد العقبة

قال ابن إسحاق : فلما انصرف عنه القوم ، بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، وأمره أن يُقرَّهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويفتّمهم في الدين ، فسكان يُسمَّى الْمُتَمَرِّئُ بِالْمَدِينَةِ : مُصْعَبُ . وكان منزله على أسعد بن زُرارة بن عدس ، أبي أُمَامَةَ .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أنه كان يصلي بهم ، وذلك أن الأوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمّه بعضٌ .

أول جمعة أقيمت بالمدينة

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن أبي أُمَامَةَ بن سهل بن حنيف ، عن أبيه أبي أُمَامَةَ ، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، قال : كنت قائد أبي ،

كعب بن مالك ، حين ذهبَ بصره ، فكنتُ إذا خرجتُ به إلى الجمعة ، فسمع الأذان بها صلى على أبي أُمّامة ، أسعد بن زُرارة . قال : فكثرتُ حيناً على ذلك : لا يسمع الأذان للجمعة إلا صلى عليه واستغفر له . قال : فقلت في نفسي : والله إن هذا بي أعجز ، ألا أسأله ماله إذا سمع الأذان للجمعة صلى على أبي أُمّامة أسعد بن زُرارة ؟ قال : فخرجت به في يوم الجمعة كما كنت أخرج ، فلما سمع الأذان للجمعة صلى عليه واستغفر له . قال : فقلت له : يا أبت ، مالك إذا سمعت الأذان للجمعة صليت على أبي أُمّامة ؟ قال : أيُّ بُنيّ ، كان أوّل من جَمَعَ بنا بالمدينة في هَزمِ النَّدِيت ، من حرّة بني بياضة ، يقال له : نَقِيع الخفيمات ، قال قلت : وكم أنتم يومئذ ؟ قال : أربعون رجلاً .

إسلام سعد بن معاذ وأسيّد بن حضير

قال ابن إسحاق : وحدثني عبيد الله بن المُغيرة بن مُعَيْقِب ، وعبد الله ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم : أن أسعد بن زُرارة خرج بمُصْغَب ابن عُثَيْر يريد به دارَ بني عَبْدِ الْأَشْهَل ، ودارَ بني ظَفَر ، وكان سعد بن معاذ ابن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل ابن خالة أسعد بن زُرارة ، فدخل به حائطاً من حوائط بني ظَفَر .

قال ابن هشام : واسم ظَفَر : كعب بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك ابن الأوس - قالوا : على بئر يقال لها : بئر مَرَق ، فجلسا في الحائط ، واجتمع إليهما رجال من أسلم ، وسعد بن معاذ ، وأسيّد بن حضير ، يومئذ سيداً قومهما من بني عبد الأشهل ، وكلاهما مُشْرِك على دين قومه ، فلما سمعا به

قال سعد بن معاذ لأسيّد بن خُصَير : لا أبالك ، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا ، فازجرهما وانهبهما عن أن يأتيا دارينا ، فإنه لولا أن أسعد بن زرارة منى حيث قد علمت كفيّتك ذلك ، هو ابن خالتي ، ولا أجد عليه مقدّما ، قال : فأخذ أسيّد بن خُصَير حرّبتة ثم أقبل إليهما ، فلما رآه أسعد بن زُرارة ، قال لمصعب بن عمير : هذا سيّد قومه قد جاءك ، فاصدّق الله فيه ، قال مصعب : إن يجلس أكلته . قال : فوقف عليهما مُدَمِّمًا ، فقال : ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا ؟ اعتزلانا إن كانت لـكما بأنفسكما حاجة ، فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمرًا قبلته ، وإن كرهته كفّ عنك ما تـكره ؟ قال : أنصفت ، ثم ركز حرّبتة وجلس إليهما ، فسكّاهم مُصْعب بالإسلام ، وقرأ عليه القرآن ؛ فقالا : فيما يذكر عنهما : والله لعرّفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتسكّم في إشرافه وتسلّله ، ثم قال : ما أحسن هذا الكلام وأجمله ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قال له : تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحقّ ، ثم تصلى . فقام فاغتسل وطهر ثوبيه ، وتشهد شهادة الحقّ ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إن ورأى رجلا إن اتبعكما لم يتخلّف عنه أحد من قومه ؛ وسأرسله إليكما الآن ، سعد بن معاذ ، ثم أخذ حرّبتة وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم ، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مُقبلا ، قال : أحلف بالله لقد جاءكم أسيّد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ، فلما وقف على النادي قال له سعد : ما فعلت ؟ قال : كآمت الرجلين ، فوالله ما رأيت بهما بأسا ، وقد نهيتهما فقالا : نفعل ما أحببت .

وقد حدثت أن بنى حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زُرارة ليقتلوه ، وذلك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ، ليخفروك قال : فقام سعد مُغضباً مبادراً ، تخوّفاً للذى ذكر له من بنى حارثة ، ف أخذ الحربة من يده ، ثم قال : والله ما أراك أغنيت شيئاً ، ثم خرج إليهما ؛ فلما رآهما سعد مطمئنين ، عرف سعد أن أسيداً إنما أراد منه أن يسمع منهما ، فوقف عليهما مدشماً ، ثم قال لأسعد بن زُرارة : يا أبا أمامة ، لولا ما بيني وبينك من القرابة مارمت هذا مني ، أنفشنا في دارينا بما نكره — وقد قال أسعد بن زُرارة لمصعب بن عمير : أي مُصعب ، جاك والله سيّد من وراءه من قومه ، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان — قال : فقال له مصعب : أو تقعد فتسمع ، فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته ، وإن كرهته عرّنا عنك ماتك كره ؟ قال سعد . أنصفت ثم ركز الحربة وجلس ، فعرض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، قالوا : فعرّنا والله في وجه الإسلام قبل أن يتكلم ، لإشراقه وتسّله ؛ ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين ؟ قالوا : تغتسل فتطهر وتطهر نوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلى ركعتين ، قال . فقام فاغتسل وطهر نوبيه ، وتشهد شهادة الحق ، ثم ركع ركعتين ، ثم أخذ حربته ، فأقبل عامداً إلى نادى قومه ومعه أسيّد بن حضير .

قال : فلما رآه قومه مقبلاً ، قالوا : نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ، فلما وقف عليهم قال : يا بني عبد الأشهل ، كيف تعلمون أمري فيكم ؟ قالوا : سيدنا وأفضلنا رأيا ، وأيمتنا نقيبة ؛ قال : فإن

كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله .

قالا : فوالله ما أُنسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلما ومسلمة ، ورجع أسعد ومُصعب إلى منزل أسعد بن زُرارة ، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام ، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ، إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد ، وخطمة ووائل وواقف ، وتلك أوس الله ، وهم من الأوس بن حارثة ؛ وذلك أنه كان فيهم أبوقيس بن الأسلت ، وهو صيفي ، وكان شاعرا لهم قائدا يستمعون منه ويطيعون ، فوقف بهم عن الإسلام ، فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، ومضى بدرُّ واحد والخنق ، وقال فيما رأى من الإسلام ، وما اختلف الناس فيه من أمره :

أَرْبَّ النَّاسِ أَشْيَاءُ أَلَمْتُ	يُلَفُّ الصَّعْبُ مِنْهَا بِالذَّلُولِ
أَرْبَّ النَّاسِ أَمَّا إِذْ ضَلَلْنَا	فَيَسِّرْنَا لِمَعْرُوفِ السَّبِيلِ
فَلَوْلَا رَبُّنَا كُنَّا يَهُودًا	وَمَا دِينَ الْيَهُودِ بَدَى شُكُولِ
وَلَوْلَا رَبُّنَا كُنَّا نَصَارَى	مَعَ الرُّهْبَانِ فِي جَبَلِ الْجَبَلِ
وَلَكِنَّا خُلِقْنَا إِذْ خُلِقْنَا	حَقِيقًا دِينُنَا عَنْ كُلِّ جِيلِ
نَسُوقُ الْيَهُدَى تَرْسُفَ مُدْعَنَاتِ	مَكْشَفَةَ الْمَنَاكِبِ فِي الْجُلُولِ

قال ابن هشام : أنشدني قوله : فلولا ربنا ، وقوله : لولا ربنا ، وقوله : مكشفة المناكب في الجلول ، رجل من الأنصار ، أو من خزاعة .

أمر العقبة الثانية

قال ابن إسحاق : ثم إن مُضْعَب بن عُمَيْر رَجَعَ إلى مكة ، وخرج مَنْ
خرج من الأنصار المسلمين إلى الموسم مع حُجَّاج قومهم من أهل الشُّرك ، حتى
قَدِمُوا مكة ، فواعدوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم العقبة ، من أوسط أيام
التَّشْرِيق ، حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته ، والنصر لِنَبِيِّهِ ، وإعزاز
الإسلام وأهله ، وإذلال الشُّرك وأهله .

البراء بن معرور وصلاة الكعبة

قال ابن إسحاق : حدَّثني مَعْبُد بن كَعْب بن مالك بن أبي كعب بن
القَيْن ، أخو بني سامة ، إن أخاه عبد الله بن كعب ، وكان من أعلم الأنصار ،
حدَّثه أن أباه كعباً حدثه ، وكان كعبٌ ممن شَهِدَ العقبة وبايع رسولَ الله صلى الله
عليه وسلم بها ، قال : خرجنا في حُجَّاج قومنا من المُشْرِكِينَ ، وقد صَلَّينا
وَقَفَّيْنَا ، ومعنا البراء بن معرور ، سيِّدُنَا وكبيرنا ، فلما وَجَّهْنَا لِسَفَرِنَا ،
وخرَجْنَا من المدينة ، قال البراء لنا : يا هؤلاء ، إني قد رأيت رأياً ، فوالله
ما أدري ، أنوافقوني عليه ، أم لا ؟ قال : قلنا : وما ذاك ؟ قد رأيت أن لا أدع
هذه البَيْدِيَّةَ مني بظَهْرٍ ، يعني : الكعبة ، وأن أُصَلِّيَ إليها . قال : فقلنا ، والله
ما بلغنا أن نبيَّنَا صلى الله عليه وسلم يصلِّي إلا إلى الشام ، وما نريد أن نخالفه .
قال : فقال : إني لصلِّ إليها قال : فقلنا له : لكنَّا لا نفعل . قال : فكنا إذا حضرت
الصلاة صَلَّينا إلى الشام ، وصلَّى إلى الكعبة ، حتى قَدِمْنَا مكة . قال : وقد

كنا عبيداً عليه ماصنع ، وأتى إلا الإقامة على ذلك . فلما قدمنا مكة قال لي : يا ابن أخي ، انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نسأله عما صنعتُ في سفري هذا ، فإنه والله لقد وقع في نفسي منه شيء ، لما رأيتُ من خلافكم إياي فيه . قال : فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنا لا نعرفه ، ولم نَرَ قبل ذلك فلقمينا رجلاً من أهل مكة ، فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هل تعرفانه ؟ فقلنا : لا ؛ قال : فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه ؟ قال : قلنا : نعم — قال : وقد كنّا نعرف العباس ، كان لا يزال يقدم علينا داجراً — قال : فإذا دخلنا المسجد فهو الرجلُ الجالسُ مع العباس . قال : فدخلنا المسجد فإذا العباس جالسٌ ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ معه ، فسأما ثم جلسنا إليه . فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للعباس : هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟ قال : نعم ، هذا البراء بن معرور ، سيّد قومه ، وهذا كعب بن مالك . قال : فوالله ما أنسى قولَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : الشاعر ؟ قال : نعم . فقال البراء بن معرور : يا نبي الله ، إني خرجتُ في سفري هذا ، وقد هداني الله للإسلام ، فرأيتُ أن لا أجعل هذه البذية مني بظنّ ، فصليتُ إليها ، وقد خالفني أصحابي في ذلك ، حتى وقع في نفسي من ذلك شيء ، فماذا ترى يا رسول الله ؟ قال : قد كنتَ على قبلة لو صبرتَ عليها . قال : فرجع البراء إلى قبلة رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وصلى معنا إلى الشام . قال : وأهلُه يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات ، وليس ذلك كما قالوا ، نحن أعلم به منهم .

قال ابن هشام : وقال عَوْنُ بنُ أَيُوبَ الأنصاري :

وَمِنَّا الْمُتَسَلِّي أَوَّلَ النَّاسِ مُتَمِيلًا عَلَى كَعْبَةِ الرَّحْمَنِ بَيْنَ الْمَشَاعِرِ

يعنى الْبَرَاءَ بنَ مَعْرُورٍ . وهذا البيت في قصيدة له .

إسلام عبد الله بن عمرو بن حرام

قال ابن إسحاق : حدثني مَعْبُدُ بنُ كَعْبٍ ، أن أخاه عبد الله بن كعب حدثه أن أباه كعب بن مالك حدثه ، قال كعب : ثم خرجنا إلى الحج ، وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعقبة من أوسط أيام التشريق . قال : فلما فرغنا من الحج ، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ، ومعنا عبدُ الله بن عمرو بن حَرَامٍ أبو جابر ، سيّد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، أخذناه معنا ، وكنّا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا ، فكذبناه وقلنا له : يا أبا جابر ، إنك سيّد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، وإنّا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حَطَبًا للنار غدا ، ثم دَعَوْنَاهُ إلى الإسلام ، وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بإبانا العقبة . قال : فأسلم وشهد معنا العقبة ، وكان نقيبا .

أمرأتان في البيعة

قال : فَمِمَّا تِلْكَ اللَّيْلَةِ مع قومنا في رحالنا ، حتى إذا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ خَرَجْنَا من رحالنا لمعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، نَسْلُ تَسْلُلَ الْقَطَا

مُسْتَخْفِينَ ، حتى اجتمعنا في الشَّعْبِ عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ،
ومعنا امرأتان من نساءنا نُسَيِّبَةُ بنت كعب ، أُمُّ عُمَارَةَ ، إحدى نساء بني مازن
ابن النَجَّار ، وأسماء بنت عمرو بن عدى بن نابت ، إحدى نساء بني سلمة ،
وهي أُمُّ مَنِيع .

العباس والأنصار

قال : فاجتمعنا في الشَّعْبِ ننتظر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، حتى جاءنا
ومعه العباسُ بن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه ، إلا أنه أَحَبُّ أَنْ
يُخْصَرَ أمرَ ابن أخيه ويتوثق له . فلما جَلَسَ كان أولَ متكلِّمِ العباسِ بن
عبد المطلب ، فقال : يا معشر الخزرج — قال ، وكانت العرب إنما يسمُّون هذا
الحَيَّ من الأنصار ، الخزرج ، خزرجهما وأوسهما — إن محمداً منَّا حيث قد علمتم
وقد منعناه من قومنا ، ممن هو على مثل رأينا فيه ، فهو في عزٍّ من قومه ومنعة
في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحيازَ إليكم ، واللاحوقَ بكم ، فإن كنتم ترون
أنكم وأفون له بما دعوتموه إليه ، ومانعوه ممن خلفه به ، فأنتم وما تحمَّلتُم من
ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مُسْلِمُوهُ وخاذِلُوهُ بعد الخروج به إليكم ،
فإن الآن فدعوه ، فإنه في عزٍّ ومنعة من قومه وبلده . قال ، فقلنا له ، قد سمعنا
ما قلت ، فتكلم يا رسول الله ، نخدُ لنفسك ولربِّك ما أحببت .

عهد الرسول عليه الصلاة والسلام على الأنصار

قال ، فتكلم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فتلا القرآن ، ودعا إلى الله
ورغب في الإسلام ، ثم قال ، أبايكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم .

قال، فأخذ البراء بن معرور بيده، ثم قال، نعم، والذي بعثك بالحق، لنمنعنك مما تمنع منه أزرنا فبايعنا يارسول الله، فنحن والله أهل الجروب، وأهل الخلقة، ورثناها كابراً [عن كابر]. قال، فاعترض القول، والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبو الهيثم بن التيهان فقال يارسول الله، إن بيننا وبين الرجال حبلاً، وإننا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت إن نحن فعاننا ذلك، ثم أظهره الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ قال: فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: بل الدم الدم، والهدم الهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسلم من سالمتم . .

قال ابن هشام . ويقال: الهدم الهدم : أي دمتي دمتكم وحُرمتي حُرمتكم .

قال كعب : وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيبا ، ليسكونوا على قومهم بما فيهم . فأخرجوا منهم اثني عشر نقيبا ، تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس .

أسماء النقباء الاثني عشر وتمام خبر العقبة

النقباء من الخزرج

قال ابن هشام : من الخزرج - فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائي ، عن محمد بن إسحاق الملقبى - : أبو أمامة أسعد بن زُرارة بن عُدس بن عُبَيْد بن ثعلبة بن غُثَم بن مالك بن النجَّار ، وهو : نعيم الله بن ثعلبة عمرو بن الخزرج [بن حارثة] ، وسعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن

أَمْرِيءُ الْقَيْسِ بْنِ مَالِكٍ بْنِ مَالِكٍ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ الْخَزْرَجِ بْنِ الْحَارِثِ
ابْنِ الْخَزْرَجِ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ أَمْرِيءُ الْقَيْسِ بْنِ عَمْرِو بْنِ
أَمْرِيءُ الْقَيْسِ بْنِ مَالِكٍ [الْأَغْر] بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ الْخَزْرَجِ بْنِ الْحَارِثِ
ابْنِ الْخَزْرَجِ، وَرَافِعُ بْنُ مَالِكٍ بْنِ الْعَجْلَانِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرِ بْنِ زُرَيْقٍ بْنِ
عَبْدِ حَارِثَةَ بْنِ مَالِكٍ بْنِ غَضَبٍ بْنِ جُشَمٍ بْنِ الْخَزْرَجِ، وَالْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بْنِ
صَخْرٍ بْنِ خَنْسَاءِ بْنِ سِنَانٍ بْنِ عُبَيْدٍ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ غَنَمٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ سَلَمَةَ
ابْنِ سَعْدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَسَدٍ بْنِ سَارِدَةَ بْنِ تَزِيدٍ بْنِ جُشَمٍ بْنِ الْخَزْرَجِ، وَعَبْدُ اللَّهِ
ابْنِ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ حَرَامٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ غَنَمٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ سَلَمَةَ
ابْنِ سَعْدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَسَدٍ بْنِ سَارِدَةَ بْنِ تَزِيدٍ بْنِ جُشَمٍ بْنِ الْخَزْرَجِ، وَعُبَادَةُ
ابْنِ الصَّامِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ أَضْرَمَ بْنِ فِهْرِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ غَنَمٍ بْنِ سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ
ابْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بْنِ الْخَزْرَجِ .

قال ابن هشام : هو غَنَمُ بْنُ عَوْفٍ ، أَخُو سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ
ابْنِ الْخَزْرَجِ .

قال ابن إسحاق : وسعد بن عبادة بن دُلَيْمٍ بن حارثة بن أبي خُرَيْمَةَ
ابن ثعلبة بن طَرِيفٍ بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ، والمفذر
ابن عمرو بن خُنَيْسٍ بن حارثة بن لَوْذَانَ بن عبدود بن زيد بن ثعلبة بن
الْخَزْرَجِ بن ساعدة بن كعب بن الخزرج - قال ابن هشام : ويقال : ابن
خُنَيْش .

النقباء من الأوس

ومن الأوس أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرِ بْنِ سَمَكِ بْنِ عَتِيكَ بْنِ زَافِعِ بْنِ
 امرئ القيس بن زَيْد بن عبد الأشهل [بن جُشَمِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ
 ابْنِ عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة] ، وسعد بن خَيْثَمَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ
 مالك بن كَعْبِ بْنِ النَّحَّاطِ بْنِ كَعْبِ بْنِ حارثة بن غَنَمِ بْنِ السَّلَمِ بْنِ امرئ
 القيس [بن ثعلبة بن عمرو بن عوف] بن مالك بن الأوس [ابن حارثة] ورِفاعَةُ
 ابن عبد المُنْذِرِ بْنِ زُبَيْرِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ مالكِ بْنِ عوفِ بْنِ عمرو
 ابن عوف بن مالك بن الأوس .

شعر كعب بن مالك عن النقباء

قال ابن هشام : وأهل العلم يعدّون فيهم أبا الهيثم بن التَّمِيّهان ، ولا يعدّون
 رفاعَةَ . وقال كعب بن مالك يذكرهم ، فيما أنشدني أبو زيد الأنصاري :

أَبْلَغُ أَيْبًا أَنَّهُ قَالَ رَأْيُهُ	وَحَانَ غَدَاةُ الشَّعْبِ وَالْحَيْنُ وَقَعُ
أَبَى اللَّهُ مَا مَنَنْتَكَ نَفْسُكَ إِنَّهُ	بِمِرْصَادِ أَمْرِ النَّاسِ رَاءٍ وَسَامِعُ
وَأَبْلَغُ أَبَاسُفَيَانُ أَنْ قَدْ بَدَأَ لَنَا	بِأَحَدِ نَوْرٍ مِنْ هُدَى اللَّهِ سَاطِعِ
فَلَا تَرَعَيْنِ فِي حَسَدِ أَمْرِ تُرِيدُهُ	وَأَلْبَ وَجَمْعَ كُلِّ مَا أَنْتَ جَامِعِ
وَدُونُكَ فَاعْلَمْ أَنَّ نَقْضَ عَهْدِنَا	أَبَاهُ عَلَيْكَ الرَّهْطُ حِينَ تَبَايَعُوا
أَبَاهُ الْبَرَاءِ وَابْنُ عَمْرِو كَلَاهَا	وَأَسْعَدُ يَأْبَاهُ عَلَيْكَ وَرَافِعِ

وَسَعْدُ أَبَاهُ السَّاعِدِيُّ وَمُنْذِرٌ لَأَنْفِكَ إِنْ حَاوَاتِ ذَلِكَ جَادِعٌ
وَمَا ابْنُ رَاسٍ إِنْ تَنَاوَلَتْ عَهْدَهُ بِمُسْلِمِهِ لَا يَطْمَعُنْ سَمٌّ طَامِعٌ
وَأَيْضًا فَلَا يُعْطِيكَ ابْنُ رَوَاحَةَ وَإِخْفَارُهُ مِنْ دُونِهِ السَّمُّ نَاقِعٌ
وَفَاءُ بِهِ وَالْقَوَلِيُّ بْنُ صَامَتٍ بِمَدُّوْحَةٍ عَمَّا تَحَاوُلُ يَافِعٌ
أَبُو هَيْثَمٍ أَيْضًا وَفِيَّ بِمِثْلِهَا وَفَاءُ بِمَا أُعْطِيَ مِنَ الْعَهْدِ خَانِعٌ
وَمَا ابْنُ حُضَيْرٍ إِنْ أَرَدْتَ بِمَطْمَعٍ فَهَلْ أَنْتَ عَنْ أُخُوْقَةِ الْغَيِّ نَازِعٌ؟
وَسَعْدُ أَخُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ فَإِنَّهُ خَرُوحٌ لَمَّا حَاوَلْتَ مِ الْأَمْرِ مَانِعٌ
أُولَاكَ نَجُومٌ لَا يُغْنِيكَ مِنْهُمْ عَلَيْكَ بِتَحَسُّرٍ فِي دُجَى اللَّيْلِ طَالِعٌ

فذكر كغيب فيهم أبا الهيثم بن التيمّان ، ولم يذكر رفاة .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للثقباء : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ، ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومي - يعني المسلمين - قالوا : نعم .

ما قاله العباس بن عباد للخزرج قبل المبايعة

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن الزوم لما اجتمعوا للبيعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال العباس بن عباد بن نضلة الأنصاري ، أخو بني سالم بن عوف : يا معشر الخزرج ، هل تدرون علام تبأيعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : إنكم تبأيعونه على حرب الأحر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا أنتم كتم أموالكم

مُصِيبَةٍ ، وَأَشْرَافُكُمْ قِتْلًا أَسْلَمْتُمُوهُ ، فَمَنْ الْآنَ ، فَهُوَ وَاللَّهِ - إِنْ فَعَلْتُمْ خِزْيُ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنْكُمْ وَأَنْفُسُكُمْ لَهُ بِمَا دَعَاكُمْ إِلَيْهِ عَلَى
نَهْكَةِ الْأَمْوَالِ ، وَقَتْلِ الْأَشْرَافِ ، فَخُذُوهُ ، فَهُوَ وَاللَّهُ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ،
قُولُوا : فَإِنَّا نَأْخُذُهُ عَلَى مُصِيبَةِ الْأَمْوَالِ ، وَقَتْلِ الْأَشْرَافِ ، فَمَا لَنَا بِذَلِكَ
يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ نَحْنُ وَفِينَا ؟ قَالَ : الْجَنَّةُ . قَالُوا : أَبْطُ بِدَكَ ، فَتَبَسَّطَ
يَدَهُ فَبَايَعُوهُ .

وَأَمَّا عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا قَالَ ذَلِكَ الْعَبَّاسُ إِلَّا لِيَشُدَّ
الْعَقْدَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَعْنَاقِهِمْ .

وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ : مَا قَالَ ذَلِكَ الْعَبَّاسُ إِلَّا لِيُوْخِرَ الْقَوْمَ تِلْكَ
الَّيْلَةَ ، رَجَاءُ أَنْ يَحْضُرَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَلُولٍ ، فَيَكُونُ أَقْوَى لِأَمْرِ
الْقَوْمِ . فَاللَّهُ أَعْلَمُ أَمَى ذَلِكَ كَانَ .

قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : سَلُولٌ : امْرَأَةٌ مِنْ خُرَازْمٍ ، وَهِيَ أُمُّ أَبِي بَكْرٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ
الْحَارِثِ .

أول صحابي ضرب على يد الرسول في بيعة العقبة الثانية

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : فَبَنُو النُّجَّارِ يَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا أَمَامَةَ ، أَسْعَدَ بْنَ زُرَّارَةَ ،
كَانَ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ عَلَى يَدِهِ ، وَبَنُو عَبْدِ الْأَشْهَلِ يَقُولُونَ : بَلْ أَبُو الْهَيْثَمِ
بْنُ التَّيْهَانِ .

قال ابن إسحاق : قال الزهري : حدثني معبد بن كعب بن مالك ، فحدثني في حديثه ، عن أخيه عبد الله بن كعب ، عن أبيه كعب بن مالك ، قال : كان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور ، ثم بايع بعد الفوم .

الشیطان وبيعة العقبة

فدنا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة : بأنفذ صوت سمعته قط : يا أهل الجباجب - والجباجب : المنازل - هل لكم في مذمم والضباء معه ، قد اجتمعوا على حر بكم . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا أرب العقبة ، هذا ابن أرب - قال ابن هشام : ويقال ابن أرب استمع أي عدو الله ، أما والله لأفرغن لك .

الرسول لا يستجيب لطلب الحرب من الأنصار

قال : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ارفضوا إلى رحالكم . قال . فقال له العباس بن عبادة بن نضلة : والله الذي بمنك بالحق : إن شئت لنميلن على أهل منى غداً بأسيفنا ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم نؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا إلى رحالكم . قل : فرجعنا إلى مضاجمنا ، فبينما عليها حتى أصبحنا .

مجادلة جلة قريش للأنصار في شأن البيعة

فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش ، حتى جاءونا في منازلنا ، فقالوا :
 يا معشر الخزرج ، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه
 من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله ما من حى من العرب
 أبغض إلينا ، أن تنشب الحرب بيننا وبينهم ، منكم . قال : فانبعث من هناك
 من مشركى قومنا يخلفون بالله ما كان من هذا شىء ، وما علمناه . قال :
 وقد صدقوا ، لم يعلموه . قال : وبعضنا ينظر إلى بعض . قال : ثم قام القوم ،
 وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومى ، وعليه ثملان له جديدان .
 قال : فقلت له كلمة — كأنى أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا — : يا أبا جابر ،
 أما تستطيع أن تتخذ ، وأنت سيد من ساداتنا ، مثل نعلى هذا الفتى من
 قريش ؟ قال : فسَمِعَها الحارث ، فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما إلى ، وقال :
 والله لتفتعلمنهما . قال : يقول : أبو جابر : مه ، أحقبت والله الفتى ، فاردد
 إليه نعليه . قال : قلت لا : والله لأردّهما ، فألّ والله صالح ، لئن صدق القائل
 لأستبينه .

قال ابن إسحاق : وحدثنا عبد الله بن أبي بكر : أنهم أتوا عبد الله بن
 أبى بن سلول ، فقالوا له مثل ما قال كعب من القول ، فقال لهم : إن هذا
 الأمر جسيم ، ما كان قومى ليمفوتوا على بئثل هذا ، وما علمته كان . قال :
 فانصرفوا عنه .

قريش تطلب الأنصار وتأسر سعد بن عبادة

قال : وَنَفَرَ النَّاسُ مِنْ مِثِّي ، فَتَمَطَّسَ الْقَوْمُ الْخَبَرَ ، فوجدوه قد كان ،
وَخَرَجُوا فِي طَلَبِ الْقَوْمِ ، فَأَدْرَكُوا سَعْدَ بْنَ عَبَادَةَ بِأَذَاخِرِ ، وَالْمُنْذِرَ بْنَ عَمْرٍو ،
أَخَا بَنِي سَاعِدَةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ الْخَزْرَجِ ، وَكَلَاهُمَا كَانَ نَقِيًّا . فَأَمَّا الْمُنْذِرُ فَأَعْجَزَ
الْقَوْمَ ، وَأَمَّا سَعْدٌ فَأَخَذُوهُ ، فَرَبَطُوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ بِسَنَعِ رَحْلِهِ ، ثُمَّ أَقْبَلُوا
بِهِ حَتَّى أَذْخَلُوهُ مَكَّةَ يَضْرِبُونَهُ ، وَيَجْذِبُونَهُ ، بِجُمُعَتِهِ ، وَكَانَ ذَا شَعْرٍ كَثِيرٍ .

خلاص سعد بن عبادة

قال سعد : فَوَاللَّهِ إِنِّي لَفِي أَيْدِيهِمْ إِذْ طَلَعَ عَلَى نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، فِيهِمْ
رَجُلٌ وَصِيٌّ أَيْبُضُ ، شَعْشَاعٌ ، حَلَوٌ مِنَ الرِّجَالِ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : الطَّوِيلُ
الْحَسَنُ قَالَ رُوْبَةُ : يَمْطُوهُ مِنْ شَعْشَاعٍ غَيْرِ مُودَنٍ . يَعْنِي عُنُقَ الْبَعِيرِ غَيْرِ قَصِيرٍ يَقُولُ
مُودَنُ الْيَدِ أَيْ : نَاقِصُ الْيَدِ يَمْطُوهُ مِنَ السَّيْرِ شَعْشَاعٌ : حَلَوٌ مِنَ الرِّجَالِ .

قال : قُلْتُ فِي نَفْسِي : إِنْ يَكُ عَنْدَ أَحَدٍ مِنَ الْقَوْمِ خَيْرٌ ، فَعِنْدَ هَذَا ،
قَالَ فَلَمَّا دَنَا مِنِّي رَفَعَ يَدَهُ فَلَمَّ كُمْنِي لِكُمَّةٍ شَدِيدَةٍ . قَالَ : قُلْتُ فِي نَفْسِي ، لَا وَاللَّهِ
مَا عِنْدَهُمْ بَعْدَ هَذَا مِنْ خَيْرٍ . قَالَ : فَوَاللَّهِ إِنِّي لَفِي أَيْدِيهِمْ يَسْجُبُونَنِي إِذَا أَوْى لِي
رَجُلٌ يَمْنَنُ كَانَ مَعَهُمْ ، فَقَالَ : وَنَحْنُكَ ! أَمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ قُرَيْشٍ
جَوَارٌ وَلَا عَهْدٌ ؟ قَالَ : قُلْتُ : بَلَى ، وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَجِيرُ الْجُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ
ابْنَ عَدَى بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ تِجَارَةً ، وَأَمْنَهُمْ مِمَّنْ أَرَادَ ظَلْمَهُمْ بِبِلَادِي ،

والحارث ابن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، قال : ويحك !
فاهتف باسم الرجلين ، واذكر ما بينك وبينهما . قال . ففعلت ، وخرج ذلك
الرجلُ إليهما ، فوجدهما في المسجد عند الكعبة ، فقال لهما : إن رجلاً من
الخنزرج الآن يُضرب بالأبطح كيهتف بكما ، ويذكر أن بينه وبينكما ،
جواراً ، قال : من هو ؟ قال سعد بن عباد ، قال : صدق والله ، إن كان ليُجير
لنا تجارفاً ، ويمنعهم أن يُظلموا ببلده : قال : فجاء فخلصنا سعداً من أيديهم ،
فانطلق . وكان الذي لَكُمْ سعداً ، سهيلُ بن عمرو ، أخو بني عامر بن لؤي .

قال ابن هشام : وكان الرجل الذي أوى إليه ، أبا البختريُّ بن هشام .

قال ابن إسحاق : وكان أوّل شعر قيل في الهجرة بيتين ، قالهما خِرارُ

ابن الخطّاب بن مرداس ، أخو بني محارب بن فهر :

تداركتَ سعداً عنوةً فاخذته وكان شفأً لو تداركتَ مُندراً
ولو نلته طأت هناك جراحه وكانت حرباً أن يُهان ويهدراً

قال ابن هشام : ويروي :

وكان حقيقاً أن يُهان ويهدراً

قال ابن إسحاق : فأجابه حسان بن ثابت فيهما فقال ،

لستَ إلى سعدٍ ولا المرء مُنذِرٍ إذا ما مطايا القوم أضحى ضُجراً
فلولا أبو وهبٍ كُمرت قصائدُ على شرف البرقاء يهوين جُسرًا

أَتَفْخَرُ بِالْكَتَّانِ أَمَّا لَبِئْسَ مَا
فَلَا تَكُ كَالْوَسْنَانِ يَحْلُمُ أَنَّهُ
وَلَانِكَ كَالنَّكَلَى وَكَانَتْ بِمَعَزَلٍ
وَلَانِكَ كَالشَّاقَةِ الَّتِي كَانَ حَتْفُهَا
وَلَانِكَ كَالْعَاوِي فَأَقْبَلَ نَحْرَهُ
فَانَا وَمَنْ يُهْدِي الْقَصَائِدَ نَحْوَنَا
وَقَدْ تَلَبَّسَ الْأَنْبَاطُ رِيْطًا مُقَصَّرًا
بِقَرِيَّةٍ كِشْرَى أَوْ بِقَرِيَّةٍ قِيَصَرٍ
عَنِ الشَّكْلِ لَوْ كَانَ الْقَوَادِ تَفْكَرًا
يَخْفَرُ ذِرَاعَيْهَا فَلَمْ تَرْضَ مَحْفَرًا
وَلَمْ يَخْشَ سَهْمًا مِنَ النَّبْلِ مُضْمَرًا
كَمُسْتَبْضِعٍ تَمَرًّا إِلَى أَهْلِ خَيْبَرٍ

وذكر في أنساب الميامين له في العقبية الأولى في بني سِلَمة منهم : سَادِرَة
ابن تَزِيد بن جُشَم ، وتَزِيد بنَاء منقوطة بـائنتين من فوق ، ولا يعرف في العرب
تَزِيد إلا هذا ، وتَزِيد بن الحَافِ بن قُضَاعَة ، وهم الذين تنسب إليهم الثياب
التزديدية ، وأما سِلَمة بكسر اللام ، فهم من الأنصار سَمَى بِالسِّلَمة واحدة
السَّلَام ، وهي الحجارة ، قال الشاعر :

ذَاكَ خَلِيلِي وَذُو يُعَاتِبْنِي يَرْمِي وَرَائِي بِالسَّهْمِ وَالسِّلَمة^(١)

وفي جُعْفَى : سلمة بن عمرو بن دهل بن مروان بن جُعْفَى وفي جُهَيْنَة سِلَمة

(١) في اللسان : أنشد أبو عبيد في السلة :

ذَاكَ خَلِيلِي وَزِدْ يُعَاتِبْنِي يَرْمِي وَرَائِي بِالسَّهْمِ وَامْسَلِمة
وَأَرَادَ : والسلمة ، وهي من لغات حمير قال ابن بري هو : البجير بن عفة
الطائي ، قال : وصوابه :

وإن مولاي ذد يعاتبني لا احنة عنده ، ولا جرمة
ينصرفني منك غير معتذر يرمى ورأى بالسهم وامسلمه

ابن نصر بن غطفان قاله ابن حبيب النسابة^(١) وفي الصحابة عمرو بن سلمة أبو بريدة الجرهمي الذي أمّ قومه ، وهو ابن ست سنين أو سبع ، وفي الرواة عبدالله بن سلمة وينسب إلى بني سلمة هؤلاء سلمى بالفتح ، كما ينسب إلى بني سلمة ، وهم بطنان من بني عامر يقال لهم : السلمات ، يقال لأحدهم سلمة الخير ، والآخر سلمة الشر ابنا قصير بن كعب بن ربيعة بن عامر ، وأما بنو سلمية بياض في دؤس ، وهم بنو سلمية بن مالك بن قهم بن غنم بن دؤس ، وسلمية هذا هو أخو جذيمة الأبرش ، وهو الذي قتل أخاه مالك بسهم^(٢) قتل خطأ ، ويقال في النسب إليه : سلمى أيضا وهو النياس ، وقد قيل : سلمى كما قيل في عميرة عميرى .

وذكر بني جذارة من بني النجار ، وجذارة وخذارة : أخوان ، وغيره

(١) في القاموس : « بنو سلمة بطن من الانصار ، وابن كهلاء في بحيلة ، وابن الحارث في كندة ، وابن عمرو بن ذهل وابن غطفان بن قيس ، وعميرة بن خفاف بن سلمة ، وعبد الله بن سلمة البدرى الاحدى ، وعمرو بن سلمة الهمداني ، وعبد الله بن سلمة المرادى وأخطأ الجوهرى في قوله : وليس سلمة في العرب غير بطن الانصار ، وذكر أيضاً في الصحابة سلمة بن حنظلة السحيمي وابن قيس الجرهمي .

(٢) في الاشتقاق : وسلمية الذي رمى أباه بسهم ، فقتله وله يقول مالك .

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني ويري : استد . وفي مادة سد في اللسان يذكر ابن برى أنه رآه في شعر عقيل بن علفة يقول في ابنة عميل حين رماه بسهم ، ونسبه الجاحظ في البيان والتبيين ص ٢٣١ - ٣ إلى معد بن أوس انظر ص ٤٩٧ ، ٥٤٣ الاشتقاق لابن دريد ط ، السنة المحمدية ص ٢٦٨

يقول في جِدَارَة : خُدَارَة بالخاء المضمومة ، وهكذا قيده أبو عمرو ، كذلك ذكره ابن دريد في الاشتقاق ، وهو أشبه بالصَّوَاب لأنه أخو خِدْرَة ^(١) وكثيرا ما يجعلون أسماء الإخوة مُشْتَقَّة بعضها من بعض .

وذكر القَوَاقِل وهم بنو عمرو بن غَنَم بن مالك ، وذكروا تسميتهم القَوَاقِل ، وأن ذلك لقولهم إذا أجازوا أحدا : قَوِّقْ حَيْث شئت ، وفي الأنصار : القَوَاقِل والجُمَادِر ^(٢) وهما بطنان من الأوس ، وسبب تسميتهما : واحد في المعنى ، أما الجُمَادِرُ فكانوا إذا أجازوا أحدا أعطوه سَنَمًا ، وقالوا له : جَمْعُ رَبِّهِ حَيْث شئت ، كما كانت القَوَاقِل ^(٣) تفعل ، وهم بنو زَيْد ، بن عمرو بن مالك بن ضُبَيْعَة [بن زيد] يقال لهم كسر الذهب ، وهما جميعا من الأوس .
قال الشاعر :

فإن لنا بين الجوارى وليدة مُقَابَلَة بين الجُعَادِر ^(٤) والكسِر
مَتَى تدع في الزيد بن زيد بن مالك وزيد بن عمرو تأتيا عِزَّةً الخَفِر

وذكر فيهم أبا الهيثم بن التَّيْهَان ، ولم ينسبه ، ولا نسبه في أهل العقبة الثانية ، ولا في غزوة بدر ، وهو مالك بن التَّيْهَان ، واسم النِّهَان أيضا مالكُ

(١) انظر ص ٤٥٥ الاشتقاق ط السنة المحمدية .

(٢) في الاشتقاق : د ومرة ، وهم الجمادة ، ص ٤٣٧ وقد جعلهم ابن دريد بطنًا من الأوس وكذلك ابن حزم ص ٣٢٥ أما القَوَاقِل ، فهم من الخزرج .

(٣) القولة عند ابن دريد : التغلغل في الشيء والدخول فيه ص ٤٥٦ .

(٤) الجمادة هم بنو مرة بن مالك بن الأوس .

ابن عَمِيكُ بْنُ عَمْرٍو بن عبد الأعلَم بن عامر بن زَعْرَن^(١) ، بن جُشَم بن الحارث بن الخَزَرَج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري حليف بن عبد الأشهل كان أحد المُقَبَّاء ليلة العقبة ، ثم شهد بدرًا ، واختلف في وقت وفاته ، فأصح ما قيل فيه إنه شهد مع عليٍّ صَفِّين^(٢) ، وقتل فيها رحمه الله ، وأحسب ابن إسحاق وابن هشام تركا نسيبه على جلالته في الأنصار وشهوده هذه المشاهد كلها مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لاختلاف فيه ، فقد وجدت في شعر عبد الله بن رَوَاحَةَ حين أضاف أبو الهيثم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في منزله ومعه أبو بكر وعمر ، فذبح لهم عَدَقًا^(٣) وأتاهم بِقَنَوي من رُطَب الحديث بطوله ، فقال ابن رَوَاحَةَ في ذلك :

فلم أرَ كالإسلام عِزًّا لأهله ولا مثل أضيافِ لَأَرَائِي مَعَشَرًا

فجعله إرشيًّا كما ترى ، والأَرَائِيُّ منسوب إلى إراشة في خِزَاعَةٍ ، أو إلى إراش بن حِثْيَان بن العَوَثِ قاله أعلم : أهو أنصاري بالحِمْفِ أم بالنَّسَبِ المذكور ، قبل هذا ، ونقلته من قول أبي عُمرَ في الاستيعاب ، وقد قيل : إنه

(١) في الأصل: زَعْرَن والتصويب من الإصابة ونسبه فيها كما في الروض وفي الإصابة : والروايات عن أبي الهيثم كلها فيها نظر ، وليست تأتي من وجه يثبت .

(٢) وهذا ساقه أبو بشر الدولابي من طريق صالح بن الوجيه ، وعبد الرحمن بن بديل وآخرون . وصفين أرض فوق بالس بمقدار نصف مرحلة ، وهما غربي الفرات بها كانت الوقعة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ، وبالس هي أول مدن الشام من العراق وهي فرضة الفرات لاهل الشام

(٣) العناق : الانثى من ولد المعز

بلوى من بنى إراشة بن فاران بن عمرو بن بلي ، والهيثم في اللغة : فرخ
[النسر ، أو] العُقاب ، والهيثم أيضاً ضرب من العشب فيما ذكر أبو حنيفة ،
وبه سمي الرجل هيثماً أو بالمعنى الأول وأنشد :

رَعَتْ بِمَرَانِ الْحَزْنِ رَوْضاً مَنْوِراً عَمِيماً مِنَ الظَّلَاعِ وَالْهَيْثِمِ الْجَعْدِ

ذكر بيعتهم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - على بَيْعَةِ النِّسَاءِ
أَلَا يَسْرِ قُوا ، وَلَا يَزْنُوا إِلَى آخِرِ الْآيَةِ ، وقيل في قوله عز وجل خبراً عن
بيعة النساء : ﴿ وَلَا يَأْتِينَ بِيْهْتَانٍ ﴾ أنه الولد تنسبه إلى بعلها ، وليس منه ،
وقيل : هو الاستمتاع بالمرأة فيما دون الوطء كالتبلة والجمعة ونحوها ، والأول
يشبهه أن يبايع عليه الرجال ، وكذلك قيل في قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ
فِي مَعْرُوفٍ ﴾ أنه النِّوُوحُ ، وهذا أيضاً ليس من شأن الرجال ، فدل على
ضعف قول من خصه بالنِّوُوحِ ، وخص البهتان بإلحاق الولد بالرجل ،
وليس منه ، وقيل : يفترينه بين أيديهن يعني : الكذب وعيب الناس
بما ليس فيهم ، وأرجلهم يعني : المشى في معصية ، وَلَا يَعْصِيَنَّكَ في معروف ،
أي : في خير تأمرهن به ، والمعروف : اسم جامع لمكارم الأخلاق ، وما عرف
حُسْنُهُ ولم تنكره القلوب ، وهذا معنى يعم الرجال والنساء ، وذكر ابن
إسحاق في رواية يونس فيما أخذه عليه السلام عليهن : أن قال : وَلَا تَفْشُشْنَ
أَزْوَاجَكُنَّ ، قالت : إحداهن وما غش أزواجنا فقال : أن تأخذِي من ماله

فَتَحَاكِي بِهِ غَيْرَهُ (١) .

هَجْرَةُ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ

فصل : وذكر هَجْرَةَ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ وهو الْمُتَمَرِيُّ ، وهو أول من سُمِّيَ بهذا ، أعني الْمُتَمَرِيُّ ، يُكْنَى أبا عبد الله ، كان قبل إسلامه من أنعم قريش عيشاً وأعظمهم ، وكانت أمه شديدة الكدِّ به ، وكان يبيت وقب الحليس (٢) عند رأسه ، يستيقظ فيأكل ، فلما أسلم أصابه من الشدة ما غير لونه وأذهب لحمه ، ونهكت جسمه حتى كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينظر إليه ، وعليه فروة قد رفعها ، فيبكي لما كان يعرف من نعمته ، وحلفت أمه حين أسلم وهاجر ألا تأكل ولا تشرب ولا تستظل بظل حتى يرجع إليها ، فكانت تقف للشمس حتى تسقط منفسياً عليها ، وكان بنوها يحشون فاهما بشجار (٣) ، وهو عود فيصبون فيه الحساء لئلا تموت ، وسندكر اسمها ونسبها عند ذكره في البذرئين إن شاء الله تعالى ، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يذكره ، فيقول : مارأيت بمكة أحسن لمة ، ولا أرق حلة ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير ذكره الواقدي . وذكر أيضاً بإسناد له ، قال : كان

(١) في حديث رواه أحمد بسنده عن سلمى بنت قيس إحدى خالات الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢) القعب : القدح الضخم الجافي ، والحليس : تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن شديداً ، ثم يندر منه نواه ، وربما جعل فيه سويق .

(٣) أصله : عود يجعل في قم الجدى لئلا يرضع . وحديث بكاء الرسول - صلى الله عليه وسلم - حين كان يرى مصعباً رواه الترمذي بسند فيه ضعف .

مُضْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ فَتَى مَكَّةَ شَبَابًا وَجَمَالًا وَسِنًّا وَكَانَ أَبَوَاهُ يُحِبَّانِهِ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ تَكْسُوهُ أَحْسَنَ مَا يَكُونُ مِنَ الثِّيَابِ ، وَكَانَ أَغْطَرُ أَهْلِ مَكَّةَ يَلْبَسُ الْخُضْرَ مِنْهُ ^(١) مِنَ النَّعَالِ

وَذَكَرَ أَنَّ مَنْزِلَهُ كَانَ عَلَى أَسْعَدَيْنِ زُرَّارَةٍ ، مَنْزِلٌ بَفَتْحِ الزَّيْ ، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا وَتَعَ فِي هَذَا الْبَابِ مِنْ مَنْزِلِ فُلَانٍ عَلَى فُلَانٍ ، فَهُوَ بِالْفَتْحِ ، لِأَنَّهُ أَرَادَ الْمَصْدَرَ ، وَلَمْ يُرِدِ الْمَسْكَانَ ، وَكَذَا قِيَمُهُ الشَّيْخُ أَبُو بَحْرٍ بَفَتْحِ الزَّيْ ، وَأَمَّا أُمُّ قَيْسٍ بِنْتُ مُحْصِنٍ الْمَذْكُورَةِ فِي هَجْرَةِ بَنِي أَسَدٍ ، فَاسْمُهَا آمَنَةُ وَهِيَ أُخْتُ عَكَاشَةَ ، وَهِيَ الَّتِي ذَكَرْتُ فِي الْمَوْطَأِ وَأَنَّهَا أَتَتْ بَابَنَ لَهَا صَغِيرٍ لَمْ يَأْكُلِ الطَّعَامَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

أَوَّلُ صَحْفَةٍ :

فَصَلْ : وَذَكَرَ أَوَّلَ مَنْ جَمَعَ بِالْمَدِينَةِ ، وَهُوَ أَبُو أَمَامَةَ ، وَذَكَرَ غَيْرَهُ أَنَّ أَنْ أَوَّلَ مَنْ جَمَعَ بِهِمْ مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ ، لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ قَدَّمَ الْمَدِينَةَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، ثُمَّ قَدَّمَ بَعْدَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ مَنْ جَمَعَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِمَكَّةَ نَخْطَبَ وَذَكَرَ وَبَشَّرَ بِمَبْعَثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَحَضَّ عَلَى اتِّبَاعِهِ ، وَهُوَ كَعْبُ بْنُ لُؤَيٍّ ^(٢) وَيُقَالُ : إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَمَّى الْعَرُوبَةَ الْجُمُعَةَ ، وَمَعْنَى الْعَرُوبَةِ الرَّحْمَةُ فِيمَا بَلَغَنِي عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَكَانَتْ قَرِيشٌ تَجْتَمِعُ إِلَيْهِ فِيهَا فَيَا حَكِي الزَّبِيرِ ابْنُ بَكَارٍ ، فَيَخْطُبُهُمْ ، فَيَقُولُ : أَمَا بَعْدَ فَاعَلُمُوا وَتَعَالَمُوا إِنَّمَا الْأَرْضُ لِلَّهِ مَهَادَّةٌ ،

(١) نسبة إلى حضرموت ، وهي نعال ملسنة .

(٢) وسبق تعليقي على ذلك .

والجبالُ أوتاد، والسماءُ بناء، والنجومُ سماء^(١)، ثم يأمرهم بصلاة الرَّحِمِ، ويبشرهم
بالنبي صلى الله عليه وسلم^(٢)، ويقول: حَرَمُكُمْ بِأَقْوَمِ عَظْمُوهُ، فسيكون له
نبياً عظيم، ويخرج منه نبي كريم، ثم يقول في شعر ذكره:

على غَفْلَةٍ يَأْتِي النَّبِيَّ مُحَمَّدٌ فَيُخْبِرُ أَخْبَاراً صَدُوقٌ خَيْرُهَا
صُرُوفٌ رَأَيْنَاهَا تُنْقَلِبُ أَهْلَهَا لَهَا عَقْدٌ مَا يَسْتَحِيلُ مَرِيرُهَا
ثم يقول:

بِالْيَتْنَى شَاهِدٌ فَجَوَاءَ دَعْوَتِهِ إِذَا قُرَيْشٌ تَبَغَّى الْحَقَّ خِذْلَانَا^(٣)
وأما أول من جمع في الإسلام فهو مَنْ ذكروا.

نقيع الخضمات:

وذكر ابن إسحاق أنه جمع بهم أبو أمامة عند هَزَمِ النَّبِيتِ فِي بَقِيعٍ
يَقَالُ لَهُ بَقِيعُ الْخَضِمَاتِ. بَقِيعٌ بِالْبَاءِ وَجَدْتُهُ فِي نَسْخَةِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْرٍ، وَكَذَلِكَ

(١) هكذا بالأصل، ولم أهتمد إلى صوابها.

(٢) النبي نفسه لم يكن حتى ليلة المبعث يعرف شيئاً عن نبوته. يجوز أن نفهم
على فرض صحة النزل — أنه كان يبشرهم بمبعث نبي، ويقول عنه الجاحظ
«ومن الخطباء القدماء: كعب بن لؤي، وكان يخطب على العرب عامة، ويحضر
كنانة على البر، فلما مات أكبروا موته، فلم تزل كنانة تؤرخ بموت كعب إلى
عام الفيل». ص ٣٥ ج١ البيان والتبيين بتحقيق عبد السلام هارون.

(٣) في الأصل. فجواء، وهو خطأ. وللكلمة روايتان لإحداها: فجواء أي:
معنى، ونجواء، والمد للضرورة وهو من باب إضافة الصفة إلى الموصوف أي
دعوته السر. وقد سبق التعليق على البيت في الجزء الأول.

وجدته في رواية بونس عن ابن إسحاق ، وذكره البكري في كتاب مُعْجَم ما استعجم من أسماء البقع أنه يقيع بالنون ، ذكره في باب النون والقاف^(١) ، وقال : هَزَمَ النَّبَيْت : جَبَلٌ على بريد من المدينة ، وفي غريب الحديث : أنه عليه السلام حمى غرز النقيع . قال الخطابي : النقيعُ : القاعُ ، وأَعْرَزُ شبه الثمام^(٢) وسيأتي تفسيره فيما بعد إن شاء الله تعالى ، ومعنى الخَضَمَاتِ من الخَضَم ، وهو الأكل بالقم كله ، والخَضَمُ بأطراف الأسنان ، ويقال : هو أكل اليابس ، والخَضَمُ : أكل الرطب ، فكأنه جمع خَضَمَة ، وهي الماشية التي تخضم ، فكأنه سمي بذلك لخضب كان فيه ، وأما البقيع بالباء فهو أقرب إلى المدينة منه بكثير ، وأما بقيع الخَبْجَة بخاء وجيم وباءين ، فجاء ذكره في سُنَنِ أَبِي داود^(٣) : والخَبْجَة شَجَرَةٌ عُرِفَ بها .

الجمعة :

فصل : وتجميع أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الجمعة وتسميتهم بإياها بهذا الأسم وكانت تسمى الْقَرْوَبَة - كان عن هِدَايَة من الله تعالى لهم

(١) يقول الخشنى في شرح السيرة عن نقيع الخَضَمَات : « وقع في الرواية هنا بالباء والنون ، والصواب بالنون ، وهو موضع يستنقع فيه الماء ، والنقيع : البئر » ص ١١٨ . وهو في معجم ياقوت : نقيع . وكذلك صاحب المراسد .

(٢) في القاموس عن الغرز : ضرب من الثمام أو نباته كنبات الإذخر من شر المرعى .

(٣) رواه في باب الركاز بسنده عن ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ، وخلاصته أن المقداد وجد ببقيع الخبجة حجرا وجد به عدة دنائير ، وأن النبي دعا له بالبركة فيها بعد أن علم أنه لم يهول إلى الحجر بيديه .

قبل أن يؤمروا بها ، ثم نزلت سورة الجمعة بعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فاستقر فرضها واستمر حكمها ، ولذلك قال - صلى الله عليه وسلم - في يوم الجمعة : أَصَلَّيْتُمُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ، وهذا كرم الله إياه .

ذكر الكشي ، وهو عَبْدُ بن حميد قال : نا عبد الرزاق عن مَعْمَرٍ عن أيوب عن ابن سيرين قال : جمع أهلُ المدينة قبل أن يَقدَمَ النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة ، وقبل أن تنزل الجمعة ، وهم الذين سَمَّوا الْجُمُعَةَ ، قال الأنصار : لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام ، وللنصارى مثل ذلك ، فَنَجَّلُ ، فلنجعل يوماً يجتمع فيه ، ونذكر الله ، ونصلي ونشكر ، أو كما قالوا ، فقالوا : يوم السبت لليهود ، ويوم الأحد للنصارى ، فاجعلوا يوم العروبة ، كانوا يسمون يوم الجمعة يوم العروبة ، فاجتمعوا إلى أسعد بن زُرَّارَةَ ، فصلى بهم يَوْمَئِذٍ ركعتين ، فذكرهم ، فسموا الجمعة حين اجتمعوا إليه ، فذبح لهم شاةً فَتَفَعَّلُوا وَتَمَشَّوْا من شاةٍ ، وذلك لقاتلهم ، فَأَنْزَلَ اللهُ - عز وجل - في ذلك : ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ الجمعة : ٩ .

قال المؤلف : ومع توفيق الله لهم إليه ، فيبعد أن يكونَ فعلهم ذلك عن غير إذن من النبي - صلى الله عليه وسلم - لهم ، فقد روى الدَّارَاقُطْنِيُّ عن عُثْمَانَ ابن أحمد بن السَّمَّك ، قال : نا أحمد بن محمد بن غالب الباهلي ، قال : نا محمد ابن عبد الله أبو زيد الأمدني ، قال : نا المنيرة بن عبد الرحمن ، قال : حدثني مالك بن الزُّهْرِيُّ عن عُبَيْدِ اللهِ بن عَبَّادٍ عن ابن عباس ، قال : أذن النبي صلى الله عليه وسلم بالجمعة قبل أن يهاجر ، ولم يستطع رسول الله صلى الله عليه وسلم

عاليه سلم - أن يجمع بمكة ، ولا يبدى لهم ، فكتب إلى مُصعب بن عُمَيْر :
أما بعد : فانظر اليوم الذى كَجَّهَر فيه اليهود بالزَّبُورِ لِسَبْتِهِمْ ، فاجتمعوا نساءكم
وأبناءكم ، فإذا مال النهارُ عن شَطْرِهِ عند الزَّوالِ من يوم الجمعة ، فتقربوا إلى
الله بركعتين قال : فأول من جَمَعَ : مُصعبُ بنُ عُمَيْر ، حتى قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم - المدبنة ، فجمع عند الزوال من الظهر ، وأظهر ذلك ، ومعنى
قول النبي - صلى الله عليه وسلم - أَضَلَّتْهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ، وهذا كَمِ اللهُ إِلَيْهِ
فيما ذكر أهل العلم أن اليهود أَمَرُوا يوم من الأسبوع ، يعظمون الله فيه ،
ويتفرغون لعبادته ، فاخترأوا من قَبْلِ أَنْفُسِهِم السبتَ فَأَلْزَمُوهُ في شرعهم ،
كذلك النصارى أَمَرُوا على لسان عيسى يوم من الأسبوع ، فاخترأوا من قَبْلِ
أَنْفُسِهِم الأحدَ ، فَأَلْزَمُوهُ شرعاً لهم .

قال الثَّوَالِفُ : وكان اليهودُ إنما اختاروا السبتَ ، لأنهم اعتقدوه اليومَ
السَّابِعَ ، ثم زادوا الكُفْرَ أَنَّهُ اللهُ استراح فيه ، تعالى الله عن قولهم ، لأنَّ بَدْءَ
الْخَلْقِ عندهم الأحدُ ، وآخر السَّنةِ لأَيُّمِ التَّيِّاتِ التى خلق الله فيها الخلق الجمعة ، وهو
أيضاً مذهب النصارى ، فاخترأوا الأحدَ ، لأنه أول الأَيَّامِ في زعمهم ،
وقد شهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - للفريقين بإضلال اليوم ، وقال
في صحيح مُسْلِمٍ إنَّ الله خلق التربة يوم السبت ، فبيَّن أن أول الأَيَّامِ التى خلق
الله فيها الخلقَ السبتَ ، وآخر الأَيَّامِ الستة إذاً الخميس ، وكذلك قال ابن
إسحاق فيما ذكر عنه الطبري ، وفي الأثر أن يوم الجمعة سُمِّيَ الجمعة ، لأنه
جُمِعَ فيه خَلْقُ آدَمَ ، روى ذلك عن سَامَانَ وغيره ، وقد قدمنا في حديث

السَّكَنِي أَنَّ الْأَنْصَارَ سَمَّوْهُ جُمُعَةً لاجتماعهم فيه ، فهداهم الله إلى التسمية ،
وهدهم إلى اختيار اليوم ، وموافقة الحكمة أن الله تعالى لما بدأ فيه خلق أدينا
آدم ، وجعل فيه بدء هذا الجنس ، وهو البشر ، وجعل فيه أيضا فناءهم
واقضاءهم إذ فيه تقوم الساعة ، وجب أن يكون يومَ ذِكْرٍ وعبادة ، لأنه
تذكرة بالمبدأ ، وتذكرة بالمعاد ، وانظر إلى قوله تعالى : ﴿ فَاسْمَعُوا إِلَى ذِكْرِ
اللَّهِ وَذَرُوا النَّبِيعَ ﴾ الجمعة : ٩ وخص النبيّ لأنه يومٌ يُذَكَّرُ باليوم الذي
لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خَلَّةٌ مع أنه وثَرْتُ الأَيَّامِ التي قبله في الأصح من القول ،
والله يحب الوتر ، لأنه من أسمائه فكان من هُدَى الله لهذه الأمة أن أَلِهُمُّوا
إليه ثم أَقَرُّوا عليه كَمَا وافقوا الحكمة فيه ، فهم الآخرون السابقون يوم القيامة ،
كما قال عليه السلام ، كما أن اليوم الذي اختاروه سابق لما اختارته اليهود
والنصارى ، ومتقدم عليه ، ولذلك كان يقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
سورة السجدة في صبح يوم الجمعة رواه سعيد بن إبراهيم عن الأعرج عن
أبي هريرة ، ورواه مُسْلِمُ البَطِينُ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس كلاهما عن
النبي - صلى الله عليه وسلم - ورواه عن سعيد بن جبير أيضا عُرْوَةُ بن عبد الرحمن
ذكره البزار ، ورواه الترمذى في كتاب العمال له عن الأحوص ، ورواه أيضا
عن أبي الأحوص ، وعن عَلْقَمَةَ عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما فيه من ذكر السنة الأَيَّامِ واتباعها بذكر خلق آدم من طين ،
وذلك في يوم الجمعة تنبيها منه عليه السلام على الحكمة ، وتذكرة للقلوب

بهذه النوعظة^(١) .

(١) أخرج البخارى ومسلم من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام ابن منبه قال: هذا ما حدثنا به أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نحن الآخرون السابِقون يوم القيامة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ، ثم إن هذا يومهم الذى فرض الله عليهم ، فاختلفوا فيه ، فهدانا الله له ، فالناس لنا فيه تبع . اليهود غدا ، والنصارى بعد غد ، لنظ البخارى ، وفى لنظ لمسلم : أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا ، فهدانا الله ليوم الجمعة ، فجعل الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة . نحن الآخرون من أهل الدنيا ، والاولون يوم القيامة ، المقضى بينهم قبل الخلاق ، والمسلم لا يطمئن قلبه فيما يتعلق بالعبادة إلا لما نقل نقلا صحيحاً يغمر القلب بالسكينة : والروح بالولاء له ، ولن تطمئن نفس مسلم إلى أن الجمعة كانت صلاة ابتدعها الانصار من عندهم . والقارىء المتدبر لآية الجمعة فى سورة الجمعة يؤمن أن صلاة الجمعة مفروضة من عند الله ، لامن عند الانصار ، ولامن عند النبي ﷺ ، فالنبي لا يفرض أمراً ، وإنما الذى يفرض هو ربنا سبحانه وتعالى .

أما زعم اليهود عن السبت ، فقد ورد عندهم فى سفر التكوين ما يأتى : « فأكملت السموات والأرض ، وكل جندها ، وفرغ الله فى اليوم السابع من عمله الذى عمل ، فاستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل ، وبارك الله اليوم السابع ، وقدسه ، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالفاً . الإصحاح الثانى الفقرات : ١ ، ٢ ، ٣ . والقرآن الكريم يدفع زورهم هذا بأنه بهتان أثيم . وتدبر قول الله سبحانه (ولقد خلقنا السماوات والأرض ، وما بينهما فى ستة أيام ، وما مسنا من لغوب) ق : ٢٨ واللغوب : التعب والاعياء ، هكذا اليهود لا يسكن حقدهم إلا أن يسبوا الله جل جلاله . ثم تدبر عن أيام الخلق هذه الآية البينة : (قل أنتم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين ، وتجعلون

وأما قراءته : ﴿ هَلْ أُنِى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِّنَ اللَّيْلِ ﴾ فى الركعة الثانية ،
فَلَمَّا فِيهَا مِنْ ذِكْرِ السَّعْيِ وَشُكْرِ اللَّهِ لَهُمْ عَلَيْهِ يَقُولُ : ﴿ وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴾
مع ما فى أولها مِنْ ذِكْرِ بَدْءِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَبْلَ شَيْئًا مَذْكُورًا ،
وَقَدْ قَالَ فى يَوْمِ الْجُمُعَةِ ﴿ فَاسْمَعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ فَنَبِيهِ بِقِرَائَتِهِ لِإِيَّاهَا عَلَى النَّاهِبِ
لِلسَّعْيِ الْمَشْكُورِ عَلَيْهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ كَانَ كَثِيرًا مَا يَقْرَأُ فى صَلَاةِ الْجُمُعَةِ
أَيْضًا يَهْلُ أَنْكَ حَدِيثُ الْعَاشِيَةِ ، وَذَلِكَ أَنَّ قِيَمًا : ﴿ لَتَسْمِيهَا رَاضِيَةً ﴾ كَفَى سُورَةَ
الْجُمُعَةِ ، ﴿ فَاسْمَعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ فَاسْتَحَبَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَقْرَأَ فى الثَّانِيَةِ مَا فِيهِ

لَهُ أَتَدَادًا ، ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، وَجَعَلَ فِيهَا رِوَايَ مِنْ فَوْقِهَا ، وَبَارَكَ فِيهَا ، وَقَدْ رَدَّ
فِيهَا أَقْوَاتَهَا فى أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ ، سِوَاهِ لِلْسَّائِلِينَ ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ، وَهِيَ دُخَانٌ ،
فَقَالَ لَهَا ، وَالْأَرْضُ : أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ، فَقَضَاهُ مِنْ سَبْعِ
سَمَاوَاتٍ فى يَوْمَيْنِ ، وَأَوْحَى فى كُلِّ سَّمَاءٍ أَمْرَهَا ، وَزَيَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ
وَخَفِظْنَا ذَلِكَ تَقْدِيرَ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (فَصَلَتْ : ٩ - ١٢ هَذَا هُوَ الْهَدْيُ الَّذِى يَتْلَا
فِيهِ الْحَقُّ ، يَشْرِقُ مِنْهُ نُورُ اللَّهِ . وَأَمَّا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَسَلَّمَ بِيَدَيْ ، فَقَالَ : خَلَقَ اللَّهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ ، وَخَلَقَ فِيهَا
الْجِبَالَ يَوْمَ الْإِحَادِ ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الْثَلَاثَةِ ،
وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الْارْبَعَاءِ ، وَبَثَّ فِيهَا الدُّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ ، وَخَلَقَ آدَمَ بَعْدَ
الْعَصْرِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ آخِرَ الْخَلْقِ فى آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ قِيَمًا بَيْنَ الْعَصْرِ
إِلَى اللَّيْلِ ، أَمَّا هَذَا فَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالْمُسَافِىُّ فى كِتَابَيْهِمَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ جُرَيْجٍ ،
وَهُوَ — كَمَا قِيلَ — مِنْ غَرَائِبِ الصَّحِيحِ ، وَقَدْ عَلَّمَهُ الْبُخَارِىُّ فى التَّارِيخِ ، فَقَالَ
رَوَاهُ بَعْضُهُمْ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ ١١ وَهَذَا تَجَلَّى لَنَا
حِكْمَةُ الْهُدَايَةِ الْإِلَهِيَّةِ فى قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ : (مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ،
وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ ، وَمَا كُنْتَ مَتَّخِذَ الْمُظْلِمِينَ عِصْدًا) الْكَرْف : ٥١ فَلَا يَجُوزُ
لِمُسْلِمٍ أَنْ يَقُولَ عَنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا غَيْرَ مَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ .

رضاهم بسعيهم للأمور به في السورة الأولى .

لفظ الجمعة :

وتنظ الجمعة مأخوذ من الاجتماع ، كما قدمنا وكان على وزن فُعْلَة وفُعْلَة لأنه في معنى قُرْبَة ، وقُرْبَة والعرب تأتي بلفظ الكلمة على وزن ما هو في معناها ، وقالوا : عُمَرَة ، فاشتقوا اسمها من عمارة المسجد الحرام ، وبنوه على فُعْلَة لأنها وُضِلَتْ وقُرْبَة إلى الله ، ولهذا الأصل فروغ في كلام العرب ، ونظائر اهذين الأسمين يُعْمِدُنَا تَقِيْعُهُ عَمَانِحْنِ بِسَابِلِهِ ، وفيما قدَّمنا ما هو أكثر من أمجة دلة ، وقالوا في الجمعة جَمَعَ تَشْدِيدِ الْمِيمِ كما قالوا عَيَّدَ إذا شهد العيد ، وعَرَّفَ إذا شهد عَرَفَة ، ولا يقال في غير الْجُمُعَة إلا جَمَعَ بالتخفيف ، وفي البخاري : أول من عَرَّفَ بِالْبَصْرَةِ : ابنُ عَبَّاسٍ ، والتعريف إنما هو عِرْفَات ، فكيف بالبصرة ، ولكن معناه أنه رضى الله عنه إذا صلى العصر يوم عَرَفَة أخذ في الدعاء والذكر والضراعة إلى الله تعالى إلى غروب الشمس ، كما يفعل أهل عَرَفَة ^(١) .

باسم الأسبوع :

وليس في تسميته هذه الأيام والإثنين إلى الخميس ما يشد قول من قال : إن أول الأسبوع : الأحد وسابغها السبت ، كما قال أهل الكتاب لأنها تسمية طارئة ، وإنما كانت أسماءها في اللغة القديمة شِيَارٌ وَأَوَّلُ وَأَهْوَنُ وَجُبَارٌ وَدُبَارٌ وَمُونِسٌ وَالْعَرُوبَةُ ^(٢) ، وأسمائها بالسريانية قبل هذا ^(١) وفيها أيضاً جمعه إذ ذهبوا بها إلى صفة اليوم أنه يجمع الناس كما يقال رجل همزة لمزة ضحكة .

(٢) سبق الكلام عنها ، وقد جمعها الشاعر في قوله :

أؤمل أن أعيش . وأن يومى بأول ، أو بأهون أو جبار
أو التالى : دبار ، فإن أفته فؤنس أو عروبة أو شيار

أبو جاد هَوَزَ حُطَّى إلى آخرها، ولو كان الله تعالى ذكرها في القرآن بهذه الأسماء المشتقة من العدد ، لَمُنَّا : هي تسمية صادقة على المسمى بها ، ولكنه لم يذكر منها إلا الجُمُعَة والسَّبْت ^(١) ، وليس من المُشْتَقَّة من العَدَدِ ، ولم يُسَمَّها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأحد والاثنين إلى سائرهما إلا حاكيا للغة قومه لا مُبْتَدِئًا لتسميتها ، ولعل قومه أن يكونوا أخذوا معاني هذه الأسماء من أهل الكتاب المجاورين لهم ، فالتقوا عليها هذه الأسماء اتباعا لهم ، وإلا فَكَيْفَ قدمنا ماورد في الصحيح من قوله عليه السلام : إن الله خلق التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ والجبال يوم الأحد، الحديث ، والعجب من الطَّبْرِيِّ على تَبَجُّره في العلم كيف خالف مقتضى

أراد : فبمؤنس ، وترك صرفه على اللغة القديمة ، وإن شئت جعلته على لغة من رأى ترك صرف ما ينصرف . . . قال أبو موسى الحامض : قلت لابي العباس : هذا الشعر موضوع ، قال : لم ؟ قلت : لأن مؤنسا وجبارا ودبارا وشيارا تنصرف ، وقد ترك صرفها ، فقال : هذا جائز في الكلام فكيف في الشعر ؟ . . . وقال اللحاني : كان أبو زياد وأبو الجراح يقولان : مضت الجمعة بما فيها ، فيوحدان ويؤنثان ، وكانا يقولان : مضى السبت بما فيه فيوحدان ويذكران ، وكذلك الأحد ، ثم اختلفا فيما بعد ، فكان أبو زياد يقول : مضى الاثنين بما فيه وكذلك يفعل في الثلاثاء والأربعاء والخمس . أما أبو الجراح فكان يقول : مضى الاثنين بما فيهما ، ومضى الثلاثاء بما فيهن ، ومضى الأربعاء بما فيهن ، ومضى الخميس بما فيهن ، فيجمع ويؤنث يخرج ذلك مخرج العدد . اللسان مادة جمع وعرب .

(١) ورد ذكر الجمعة مرة واحدة في القرآن في سورة الجمعة الآية رقم ٩ ، أما السبت فذكر ست مرات في القرآن في البقرة والفساء والاعراف والنحل ، وجاء الفعل : يسبتون مرة واحدة في الاعراف .

هذا الحديث ، وأغتنق في الرد على ابن إسحاق وغيره ، ومال إلى قول اليهود في أن الأحد هو الأول ويوم الجمعة سادس لا وتر وإنما الوتر في قولهم يوم السبت مع ما ثبت من قوله عليه السلام : أضلّته اليهود والنصارى ، وهذا كم الله إليه ، وما احتج به بالطبري^(١) من حديث آخر ، فليس في الصحة كالذي قدمناه ، وقد يمكن فيه التأويل أيضا ، قف بقلبك على حكمة الله تعالى في تعبد الخلق به لما فيه من التذكيرة بإنشاء هذا الجنس ومبدئه ، كما قدمنا ، ولما فيه أيضا من التذكيرة بأحديّة الله سبحانه ، وانفراذه قبل الخلق بنفسه ، فإك إذا كنت في الجمعة ، وتذكّرت في كل جمعة قبله حتى يترق وهلك إلى الجمعة التي خُلق فيها أبوك آدم ثم فسكرت في الأيام الستة التي قبل يوم الجمعة ،

(١) اختلاف لاطائل تحته . ولنتدبر معا ما ذكرت به من قبل من قول الله سبحانه (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ، ولا خلق أنفسهم) هذا وقد ورد في سفر التكوين أول أسفار التوراة كما يقول النصارى واليهود ، أن الله خلق الليل والنهار في اليوم الأول ، وخلق السماء في اليوم الثاني ، وخلق الأرض بنباتها وشجرها في اليوم الثالث ، وخلق أنوار السماء ونجومها في اليوم الرابع ، وخلق ما في البحر من زحافات ، وما في الأرض من طير ، وكل ذوات الأنفس الحية - ما عدا الإنسان - في اليوم الخامس ، ثم عمل وحوش الأرض وبهائمها ودباباتها ، ثم قال : نعمل الإنسان على صورتنا كصورتنا ، فيسملطون على سمك البحر ، وعلى طير السماء ، وعلى البهائم ، وعلى كل الأرض ، وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض ، فخلق الله الإنسان على صورته ، على صورة الله خلقه ذكر وأنثى خلقهم ، كل هذا في اليوم السادس ، ثم يقول السفر : وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل ، فلنتدبر ما يروى لنا من غير القرآن ، فقد يكون من هذه الأسفار ، ونحن لا ندرى .

وجدت في كل يومٍ منها جنساً من المخلوقات موجوداً إلى السَّبْتِ ، ثم انقطع
وهُكِّمَ فلم تجد في الجمعة التي تلي ذلك السبتَ وجوداً إلا للواحد الصَّمدِ الوتر ،
فقد ذكَّرت الجمعة مَنْ تفسر بوحْدانية الله وأوَّليته ، فوجب أن يُؤكَّد
في هذا اليوم توحيد القلب للربِّ بالذكر له ، كما قال تعالى : ﴿ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ
اللهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾ الجمعة . وأن يتأكَّد ذلك الذكرُ بالعمل ، وذلك بأن
يكون العملُ مشاكلاً لمعنى التوحيد ، فيكون الاجتماع في مسجد واحدٍ من
المساجد ، وإلى إمام واحد من الأئمة ، ويخطب ذلك الإمام ، فيذكر بوحْدانية
الله تعالى وباتِّمائه ، فيشاكل الفعل القول ، والقول المعتقد ، فتأمل هذه
الأغراض بقلبك ، فإنها تذكرة بالحق ، وقد زدنا على ما شرطنا في أول
الكتاب معاني لم تكن هنالك ، وعدنا بها ، ولكن الكلام يفتح بمضه باب
بعض ، ويحدو المتكلم قصد البيان إلى الإطالة ، ولا بأس بالزيادة من
الخير ، والله المستعان .

إسلام سعد بن معاذ وأسيده بن حضير

وسمع أهل مكة هاتفا يهتف ، ويقول قبل إسلام سعد :

فإن يسلم السَّعدان يصبح محمدٌ بمكة لا يخشى خلافَ المخائفِ

فحسبوا أنه يريد بالسَّعدين : القبيلتين سعد هُدَيم من قُضاعة ، وسعد بن
زَيْد مَنَاة بن تميم ، حتى سمعوه يقول :

فِيَا سَعْدُ سَعْدِ الْأَوْسِ كُنْ أَنْتَ نَاصِرًا
وَيَا سَعْدُ سَعْدِ الْخَزْرَجِينَ الْفَخَّارِيفَ
أَجِيبَا إِلَى دَاعِي الْهَدْيِ ، وَتَمَنِّيَا عَلَى اللَّهِ فِي الْفِرْدَوْسِ مُنْيَةً عَارِفًا^(١)
فَعَلِمُوا حِينَئِذٍ أَنَّهُ يَرِيدُ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ وَسَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ .

هل يغفل الظفر إذا أسلم ؟

وذكر فيه اغتسالهما حين أسلما بأمر مُصْعَبِ بْنِ عُصَيْنَرٍ لهما بذلك ، فذلك
السُّنَّةُ فِي كُلِّ كَافِرٍ يَسْلِمُ ، ثُمَّ اخْتَلَفَ فِي نِيَّةِ الْكَافِرِ إِذَا أَسْلَمَ بِاِغْتِسَالِهِ ، فَقَالَ
بَعْضُهُمْ يَنْوِي بِهِ رَفْعَ الْجَنَابَةِ عَنْ نَفْسِهِ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ يَنْوِي التَّعَبُّدَ ، وَلَا حُكْمَ
لِلْجَنَابَةِ فِي حَقِّهِ ، لِأَنَّهُ مَعْنَى الْأَمْرِ بِهِ اسْتِبَاحَةُ الصَّلَاةِ ، وَالْكَافِرُ لَا يُصَلِّي ،
وإِنْ كَانَ مَخَاطَبًا فِي أَصْحَابِ الْقَوْلَيْنِ ، وَلَكِنَّهُ أَمْرٌ مُشْرُوطٌ بِالْإِيمَانِ ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ
الْإِيمَانُ - وَهُوَ الشَّرْطُ الْأَوَّلُ - فَأَجْدِرُ أَنْ يَكُونَ - الشَّرْطُ الثَّانِي - وَهُوَ
الْغُسْلُ مِنَ الْجَنَابَةِ غَيْرَ مُقَيَّدٍ بِشَيْءٍ ، فَإِذَا أَسْلَمَ هَدَمَ الْإِسْلَامُ مَا كَانَ قَبْلَهُ ، فَلَمْ
يَجِبْ عَلَيْهِ إِعَادَةُ صَلَاةٍ مَضَتْ ، وَإِذَا سَقَطَتِ الصَّلَاةُ سَقَطَتْ عَنْهُ شُرُوطُهَا ،
وَاسْتَأْنَفَ الْأَحْكَامَ الشَّرْعِيَّةَ ، فَتَجِبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ مِنْ حِينَ يَسْلِمُ بِشُرُوطِ

(١) هذا الصَّائِحُ أَوْ الْهَاتِفُ هُوَ أَحَدُ الشُّعْرَاءِ ، وَلِهَذَا يَقُولُ ابْنُ حَجَرٍ فِي فَتْحِ
الْبَارِي عَنْ السَّعْدِيِّ : وَإِلَيْهِمَا أَرَادَ الشَّاعِرُ بِقَوْلِهِ ، ثُمَّ رَوَى الْبَيْتَ : فَإِنْ يَسْلِمُ
ص ٩٧ فَتَحِ الْبَارِي ص ٧ وَبَعْدَ الْبَيْتِ الْآخِرِ :

فَإِنْ ثَوَابَ اللَّهِ لِلْهَادِي جَنَّاتٍ مِنَ الْفِرْدَوْسِ ذَاتِ رِفَارِفٍ
وَقَدْ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي التَّارِيخِ الْاَوْسَطِ وَلَكِنْ لَمْ يَخْرُجْهُ فِي الصَّحِيحِ

أدائها من وضوء وغسل من جنابة ، إذا أجنب بعد إسلامه ، وغير ذلك من شروط صحة الصلاة ، ورأيت لبعض المتأخرين أن اغتساله سنة لأفريضة وليس عندي بالبين لأن الله سبحانه يقول : ﴿ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ ﴾ التوبة : ٢٨ . وحكم النجاسة إنما يرفع بالطهارة ولم يحكم عليهم بالتنجيس لموضع الجنابة ؛ لأنه قد علق الحكم بصفة الشرك . والحكم المعلق بالصفة مرتبط بها فإذا ارتفع حكم الشرك بالإيمان لم يبق للجنابة حكم كما إذا كان المسلم جنباً ، ثم بال فالظهور من الجنابة ، يرفع عنه حكم أخذت الأصفر ، وهو حدث الوضوء ، لأن الطهارة الصغرى داخلة في الكبرى ، وتطهره من تنجيس الشرك بإيمانه هو أيضاً بالإضافة إلى الطهر من الجنابة ، الطهارة الكبرى ، فينبغي أن تكون مُغْنِيَةً عنها ، كما كانت الطهارة من الجنابة مُغْنِيَةً عن الطهارة من الحدث ، إذ ليست واحدة من هذه الطهارات مزيلة لاعتين نجاسة فيها ، فينبغي بمد هذا أن أمره بالاعتسال تعبد ، والحكم بأنه غير فرض تحكم والله أعلم ، غير أن الترمذى خرج حديث قيس بن عاصم حين أسلم فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغتسل . قال الترمذى : وعلى هذا العمل عند أهل العلم يستحبون للكافر إذا أسلم أن يغتسل ، ويغسل ثيابه ، فقال : يستحبون ، وجعلها مسألة استحباب .

من شرح شعر ابن الأسيات :

فصل : وذكر شعر أبي قيس بن الأسيات ، وفيه قوله :

ولولا ربنا كُنا يهوداً وما دين اليهود بذي شكول .

أراد جمع : شَكْل ، وشَكْلُ الشَّيْءِ - بالفتح^(١) - هو مثله ، والشَّكْلُ كل
بالكسر الذَّلُّ والخُسْنُ ، فكأنه أراد أن دين اليهود بدع ، فليس له
شُكُولُ أى : ليس له تأثير فى الحقائق ، ولا مثيل بعُضْدُه من الأمر المعروف
للقبول ، وقد قال الطائى :

وقت : أخى ، قالوا : أخ من قرابة فقلت لهم : إن الشُّكُولَ أَقَابُ
قَرِيبَى فى رَأْيى وِدِينِ وَمَذْهَبِ وإن باعدتنا فى الخطوب المناسب
وقال فيه : مع الرهبان فى جَبَلِ الجليل . الجليلُ بالجيم التَّامَّ ، وهذا الجبل
من جبال الشام معروف بهذا الاسم^(٢) .

ذكر البراء بن معرور ، وصلاته إلى القبلة

ذكر حديث كعب بن مالك حين حجَّ فى نَفَرٍ من قومه مع البراء بن
مَعْرُورٍ ، فكانوا يُصلُّون إلى بيت المقدس ، وكان البراء يصلى إلى الكعبة .

(١) فى القاموس أنه يكسر أيضاً

(٢) فى المراصد : جبل الجليل : فى ساحل الشام تمتد إلى قرب مصر . قيل
هو جبل يقبل من الحجاز ، فإكان بفلسطين فهو جبل الحل ، وما كان بالأردن
فهو جبل الجليل ، وهو بدمشق : لبنان وبحمص : سنير . وفى قاموس الدكتور
بوست : أن الجليل كانت القسم الشمالى لفلسطين ، ويحدها من الشمال نهر القاسمية ،
ومن الشرق : الأردن وبحر الجليل ، ومن الجنوب : السامرة ، ومن الغرب
فينيقية الممتدة من الكوامل إلى صور ، وكانت الجليل قسمين العليا ويسكنها
السوريون والفينيقيون ، والعرب ، والسفلى ، فكانت بقرب بحر طبرية ، وكان
يسكنها أسباط بساكر و زبولون وغيرهم .

الحديث - إلى قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : قد كنت على قبلة لو صبرت إليها ففقه قوله : لو صبرت عليها : أنه لم يأمره بإعادة ما قد صلى ؛ لأنه كان متأولاً .

قبلة الرسول صلى الله عليه وسلم :

وفي الحديث : دليل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يصلي بمكة إلى بيت المقدس ، وهو قول ابن عباس ، وقالت طائفة : ماصلى إلى بيت المقدس إلا مذ قدم المدينة سبعة عشر شهرا أو ستة عشر شهرا^(١) ، فعلى هذا

(١) روى البخارى بسنده عن البراء رضى الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا ، أو سبعة عشر شهرا ، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل من كان صلى معه ، فر على أهل المسجد ، وهم راكعون ، قال : أشهد بالله : لقد صليت مع النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل مكة ، فداروا كما هم قبل البيت ، وكان الذى قد مات على القبلة ، قبل أن تحول قبل البيت رجالا قتلوا لم ندر ما نقول فيهم ، فأنزل الله : (وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم) . أقول : لعل الراوى يريد أنه بهذا الجزء من الآية اطمأن كل امرئ مسلم إلى هذا المعنى ، أو لعله أراد الآية كلها ، إذ لا يعقل تأخر جزء من آية هذا شأنه وارتباطه الوثيق بما قبله عن جزئه الأول المتمم لمعناه !! وقد انفرد البخارى به من هذا الوجه ، ورواه مسلم من وجه آخر وورد في البخارى أيضاً ، بينما الناس يصلون الصبح في مسجد قباء إذ جاء جاء فقال : أنزل الله على النبي قرآنا أن يستقبل الكعبة ، فاستقبلوها ، فتوجهوا إلى الكعبة ، وأخرجه مسلم أيضاً . وإليك ما قاله ابن كثير في تفسيره : وقد جاء في هذا الباب أحاديث كثيرة ، وحاصل الأمر أنه قد كان رسول الله - صلى الله

يكون في القبلة نسخان نَسَخُ سُنَّةٍ بِسُنَّةٍ ، ونسخ سُنَّةٍ بِقُرْآن ، وقد بينَّ حديثُ ابن عباس منشأ الخلاف في هذه المسألة ، فروى عنه من طرق صحاح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان إذا صلى بمكة استقبل بيت المقدس ، وجعل السكبة بينه وبين بيت المقدس ، فلما كان عليه السلام يتحرَّى القبلتين جميعاً لم يَبْنِ توجُّهه إلى بيت المقدس للناس ، حتى خرج من مكة والله أعلم . قال الله تعالى له في الآية الناسخة : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ

عليه وسلم - أمر باستقبال الصخرة من بيت المقدس ، فكان يصلي بين الركنين ، وهو مستقبل صخرة بيت المقدس ، فلما هاجر إلى المدينة تعذر الجمع بينهما ، فأمره الله بالتوجه إلى بيت المقدس ، قاله ابن عباس والجمهور ، ثم اختلف هؤلاء ، هل كان الأمر به بالقرآن ، أو بغيره ؟ على قواين ، وحكى القرطبي في تفسيره . . أن التوجه إلى بيت المقدس كان باجتهاده عليه السلام ، والمقصود أن التوجه إلى بيت المقدس بعد مقدمه - صلى الله عليه وسلم - المدينة ، واستمر الأمر على ذلك بضعة عشر شهراً ، وكان يكثر الدعاء والابتهال أن يوجه إلى السكبة التي هي قبلة إبراهيم عليه السلام ، فأجيب إلى ذلك وأمر بالتوجه إلى البيت العتيق . فخطب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الناس ، فأعلمهم بذلك ، وكان أول صلاة صلاها إليها صلاة العصر ، كما تقدم في الصحيحين من رواية البراء ، ووقع عند الناس أن رواية أبي سعيد بن الملعلي أنها الظاهر . . . وذكر غير واحد من المفسرين وغيرهم أن تحويل القبلة نزل على رسول الله ، وقد صلى ركعتين من الظهر ، وذلك في مسجد بنى سلبة ، فسمى مسجد القبلتين : وفي حديث نويلة بنت مسلم أنهم جاءهم الخبر بذلك ، وهم في صلاة الظهر ، قال : فتحوّل الرجال مكان النساء ، والنساء مكان الرجال ذكره الشيخ أبو عمر بن عبد البر القرطبي ، وأما أهل قباء ، فلم يبلغهم الخبر إلى صلاة الفجر من اليوم الثاني كما جاء في الصحيحين ، وهي محاولة للجمع بين التي تروى أنها صلاة العصر ، وبين التي تروى أنها صلاة الصبح . .

المَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴿البقرة: ١٥٠﴾ أى: من أى جهة جئت إلى الصلاة،
 وخرجت إليها فاستقبل السكعة كنت مُسْتَقْدِرًا لبيت المقدس، أو لم تكن،
 لأنه كان بمكة يتحرى في استقباله بيت المقدس أن تكون السكعة بين يديه،
 وندبر قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾ وقال لأمته:
 ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ ولم يقل: حينما خرَجْتُمْ، وذلك
 أنه كان عليه السلام إمام المسلمين، فكان يخرج إليهم إلى كل صلاة ليصلي بهم،
 وكان ذلك واجبا عليه إذ كان الإمام المقتدى به فأفاد ذكرُ الخروج في خاصته
 في هذا المعنى، ولم يكن حكم غيره هكذا، يقتضى الخروج، ولا سيما النساء،
 ومن لاجتماعه عليه، وكرر الباري تعالى الأمر بانتوجه إلى البيت الحرام في ثلاث
 آيات، لأن المؤمنين لتحويل القبلة، كانوا ثلاثة أصنافٍ من الناس اليهود،
 لأنهم لا يقولون بالنسخ في أصل مذهبهم، وأهل الرِّيب والنِّفاق اشتد
 إنكارهم له أنه كان أول نسخ نزل، وكفار قُريش قالوا: ندِم محمد على فراق
 ديننا فسيرجع إليه كما رجع إلى قَبَلَتِنَا، وكانوا قبل ذلك يحتجون عليه،
 فيقولون: يزعم محمد أنه يدعونا إلى ملة إبراهيم وإسماعيل، وقد فارق قبلة
 إبراهيم وإسماعيل، وآثر عليها قبلة اليهود، فقال الله له حين أمره بالصلاة إلى
 السكعة ﴿إِنَّمَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ البقرة: ١٥٠
 على الاستثناء المنقطع، أى: لكن الذين ظلموا منهم لا يرجعون ولا يهتدون (١)

(١) يرى بعض المفسرين أنه غير منقطع، لأن هذا لا يرد في الكلام البليغ
 الفصيح. يقول البيضاوى عن الاستثناء هنا: إلا الذين ظلموا منهم استثناء من
 الناس، أى لئلا يكون لاحد من الناس حجة إلا للمعاندين منهم فإنهم يقولون

وقال سبحانه : ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ البقرة : ١٤٧ أى : من الذين شكوا وامْتَرَوْا ، ومعنى : الحق من ربك أى الذى أمرتك به من التوجه إلى البيت الحرام ، هو الحق الذى كان عليه الأنبياء قبلك فلا تَمْتَرُ فى ذلك وقال : ﴿ وَإِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ البقرة : ١٤٤ وقال : ﴿ وَإِنْ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة : ١٤٦ أى يكتمون ما علموا من أن الكعبة هى قبله الأنبياء ، وروى أبو داود السنجرى فى كتاب الفاسخ والنسوخ له وهو فى روايتنا عنه بسند رفيع حدثنا الإمام الحافظ أبو بكر بن العربى قال : أنا أبو الحسن على بن الحسين بن على بن أيوب البزار ، قال : أنا أبو على بن شاذان قال : أنا أبو بكر الفقيه النجار أحمد بن

ما تحول إلى الكعبة إلا ميلا إلى دين قومه ، وحبا لبلده ، أو : بداله فرجع إلى قبله آبائه ، ويوشك أن يرجع إلى دينهم ، وسمى هذه حجة كقوله تعالى : (حجتهن داخضة عند ربهم) لأنهم يسوقون مساقها وقيل : الحجة بمعنى الاحتجاج ، وقيل : الاستثناء للمبالغة فى نفى الحجة رأسا . . . وقرئ (إلا الذين ظلموا منهم) على أنه استثناء بحرف التثنية ، : وفى تفسير الجلالين : « إلا الذين ظلموا منهم بالعناد ، فإنهم يقولون : ما تحول إليها إلا ميلا إلى دين آبائه ، والاستثناء متصل ، والمعنى : لا يكون لأحد عليكم كلام إلا كلام هؤلاء ، ويقول ابن كثير « إلا الذين ظلموا منهم » : أى : مشركى قريش ، ووجه بعضهم حجة الظلمة — وهى داخضة — أن قالوا : هذا الرجل يزعم أنه على دين إبراهيم ، فإن كان توجهه إلى بيت المقدس على ملة إبراهيم ، فلم يرجع عنه ؟ والجواب : أن الله تعالى اختار له التوجه إلى البيت المقدس أولا لما له تعالى فى ذلك من الحكمة ، فأطاع ربه تعالى فى ذلك ، ثم صرفه إلى قبله إبراهيم ، وهى الكعبة ، فامثل أمر الله فى ذلك أيضاً ،

سَلِيمَانُ عَنْهُ ، قَالَ : نَا أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ ، قَالَ : نَا عَنَبَسَةَ عَنْ يُونُسَ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ
 قَالَ : كَانَ سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لَا يَعْظُمُ إِلَّا بِلِيَاءِ كَمَا يَعْظُمُهَا أَهْلُ بَيْتِهِ ، قَالَ : فَسَرَتْ
 مَعَهُ ، وَهُوَ وَلِيُّ عَهْدٍ ، قَالَ : وَمَعَهُ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، قَالَ سَلِيمَانُ : وَهُوَ
 جَالِسٌ فِيهِ : وَاللَّهِ إِنْ فِي هَذِهِ الْقِبْلَةِ الَّتِي صَلَّى إِلَيْهَا الْمُسْلِمُونَ وَالنَّصَارَى لَعَجَبًا ،
 قَالَ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ : أَمَّا وَاللَّهِ إِنْ لَأَقْرَأَ الْكِتَابَ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَقْرَأَ التَّوْرَةَ ، فَلَمْ يَجِدْهَا إِلَّا يَهُودَ فِي الْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ،
 وَلَكِنْ تَابَوْتُ السَّكِينَةَ كَانَ عَلَى الصَّخْرَةِ ، فَلَمَّا غَضِبَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى
 بَنِي إِسْرَائِيلَ رَفَعَهُ ، فَكَانَتْ صَلَاتُهُمْ إِلَى الصَّخْرَةِ عَنْ مُشَاوَرَةٍ مِنْهُمْ ، وَرَوَى
 أَبُو دَاوُدَ أَيْضًا أَنَّ يَهُودِيًّا خَاصِمَ أَبَا الْعَالِيَةِ فِي الْقِبْلَةِ ، فَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ :
 إِنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَصَلِّي عِنْدَ الصَّخْرَةِ ، وَيَسْتَقْبِلُ الْبَيْتَ الْحَرَامَ ، فَكَانَتْ
 السَّكِينَةُ قِبْلَةً ، وَكَانَتْ الصَّخْرَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَقَالَ الْيَهُودِيُّ : بَيْنِي وَبَيْنَكَ مَسْجِدُ
 صَالِحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ : فَإِنِّي صَلَّيْتُ فِي مَسْجِدِ صَالِحٍ
 وَقِبْلَتُهُ السَّكِينَةُ ، وَأَخْبَرَ أَبُو الْعَالِيَةِ أَنَّهُ رَأَى مَسْجِدَ ذِي الْقَرْنَينِ وَقِبْلَتَهُ
 السَّكِينَةَ ، وَرَوَى أَيْضًا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كَانَ يَقُولُ لِلْجَبْرِيلِ :
 وَدِدْتُ أَنْ اللَّهُ حَوَّلَنِي عَنْ قِبْلَةِ الْيَهُودِ ، فَيَقُولُ لَهُ جَبْرِيلُ : إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ مَأْمُورٌ ،
 وَرَوَى غَيْرُهُ أَنَّهُ كَانَ يُتَّبِعُهُ بِصَرِّهِ إِذَا عَرَّجَ إِلَى السَّمَاءِ حَرِصًا عَلَى أَنْ يَأْمُرَهُ
 بِالتَّوَجُّهِ إِلَى السَّكِينَةِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ﴾
 الْآيَةُ : الْبَقَرَةُ ١٤٤ .

أم عمارة وأم منيع في بيعة العقبة الأخرى :

وذكر بيعة العقبة ، وذكر عِدَّة أصحاب بَيْعَةِ العقبة ، وأنهم كانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين ، وهما : أم عُمَارَة وهي نُسَيْبَةُ بنت كعب امرأة زيد بن عاصم شهدت بيعة العقبة وبيعة الرضوان ، وشهدت يوم اليمامة ، وبأثرت القتال بنفسها ، وشاركت ابنها عبد الله في قتل مُسَيْلِمَةَ ، فَقُطِعَتْ يَدُهَا ، وَجُرِحَتْ اثْنَا عَشَرَ جُرْحًا ، ثم عاشت بعد ذلك دَهْرًا ، وكان الناس يأتونها بمرضاهم ، لَتَسْتَشْفِي لَهُمْ ، فَمَسَحَ بِيَدِهَا الشَّلَاءَ عَلَى الْعَالِيلِ ، وَتَدْعُو لَهُ ، فَقَالَ مَا مَسَحَتْ بِيَدِهَا ذَا عَاهَةٍ إِلَّا بَرِيءٌ ^(١) .

والأخرى : أسماء بنت عمرو أم منيع ، وقد رفع في نسبها ونسب الأخرى ابن إسحاق ، ويُرْوَى أن أم عُمَارَة قالت لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما أرى كلَّ شيء إلا للرجال ، وما أرى للنساء شيئاً ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ﴾ ^(٢) الآية .

(١) المسلم يدين بأن الشفاء بيد الله وحده . ندبر ما قص الله عن إبراهيم من قوله : (وإذا مرضت فهو يشفين) وليس من أسباب الشفاء أن تمسح امرأة بيدها جسم إنسان ، ولكن من أسبابه الدعاء ، وما أحل الله من دواء يصفه الطبيب .

(٢) المشهور — كما روى الإمام أحمد والنسائي وابن جرير — أن أم سلمة رضي الله عنها هي التي قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : ما لنا لا نذكر في القرآن ، كما يذكر الرجال ؟ فنزلت الآية .

قول البراء بن معرور :

وذكر قول البراء بن معرور ، وهو أول من ضربَ بيده على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالبيعة على اختلافٍ في ذلك قد ذكره ابن إسحاق ، فقال : نبأيتك على أن نمنعك مما نمنع منه أُرُونا ، أراد : نساءنا ، والعربُ تَكْنِي عن المرأة بالإزار ، وتَكْنِي أيضاً بالإزار عن النفس ، وتجعل الثوبَ عبارةً عن لابسِه كما قال :

رَمَوْهَا بِأَثْوَابِ خِفَافٍ فَلَا تَرَى لَهَا شَبْهًا إِلَّا الْقَعَامَ الْمُفْتَرَا^(١)

أى : بأبدانٍ خِفَافٍ ، فقوله مما نمنع أُرُونا يحتمل الوجهين جميعا ، وقد قال الفارسي في قول الرجل الذي كتب إلى عُمر من الغزو يذكره بأهله :

أَلَا أَبْلِغُ أَبَا حَفْصٍ رَسُولًا فِدَى لَكَ مِنْ أَخِي نِقَّةَ إِزَارِي

قال : الإزارُ : كناية عن الأهل ، وهو في موضع نصب بالإغراء أى : احفظْ إزارى ، وقال ابن قتيبة : الإزار في هذا البيت كناية عن نفسه ، ومعناه فداً لك نفسى ، وهذا القول هو المرَضِيُّ في العربية ، والذي قاله الفارسي بعيد عن الصواب ، لأنه أضمر المبتدأ ، وأضمر الفعل الناصب للإزار ، ولادليل عليه لبعده ، عنه ، وبعد البيت ما يدل على صحة القول المختار وهو :

قَلَانِصَنَا هَذَاكَ اللَّهُ مِنْهَا شُغْلَنَا عَنْكُمْ زَمَنَ الْحِصَارِ^(٢)

(١) البيت لليلى الأخيلية ص ٩٢٢ سبط اللالى .

(٢) أصل القصة أن نفيلة الأكبر الأشجعى — وكنيته أبو المنهال — كتب إلى عمر أبياتا من الشعر يشير فيها إلى رجل كان واليا على مدينتهم يخرج الجوارى

إلى سلع عند خروج أزواجهن إلى الغزو ، فيعقلن ، ويقول : لا يمشى في العقال
إلا الحصان ، فربما وقعت ، فتكشفت ، وكان اسم هذا الرجل جمدة بن عبد الله
السلي ، فقال ما ذكر السهيلي وبعدهما :

فأفص وجدن معقلات قنا سلع بمختلف النجار
فلأنس من بنى كعب بن عمرو وأسلم أو جهينة أو غفار
يعقلن جمدة من سليم غوى يبتغى سقط العذارى
يعقلن أبيض شيطمي وبئس معقل الذود الحيار
وفي وفاة الوفا للسمودي : « من بنى سعد بن بكر ، أو أسلم ، بدلا مما ذكر
في البيت الثالث :

وكنى بالقلاص عن النساء ، ونصبها على الإغراء ، فلما وقف عمر - رضى
الله عنه - على الأبيات عزله ، وسأله عن ذلك الأمر ، فاعترف ، فجلده مائة
معقولا ، وأطرده إلى الشام ، ثم سئل فيه ، فأخرجه من الشام ، ولم يأذن له
في دخول المدينة ، ثم سئل فيه أن يدخل ليجمع ، فكان إذا رآه عمر
توعده ، فقال :

أكل الدهر جمدة مستحق أبا حفص لستم أو وعيد
فأنا بالبرى براه عذر ولا بالخالع الرسن الشroud
وقول جمدة : فدا لك الخ : أى أهلى ونفسى . وقال الجرمى : يريد بالإزاز
مهنا : المرأة . والقصة مشهورة ، وقد رويت لغيره ، ورواها الآمدى فقال
عن جمدة : كان غزلا صاحب نساء يمدثن ويضحكن ، ويمازحن ، فمكن
يجتمعن عنده ، فيأخذ المرأة فيعقلها ، ثم يأمرها أن تمشى فتتعث ، فتقع ،
فتكشف ، فيتضحكن من ذلك إلخ وقد ذكر ابن حجر ترجمته في الإصابة
في القسم الثالث فيمن أدرك الجاهلية والإسلام ، ولم يرد أنه رأى النبي صلى الله
عليه وآله وسلم . ونفيلة في الإصابة : بقيلة الأكبر الأشجعي من بنى بكر
ابن أشجع ، وهو بقات مصفر ، ذكره الآمدى في حرف الموحدة . وقال الزبير
ابن بكر : سميت العتي بصحفه ، فيقول : نفيلة ، وقد شهد نفيلة أو بقيلة
القادسية مع عمر . أنظر اللسان مادة أزر ، والإصابة ترجمة بقيلة ، وجمدة .

فنصب قلائصاً بالإضمار الذي جعله الفارسي ناصباً للإزار .

ترجمة البراء :

والبراء بن معرور يُكنى أبا بشر بابنه بشر بن البراء ، وهو الذي أكل مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من الشاة المسمومة ^(١) ، فأت ومعرور اسم أبيه ، معناه : مقصود يقال : عرّه واعتره إذا قصده ^(٢) ، والبراء هذا من صلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على قبره ^(٣) بعد موته وكبرّ أربعاً ، وفي هذا الحديث الصلاة على القبر ، وقد رويت من سبّ طرق عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قاله أحد بن حنبل ، وذكرها كلها أبو عمر في التمهيد ، وزاد ثلاث طرق لم يذكرها ابن حنبل ، فهي إذاً تروى من - تسع طرق أعنى أن - تسعة من الصحابة رَوَوْا صلاته عليه السلام على القبر ، فمنهم ابن عباس ، وأنس ابن مالك وبريدة ، وأبو هريرة ، وزيد بن ثابت ، وعامر بن فهيرة وأبو قتادة الأنصاري ، وسهل بن حنيف ، وعبدادة بن الصامت ، وحديثه مُرْسَلٌ ، وأصحها إسناداً حديث ابن عباس وأبي هريرة .

والهزم الهزم

وذكر قول النبي - صلى الله عليه وسلم - للمبايعين له : بل الدّم الدّم والهزم الهزم ، وقال ابن هشام : الهزم بفتح الدال . قال ابن قتيبة : كانت

(١) شهد بشر العقبة وبدراً وما بعدها ، ومات بعد خير .

(٢) في اللسان : عرّه يعرّه عرا واعتره ، واعتربه : إذا أتاه ، فطالب معرفته .

(٣) هذا لأنه مات - كما قيل - قبل قدوم النبي د من ، بشهر .

العرب تقول عند عقد الحلف والجوار : دمي دمك وهذمي هذمك ، أى :
ما هذمت من الدماء ، هذمته أنا ، ويقال أيضاً : بل اللذم اللذم والهذم
الهذم ، وأنشد :

ثم الخلق . يهذي ولذي

فَالَّذِمُّ : جمع لادم ، وهم أهله الذين يَنْتَدِمُونَ عليه إذا مات ، وهو من
لَذِمْتُ صدره : إذا ضربه . والهدم قال ابن هشام : الحُرْمَةُ ، وإنما كنى عن
حُرْمَةِ الرجل وأهله بِالَّذِمِّ ، لأنهم كانوا أهلَ نُجْمَةٍ وارتحال ، ولهم بيوت
يستخفونها يوم ظفّهم ، فكلموا ظفّفوها هذّموها ، والهدم بمعنى التمهيدوم
كالقَبْضِ بمعنى المَقْبُوضِ ، ثم جعلوا الّهْدم وهو البيت المهذوم عبارة عما
حوى ، ثم قال : هذمي هذمك أى : رحلتى مع رحلتك أى لا أظن وأدعك
وأنشد يعقوب :

تَمْضَى إِذَا زُجِرَتْ عَنْ سَوَاقٍ قَدْ مَأْ كَانَهَا هَذَمٌ فِي الْجَفْرِ مُنْقَاضٌ^(١)

(١) إذا حركت دال الهمدم ، فهى القبر ، فيكون المعنى : أقبر حيث
تقبرون ، وقيل : هو المنزل : أى منزلكم : منزلى ، وبالفتح أيضاً والسكون :
إهدار دم القتل ، فيكون المعنى : إن طلب دمكم ، فقد طلب دمي وإن
أهدر دمكم ، فقد أهدر دمي لاستحكام الالف . وفسرها ابن الاعراب عند
التحريك بقوله : إن ظلمتم فقد ظلمت ، فسر أبو عبيدة : اللدم اللدم والهدم
الهدم بقوله : حرمتى مع حرمتكم ، وبنى مع يبتسكم ، وفسر الحقى بهدمى
ولدى بقوله : بأصلى وموضعى ، وفسر أبو الهيثم : الدم الدم الخ بقوله إن قتلتى
إنسان طلبت بدى كما تطلب بدم وليك ، ومن هدم لى عزاً وشرفاً فقد هدمه

من ولي النقباء :

فصل : وذكر الاثني عشر نقيباً ، وشعر كعب فيهم إلى آخره ، وليس فيه ما يشكل ، وإنما جعلهم عليه السلام اثني عشر نقيباً اقتداءً بقوله تعالى في قوم موسى ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ وقد سمي أولئك النقباء بأسمائهم^(١) في كتاب التعريف والإعلام ، فليُنظر هنالك .

منك ، وكل من قتل ولي ، فقد قتل وليك ، ومن أراد هدمك ، فقد قصدني بذلك . وقال الأزهري : ومن رواه الهدم الهدم والهدم بسكون الذال - فهو على قول الخليف : تطلب بدى ، وأنا أطلب بدمك ، وما هدمت من الدماء هدمت أى : ما عفوت عنه ، وأهدرت ، فقد عفوت عنه ، وتركته . وقال الفراء : عن دخول أل على الهدم والدم والدم : العرب تدخل الألف واللام اللتين للتعريف على الأسم ، فتقومان مقام الإضافة كقول الله عز وجل : (فأما من طغى ، وآثر الحياة الدنيا ، فإن الجحيم هو المأوى) . . أى : الجحيم مأواه ، أما الزجاج فقد رواه بقوله فإن الجحيم هو المأوى له . وقال ابن الأثير في رواية الدم الدم : هو أن يدر دم القاتل المعنى : إن طلب دمه -كم ، فقد طلب دمي . ويرى ابن الأعرابي في اللدم أنها الحرم جمع لادم فالمعنى : حرمكم : حرمي . ويقول أبو عبيدة : اللدم : الحرم . جمع لادم سمى نساء الرجل وحرمة لدماً لأنهن يلتصمن عليه إذا مات . . واللدم : ضرب المرأة صدرها وقيل : اللطم والضرب بشيء ثقيل انظر اللسان والنهاية لابن الأثير في مادتي : لدم وهدم

(١) في نسب عبد الله بن رواحة ، زدت ثعلبة ، والأغر من الجهرة لابن حزم ص ٣٤٤ ط ١ ومن الإصابة : لقب امرؤ القيس بأنه الأغرو وفي نسب سعد بن عباد يقول الخشنى ص ١١٩ ابن حزيمة بدلا من خزيمة وقال : بالحاء المهملة المفتوحة والزاء المكسورة هو الصواب كذا قيده الدارقطني . وورد كذلك في ص ٢٦٩ من المجد لمحمد بن حبيب : وفي نسب رافع بن مالك

وروى عن الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلأَوْسِ وَانْخَرَجَ حِينَ
قَدِمَ عَلَيْهِمُ النِّقْبَاءُ : لَا يَفْضُنُّ أَحَدُكُمْ فِائِي أَفْعَلُ مَا أَوْسَرُ ، وَجَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
إِلَى جَنْبِهِ يُشِيرُ إِلَيْهِمْ وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ ، وَرَوَى فِي الْمُعْجِزَاتِ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ
أَنَّهُ رَوَى حَدِيثَ النِّقْبَاءِ عَنْ شَيْخٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، قَالَ مَالِكٌ : وَكُنْتُ أَعْجَبُ كَيْفَ
جَاءَ هَذَا رَجُلَانِ مِنْ قَبِيلَةٍ ، وَرَجُلٌ مِنْ أُخْرَى حَتَّى حُدِّثَتْ بِهَذَا الْحَدِيثِ ، وَأَنَّ
جَبْرِيلَ هُوَ الَّذِي وَلَّاهُمْ ، وَأَشَارَ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِهِمْ .

ابن العجلان زادت جفيرة ابن حزم بعد زريق : بن عامر بن زريق ، وفي نسب رافعة
ابن زبير ، وهي في الإصابة والجمهرة : زر ص ٣١٤ وفي إمتاع الأسماع : زبير
وفي بعض نسخ السيرة : زبير ، وقد اختلف في اسمه فقيل ، بشير وقيل
مروان وقيل يشير ، وكنيته : أبو لبابة

وسقطت . مالك التي قيل : ابن الأوس من الإصابة ، كما سقط من نسبه
في الجمهرة بن عمرو ، عوف . ومازده في السيرة من الأنساب أخذته من كتاب
المجد لابن حبيب ص ٢٦٨ وما بعدها . وإليك ما شرح به الخشنى بعض كلمات
قصيدة كعب بن مالك : قال رأيه : بطل . فلا ترعين أى لا تبعين ، أب : جمع .
جادع : قاطع ، إخفاره : نقض عهده ، نافع : ثابت ، بمندوحة : بمتسع ، يافع :
موضع مرتفع ، ومن رواه : باقع فعناه : بعيد وهو مأخوذ من بقع الأرض ،
وخانع : مقر متدال . ضروح : مانع ودافع عن نفسه من قولهم : ضرحت الدابة
برجلها إذا ضربتها . وهنا لك بين القصيدة في ابن هشام وبينها في المجد بعض
اختلافات يسيرة . ففي البيت الثالث : أضالنا أى أضاء لنا بدلا من : بدالنا .
ولا ترعين بدلا من : لا ترغبين . ولا تطمعنك المطامع بدلا من : لا يطمعن فم طامع .
ومن ألحيه خانع بدلا من : العهد خانع . وم الأمر صانع بدلا من م الأمر
مانع . وإن يغبك بدلا من : لا يغبك .

تفسير بمعنى ما وقع في وجهه.

وذكر أن الشيطان عَرَّخَ من رأس العَمَّةِ بأنفذ صوت . قال الشيخ أبو بحر : هكذا وقع في الأمهات ، وأصله عن القاضي أبي الوليد : بأبعد ، قال المؤلف : ولا معنى لهذا الإصلاح ، لأن وصف الصوت بالنفاذ صحيح هو أفصح من وصفه بالأبعد ، وقد مضى في حديث عُمَرُ مع السكاهن ، قال : لقد سمعت من صوت العجل صوتا ما سمعت أنفذ منه ، وفي الصحيح : أن الله تعالى يَخْشُرُ الخلق يوم القيامة في عَرَّحَ^(١) واحد ، فَيَنْفُذُهم البصرُ ويسمعهم الداعي وكذلك وجدته في رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق : بأنفذ صوت كما كان في الأصل .

وقوله : يا أهل الجَبَابِجِ ، يعني : منازل منى ، وأصله : أن الأوعية من الأدم كالزَّبِيلِ ونحوه يسمى : جَبَجِيَّة ، فجعل الخيام والمنازل لأهلها كالأوعية ، وقوله عليه السلام حين صرخ إبليس : يا أهل الجَبَابِجِ ، هذا أَرْبُ العَمَّةِ ، هذا ابن أَرْبِ . قال ابن هشام : ويقال : ابن أَرْبِ كذا تقييد في هذا الموضع أَرْبُ العَمَّةِ وقال ابن ماكولا : أم كُرْز بنت الأَرْبِ بن عمرو بن بَكِيل من همدان جدة العباس ، أم أمه : سيلة ، وقال : لا يعرف الأَرْبُ في الأسماء إلا هذا ، وأَرْبُ العَمَّةِ ، وهو اسم شيطان ، ووقع في هذه النسخة في غَرْوَةِ أُحُدٍ لَأَرْبُ العَمَّةِ بكسر المهملة وسكون الزاي ، وفي حديث ابن الزبير ما يشهد له

(١) عرّح وعردح : المكان المستوى

حين رأى رجلاً طوله شبرانٍ على بَرْدَعَةٍ رَحَلِهِ [فَاخَذَ السَّوْطَ فَاتَاهُ] ، فقال :
 ما أنت ؟ فقال أَرَبٌ ، قال : وما أَرَبٌ ؟ قال : رجل من الجن ؛ فضربه على رأسه
 بعود السوط ، حتى باص ، أى هَرَبَ ، وقال يعقوب في الألفاظ : الأَرَبُ :
 القصير . وحديث ابن الزبير ذكره العُشَيْبِيُّ في الغريب ، فأنه أعلم أى اللفظين
 أصح ؟ وابن أَرَبٍ في رواية ابن هشام يجوز أن يكون فَعْمِيلاً من الإَرَبِ^(١)
 أيضاً ، والأَرَبُ : البخيل ، وأَرَبٌ : اسم ريح من الرياح الأربع^(٢) ،
 والأَرَبُ الفَرْعُ أيضاً^(٣) ، والأَرَبُ : الرجل المتقارب المشى^(٤) ، وهو على
 وزن أفعَل ، قاله صاحب العين ، ويحتمل أن يكون ابن أَرَبٍ من هذا أيضاً ،
 وأما البخيل فَأَرَبٌ على وزن فَعْمِلٍ لأن يعقوب حكى في الألفاظ : امرأة أَرَبِيَّةَ^(٥)

(١) الإزب في اللسان في مادة أرب فتسكون على وزن فعل : ومعناها
 اللثيم والدقيق المفاصل الضاوى يكون ضميلاً . والإزب من الرجال : القصير
 الغليظ والقصير الدم . وقد جعل اللسان أرب في مادة أرب ، وقال عن الإزب
 في الحديث : هو الشيطان اسمه ؛ أرب العقبة ، وهو الحية أما عن الأرب
 في مادة زب ، فهو الكثير الشعر .

(٢) جعلها القاموس واللسان وابن فارس في معجمه في مادة زب فتسكون
 على وزن أفعَل ، وقال عنها لأنها الجنوب في لغة هذيل : أوهى الريح النكباء التي
 تجرى بين الصبا والجنوب .

(٣) في مادة زب في القاموس واللسان فوزنها : أفعَل .

(٤) هي كالت قبلها في المادة والوزن .

(٥) جعلها اللسان في مادة زب وهي لازبية فتسكون : إفعلة بكسر الهمزة
 وسكون الفاء وفتح العين وتضعيف اللام مع فتح ، وهكذا ضبطها اللسان
 والقاموس ، وفي معجم مقاييس اللغة لابن فارس : وقال الخليل : الإزب :
 الدقيق المفاصل ، ويقال هو البخيل ،

ولو كان عن وزن أفعل في المذكر لقل في المؤنث زَيْبًا إِلَّا أَنْ فَعِيلًا فِي أَبْنِيَةِ
الْأَسْمَاءِ عَزِيزٌ ، وَقَدْ قَالُوا فِي ضَهْيَاءَ ، وَهِيَ الَّتِي لَا تَحِيضُ مِنَ النِّسَاءِ ، فَعَلِيَ جَعَلُوا
الْهَمْزَةَ زَائِدَةً وَهِيَ عِنْدِي فَعِيلٌ لِأَنَّ الْهَمْزَةَ فِي قِرَاءَةِ عَاصِمٍ لَامُ الْفَعْلِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى
(يُضَاهُونَ) وَالضَّهْيَاءُ مِنْ هَذَا لِأَنَّهَا تُضَاهِي الرَّجُلَ أَيْ : تُشَبِّهُهُ وَيُقَالُ فِيهِ : ضَهْيَاءٌ ^(١)
بِالْمَدِّ ، فَلَا إِشْكَالَ فِيهَا أَنَّهَا لِلتَّمَانِيثِ عَلَى لُغَةٍ مِنْ قَالِ ضَاهَيْتِ بِالْيَاءِ ، وَقَدْ يَحْزُرُ

(١) فِي اللِّسَانِ : وَضَهْيَاءُ : فَعَلًا الْهَمْزَةُ زَائِدَةٌ كَمَا زِيدَتْ فِي . شَمَالٌ ، وَغَرَقَى .
الْبَيْضُ ، قَالَ : وَلَا تَعْلَمُ الْهَمْزَةُ زِيدَتْ غَيْرَ أَوَّلٍ إِلَّا فِي هَذِهِ الْأَسْمَاءِ ، وَيَحْزُرُ أَنْ
تَكُونَ لِلضَّهْيَاءِ بوزن الضَّمِيمِ . فَعِيلًا ، وَإِنْ كَانَتْ لَا تُظْهِرُ لَهَا فِي الْكَلَامِ ، فَقَدْ
قَالُوا : كَنْهَيْلٌ - شَجَرٌ عَظَامٌ - وَلَا تُظْهِرُ لَهُ . قَالَ ابْنُ سَيِّدَةَ : الضَّهْيَاءُ وَالضَّهْيَاءُ عَلَى
فَعَلَاءَ . . . وَقَالَ بَعْضُهُمُ الضَّهْيَاءُ مَعْدُودٌ الَّتِي لَا تَحِيضُ وَهِيَ حَبْلِي . قَالَ ابْنُ جَنِّي :
امْرَأَةٌ ضَهْيَاءٌ وَزَنَاهَا : فَعَلَاءٌ لِقَوْلِهِمْ فِي مَعْنَاهَا : ضَهْيَاءٌ . . . وَأَجَازَ أَبُو إِسْحَاقَ
فِي هَمْزَةٍ : ضَهْيَاءٌ أَنْ تَكُونَ أَصْلًا ، وَتَكُونَ الْيَاءُ هِيَ الزَّائِدَةُ ، فَعَلِيَ هَذَا تَكُونَ
السَّكْمَةُ : فَعِيلَةٌ ، وَذَهَبَ فِي ذَلِكَ مَذْهَبًا مِنَ الْإِسْتِقْفَاقِ حَسَنًا لَوْلَا شَيْءٌ اعْتَرَضَهُ ،
وَذَلِكَ أَنَّهُ قَالَ : يُقَالُ : ضَاهَيْتِ زَيْدًا وَضَاهَأَتْ زَيْدًا بِالْيَاءِ وَالْهَمْزَةِ ، قَالَ :
وَالضَّهْيَاءُ هِيَ الَّتِي لَا تَحِيضُ ، وَقِيلَ هِيَ الَّتِي لَا تُدْىِ لَهَا ، قَالَ فَيَكُونُ ضَهْيَاءٌ :
فَعِيلَةٌ مِنْ ضَاهَأَتْ . وَقَالَ ابْنُ جَنِّي عَنْ هَذَا إِنَّهُ حَسَنٌ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْكَلَامِ
فَعِيلٌ يَفْتَحُ الْفَاءَ لِأَنَّمَا فَعِيلٌ بِكَسْرِهَا نَحْوُ حَذِيمٍ ، وَطَرِيمٍ ، وَغَرِينٍ ، الْقَاطِعِ ،
وَالطَّرِيمِ الْعَسَلِ أَوْ السَّحَابِ السَّكِيفِ ، وَالْغَرِينِ أَوْ الْغَرِينِ : الطَّيْنُ يَحْمِلُهُ السَّبِيلُ ،
وغير ذلك ، وَلَمْ يَأْتِ الْفَتْحُ فِي هَذَا الْفَنِّ ثَبَتًا ، لِأَنَّمَا حَكَاهُ قَوْمٌ شَاذًا . . . وَحَكَى
أَبُو عَمْرٍو : امْرَأَةٌ ضَهْيَاءٌ وَضَهْيَاءٌ بِالتَّاءِ وَالْهَاءِ الَّتِي لَا تَطْمُثُ . . . وَهَذَا يَقْتَضِي
أَنْ يَكُونَ الضَّهْيَاءُ مَقْصُورًا . وَقَالَ غَيْرُهُ الضَّهْوَاءُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَمْ تَهْتَدِ . . . وَالضَّهْيَاءُ
مَقْصُورٌ : الْأَرْضُ الَّتِي لَا تَنْبُتُ ، وَحَكَى الْجَوْهَرِيُّ أَنَّ الضَّهْيَاءَ مَعْدُودٌ شَجَرٌ ،
وَاحِدَتُهُ : ضَهْيَاءٌ .

أن يكون أَرْبَبٌ وَأَرْبَبَةٌ مثل أَرْمَلٍ وَأَرْمَلَةٌ فلا يكونَ فَعْيَاءً . وروى أبو الأشهب عن الحسن قال لما بويع لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمَنَى صرخ الشيطان ، فقال رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - هذا أبو لَيْبَيْتى ^(١) قد أُنذَرَ بكم ، فَتَفَرَّقُوا .

تذكير فعيل وتأنيها :

فعل : وذكر الحارث بن هشام حين رمى بنعليه إلى جابر : قال : وكان عليه نَعْلَانِ جَدِيدَانِ ، والنعل : مؤنثة ، ولكن لا يقال : جَدِيدَةٌ في النصيح من الكلام ، وإنما يُقال : مِلْحَفَةٌ جديدة لأنها في معنى مَجْدُودَةٌ أى : مقطوعة ، فهي من باب كَفَّ خَضِيب ، وامرأة قَتِيل ، قال سيبويه : ومن قال جَدِيدَةٌ ، فإنما أراد معنى حديثه ، أراد سيبويه أن حديثه ، بمعنى حادثة وكل فعيل بمعنى فاعل يدخله التاء في المؤنث ^(٢)

(١) هي - كما في القاموس اسم ابنة إبليس لعنه الله تعالى . . وأبو لبين : الذكر .

(٢) في إصلاح المنطق لأبي يوسف يعقوب بن السكيت ما يأتي : تقول : هذه ملحفة جديد ، وهذه ملحفة خلق ؛ ولا تقل : جديدة ، ولا خلقه ، وإنما قيل جديد بغير هاء ؛ لأنها في تأويل مجدودة أى : مقطوعة حين قطعها الحائك . . . وإذا كان فعيل نعمًا لمؤنث ، وهو في تأويل مفعول ، كان بغير هاء نحو : لحية دهن ، لأنها في تأويل مدهونة ، وكف خضيب ، لأنها في تأويل مخضوبة ، وملحفة غسيل وامرأة لديخ ، ودابة كسير ، وركبة دفين إذا اندفن بعضها ، وركابا دفن ، وتقول : هذا فرس جواد بهم ، وهذه فرس جواد بهم ، . . وعين كحيل ، وناقة بغير إذا شق بطنها عن ولدها ، وامرأة لعين وجريح وقتيل ، فإذا

من أنفاب الطويل :

وذكر قول سعد حين أسرته قريش : فَنُتِيَ رَجُلٌ وَضَى ، شَفَّعَ . وَالشَّفَّعُ
وَالشَّفَّعَانِ وَالشَّفَّعَانُ^(١) : الطويل من الرجال ، وكذلك السَّنْبُ والصَّعْبُ

لم تذكر المرأة قلت : هذه قتيلة بنى فلان ، وكذلك : مررت بقتيلة ، وقد تأتي
فعلية بالهاء ، وهى فى تأويل مفعول بها تخرج مخرج الأسماء ، ولا يذهب بها
مذهب النعوت ، نحو : النطحة والذبيحة والفريسة وأكلة السبع والجنابة
والعليقة ، وهما البعير يوجهه الرجل مع القوم يمتارون ، فيعطهم دراهم ، يمتاروا
له معهم عليه . . والسربية من الغنم ، والعلقة : الداهية والفريسة التمر والخلبة جميعا
تجمل للنفساء ، وذكر ابن السكيت غيرها كالنقيعة والخنيسة والقظيمة والتريكة
والنجيرة والبسيصة والرجيعة ص ٣٧٧ ط دار المعارف ١٩٤٩ م وفى أدب
الكتاب لابن قتيبة : وما كان على فعل نعتا للمؤنث ، وهو فى تأويل مفعول
كان بغير هاء نحو : كف خضيب وملحفة غسيل ، وبما جاء بالهاء يذهب بها
مذهب النعوت نحو النطحة والذبيحة والفريسة ، وأكلة السبع . . . وتقول :
هذه ذبيحتك ، وذلك أنك لم ترد أن تخبر أنها قد ذبحت ألا ترى أنك تقول :
هذا وهى حية ، وإنما هى بمنزلة : ضحية ، وكذلك شاة رمى ، وتقول بئس
الرمية الأرنب ، وإنما يريد : بئس الشيء بما يرمى الأرنب ، فهذا بمنزلة الذبيحة
فإذا لم يحز فيه مفعول ، فهو بالهاء نحو : مريضة وكبيرة وصغيرة وطريقة ،
وجاءت أشياء شاذة قالوا : ناقة سديس وريح خريق ، وكنتية حصيف ، وإن
كان فاعل فى تأويل فاعل كان مؤنثه بالهاء نحو رحيمة وعليمة وكريمة ، ص ٢٨٩
ط أول ١٣٥٥ هـ

(١) الزبارة من القاموس . والرجز الذى وردت فيه كلمة شعشاع ، هو
لرؤبة انظر ديوان رؤبة ص ١٦٢ طبع برلين ، ص ١٢٠ شرح السيرة للخشني .
وقد شرحه بما يأتي : يطهوه : يمدده ، يعنى : طول عنق البعير ، وغير مودن
أى قصير ويروى : غير . . . وكذلك وقع فى رجز رؤبة ، ووقع هنا بالعين
مهملة ، ص ١٢٠ .

وَالشُّوْقَبُ [الشَّرْعَبُ] وَالشَّرْجَبُ وَالْخَيْقُ وَالشَّوْذَبُ الطَّوِيلُ مَعَ رَقَةٍ فِي
أَسْمَاءَ كَثِيرَةٍ .

معاني الكلمات :

وقوله أوى إليه رجل أى رق له ، يقال أوى إية [وأوية] مأوية .

وقوله فَتَنْطُسُ الْقَوْمَ الْخَبَرَ أى : أكتروا البحث عنه ، وَالتَّنَطُّسُ ، تدقيق
النظر . قال الراجز : [روبة بن المعجاج]

وقد أكون عندها نَقْرِيساً طِبّاً بأدواء النَّسَا نَطِيساً^(١)

وذكر قول ضرار بن الخطاب :

وكان شفاءً وتداركت مُنْذِراً

وضرار بن الخطاب : وضرار كان شاعر قُرَيْشٍ وفارسها ، ولم يكن فقيراً
أشعر منه ، [عبد الله] ثم ابن الزَّبَعْرِى بن قيس بن عدى ، وكان جدّه
مِرْدَاسُ رَئِيسَ بَنِي مُحَارِبٍ بنِ فِهْرٍ فى الجاهلية يسير فيهم بالمرْبَاج ، وهو
رُبْعُ الْغَنِيمة ، وكان أبوه أيام الْفِجَارِ رَئِيسَ بَنِي مُحَارِبٍ بنِ فِهْرٍ أسلمَ ضرار
عام الفتح .

(١) الرجز لروبة بن المعجاج يمدح به أبان بن الوليد البجلي . ورواية
الديوان هكذا :

وقد أكون مرة نطيساً بنخب أدواء الصبا نقريسا
ص ٧٠ الديوان طبع برلين . ورواه الخشنى فى شرح السيرة كما رواه
السبيلى واسكنه ذكر الصبا بدلا من النسا

مول قصيدة مسانه :

وذكر قول حسان يجيبه :

لست إلى عمرو^(١) ولا الرء مفذير إذ مامطايًا القوم أضبحن ضمرا

يعنى بعمرو عمرو بن خنيس والد المنذر . يقول : لست إليه ولا إلى ابنه المنذر أى : أنت أقل من ذلك ، والمنذر بن عمرو هذا يقال له : أعنق ليموت^(٢) ، هو أحد النقباء كما ذكر ابن إسحاق ، وذكر ابن إسحاق فى المواخاة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - آخى بينه ، وبين أبى ذر الغفارى ، وأنكر ذلك الواقدى محمد بن عمر ، وقال : إنما آخى بينه وبين طليب بن عمرو^(٣) . قال : وكيف يواخى بينه وبين أبى ذر ، والمواخاة كانت قبل بدر ، وأبوذر كان إذ ذاك غائبا عن المدينة ، ولم يقدم إلا بعد بدر ، وقد قطعت بدر المواخاة ونسخها قوله سبحانه : ﴿ وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض ﴾ [فى كتاب الله ، إن الله بكل شىء عليم] الأنفال : ٧٥ وللمنذر بن عمرو حديث واحد عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليس له غيره ، يرويه عبد المهيم بن عباس ابن سهل بن سعد عن أبيه عن جده عن المنذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد عن السهو قبل التسليم ، وعبد المهيم ضعيف . وقول حسان :

(١) الذى فى السيرة : لست إلى سعد

(٢) فى الإصابة : وكان يلقب بالمعنى ليموت ، وقال موسى بن عقبة

فى منازيه : وهو الذى يقال له أعنق ليموت ، .

(٣) وقيل هو : ابن عمير ، أمه : أروى بنت عبد المطلب .

ولا تترك كالشاة التي كان حنقها يحفر ذراعيها ، فلم ترض محفرا

تقوله العرب في مثل قديم فيمن أثار على نفسه شرا كالباحث عن المذبة (١)
وأنشد أبو عثمان [الجاحظ] عمرو بن الجحر . [لَلْفَزَ زَدَقَ] :

وكان يُجبر الناس من سيف مالك فأصبح يبغي نفسه من يُجبرها
وكان كدبر الشوء قامت بظلمها إلى مذبة تحت التراب تُجيرها

(١) قال البحتري في حماسه : و يروى عن بعض العرب أنه أصاب نعجة ،
فأراد ذبحها ، ولم يكن معه شيء يذبحها به ، فبينما هو يفكر في ذلك ، وأى ذلك
يصنع إذ حفرت النعجة بأظلافها الأرض ، فأبرزت عن سكين كانت مندفنة
في التراب ، فذبحها بها ، وضرب العرب بها المثل والبيتان بعدهما :

ستعلم عبد القيس إن زال ملكها على أى حال يستمر مريها

وهما في البيان والتبيين ص ١٥٩ ج ٣ للجاحظ بتحقيق الأستاذ عبد السلام
هارون ، وأنشدما أيضا في كتابه الحيوان ، وهما أيضا في ديوان الفرزدق
ص ٢٤٩ . ومن معاني قصيدة حسان كما بين النخشي : البرقاء : موضع . حسر :
معيبة . الربط : الملاحف البيض ، واحدها : ربطة . الانباط : قوم من العجم .
والوسنان النائم . كسرى : ملك الفرس ، وقصر : ملك الروم . انشكلى :
المرأة الغافرة ولدها . والنحر : الصدر .

قصة صنم عمرو بن الجموح

فلما قدّموا المدينة أظهروا الإسلام بها ، وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك ، منهم عمرو بن الجموح بن زَيْد بن حَرَام بن كعب بن غَنَم ابن كعب بن سلمة ، وكان ابنه مُعَاذ بن عمرو شَهِيدَ العقبة ، وباع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، وكان عمرو بن الجموح سيداً من سادات بني سلمة ، وشريفاً من أشرافهم ، وكان قد اتخذ في داره صنماً من خشب ، يقال له : مَنَاءة ، كما كانت الأشراف يصنعون ، تتخذها إلهاً تعظمه وتطهره ، فلما أسلم فقيان بني سلمة : مُعَاذ بن جَبَل ، وابنه مُعَاذ بن عمرو ، في فقيان منهم ثَمَنُ أسلم وشَهِيدُ العقبة ، كانوا يُدْجِلون بالليل على صنم عمرو ذلك ، فيحمله فيطرحونه في بعض حُقَر بني سلمة ، وفيها عَذَرُ الناس ، مُنْكَسّاً على رأسه ، فإذا أصبح عمرو ، قال : ويلكم ! مَنْ عَدَا على آلِهتنا هذه الليلة ؟ قال : ثم يقدو يَتَمَسّه ، حتى إذا وجدَه غَسَلَه وطَهَّرَه وطَيَّبَه ، ثم قال : أما والله لو أعلم مَنْ فعل هذا بك لأخزيتُه . فإذا أمسى ونام عمرو ، عَدَوْا عليه ، ففعلوا به مثل ذلك ، فيقدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى ، فيَغْسِلُه ويَطْهَرُه ويُطَيِّبُه ، ثم يقدون عليه إذا أمسى ، فيفعلون به مثل ذلك . فلما أكتروا عليه ، استخرجوه من حيث ألقوه يوماً ، فغسله وطهره وطيبه ، ثم جاء بسيفه فعنقه عليه ، ثم قال : إني والله ما أعلم مَنْ يصنع بك ما ترى ، فإن كان فيك خيرٌ فامتنع ، فهذا السيفُ معك . فلما أمسى ونام عمرو ، عَدَوْا عليه ، فأخذوا السيف من عنقه ، ثم أخذوا كتاباً ميتاً فقرأوه به بحبل ، ثم ألقوه في بئر من آبار

سَمِيَّةَ ، فِيهَا عَذْرٌ مِنْ عَذْرِ النَّاسِ ، ثُمَّ غَدَا عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ فَلَمْ يَجِدْهُ فِي مَكَانِهِ
الَّذِي كَانَ بِهِ .

إسلام عمرو بن الجموح

نَجَرَ حِجْرَ يَتْبَعُهُ حَتَّى وَجَدَهُ فِي تِلْكَ الْبَيْتِ مُنْكَسًا مُقْرُونًا بِكَلْبٍ مَيِّتٍ ، فَلَمَّا
رَأَاهُ وَأَبْصَرَ شَأْنَهُ ، وَكَلَامَهُ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ ، فَأَسْلَمَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ ، وَحَسُنَ
إِسْلَامُهُ . فَقَالَ حِينَ أَسْلَمَ ، وَعَرَفَ مِنْ اللَّهِ مَا عَرَفَ ، وَهُوَ يَذْكُرُ صَنْمَهُ ذَلِكَ
يَوْمًا أَبْصَرَ مِنْ أَمْرِهِ ، وَيَشْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى الَّذِي أَنْقَذَهُ مِمَّا كُنَ فِيهِ مِنَ الْعَمَى وَالضَّلَالَةِ :

وَاللَّهِ لَوْ كُنْتُ إِلَهًا لَمْ تَكُنْ أَنْتَ وَكَلْبٌ وَسَطٌ بَيْتِي قَرَنَ
أَفَّ لَمَاعَتِكَ إِلَهًا مُسْتَقْدَنُ الْآنَ فَتَشْنَاكَ عَنْ سُوءِ الدِّينِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ ذِي الْإِيمَنِ الْوَاهِبِ الرِّزَاقِ دِيَانَ الدِّينِ
هُوَ الَّذِي أَنْقَذَنِي مِنْ قَبْلِ أَنْ أَكُونَ فِي ظِلْمَةِ قَبْرِ مُرْتَهِنٍ
بِأَحَدِ الْمَهْدَى النَّبِيِّ الْمُرْتَهِنِ

شروط البيعة في العقبة الأخيرة

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَكَانَ فِي بَيْعَةِ الْحَرْبِ ، حِينَ أُذِنَ لِلَّهِ لِرَسُولِهِ فِي الْقِتَالِ
شُرُوطًا سِوَى شَرْطِهِ عَلَيْهِمْ فِي الْعَقْبَةِ الْأُولَى ، كَانَتْ الْأُولَى عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاءِ ،
وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَكُنْ أُذِنَ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَرْبِ ،
فَلَمَّا أُذِنَ لِلَّهِ فِيهَا ، وَبَايَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْعَقْبَةِ الْآخِرَةِ

على حرب الأحمر والأسود ، أخذ لنفسه واشترط على القوم لربّه ، وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، عن أبيه الوليد ، عن جدّه عبادة بن الصامت ، وكان أحد النقباء ، قال :

بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الحرب — وكان عبادة من الإثنين عشر الذين بايعوه في العقبة الأولى على ببيعة النساء — على السمع والطاعة ، في عُسرنا ويُسرنا ومُنْشَطِنا ومُسْكِرَها ، وأُتْرَقَ علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، وأن نقول بالحق أينما كنّا ، لانخاف في الله لومة لائم .

أسماء من شهد العقبة

قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من شهد العقبة ، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها من الأوس والخزرج ، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين .

شهدا من الأوس ابن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بني عبد الأشهل ابن جُشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس أسيد ابن حُضَيْر بن سِمَاك بن عَتِيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عَبد الأشهل ، نقيب لم يشهد بدرًا . وأبو الهيثم بن التَّيْهَان ، واسمه مالك ، شهد بدرًا . وسَلَمَة بن سلامة بن وقش بن زُغَبَة بن زَعُوراء بن عبد الأشهل ، شهد بدرًا ، ثلاثة نفر . قال ابن هشام . ويقال : ابن زَعُوراء بفتح العين .

قال ابن إسحاق : ومن بني حارثة ابن الحارث بن الخزرج بن عمرو

ابن مالك بن الأوس : ظَهَرَ بن رافع بن عَدِيّ بن زيد بن جُثَم بن حارثة .
 وأبو بُرْدَة بن نيار ، واسمه هانيء بن نيار بن عمرو بن عبيد بن كلاب بن دُهان .
 ابن غَنَم بن ذُبْيَان بن هُمَيْم بن كاهل بن ذُهل بن دُهْن بن بَلِي بن عمرو بن الحاف .
 ابن قُضاعة ، حليف لهم ، شهد بدرًا ونَهْشِير [أو بهير] بن الهيثم ، من بني
 نازي بن مُجدعة بن حارثة . ثلاثة نفر .

ومن بني عمرو بن عوف مالك بن الأوس : سعدُ بن حَيْثَمَة بن الحارث .
 ابن مالك بن كعب بن النُّعْطَاط بن كعب بن حارثة بن غَنَم بن السَّلم بن امرئ
 القيس بن مالك بن الأوس ، نقيب ، شهد بدرًا ، فقتل به مع رسول الله -
 صلى الله عليه وسلم - شهيدًا .

قال ابن هشام : ونسبه ابنُ إسحاق في بني عمرو بن عوف ، وهو من بني
 غَنَم ابن السَّلم ، لأنه ربما كانت دعوة الرجل في القوم ، ويكون فيهم
 فيُنسب إليهم .

قال ابن إسحاق : ورفاعة بن عبد المُنذر بن زَنْبَر بن زيد بن أمية بن زيد
 ابن مالك بن عوف بن عمرو ، نقيب ، شهد بدرًا . وعبدُ الله بن جُبَيْر بن
 النعمان بن أمية بن البرك — واسم البرك : امرؤ القيس بن ثعلبة بن عمرو
 شهد بدرًا ، وقُتِل يوم أحد شهيدًا أميرًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على
 الرُّمّة ؛ ويقال : أمية بن البرك ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : ومعنُ بن عَدِيّ بن الجُد بن العَجْلان بن [حارثة]

ابن ضُبَيْمَةَ [بن حرام] لهم من بَنِي ، شهد بدرًا وأُحُدًا والخندق ، ومشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ، قُتِلَ يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه . وعُؤِيم بن ساعدة ، شهد بدرًا وأُحُدًا والخندق . خمسة نفر .

فَجِيع من شهد العَبِقة من الأوس أحدَ عشرَ رجلاً .

وشهدوها من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بني النَّجَّار ، وهو تَيْم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج : أبو أيوب ، وهو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عَبْد بن عوف بن غَنَم بن مالك بن النَّجَّار شهد بدرًا وأُحُدًا والخندق ، والمشاهد كلها ، مات بأرض الروم غازياً في زمن معاوية ابن أبي سفيان . ومُعَاذ بن الحارث بن رِفَاعَة بن سَواد بن مالك بن غَنَم بن مالك ابن النَّجَّار ، شهد بدرًا وأُحُدًا والخندق ، والمشاهد كلها ، وهو ابن عَفْرَاء . وأخوه : عوف بن الحارث ، شهد بدرًا وقُتِلَ به شهيداً ، وهو الذي قتل أَبِجَهْل بن هشام بن المغيرة ، وهو لعَفْرَاء — ويقال : رِفَاعَة بن الحارث بن سَواد ، فيما قال ابن هشام — وعُمارة بن حزم بن زيد بن لَوْثَان بن عمرو ابن عبد عوف بن غَنَم بن مالك بن النَّجَّار . شهد بدرًا وأُحُدًا والخندق ، والمشاهد كلها ، قُتِلَ يوم اليمامة شهيداً في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه . وأُسْمَدُ بن زُرَّارَة بن عُدَس بن عبيد بن ثعلبة بن غَنَم بن مالك بن النَّجَّار ، نقيب ، مات قبل بدر ومسجدُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يُبْنَى ، وهو أبو أَمَامَة . ستة نفر

ومن بني عمرو بن مَبْدُول — ومَبْدُول : عامر بن مالك بن النَّجَّار : سَهْل بن عَتِيكَة

ابن نُمَان بن عمرو بن عَتِيكَ بن عمرو ، شهد بدرًا . رجل .

ومن بنى عمرو ابن مالك بن النَجَّار ، وهم بنو حَدِيْلَة - قال ابن هشام :
حَدِيْلَة : بنت مالك بن زيد مناة بن حبيب بن عبدحارثة بن مالك بن غَضْب
ابن جُثَم بن الخزرج - أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو
ابن زيد مناة بن عدى بن عمرو بن مالك ، شهد بدرًا . وأبو طلحة ، وهو
زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى بن عمرو
ابن مالك ، شهد بدرًا . رجلان .

ومن بنى مازن بن النَجَّار : قيسُ بن أبي صَعَصعة ، واسم أبي صَعَصعة :
عَمْرُو بن زيد بن عوف بن مَبْدُول بن عمرو بن غَنَم بن مازن ، شهد بدرًا ،
وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جعله على الساقة يومئذ . وعمرو بن غُزَيَّة
ابن عمرو بن ثعلبة بن خَنْسَاء بن مَبْدُول بن عمرو بن غَنَم بن مازن . رجلان .
لجميع من شهد العقبة من بنى النَجَّار أحدَ عَشَرَ رجلاً .

قال ابن هشام : عمرو بن غُزَيَّة بن عمرو بن ثعلبة بن خَنْسَاء ، هذا الذى
ذكره ابن إسحاق ، إنما هو غُزَيَّة بن عَطِيَّة بن خَنْسَاء .

من شهدها من بلحارث بن الخزرج

قال ابن إسحاق : ومن بلحارث بن الخزرج : سعدُ بن الربيع بن عمرو
ابن أبي زُهَيْر بن مالك بن امرئ القيس بن مالك [الأغر] بن ثَعْلَبَة بن
كَعْب بن الخزرج بن الحارث ، نقيب ، شهد بدرًا وقتل يوم أحد شهيدًا .

وخارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك [الأغر]
ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث ، شهد بدرًا وقُتل يوم أحد شهيداً
وعبدُ الله بن رواحة [بن ثعلبة] بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس
ابن مالك [الأغر] بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث ، نقيب ،
شهد بدرًا وأحداً والخندق ومشاهدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها ، إلا
الفتحَ وما بعده ، وقُتل يوم مؤتة شهيداً أميراً رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
وبشيرُ بن سعد بن ثعلبة بن الجلاس بن زيد بن مالك [الأغر] بن ثعلبة ابن
كعب بن الخزرج بن الحارث ، أبو النعمان ابن بشير شهد بدرًا . وعبدُ الله بن
زَيْدِ بن ثعلبة بن عبد ربه بن زيد [مناة] بن الحارث بن الخزرج [بن حارثة]
شهد بدرًا ، وهو الذي أرى النداء للصلاة ، فجاء به إلى رسول الله - صلى الله
عليه وسلم فأمر به . وخلاد بن سُوَيْدِ بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن
امرئ القيس بن مالك [الأغر] بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث
[ابن الخزرج] شهد بدرًا وأحداً والخندق وقُتل يوم بني قُرَيْظَةَ شهيداً ، طُرِحَتْ
عليه رَحَى من أَطْمَرٍ من أَطَامِهَا فَشَدَّ خَتَمَهُ شَدْحًا شَدِيدًا ، فقال رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - فيما يذكرون - إِنَّ لَهُ لِأَجْرِ شَهِيدِينَ . وعقبَةُ بن عمرو
ابن ثعلبة بن أُسَيْرَةَ بن عُسَيْرَةَ بن جِدَارَةَ بن عوف بن الحارث [بن الخزرج]
وهو أبو مسعود وكان أحدث من شهد العقبة سنًا ، مات في أيام معاوية ، لم
يشهد بدرًا سبعة نفر .

ومن بني بياضة بن عامر بن زُرَيْقِ بن عبد حارثة بن مالك بن غَضَبِ

ابن جُشَم بن الخُزرج : زيادُ بن أبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدى .
ابن أمية بن بياضة ، شهد بدرًا . وقُروَةُ بن عمرو بن ودقة بن عبيد بن
عامر بن بياضة ، شهد بدرًا . قال ابن هشام : ويقال ودقة .

قال ابن إسحاق : وخالد بن قيس بن مالك بن العجلان بن عامر بن بياضة ،
شهد بدرًا . ثلاثة نفر .

ومن بنى زُرَيْق بن عامر بن زُرَيْق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب .
ابن جُشَم بن الخُزرج : رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زُرَيْق ،
نقيب . وذَكْوَان بن عبد قيس بن خَلْدَة بن مُحَلَّد بن عامر بن زُرَيْق [بن
عامر بن زُرَيْق بن عبد حارثة] ، وكان خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وكان معه بمكة وهاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ، فكان
يقال له : مهاجرى أنصارى ؛ شهد بدرًا وقُتل يوم أحد شهيدًا . وعبيد بن قيس
ابن عامر بن خَلْدَة بن مُحَلَّد بن عامر بن زُرَيْق ، شهد بدرًا . والخنزث بن
قيس بن خالد بن مُحَلَّد بن عامر بن زُرَيْق ، وهو أبو خالد شهد بدرًا .
أربعة نفر .

ومن بنى سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جُشَم بن
الخُزرج ؛ ثم من بنى عُبَيْد بن عَدِي بن غَنَم بن كَعْب بن سلمة : البراء بن
مَعْرُور بن صَخْر بن خنساء بن سنان بن عُبَيْد بن عَدِي بن غَنَم ، نقيب ،
وهو الذى تزعم بنو سلمة أنه كان أول من ضرب على يدر رسول الله صلى الله

عليه وسلم وشرط له ، واشترط عليه ، ثم توفي قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة . وابنه بشر بن البراء بن معرور ، شهد بدرًا وأحدًا والخندق ، ومات بجيهر من أكلة أكلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من الشاة التي سُم فيها - وهو الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين سأل بني سلمة : من سيديكم يا بني سلمة ؟ فقالوا : الجُدُّ بن قيس ، على بُحْنِه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأي داء أكبر من البُخل ! سيدُ بني سلمة الأبيض الجُدُّ بشرُ بن البراء بن معرور . وسنان بن صخر بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبِيد ، شهد بدرًا ، والطُّفيل بن النعمان خنساء بن سنان ابن عبِيد ، شهد بدرًا ، وقُتِل يوم الخندق شهيدًا . ومعقل بن المنذر بن سرح ابن خنساء بن سنان بن عبِيد ، شهد بدرًا . ويَزِيد بن المنذر بن سرح ابن خنساء بن سنان بن عبِيد شهد بدرًا . ومُسَوْدُ بن يزيد بن سبيع بن خنساء بن سنان بن عبِيد . والضَّحَّاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عبِيد ، شهد بدرًا ، ويَزِيد بن خِدَام أو [بن حرام أو خدارة] بن سبيع بن خنساء ابن سنان بن عبِيد . وجُبَّار بن صخر بن أمية بن خنساء بن سنان بن عبِيد [بن عدي بن غم بن كعب بن سلمة] ، شهد بدرًا .

قال ابن هشام : ويقال : جَبَّار بن صخر بن أمية بن خنساء :

قال ابن إسحاق : والطُّفيل بن مالك بن خنساء بن سنان بن عبِيد [وهو ابن عم الطُّفيل بن النعمان بن خنساء بن سنان] ، شهد بدرًا . أحد عشر رجلًا .

ومن بني سواد بن غم بن كعب بن سلمة ، ثم من بني كعب بن سواد :

كعب بن مالك بن أبي كعب بن القَيْن بن كعب . رجل .

ومن بني غَنَم بن سواد بن غَنَم بن كعب بن سَيْحَة : سُكَيْم بن عمرو بن حَدِيدَة
ابن عمرو بن غَنَم ، شهد بدرًا . وَقُطَيْبَة بن عامر بن حَدِيدَة بن عمرو بن غَنَم ،
شهد بدرًا . ويزيد بن عامر بن حَدِيدَة بن عمرو بن غَنَم ، وهو أبو المنذر ،
شهد بدرًا . وأبو الْيَسَر ، واسمه : كعب بن عمرو بن عَبَّاد بن عمرو بن
غَنَم [بن سواد بن غَنَم بن كعب بن سَيْحَة] ، شهد بدرًا . وصَيْفِي بن
سواد بن عَبَّاد بن عمرو بن غَنَم . خمسة نفر .

قال ابن هشام : صَيْفِي بن أسود بن عباد بن عمرو بن غَنَم بن سواد ،
وليس لسواد ابن يقال له : غَنَم .

قال ابن إسحاق : ومن بني نابي بن عمرو بن سواد بن غَنَم بن كعب
ابن سلمة : ثعلبة بن غَنَمَة بن عَدِيّ بن نابي ، شهد بدرًا ، وقُتِل بالخنْدَق
شهيدًا . وعمرو بن غَنَمَة بن عَدِيّ بن نابي ، وعَبْس بن عامر بن عَدِيّ بن
نابي ، شهد بدرًا . وعبدُ الله بن أنيس ، حليف لهم من قُضاعة . وخالد بن
عمرو بن عَدِيّ بن نابي . خمسة نفر .

قال ابن إسحاق : ومن بني حرام بن كعب بن غَنَم بن كعب بن سلمة :
عبدُ الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام ، نقيب ، شهد بدرًا ، وقُتِل يوم
أُحد شهيدًا ، وابنه جابر بن عبد الله . ومعاذ بن عمرو بن الجُمُوح بن زيد بن
حرام ، شهد بدرًا . وثابت بن الجَذَع - والجَذَع : ثعلبة بن زيد بن الحارث

ابن حرام - شهد بدرًا ، وقُتِل بالطائف شهيدًا . وعمير بن الحارث بن ثعلبة .
ابن زيد بن الحارث بن حرام ، شهد بدرًا . قال ابن هشام : عمير بن الحارث .
ابن كَبْدَة بن ثعلبة .

قال ابن إسحاق . وخَدِيج بن سَلَامَة بن أَوْس بن عمرو بن الْفَرَاقِرِ
[أو القراقِر] حَافٍ لَهُمْ مِنْ بَلِيٍّ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ بن عمرو بن أَوْس بن عَائِذٍ .
ابن عَدِي بن كَعْب بن عمرو بن أَدَى بن سَعْد بن عَلِيٍّ بن أَسَد ، ويقال :
أَسَد بن سَارِدَة بن تَزِيد بن جُشَم بن الْخَزْرَج ، وكان في بَنِي سَلَمَة ، شهد بدرًا ،
والمشاهد كلها ومات بِمِمْوَأَس ، عام الطَّاعُون بِالشَّام ، في خلافة عمر بن الْخَطَّابِ .
رضى الله عنه ، وإنما ادَّعَتْهُ بَنُو سَلَمَة أَنَّهُ كَانَ أَخَا سَهْل بن مُحَمَّد بن الْجَدِّ بن
قَيْس بن صَخْر بن خَنْسَاء بن سَنَان بن هَبِيد بن عَدِي بن غَنَم بن كَعْب بن سَلَمَة .
لَأُمِهِ . سَبْعَة نَفَر .

قال ابن هشام : أَوْسُ : ابن عِبَاد بن عَدِي بن كَعْب بن عمرو بن أَدَى .
ابن سَعْد .

قال ابن إسحاق : ومن بَنِي عَوْف بن الْخَزْرَج ، ثُمَّ مِنْ بَنِي سَالِم بن عَوْف
ابن عمرو بن عَوْف بن الْخَزْرَج : عُبَادَة بن الصَّامِت بن قَيْس بن أَصْرَم ابن
فَهْر بن ثَعْلَبَة بن غَنَم بن سَالِم بن عَوْف ، نَقِيب ، شهد بدرًا والمُشَاهِد كلها .
قال ابن هشام : هُوَ غَنَم بن عَوْف ، أَخُو سَالِم بن عَوْف بن عمرو بن
عَوْف بن الْخَزْرَج .

قال ابن إسحاق : والعباس بن عُبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف ، وكان ممن خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فأقام معه بها فكان يقال له : مهاجرى أنصارى وقُتل يوم أحد شهيداً . وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة بن خزيمة بن خازم بن عمرو ابن عَمارة ، حليف لهم من بنى غصينة من بلي . وعمرو بن الحارث بن لَبدة ابن عمرو بن ثعلبة : أربعة نفر ، وهم القواقل .

ومن بنى سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج ، وهم بنو الحُبلى - قال ابن هشام : الحُبلى : سالم بن غنم بن عوف ، وإنما سمي : الحُبلى - لعظم بطنه : رفاعَةُ بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن سالم بن غنم ، شهد بدرًا ، وهو أبو الوليد .

قال ابن هشام : ويقال : رفاعَةُ : ابن مالك ، ومالك : ابن الوليد بن عبد الله بن مالك بن ثعلبة بن جُشم بن مالك بن سالم .

قال ابن إسحاق : وعُقبَةُ بن وهب بن كَلدة بن الجُعْد بن هلال بن الحارث ابن عمرو بن عدى بن جشم بن عوف بن بهثة بن عبد الله بن غطفان بن سعد ابن قيس بن عيلان ، حليف لهم ، شهد بدرًا ، وكان ممن خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجراً من المدينة إلى مكة ، فكان يقال له : مهاجرى أنصارى .

قال ابن هشام : رجُلان .

قال ابن إسحاق : ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج : سعد بن عبادة ابن ذُكَيْم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة ، نقيب ؛ والمنذر بن عمرو بن خُنَيْس بن حارثة بن لَوْذَان بن عَبْدِ وُدّ بن زيد ابن ثعلبة بن جُشَم بن الخزرج بن ساعدة ، نقيب ، شهد بدرًا وأُحُدًا ، وقُتل يوم بئر معونة أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذي كان يقال له : أعنق ليموت . رجالان .

قال ابن إسحاق : فجميع من شهد العقبة من الأوس والخزرج ثلاثة وسبعون رجلاً واسرائئان منهم ، يزعمون أنهما قد بايعتا ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لا يوافق النساء ، إنما كان يأخذ عليهنّ ، فإذا أقررن ، قال : اذهبن فقد بايعتكن .

ومن بنى مازن بن النَجَّار : نُسَيْبَةُ بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مَبْدُول بن عمرو بن غنم بن مازن [بن النَجَّار] ، وهي أم عُمارة ، كانت شهدت الحرب مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وشهدت معها أختها . وزوجها زيد بن عاصم بن كعب . وابناها : حبيب بن زيد ، وعبد الله بن زيد ، وابنها حبيب الذي أخذه مُسَيْلِمَةُ الكَذَّاب الحنفيّ ، صاحب اليمامة ، فجعل يقول له : أتشهد أن محمداً رسول الله ؟ فيقول : نعم ، فيقول : أفتشهد أني رسول الله ؟ فيقول : لا أسمع ، فجعل يقطعه عضواً عضواً حتى مات في يده ، لا يزيد على ذلك ، إذا ذُكِر له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم آمن به وصلى عليه ، وإذا ذُكِر له مُسَيْلِمَةُ قال لا أسمع - فخرجتُ إلى اليمامة مع المسلمين ، فباشرت

الحرب بنفسها . حتى قتل الله مُسَيْلَمَةَ ، ورجعت وبها اثنا عشر جرحا ، من بين طعنة وضربة .

قال ابن إسحاق : حدثني هذا الحديث عنها محمد بن يحيى بن حَبَّان ، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صَفْصَعَة .

ومن بنى سلمة : أم مَنيع ؛ واسمها : أسماء بنت عمرو بن عدى بن نابت . ابن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة .

نزول الأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم في القتال

بسم الله الرحمن الرحيم . قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البَكَّائِي ، عن محمد بن إسحاق المُطَّلِبي : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بيعة العقبة لم يؤذن له في الحرب ولم تُحل له الدماء ، إنما يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر على الأذى ، والصفح عن الجاهل وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنّوهم عن دينهم ونفّوهم من بلادهم ، فهم من بين مَفْتُون في دينه ، ومن بين معذّب في أيديهم ، وبين هارب في البلاد فراراً منهم ، منهم مَنْ بأرض الحبشة ، ومنهم مَنْ بالمدينة ، وفي كل وجه ؛ فلما عَتَتْ قريش على الله عزّ وجلّ ، وردّوا عليه ما أرادهم به من السكرامة ، وكذبوا نبيّه صلى الله عليه وسلم ، وعذّبوا ونفّوا مَنْ عَبدَهُ ووحدَهُ وصدّق نبيه ، واعتصم بدينه ، أذن الله عزّ وجلّ لرسوله صلى الله عليه وسلم في القتال والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم ، فكانت أول آية

أُنزِلَتْ فِي إِذْنِهِ لَهُ فِي الْحَرْبِ ، وَإِحْلَالِهِ لَهُ الدِّمَاءَ وَالْقِتَالَ ، لِمَنْ بَغَى عَلَيْهِمْ ، فِيمَا بَلَغَنِي عَنْ مُعْرُوءَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿ اذِّنْ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأْسَهُمْ ظُلُمُوا ، وَإِنَّا اللَّهُ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَغِيرٍ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْ دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَوَامِعُ وَيَبْعُ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ، إِنَّ اللَّهَ أَقْوَى عَزِيزٌ . الَّذِينَ إِن مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ : أَيْ أُنَى لِمَا أَحَلَّتْ لَهُمُ الْقِتَالَ لِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ ذَنْبٌ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النَّاسِ ، إِلَّا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ ، وَأَنَّهُمْ إِذَا ظَهَرُوا أَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوُا الزَّكَاةَ ، وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ، يَعْنِي النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ؛ نِمِ أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِ : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ : أَيْ : حَتَّى لَا يُفْتَنَ مُؤْمِنٌ عَنْ دِينِهِ : ﴿ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ : أَيْ حَقِّ عِبَادَةِ اللَّهِ ، لِيُعْبَدَ مَعَهُ غَيْرُهُ .

الإذن لمسلمي مكة بالهجرة

قال ابن إسحاق : فلما أذن الله تعالى له صلى الله عليه وسلم في الحرب ، وبأية هذا الحى من الأنصار على الإسلام والنصرة له ولمن اتبعه ، وأوى إليهم من المسلمين ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين من قومه ، ومن معه بمكة من المسلمين ، بالخروج إلى المدينة والهجرة إليها ، والالحاق

ياخوانهم من الأنصار، وقال : إن الله عزّ وجلّ قد جعل لكم إخوانا وداراً
تأمنون بها . فخرجوا أرسالا ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة
ينتظر أن يأذن له ربّه في الخروج من مكة ، والهجرة إلى المدينة .

المهاجرون إلى المدينة

هجرة أبي سلمة وزوجه ، وحديثها عما لقيا

فكان أوّل من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم من المهاجرين من قريش ، من بنى نخزوم : أبو سلمة بن عبد الأسد بن
هلال بن عبد الله بن عمر بن نخزوم ، واسمه : عبد الله ، هاجر إلى المدينة
قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة ، وكان قدّم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
مكة من أرض الحبشة فلما آذنه قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار ،
خرج إلى المدينة مهاجرا .

قال ابن إسحاق : فحدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن سلمة بن عبد الله
ابن عمرو بن أبي سلمة ، عن جدّته أمّ سلمة ، زوج النبي صلى الله عليه وسلم ،
قالت : لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بعمير ثم حمّلتني عليه ،
وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجرى ، ثم خرج بي يقودني بعمير ،
فلما رأته رجال بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن نخزوم قاموا إليّ ، فقالوا
هذه نفسك غلبتنا عليها ، أرايت صاحبك هذه ؟ علام نتركك تسير بها في
البلاد ؟ قالت : ففزعوا خطام البعير من يده ، فأخذوني منه . قالت : وغضب
عند ذلك بنو عبد الأسد ، رهط أبي سلمة ، فقالوا : لا والله ، لا نترك ابننا

عندها إذا نزعتموها من صاحبنا . قالت : فتجاذبوا بُنَى سَلَمَةَ بينهم حتى خلعوا يده ، وانطلق به بنو عبد الأسد ، وحبسني بنو المغيرة عندهم ، وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة . قالت : ففترق بيني وبين زوجي وبين ابني . قالت : فكنت أخرج كلّ غداة فأجالس بالأبطح ، فما أزال أبكي ، حتى أمسى سنة أو قريبا منها حتى مرّ بي رجلٌ من بني عُمَيٍّ ، أحدُ بني المغيرة ، فرأى ما بي فرحماني فقال لبني المغيرة : ألا تُخْرِجون هذه المسكينة ، فترقم بينها وبين زوجها وبين ولدها ! قالت : فقالوا لي : الحقّ بزواجك إن شئتِ . قالت : وردّ بنو عبد الأسد إلى عند ذلك ابني . قالت : فارتحلتُ ببعيري ثم أخذتُ ابني فوضعتُه في حجرى ، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة . قالت : وما معي أحد من خلق الله . قالت : فقلت : أتبلّغ بمن لقيتُ حتى أقدم على زوجي ، حتى إذا كنت بالتمنعيم آقيتُ عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، أخا بني عبد الدار فقال لي : إلى أين يا بنت أبي أمية ؟ قالت : فقلت : أريد زوجي بالمدينة . قال : أو مامعك أحد ؟ قالت : فقلت : لا والله ، إلا الله وُبنَى هذا . قال : والله مالك من مترك ، فأخذ بخطام البعير ، فانطلق معي يَهْوِي بي ، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قطّ ، أرى أنه كان أكرم منه ، كان إذا بلغ المنزل أناخ بي ، ثم استأخر عني ، حتى إذا نزلت استأخر ببعيري ، لحطّ عنه ، ثم قيّده في الشجرة ، ثم تنحّى إلى شجرة ، فاضطجع تحتها ، فاذا دنا الرّواح ، قام إلى بعيري فقدمه فرحله ، ثم استأخر عني ، وقال : اركبي . فاذا ركبتُ واستويتُ على بعيري أتى فأخذ بخطامه ، فقاده ، حتى ينزل بي . فلم يزل يصنع ذلك بي حتى أقدمني المدينة ، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقاء ، قال : زوجك

في هذه القرية -- وكان أبو سلمة بها نازلا -- فادخلها على بركة الله ،
ثم انصرف راجعا إلى مكة .

قال : فكانت تقول والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب
آل أبي سلمة ، وما رأيت صاحباً قطّ كان أكرم من عثمان بن طلحة .

هجرة عامر وزوجه وهجرة بني جحش

قال ابن إسحاق : ثم كان أوّل من قدّمها من المهاجرين بعد أبي سلمة :
عامر بن ربيعة ، حليف بني عدى بن كعب ، معه امرأته ليلى بنت أبي حنمة
ابن غانم بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عدى بن كعب . ثم عبد الله بن
جحش بن رثاب بن بغير بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن
أسد بن خزيمه ، حليف بني أمية بن عبد شمس ، احتمل بأهله وبأخيه عبد
ابن جحش ، وهو أبو أحمد - وكان أبو أحمد رجلاً ضريّر البصر ، وكان
يطوف مكة ، أعلاها وأسفلها ، بغير قائد ، وكان شاعراً ، وكانت عنده الفرعة
بنت أبي سفيان بن حرب ، وكانت أمه أُميمة بنت عبد المطلب بن هاشم -
فعلقت دار بني جحش هجرة ، فمرّ بها عتبة بن ربيعة - والعبّاس بن
عبد المطلب ، وأبو جهل بن هشام بن المغيرة ، وهى دار أبان بن عثمان اليوم
التي بالردم ، وهم مُضْعِدُونَ إلى أعلى مكة ، فنظر إليها عتبة بن ربيعة تَخَفُّقُ
أبوابها يَبْأَبًا ليس فيها ساكن ، فلما رآها كذلك تنفّس الصعداء ، ثم قال :

وكلّ دار وإن طالّت سلامتها يوما ستُدركها النكباء والحوب

قال ابن هشام : وهذا البيت لأبي دُوَادٍ الإيَادِي فِي قَصِيدَةٍ لَهُ . وَالْحُوبُ :
التَّوَجُّعُ .

قال ابن إسحاق : ثُمَّ قَالَ عَتَبَةُ : أَصْبَحْتُ : دَارُ بَنِي جَحْشٍ خَلَاءَ مِنْ أَهْلِهَا !
فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : وَمَا تَبْكِي عَلَيْهِ مِنْ قُلٍّ بِنِ قُلٍّ .

قال ابن هشام القُلَّ : الْوَاحِدُ . قَالَ لِبَيْدِ بْنِ رَبِيعَةَ :

كَلَّ بَنِي حَرَّةٍ مَصِيرُهُمْ قُلٌّ وَإِنْ أَكْثَرَتْ مِنَ الْقَدْرِ

قال ابن إسحاق : ثُمَّ قَالَ : هَذَا عَمَلُ ابْنِ أَخِي هَذَا ، فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا ،
وَشَتَّتْ أَمْرَنَا وَقَطَعَ بَيْنَنَا فَكَانَ مَنْزِلُ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الْأَسَدِ ، وَعَامِرُ بْنُ
رَبِيعَةَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ ، وَأَخِيهِ أَبِي أَحْمَدَ بْنِ جَحْشٍ ، عَلَى مَبْشَرِ بْنِ
عَبْدِ الْمُنْذِرِ بْنِ زَنْبَرٍ بَقَاءَ ، فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ ، ثُمَّ قَدِمَ الْمُهَاجِرُونَ أَرْسَالًا ، وَكَانَ
بَنُو غَنَمٍ بْنِ دُودَانَ أَهْلَ إِسْلَامٍ ، قَدْ أَوْعَبُوا إِلَى الْمَدِينَةِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَجْرَةً رَجَلَهُمْ وَنَسَاؤُهُمْ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ ، وَأَخُوهُ أَبُو أَحْمَدَ
ابْنِ جَحْشٍ ، وَعُكَّاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ ، وَشِجَاعٌ ، وَعَقْبَةُ ، ابْنَا وَهَبٍ وَأَرْبَدُ
ابْنِ حُمَيْرَةَ .

قال ابن هشام : وَيُقَالُ ابْنُ حُمَيْرَةَ .

قال ابن إسحاق : وَمُنْقِذُ بْنُ نُبَاتَةَ ، وَسَمْعِيدُ بْنُ رُقَيْشٍ ، وَخُرَيْزُ بْنُ نَعْلَةَ ،
وَيَزِيدُ بْنُ رُقَيْشٍ ، وَقَيْسُ بْنُ جَابِرٍ ، وَعَمْرُو بْنُ مِحْصَنٍ ، وَمَالِكُ بْنُ عَمْرِو ،
وَصَفْوَانُ بْنُ عَمْرِو ، وَتَقْفُ بْنُ عَمْرِو ، وَرَبِيعَةُ بْنُ أَكْثَمٍ ، وَالزَّيْبِرُ بْنُ عُبَيْدٍ ،

وَنَمَامُ بْنُ عُبَيْدَةَ ، وَسَخْبَرَةُ بْنُ عُبَيْدَةَ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ .

وَمِنْ نَسَائِهِمْ : زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ ، وَأُمُّ حَبِيبٍ بِنْتُ جَحْشٍ ، وَجُدَّامَةُ بِنْتُ جَنْدَلٍ ، وَأُمُّ قَيْسٍ بِنْتُ مِجْصَنٍ ، وَأُمُّ حَبِيبٍ بِنْتُ مُنَمَّامَةَ ، وَأَمْنَةُ [أَوْ أَمِيمَةُ] بِنْتُ رُقَيْشٍ ، وَسَخْبَرَةُ بِنْتُ تَمِيمٍ ، وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ .

وَقَالَ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ جَحْشٍ بْنُ رَثَابٍ ، وَهُوَ يَذْكُرُ هَجْرَةَ بَنِي أَسَدِ بْنِ خَزِيمَةَ مِنْ قَوْمِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِيعَابِهِمْ فِي ذَلِكَ حِينَ دُعُوا إِلَى الْهَجْرَةِ :

وَلَوْ حَلَفْتُ بَيْنَ الصَّفَا أُمُّ أَحْمَدَ وَمَرُوتَهَا بِاللَّهِ بَرَّتْ يَمِينُهَا
لَنَحْنُ الْأُولَى كَفَاءً بِهَا ، ثُمَّ لَمْ نَزَلْ بِمَكَّةَ حَتَّى عَادَ غَنًّا سَمِينُهَا
بِهَا خَيَّمْتُ غَنَمَ بَنِي دُودَانَ وَابْتَنْتُ وَمَا إِنِّي عَدَدْتُ غَنَمًا وَخَفْتُ قَطِيفُهَا
إِلَى اللَّهِ تَغْدُو بَيْنَ مَشْنَى وَوَاحِدٍ وَدِينِ رَسُولِ اللَّهِ بِالْحَقِّ دِينُهَا

وَقَالَ أَبُو أَحْمَدَ بْنُ جَحْشٍ أَيْضًا :

لَمَّا رَأَيْتُنِي أُمُّ أَحْمَدَ غَادِيَا بِذِمَّةٍ مَنْ أَخْشَى بَغْيِي وَأَرْهَبَ
تَقُولُ : فَإِنَّمَا كُنْتُ لِابْدَاءِ فَاعِلًا فَيَمُّ بَنِي الْبُلْدَانِ وَلَتَمْنًا يَثْرِبُ
فَقُلْتُ لَهَا : بَلْ يَثْرِبُ الْيَوْمَ وَجْهُنَا وَمَا يَشِئُ الرَّحْمَنُ فَالْعَبْدُ يَرْكَبُ
إِلَى اللَّهِ وَجْهِي وَالرَّسُولَ وَمَنْ يُقَمُّ إِلَى اللَّهِ يَوْمًا وَجْهَهُ لَا يَنْخَبِثُ

فكم قد تركنا من حميم مُناصِح وناصحة تَبْكِي بَدَمَعٍ وتندب
تري أن وِتْرًا نَأْيُنَا عن بلادنا ونحن نَرَى أَنَّ الرِّغَابَ نَطْلُبُ
دعوت بني غَنَمٍ لِحَقِّن دِمَائِهِمْ وللحقِّ لَمَّا لَاحَ لِلنَّاسِ مَلَحَبُ
أجابوا بِحَمْدِ اللَّهِ لَمَّا دَعَاهُمْ إلى الحقِّ دَاعٍ والنَّجَاحَ فَأَوْعَبُوا
وكنَّا وأَصْحَابَنَا فَارَقُوا الْهُدَى أَعَانُوا عَلَيْنَا بِالسَّلَاحِ وَأَجْلَبُوا
كَفَوَجَيْنِ : أَمَّا مِنْهُمَا فَمُوفَّقٌ على الحقِّ مَهْدِيٌّ ، وفوجٌ مَعْدَبُ
طَفَوْا وَتَمَنَّوْا كَذِبَةً وَأَزَلَّهِمْ عن الحقِّ إِبْلِيسُ نَخَابُوا وَخُيَّبُوا
وَرُغْنَا إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ فَطَابَ وَلاَهُ الْحَقُّ مِنَّا وَطُيِّبُوا
نَمَتْ بِأَرْحَامِ إِيْلِهِمْ قَرِيبَةٌ وَلَا قَرَبَ بِالْأَرْحَامِ إِذَا لَا نُقَرَّبُ
فَأَيُّ ابْنِ أَخْتٍ بَعْدَنَا بِأَمْنِنِّكُمْ وَأَيَّةَ صِهْرٍ بَعْدَ صِهْرِي تُرْقَبُ
سَتَعْلَمُ يَوْمَا أَيْنَا إِذَا تَزَايَلُوا وَزُبُلُ أَمْرِ النَّاسِ لِلْحَقِّ أَصُوبُ

قال ابن هشام : قوله « وَلْتَنَازُ يَثْرَب » ، وقوله « إِذَا لَا نَقْرَب » ، عن
غير ابن إسحاق . قال ابن هشام : يريد بقوله : « إِذَا » ، إِذَا ، كقول الله عز وجل :
« إِذَا الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ » قال أبو النجم العجلي :

ثم جزأه الله عَنَّا إِذَا جَزَى جَنَّاتِ عَدْنٍ فِي الْعَالِيِّ وَالْعُلَا

اسلام عمرو بن الجموح وصنمه :

فصل في إسلام عمرو بن الجموح ، وذكر صنمه الذي كان يعبد ، واسمه
مَنَاة ، وزنه فَعْلَةٌ من منيت الدم وغيره : إذا صَبَبْتَهُ ، لأن الدماء كانت تُمْنَى
عنده تَقَرُّبًا إليه ، ومنه سُمِّيَتِ الأصنامُ الدُّمِّيَّةُ ، وفي الحديث : لا والدُّمِّيَّ لا أرى
بما تقول بأسا ، وكذلك مَنَاة الطاغية التي كانوا يَهْلُون إليها بقُدَيْدٍ والحِظُّ من
من هذا المطلع ما في قوله تعالى ﴿ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ﴾ النجم ، من الفائدة
جعلها ثالثة للآتِ وَالْعَزَّى ، وأخرى بالإضافة إلى مناة التي كان يعبدها عمرو
ابن الجموح وغيره من قومه ، فهما مَنَاَتَانِ ، وإحداها عن الأخرى بالإضافة
إلى صاحبتهما .
وقوله :

الآن فَتَشْتُمَاكَ عَنْ سُوءِ الْعَيْنِ

العين في الرأي يقال عَيْنَ رَأْيِهِ كما يقال سَفِهَ نَفْسَهُ ، فنصبوا ، لأن المعنى :
خَسِرَ نَفْسَهُ ، وأَوْبَقَهَا وأَفْسَدَ رَأْيَهُ ونحو هذا .

وقوله إلهَا مُسْتَدَنٌ مِنَ السَّيْدَانَةِ ، وهي خِدْمَةُ البيت وتعظيمه .

وقوله دَيَّانُ الدِّينِ : الدِّينُ جمع دِينَةٍ ، وهي العادة ، ويقال لها دِينٌ
أيضا ، وقال ابنُ الطَّيْثَرِيَّةِ ، واسمه يزيد ^(٢) :

(١) ولهذا فسرهما الخشنى بقوله : مستذل مستعبد :

(٢) اختلف في نسبه ، فهو عند أبي عمرو والشيباني : أبو المكشوح يزيد

أرى سبعة يسعون للوصل كلهم له عند كَيْلِي دِبْنَةٍ يَسْتَدِينُهَا
فَأَلْقَيْتُ سَهْمِي بَيْنَهُمْ حِينَ أَوْخَشُوا فَمَا صَارَ لِي فِي الْقَسَمِ إِلَّا ثَمِينُهَا^(١)

ويجوز أن يكون أراد بالذَّيْنِ : الأديان أى هو دَيَّانُ أَهْلِ الأَدْيَانِ ،
ولكن جمعها عَلَى الذَّيْنِ ، لأنها مِثْلٌ وَنَحْلٌ ، كما قالوا في جمع : الْحُرَّةُ : حُرَّاءُ ،
لأنهن في معنى الْكَرَّائِمِ والعقائل ، وكذلك مَرَاثِرُ الشَّجَرِ ، وإن كانت
الواحدة مُرَّةً ، ولكنها في معنى فعيلة ، لأنها عَسِيرَةٌ فِي الذَّوْقِ ، وشديدة على
الآكل ، وكرهية إليه .

تفسير بعض الأَنساب :

فصل : وذكر ابن إسحاق تسمية من حَضَرَ الْعَقَبَةَ ، وذكر أَنسابهم إِلا

ابن سُلَيْمَةَ بنِ سَمُرَةَ بنِ سُلَيْمَةَ الْخَيْرِ بنِ قُشَيْرِ بنِ كَعْبِ بنِ رَبِيعَةَ بنِ عَامِرِ بنِ مَعْصُومَةَ .
وقيل : إنه يزيد بن المنتشر بن سلمة ، وذكر ابن الكلبي أنه يزيد بن الصمة أحد
بنى سلمة الخير بن قشير ، وذكر البصريون أنه من ولد الأعور بن قشير . يقول
عنه أبو الحسن علي بن عبد الله الطوسي : كان ابن الطثرية شاعرا مطبوعا عاقلا
فصيحا كامل الادب وافر المروءة لا يعاب ، ولا يطمعن عليه ، والطثرية أمه ، وهي
من بني طائر بن عاز بن وائل . وقد ضبطها ابن خلكان بفتح الطاء وسكون الثاء ،
وضبط في القاموس واللسان بفتح الثاء : وهو من شعراء الحماسة لأبي تمام والبيت
الثاني في اللسان في مادة ثمن .

(١) أوخش القوم : ردوا والسهام في الرماية مرة أخرى ، والثين : جزء من
الثمانية ، وفي اللسان : وسطهم بدلا من : بينهم لأن فعله غالبا يجمع على فعل ،
مثل غرفة وغرف ومديّة ومدى ، وأما فعائل فقيس في كل رباعى — اسم
أوصفة — مؤنث انظليا أو معنويا ثالثه مده سواء أكانت ألفا أم ياء أم واوا .

أبا الهيثم بن التيهان ، وقد ذكرنا اسمه واسم أبيه ، وما قيل في نسبه في ذكر العقبة الأولى ^(١) .

وذكر قطبة بن عامر ، والقطبة فيما ذكر أبو حنيفة واحدة القطب ، وهي شوكة ^(٢) . مدرجة فيها ثلاث شويكات ، وهي تشبه حسك السعدان ، وقد بان بتعت أبي حنيفة له أنه الذي نسميه ببلادنا حصص الأمير . والقطبة : طارف النصل .

وذكر ذكوان بن عبد قيس ، ونسبه إلى عامر بن زريق بن عامر بن زريق بن رواحة بن غضب بن جشم ، والغضب في اللغة : الشديد الحمرة ^(٣) ، وجشم متداول عن جاشم ، وهو من جشمت الأمر [تكلفته على مشقة] كما عدلوا عمر عن عامر ^(٤) وقد أملينا جزءا في أسرار ما ينصرف ، وما لا ينصرف .

(١) ما زدته في السيرة من نسب معن بن عدى وغيره من الإصابة .
(٢) القطبة ضرب من النبات يذهب حبالا على الأرض طولا ، وله زهرة صفراء ، وشوكته إذا أحصد ويبس يشق على الناس أن يطاموها ، مدرجة كأنها حصاة . والحسك : نبات له ثمرة خشنة تتعلق بأصواف الغنم وأوبار الإبل ، ومنه حسك السعدان ، والسعدان : نبت من أفضل مراعى الإبل ، ومنه : مرعى ، ولا كالسعدان ، وله شوكة تشبه به حلبة الندى . وهذا المثل يضرب للشيء بفضل على أقرانه

(٣) في الاشتقاق : الغضب : الأحمر الغليظ ، والغضبة الصخرة الخشنة . ص ٤٦١ .

(٤) في الاشتقاق : ومن قولهم : جشمت إليك هذا الأمر ، أي : تحملته ثقله ، وجشم البعير : صدره وكله ، ص ٢٥٢ .

شَرَحْنَا فِيهِ فائدة العدل عن فاعل إلى فَعَل ، وما حقيقة العَدْل والمَقْصُود به ،
ولم لَمْ يُعَدَّلْ عن أسماء الأجناس ، ولم لَمْ يَكُنْ إلّا في الصفات ولم لَمْ يَكُنْ من
الصفات إلّا في مثل عامر وزيّاف وقائم^(١) ، ولم يَكُنْ في مَالِك وصالح وسالم ،
ولمَ خَصَّ فعل هذا البناء بالعدل إليه ، وهل عُدِلَ إلى بناء غيره ، أم لا ولمَ منع
الْخَفْض والتَّنْوِين إذا كان مَعْدُولاً إلى هذا البناء ، فمن اشتاق إلى معرفة هذه
الأسرار فَلْيَنْظُرْهَا هُنَالِكَ ، فإن ابن جني قد حَامَى في كتاب الخصائص على
بعضها ، فما وَرَدَ ، وصَاصَاً فما فَتَحَ^(٢) .

وذكر في بنى كَيَاخَـةَ عَمْرَوَ بن وَدَّافَـةَ بذال مُعْجَمَة ، وقال ابن هشام :
وَدَّافَـةَ بذال مهملة ، وهو الأصح ، والوَدَّافَـةُ : الرُّوضَةُ النّاعمة سُمِّيَتْ بذلك ،
لأنها تنظر ماء من نعمتها ، والأَدَافُ الذَّكَرُ ، وأصله : وُدَافٌ ، سُمِّيَ بذلك
الموضع قطر الماء والمنى منه^(٣) ، ويقال للروضة النّاعمة : الدَّقْرَى ، وعمرُو بن

(١) قثم - في القاموس - الكثير العطاء معدول عن قائم ، والجمع للخير
والعيال ، وزفر : الأسد والشجاع ، والبحر والنهر الكثير الماء ، الذي يحمل
الانفعال ، أى : القوى على حمل القرب ، والجل الضخم ، والكثيية إلخ .
(٢) فتَحَ الجرو ، فتح عيفيه أول ما يفتح ، وهو صغير ، وصَاصَاً الجرو : حاول
النظر ولما تنفتح عيناه ، ويقال : فتَحْنَا ، وصَاصَأم : أبصرنا الحق ،
ولم تبصروه .

(٣) العبارة مضطربة ولعلها : لقطر الماء .. الخ . وفي القاموس عن وداف :
« وكقراب : الذكر لما يدف منه من المنى وغيره ، وفي اللسان : « والأداف : الذكر
القطراشه الهمزة فيه : بدل من الوار ، وهو بما لزم فيه البدل ، إذ لم تسمعهم
قالوا : وداف . وفي الحديث : في الأداف الدية يعنى الذكر ، قال ابن الأثير :

وَدَفَّةٌ هَذَا هُوَ الْبَيَاضِيُّ الَّذِي رَوَى عَنْهُ مَالِكٌ فِي كِتَابِ الصَّلَاةِ ، وَلَمْ يُسَمِّهِ ،
وَفِي الْأَنْصَارِ [مِنْ قِبَائِلِ الْخَزْرَجِ] بَنُو النَّجَّارِ ، وَهُمْ تَيْمُ اللَّهِ بْنِ ثَعْلَبَةَ ،
سَمَى النَّجَّارَ فِيمَا ذَكَرُوا لِأَنَّهُ نَجَرَ وَجْهَ رَجُلٍ بِقُدُومٍ وَقِيلَ : كَانَ نَجَّارًا ، وَثَعْلَبَةُ
فِي الْعَرَبِ كَثِيرٌ فِي الرِّجَالِ ، وَقُلَّ مَا يُسَمُّونَ بِثَعْلَبٍ ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ هُوَ الْقِيَاسُ
كَمَا يُسَمُّونَ بَنِي مِزَرَ وَسَبْعَ وَذُنُبٍ ^(١) ، وَلَكِنْ الثَّعْلَبُ اسْمٌ مُشْتَرَكٌ ، إِذْ يُقَالُ
ثَعْلَبُ الرُّمَحِ ، وَثَعْلَابُ الْخَوْضِ ^(٢) ، وَهُوَ مَخْرَجُ الْمَاءِ مِنْهُ ، وَفِي الْحَدِيثِ
حَتَّى قَامَ أَبُو لِبَابَةَ يَسُدُّ ثَعْلَبَ مِرْبَدَةَ بِرِدَائِهِ ^(٣) ، فَكَأَنَّهُمْ عَدَلُوا عَنِ التَّسْمِيَةِ

سَمَاءٌ ؟ يَقَطُرُ مِنْهَا مِجَازًا ، وَفِي اللِّسَانِ عَنِ الْوَدْفَةِ : الْوَدْفَةُ — بِسُكُونِ الدَّالِ —
الْوَدِيفَةُ : الرُّوضَةُ النَّاضِرَةُ الْمُتَخِيلَةُ ، وَقَالَ أَبُو حَازِمٍ : الْوَدْفَةُ بِفَتْحِ الدَّالِ :
الرُّوضَةُ الْخَضِرَاءُ مِنْ ثَبِتٍ .

(١) يَقُولُ ابْنُ دُرَيْدٍ عَنْ عَزَاهِبِ الْعَرَبِ فِي التَّسْمِيَةِ : « وَمِنْهَا أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ
يَخْرُجُ مِنْ مَنْزِلِهِ وَأَمْرَاتُهُ تَمُخَضُ ، فَيَسْمِي ابْنَهُ بِأُولِ مَا يُلْقِيَنَّ مِنْ ذَلِكَ ، نَحْوُ :
ثَعْلَبٌ وَثَعْلَبَةُ ، وَضَبٌ وَضْبَةٌ ، وَخَزَرٌ وَضَيْبَةُ ، وَكَلْبٌ وَكَلِيبٌ ، وَحِمَارٌ وَفَرْدٌ
وَخَنْزِيرٌ . . . وَكَذَلِكَ أَيْضًا تَسْمَى بِأُولِ مَا يَسْنَحُ أَوْ يَبْرَحُ لَهَا مِنَ الطَّيْرِ نَحْوُ :
غُرَابٌ وَصُرْدٌ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، مِنْ الْإِشْتِقَاقِ ، وَلَمْ أَجِدْ فِيهِ سِوَى بَطْنٍ وَاحِدٍ
مِنْ قِبَائِلِ قُضَاعَةَ سَمَى بِثَعْلَبٍ بَدَنًا وَجَدَتْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ سَمَوًا بِثَعْلَبَةٍ وَهَنَّاكَ اثْنَانِ
وَعَشْرُونَ صَحَابِيًّا كُلَّهُمْ تَسْمَى بِاسْمِ ثَعْلَبَةٍ .

(٢) ثَعْلَبُ الرَّمَحِ : طَرَفُهُ الدَّخَالُ فِي جِبَةِ السِّنَانِ

(٣) فِي النِّهَايَةِ لِابْنِ الْأَثِيرِ « فِي حَدِيثِ الْأَسْتِصْقَاءِ : اللَّهُمَّ اسْقِنَا حَتَّى يَقُومَ
أَبُو لِبَابَةَ يَسُدُّ ثَعْلَبَ مَرِيدِهِ بِإِزَارِهِ . الْمَرِيدُ : مَوْضِعٌ يَجْفَفُ فِيهِ التَّمْرُ ، وَثَعْلَبَةُ
ثَقْبُهُ الَّذِي يَسِيلُ مِنْهُ مَاءُ الْمَطَرِ ، وَفِي مَكَانٍ آخَرَ يَقُولُ : يَعْنِي مَوْضِعَ ثَمَرِهِ . .
أَنْظُرْ مَا دَقَّ ثَعْلَبُ وَرَبْدٌ فِي النِّهَايَةِ . وَفِي الرُّوضِ : يَشُدُّ ثَعْلَبٌ وَهُوَ خَطَأٌ .

بشلب لهذا الاشتراك ، مع أن الثعلبية أحى لأدراصها^(١) وأغبر على أجرائها من الثعلب .

وذكر قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لبني سلمة من سيدكم ؟ فقالوا جده بن قيس على بخل فيه ، فقال : وأى داء أكبر من البخل ؟ ! بل سيدكم الأبيض الجمعد : بشر بن البراء ، وروى عن الزهري وعاصم الشيباني . أنهما قالوا في هذا الحديث عن النبي عليه السلام : بل سيدكم عمرو بن الجموح ، وقال شاعر الأنصار في ذلك :

وقال رسول الله ، والحق قوله لَمَنْ قَالَ مَنَّا مَنْ تَعْدُونَ سَيِّدَا
فقالوا له : جده بن قيس على التي تُبَخِّلُهُ فِيهَا ، وَمَا كَانَ أَسْوَدَا
فَسَوَّدَ عَمْرُو بْنُ الْجُمُوحِ لُجُودَهُ وَحُقَّ لِعَمْرٍو عِنْدَنَا أَنْ يُسَوَّدَا

ذكر خديج بن سلامة البلوي :

فصل : وذكر خديج بن سلامة البلوي ، وهو : خديج بنخاء منقوطة مفتوحة ودال مكسورة ، كذا ذكره الدارقطني وغيره ، وذكره الطبري ، وقال : شهد العقبة ، ولم يشهد بدر ، وقال : يُكْنَى أَبَا رَشِيد :

وذكر معاذ بن جبل ونسبه إلى أرواح بن سعد بن علي أخى سلمة ، وقد

(١) أدراص جمع درص بفتح الدال وكسر ما : ولد القنفذ والأرنب واليربوع والفأرة والهرة ونحوها ، وبالكسر جنين الأنان . والجمع أيضاً درمة ودرصان ، ودروس وأدراص . والجرو مثلثة - أى بكسر الجيم وفتحها وضمتها - صغير كل شيء حتى الحنظل والبطين ونحوه ج أجر وجراء وولد الكلب والاسد ج أجر وأجرية وأجراء وجراء .

انقرض عَقِبُ أَدَىٍّ ، وآخرُ من مات منهم عبدُ الرحمن بن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ،
وقد يقال في أَدَىٍّ أَيضاً : أذن في غير رواية ابن إسحاق وابن هشام .

وذكر أن مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ مات في طاعون عَمَواس ، هكذا تفيد في النسخة
عَمَواس بسكون الميم ^(١) ، وقال فيه البكري في كتاب المعجم من أسماء البقع :
عَمَواس بفتح الميم والعين ، وهي قرية بالشام عُرِفَ الطاعون بها لأنه منها بدأ
وقيل : إنما سمي : طاعون عَمَواس لأنه عمّ وآسى أى جعل بعض الناس
أُسوة بعض .

وذكر يزيد بن ثعلبة بن خزيمة بسكون الزاي كذا قال فيه ابن إسحاق
وابن الكلبي ، وقال الطبري فيه خزيمة بتحريك الزاي ، وهو بَلَوِيٌّ من بني
عَمارة بفتح العين وتشديد الميم ، ولا يعرف عَمارة في العرب إلا هذا ،
كما لا يُعرفُ عمارة بكسر العين إلا أَبِي بنِ عَمارة الذي يروى حديثاً في المسح
على الخفين ، وقد قيل فيه عَمارة بضم العين ، وأما سوى هذين فَعَمارة بالضم ،
غير أن الدَّارَ قُطَنِي ذكرَ بنَ مُحَمَّدَ بنَ حبيب عن ابن الكلبي في نسب قضاة
قال مُدرك بن عبد الله الْقَمَقَامُ بنِ عَمارة بن ذُوَيْد بن مالك . وفي النساء عَمارة

(١) في المراسد : رواه الزنجشري بكسر أوله وكسر ثانيه ، وغيره بفتح أوله
وثانيه : كورة من فلسطين قرب بيت المقدس وكانت عمواس قصبتها قديماً ،
وهي ضيعة جليلة على ستة أميال من بيت المقدس ، منها كان ابتداء الطاعون
المنسوب إليها في زمن عمر . قيل : مات فيه خمسة وعشرون ألفاً ، وفي ياقوت
أن عمواس بكسر العين وسكون الميم .

بنت نافع ، وهى أم محمد بن عبد الله بن عبد الرزاق ، وفى الأنصار خزنة سوى هذا المذكور بفتح الزاى كثير .

وذكر بنى الحُبلى والنسب إليه حُبلى بضم الحاء والباء قاله سيديويه على غير قياس ، الذَّسَب ، وتوهم بعض من ألف فى العربية أن سِيدِيَوِيَه قال فيه : حُبَلِي بفتح الباء لما ذكره مع جُذَمِيٍّ فى النسب إلى جَذِيْمَةٍ ولم يذكره سيديويه معه ، لأنه على وزنه ، ولكن لأنه شاذ مثله فى القياس الذى ذكرناه عن سيديويه من تقييده بالضم ، ذكره أبو عليّ القَاسِي فى البارِع ، وقال هَكَذَا تَقْيِيْدٌ فى النسخ الصحيحة من سيديويه ، وحسبك من هذا أن جميع المحدثين يقولون : أبو عبد الرحمن الحُبَلِي بضم هتين ، لا يختلفون فى ذلك ، فدل هذا كله على غلط من نسب إلى سيديويه أنه ففتح الباء (١) .

منى أسلم عثمان بن أبى طلحة :

فصل : وذكر هجرة أم سلمة وصحبة عثمان بن طلحة لها ، وهو يومئذ

(١) فى القاموس : الحبل ، بضم الحاء وسكون الباء وفتح اللام ، لقب سالم بن غنم بن عوف لعظم بطنه من ولده : بنو الحبل بطن من الأنصار ، وهو حبل بضم الحاء وسكون الباء - وبضم هتين ، وكجهنى ،

وفى الباب لابن الأثير الحبل بضم الحاء والباء ونقل عن السمعاني ، وذكر سيديويه النحوي : الحبل بفتح الباء وقال : هو منسوب إلى بنى الحبل . وقال : الحبل بضم الحاء وسكون الباء وإمالة اللام لقب سالم بن غنم بن عوف ابن الخزرج بن حارثة قال ابن التكلبى : إنما سمي الحبل لعظم بطنه . وانظر ص ٥٩ الاشتقاق .

على كفره ، وإنما أسلم عُثمان في هُدنة الحُدَيْبِيَّة^(١) ، وهاجر قبل الفتح مع خالد ابن الوليد ، وقتل يوم أُحُدٍ إخوته مُسَافِع ، وِكَلاب والحارث ، وأبوم وعمه عثمان بن أبي طلحة قُتِلَ أيضا يوم أحد كافرين ويده كانت مفاتيح الكعبة ودفعها رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - عام الفتح إلى عثمان بن طلحة بن أبي طلحة ، وإلى ابن عمه شَيْبَةَ بن أبي عثمان بن أبي طلحة ، وهو جد بني شَيْبَةَ حَجَّبة الكعبة ، واسم أبي طلحة جدم : عبد الله بن عبد العُزَّى ، وقُتِلَ عثمان رحمه الله شهيدا بأُجنادَيْنِ في أول خلافة عمر .

هجرة بني جَحْش :

وذكر هجرة بني جَحْش ، وهم : عبد الله وأبو أحمد واسمه : عبد ، وقد كان أخوهم عُبَيْدُ الله أسلم ثم تنصر بأرض الحبشة ، وزينب بنت جحش أم المؤمنين التي كانت عند زيد بن حارثة ونزلت فيها ﴿ فلما قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَا كَهَا ﴾ الأحزاب وأم حبيب بنت جَحْش التي كانت تُسَمَّحَاضُ ، وكانت تحت عبد الرحمن بن عوف ، وَحَمْنَةُ بنت جَحْش التي كانت تحت مُصْعَبِ بن عُمَيْرٍ ، وكانت تُسَمَّحَاضُ أيضا ، وقد روى أن زينب استُحْيِضَتْ أيضا ، ووقع في المَوَاطَأَ أن زينب بنت جَحْش التي كانت تحت عبد الرحمن بن عوف ، وكانت تُسَمَّحَاضُ ، ولم تك قطُ زينب عند عبد الرحمن بن عوف ، ولا قاله أحد والفَلَطُ لا يسم منه بشر ، وإنما كانت تحت عبد الرحمن أختها أم حبيب ،

(١) بتخفيف الياء الثانية مع فتحها ، وقيل : أهل المدينة يثقلونها ، وأهل العراق يخففونها .

ويقال فيها أم حبيبة ، غير أن شيخنا أبا عبد الله محمد بن نجاح ، أخبرني أن أم حبيب كان اسمها : زينب فمما زَيْنَبَانِ غلبت على إحداهما الكُنية ، فعلى هذا لا يكون في حديث الموطأ وَهْمٌ ولا غلط والله أعلم . وكان اسم زينب بنت جحش : بَرَّةَ قَدِمَاها رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - زينب ، وكذلك زينبُ بنت أم سلمة ربيته عليه السلام ، كان اسمها بَرَّةَ ، فسماها زينبَ كأنه كره أن تُزَكَّى المرأةُ نفسها بهذا الاسم ، وكان اسم جحش بن رثاب : بَرَّةَ بضم الباء ، فقالت زينب لرسول الله - صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله لو غيرت اسم أبي ، فإن البرَّةَ صغيرة ، فقيل : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لها : لو أبوك مُسْلِمًا لسميته باسم من أسمائنا أهل البيت ، ولكني قد سميت جحشًا والجحش أكبر من البرَّةِ . ذكر هذا الحديث مُستنداً في كتاب المؤلف والمختلف أبو الحسن الدارقطني .

الشعر الذي تمثل به أبو سفيان :

فصل : ذكر البيت الذي تمثل به أبو سفيان حين مرَّ بدار بني جحش
تَحَقُّقُ أَبْوَابُهَا ، وهو قوله :

وكل بَيْتٍ وإن طالت سلامته يوما ستدركه النكباء والحبوب
كل امرئ بقاء الموت مرتين كأنه غرض للموت منصوب

والشعر لأبي ذؤاد الإيادي واسمه : حَمَظَلَةُ بن شريق ، وقيل جارية بن الحجاج ذكر دار بني جحش ، وأنها عند دار أبيان بن عثمان بالردم ، والردم

حَفَرِ رُدِّمَ بِالْقَتْلِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَسَمِيَ : الرَّدِّمُ ، وَذَلِكَ فِي حَرْبٍ كَانَتْ بَيْنَ بَنِي
حُجَّحٍ ، وَبَيْنَ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ فِهْرٍ ، وَكَانَتْ الذَّبْرَةُ فِيهَا عَلَى بَنِي الْحَارِثِ ، وَلِذَلِكَ
قُلَّ عَدَدُهُمْ ، فَهَمُّ أَقْلٍ قَرِيشٍ عَدَدًا .

وذكر ابن إسحاق شعر أبي أحمد بن جَحْشٍ وفيه :

إِلَى اللَّهِ وَجْهِي وَالرَّسُولَ وَمَنْ يُقِمُّ إِلَى اللَّهِ يَوْمًا وَجْهَهُ لَا يُخَيِّبُ

هكذا يروى بكسر الباء على الإفواء، ولو روى بالرفع لجاز على الضرورة
ويكون تقديره : فَلَا يُخَيِّبُ بِإِضْمَارِ الْفَاءِ فِي مَذْهَبِ أَبِي الْمُبَاسِّ ، وَفِي مَذْهَبِ
سَيَبَوِيهِ : يَجُوزُ أَيْضًا لَا عَلَى إِضْمَارِ الْفَاءِ ، وَلَسْكَنَ عَلَى نِيَّةِ التَّقْدِيمِ لِلْفِعْلِ عَلَى
الشَّرْطِ كَمَا أُنْشِدُوا :

إِنَّكَ إِنْ يُفْرَعْ أَخُوكَ تُفْرَعُ^(١)

وهو مع إن أحسن ، لِأَنَّ التَّقْدِيرَ إِنَّكَ تُفْرَعُ إِنْ يُفْرَعُ أَخُوكَ ،
وَأُنْشِدُوا أَيْضًا :

مَنْ يَفْعَلِ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرْهُ^(٢)

(١) البيت لجبر بن عبد الله البجلي ، وقد سبق . وهو في كتاب سيبويه
ص ٤٣٦ ط ١ أوله والشاهد - فيه كما يقول السيرافي - على مذهب سيبويه :
تقديم تفرع في النية ، وتضمنه الجواب في المعنى . والتقدير : إِنَّكَ تَفْرَعُ إِنْ
يَفْرَعُ أَخُوكَ ، وهذا من ضرورة الشعراء لِأَنَّ حَرْفَ الشَّرْطِ قَدْ جُزِمَ الْأَوَّلُ ،
لِحُكْمِ أَنْ يَجُزِمَ الْآخِرَ وَهُوَ عِنْدَ الْمُبَرَّدِ عَلَى حَذْفِ الْفَاءِ . وَالْأَقْرَعُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ .

(٢) هو من شواهد سيبويه أيضاً في الكتاب ص ٤٣٥ ط ١

على هذا التقدير ، وفي الشعر أيضاً :

ولا قرب بالأرحام إذ لا تُقَرَّب

وتأول ابن هشام إذ هنا بمعنى : إذا وهو خطأ من وجهين ، أحدهما : أن الفعل المضارع لا يحسن بعد إذا مع حرف النفي ، وإنما يحسن بعد إذ كقوله سبحانه : ﴿ إذ يقول المنافقون ﴾ ولو قلت : سأتيك إذا تقول كذا ، كان قبيحاً إذا أخرتها ، أو قدمت الفعل لما في إذا من معنى الشرط ، وإنما يحسن هذا في حروف الشرط مع لفظ الماضي ، تقول : سأتيك إن قام زيد وإذا قام زيد ، ويقبح : سأتيك إن يقيم زيد لأن حرف الشرط إذا آخر ألفي ، وإذا ألفي لم يقع الفعل المعرب بعده ، غير أنه حسن في كيف نحو قوله سبحانه ﴿ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ، وَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ لِسِرِّ بديع لعلنا نذكره إن وجدنا لِسَفَرِنَا مَحْزَرًا ، ويحسن الفعل المستقبل مع إذا بعد الْقَسَمِ كقوله تعالى : ﴿ والليل إذا يسرى ﴾ لانعدام معنى الشرط فيه ، فهذا وجه ، والوجه الثاني : أن إذ بمعنى إذا غير معروف في الكلام ، ولا حكاة تَنَبُّتٌ ، وما استشهد به من قول رُوْبَةَ ليس على ما ظن إنما معناه : ثم جزاه الله ربى إن جزى ، أى من أجل أن نفعى وجزى عنى ، كما قال تعالى : ﴿ يَوْمَ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ ففاعل جزى : مضمرة عائدة على الرجل المدحوح ، وإذا بمعنى أن المفتوحة كذا قال سيديويه

والشاهد فيه : حذف الفاء من الجواب ضرورة ، والتقدير : فالله يشكره وفي الكتاب : يشكرها ، وزعم الأصمعي أن النحويين غيروه ، وأن الرواية : من يفعل الخير ، فالرحمن يشكره .

في سواد الكتاب ، ويشهد له قوله سبحانه : ﴿ بعد إذ أنتم مُسْلِمُونَ ﴾ وعليه يحمل قوله سبحانه : ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ ﴾ وغفل النسوى عما في الكتاب من هذا ، وجعل الفعل المستقبل الذي بعد لن عاملا في الظرف الماضي ، فصار بمنزلة من يقول : سأتيك اليوم أمس ، وهذا هراء من القول ، وغفلة عما في كتاب سيبويه ، وأتيت شِعْرِي ما يقول في قوله سبحانه : ﴿ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ : هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ ﴾ فإن جَوَز وقوع المستقبل في الظرف الماضي على أصله الناسد ، فكيف يعمل ما بعد الفاء فيما قبلها لا سيما مع السين ، وهو قبيح أن تقول : غدا سأتيك ، فكيف إن قلت : غدا فسأتيك ، فكيف إن زدت على هذا وقلت : أمس فسأتيك ، وإذ على أصله بمنزلة أمس ، فهذه فضائح لا غطاء عليها .

فإن قال قائل : فكيف الوجه في قوله سبحانه : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا ﴾ وكذلك : ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ الْجُرْمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ ﴾ أليس هذا كما قال ابن هشام بمعنى إذا التي تعطى الاستقبال ؟

قيل له : وكيف تكون بمعنى إذا ، وإذا لا يقع بعدها الابتداء والخبر ، وقد قال سبحانه : ﴿ إِذْ الْجُرْمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ ﴾ وإنما التقدير : ولو ترى نكسهم وحزهم في ذلك اليوم بعد وقوفهم على النار ، فإذا ظرف ماض على أصله ، ولكن بالإضافة إلى حزنهم وندامتهم ، فالحزن والندامة واقعان بعد المعاناة والتوقيف ، فقد صار وقت التوقيف ماضيا بالإضافة إلى ما بعده ، والذي بعده هو مفعول ترى ، وهذا نحو مما يتوهم في قوله سبحانه : ﴿ فَأَبْطَلْنَا حَتَّى إِذَا

رَكِبًا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ﴿ فَيَتَوْمُّ أَنْ إِذَا هَاهُنَا بِمَعْنَى إِذْ ، لِأَنَّهُ حَدِيثٌ قَدْ مَضَى ،
وَلَيْسَ كَمَا يَتَوْمُّ ، بَلْ هِيَ عَلَى بَابِهَا ، وَالْفِعْلُ بَعْدَهَا مُسْتَقْبَلٌ بِالإِضَافَةِ إِلَى الإِنْتَظَاقِ ،
لِأَنَّهُ بَعْدَهُ ، وَالْإِنْتَظَاقُ قَبْلَهُ ، وَلَوْلَا حَتَّى ، مَا جَازَ أَنْ يُقَالَ إِلَّا انْطَلَقَا إِذْ رَكِبَا ،
وَلَكِنْ مَعْنَى الْغَايَةِ فِي حَتَّى دَلَّ عَلَى أَنَّ الرُّكُوبَ كَانَ بَعْدَ الإِنْتَظَاقِ وَإِذَا كَانَ
بَعْدَهُ ، فَهُوَ مُسْتَقْبَلٌ بِالإِضَافَةِ إِلَيْهِ ، وَكَذَلِكَ مَسْأَلَتُنَا الْحَزْنَ ، وَسُوءُ الْحَالِ الَّذِي
هُوَ مَفْعُولٌ لَتَرَى ، وَإِنْ كَانَ غَيْرُ مَذْكُورٍ فِي اللَّفْظِ ، فَهُوَ بَعْدَ وَقْتِ الْوُقُوفِ ،
غَوْقُ الْوُقُوفِ مَاضٍ بِالإِضَافَةِ إِلَيْهِ ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ بَدَمِنْ حَذَفَ ، فَكَذَلِكَ نَقْدَرُ
حَذْفًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ ﴾ وَنَحْوَهُ لِأَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ بِمَعْنَى أَنْ ،
فَلَزَبْدُ لَهَا مِنْ تَعَلُّقٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : جُزَيْتُمْ بِهَذَا مِنْ أَجْلِ أَنْ ظَلَمْتُمْ ، أَوْ مِنْ أَجْلِ
أَنْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ ضَلُّوا .

وَذَكَرَ فِي نِسَاءِ بَنِي جَعْفَرٍ : جُدَامَةُ بِنْتُ جَنْدَلٍ ، وَأَحْسَبُهُ إِأْرَادَ جُدَامَةَ
بِنْتُ وَهْبِ بْنِ مِخْصَنٍ ، وَهِيَ الْمَذْكُورَةُ فِي حَدِيثِ الرُّضَاعِ فِي الْمُوْطَأِ ، وَقَالَ
خِيَمَا خَلْفَ بْنِ هِشَامِ الْبَزَارِ : جُدَامَةُ بِالذَّالِ الْمَنْقُوطَةِ هَكَذَا ذَكَرَ عَنْهُ مُسْلِمٌ فِي
الْحِجَاجِ ، وَالْمَعْرُوفُ : جُدَامَةُ بِالذَّالِ ^(١) ، وَقَدْ يُقَالُ فِيهَا جُدَامَةُ بِالْتَّشْدِيدِ ،

(١) فِي الْقَامُوسِ : « وَجُدَامَةُ كَثَامَةُ بِنْتُ وَهْبٍ ، وَبِنْتُ جَنْدَلٍ ، وَبِنْتُ الْحَارِثِ
صَحَابِيَّاتٌ وَهِيَ مَا يَسْتَخْرَجُ مِنَ السَّنْبِلِ بِالْخَشْبِ . وَفِي الْإِصَابَةِ عَنْ جُدَامَةَ بِنْتُ
جَنْدَلٍ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ مَا قَالَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ عَنْهَا : وَذَكَرَ الطَّبْرِيُّ فِي الذَّيْلِ أَنَّهَا هِيَ
بِنْتُ وَهْبٍ . . وَقَالَ ابْنُ سَعْدٍ : كَانَتْ تَحْتَ أَنَيْسَ بْنِ قَتَادَةَ الْإِنصَارِيِّ . كَمَا جَاءَ
فِي الْإِصَابَةِ عَنْ جُدَامَةَ بِنْتُ وَهْبِ الْأَسَدِيَّةِ : وَيُقَالُ بِالْحَاءِ الْمَعْجَمَةِ رَوَتْ عَنِ النَّبِيِّ
« ص » فِي رِضَاعِ الْحَامِلِ ، رَوَتْ عَنْهَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ ، أَخْرَجَ حَدِيثُهَا فِي الْمُوْطَأِ ،

والجُدَامَةُ قصب الزرع ، وأملى علينا أبو بكر الحافظ ، وكتبت عنه بخط يدي
قال المبارك بن -بد الجبار عن أبي إسحاق البرمكي عن محمد بن زكريا بن حبويه
عن أبي عمر الزاهد المطرز قال : الجُدَامَةُ : بتشديد الدال طَرَف السَّعْفَةِ وبه
سميت المرأة ، وكانت جُدَامَةُ بنت وَهْب تحت أنيس بن قتادة الأنصاري .
وأما جُدَامَةُ بنت جندل ، فلا تُعرف في آل جحش الأسديين ، ولا في غيرهم .
ولعله وهم وقع في الكتاب ، وأنها بنت وهب بن مخضن بنت أخي عكاشة .
ابن مخضن ، كما قدمنا والله أعلم .

وذكر في بني أسد ثقف بن عمرو ، ويقال فيه : ثِقَافٌ شهد هو وأخوه
مِذْلَاج [أو مدلاج] بدرًا وقتل يوم أحد شهيدا وقال موسى بن عقبة قتل يوم
خيبر قتله أسير [بن رزام] اليهودي ^(١) .

وذكر فيهم أم حبيب بنت ثُمَامَةَ ، وهي مما أغفله أبو عمر في كتابه ، وأغفل
أيضاً ذكر ثُمَامَ بن عبيدة ^(٢) ، وهو ممن ذكره ابن إسحاق في هذه الجملة
الذكرين من بني أسد .

ولفظه : عن جدامة الأسدية أنها سمعت النبي ص ، يقول : لقد هممت أن
أنهى عن الغيلة . الحديث ، وفي بعض طرقة عند مسلم : عن جدامة بنت
وهب أخت عكاشة بن وهب قالت : حضرت عند النبي ص ، في أناس ،
وهو يقول : فذكر الحديث . وأورده ابن مندة بلفظ الموطأ في جدامة
ابن جندل .

(١) ويقول الواقدي عن مدلاج إنه شهد المشاهد كلها ، ومات سنة خمسين .
وتبعه ابن عبد البر في ذلك « الإصابة » أما ثقف ، فكما قال .

(٢) ترجم ابن حجر لأم حبيب في سطرين فقط ، ولم يترجم لثمام .

وذكر ابن إسحاق في هذه الجملة أربد بن جميرة الأسدي بالجميم ، وقاله ابن هشام : مُحَيْرَة بالخاء ، ورواه إبراهيم بن سعد عن ابن إسحاق بخلاف ما رواه البكاءي وابن هشام ، فقال فيه ابن مُحَيْر بتشديد الياء ، كأنه تصغير حمار .

وذكر فيهم مُحَرَز بن نَضْلَة ، ولم يرفع نسبه ، وهو ابن نَضْلَة بن عبد الله ابن مُرَّة بن غَنَم ^(١) بن دُودَان بن أَسَد [بن خزيمة] قتل في غزوة ذي قرد شهيداً ^(٢) ، وكان قد شهد بدرًا ، وكان يعرف بالأخرم ، ويلقب : مُهَيَّرَة ، وقال فيه موسى بن عقبة مُحَرَز بن وَهَب ، ولم يقل ابن نَضْلَة .

وذكر ابن إسحاق أيضاً يزيد بن رُقَيْش ، وبمضهم يقول فيه : أربد ولا يصح ، وهو ابن رُقَيْش بن رِثَاب بن يَغَمَر بن كَبِير بن غَنَم بن دُودَان ، وذكر فيهم رَبِيعَة بن أَكْثَم ، ولم ينسبه وهو ابن أَكْثَم بن سَخْبَرَة بن عمرو ابن نُفَيْر بن عامر بن غَنَم بن دُودَان بن أَسَد يكنى : أبا يزيد ، وكان قصيراً دَحْدَحاً فُتِل يوم خيبر بالنَّطَاة قتله الحارث اليهودي ^(٣) .

(١) في الإصابة بن مرة بن كثير بن غنم ، وفي إمتاع الاسماع مرة بن كبير ابن غنم .

(٢) ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر . خرج إليه النبي صلى الله عليه وسلم في طلب عيخته بن حصن قال حسان :

كانوا بدار ناعمين فبدلوا أيام ذي قرد وجوه عباد
(٣) نطاة : اسم لأرض خيبر ، وقيل حصن بخيبر أو عين بها يسقى بعض نخيل قراها ، وهي وبنة ، وفي القاموس تطلق أيضاً على حمى خيبر . وبالألف واللام : الشمر وخ .

هجرة عمر وقصة عيَّاش معه

قال ابن إسحاق : ثم خرج عمر بن الخطاب ، وعيَّاش بن أبي ربيعة الخزومي حتى قدما المدينة . فحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، عن أبيه عمر بن الخطاب ، قال : اتَّعَدْتُ ، لما أردنا الهجرة إلى المدينة ، أنا وعيَّاش بن أبي ربيعة [واسمه : عمرو ويلقب ذا الرمحين] ، وهشام ابن العاصي بن وائل السهمي التَّنَاضِبَ من أضيَّة بنى غَنَار ، فوق مَرِف ، وقلنا : أَيْنَا لم يُصْنَح عندها فقد حُبِسَ فَلْيَمُضِ صاحباه . قال : فأصبحت أنا وعيَّاش ابن أبي ربيعة عند التَّنَاضِب ، وحُبِسَ عنا هشام ، وفُتِنَ فافتتن .

فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف بُقَاء ، وخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام إلى عيَّاش بن أبي ربيعة ، وكان ابن عمهما وأخاها لأُمهما ، حتى قَدِمَا عَلَيْنَا المدينة ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فكلَّما هُمَا : إنَّ أَمَّكَ قد نذرت أن لا يمسَّ رأسُها مُسْطًى حتى تراك ، ولا تستظلَّ من شمس حتى تراك ، ففرقَ لَهَا ، فقلت له : يَا عيَّاش ، إِنْه والله إن يريدك القوم إلا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم ، فوالله لو قد آذَى أَمَّكَ القملُ لامتشطت ، ولو قد اشتدَّ عليها حرُّ مكة لاستظَلَّتْ . قال : فقال : أَبْرَأُ قَسَمَ أُمِّي ، ولي هنالك مالٌ فأخذه . قال : فقلت : والله إنك لتعلم أني لمن أكثر قريش مَالاً ، فلك نصفُ مالي ولا تذهبْ معهما . قال : فأبى عليَّ إلا أن يخرجَ معهما ؛ فلما أبى إلا ذلك ؛ قال : قلت له : أَمَّا إِذْ قد فعلتَ ما فعلتَ ، فخذْ ناقتي هذه ، فانها ناقةٌ نجيبةٌ ذلولٌ فالزَمْ ظهرها ، فان رابك من القوم ريبٌ ، فانجُ عليها :

فخرج عليها معها ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، قال له أبو جهل : يا ابن أخي ، والله لقد استغلظتُ بعيري هذا ، أفلا تُعقِبني على ناقتك هذه ؟ قال : بلى . قال : فأناخ ، وأناخا ليتحول عليها ، فلما استَوَوْا بالأرض عدَوْا عليه ، فأوثقاه وربطاه ، ثم دخلا به مكة ، وفتناه فافتتن .

قال ابن إسحاق : فحدثني به بعض آل عِيَّاش بن أبي ربيعة : أنهما حين دخلا به مكة دخلا به نهرا موثقا ، ثم قالا : يا أهل مكة ، هكذا فافعلوا بسفهاءكم ، كما فعلنا بسفيهنا هذا .

كتاب عمر إلى هشام بن العاصي

قال ابن إسحاق : وحدثني نافع ، عن عبد الله بن عمر ، عن عمر في حديثه ، قال : فكُنَّا نقول : ما الله بقابلٍ ممن افتتنَ صَرْفا ولا عدلا ولا توبة ، قوم عَرَفُوا الله ، ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم ! قال : وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم . فلما قَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أنزل الله تعالى فيهم ، وفي قولنا وقولهم لأنفسهم : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ . وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ الزمر : ٥٣ .

قال عمر بن الخطاب . فكتبتها بيدي في صحيفة ، وبعثت بها إلى هشام ابن العاصي قال : فقال هشام بن العاصي : فلما أتتني جعلت أقرؤها بذى طوى ،

صعدَ بها فيه وأصوّبَ ولا أفهمها ، حتى قلت اللهم فتمنّ بها . قال : فأتى الله تعالى في قلبى أنها إنما أنزلت فينا ، وفيما كنّا نقول فى أنفسنا ويقال فينا . قال : فرجعت إلى بعيرى ، فجلست عليه ، فاحققتُ برسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بالمدينة .

الوليد بن الوليد وعياش وهشام

قال ابن هشام : فحدثنى من أثنى به : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، وهو بالمدينة : من لى بعياش بن أبى ربيعة ، وهشام بن العاصى ؟ فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة : أنا لك يا رسول الله بهما ، نخرج إلى مكة ، فقدّمها مستخفيا ، فلقى امرأة تحمل طعاما ، فقال لها : أين تريدن يا أمة الله ؟ قالت : أريد هذين الحبوسين - تعنيهما - فتبعهما حتى عرف موضعهما ، وكانا محبوسين فى بيت لا سقف له ؛ فلما أمسى تسوّر عليهما ، ثم أخذ سروة . فوضعها تحت قيديّهما ، ثم ضربهما بسيفه فقطعهما فكان يقال لسيفه : « ذو العروة » ، لذلك ، ثم حملهما على بعيره ، وساق بهما ، فعثر فدميت أصبعه ، فقال : هل أنتِ إلا أصبعٌ دميتِ وفى سبيلِ الله ما لقيتِ ثم قدم بهما على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة .

منازل المهاجرين بالمدينة

قال ابن إسحاق : ونزل عمر بن الخطاب حين قدم المدينة ، ومن لحق به من أهله وقومه ، وأخوه زيد بن الخطاب ؛ وعمر وعبد الله ابنا سرّاقة ابن المعتز وخنيس بن حذافة السهمي - وكان صهره على ابنته حفصة بنت

عمر ، خلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده - وسعيد بن زيد بن عمرو
ابن نفيل ، وواقد بن عبد الله التميمي ، حليف لهم ؛ وخولي بن أبي خولي ،
ومالك بن أبي خولي حليفان لهم .

قال ابن هشام : أبو خولي : من بني عجل بن لجيم بن صعب بن علي
ابن بكر بن وائل .

قال ابن إسحاق : وبنو البكير أربعهم : إلياس بن البكير ، وعادل
ابن البكير ، وعامر بن البكير ، وخالد بن البكير ، وحلفاؤهم من بني سعد
ابن ليث ، علي رفاعه ابن عبد المنذر بن زئبر ، في بني عمرو بن عوف بقاء ،
وقد كان منزل عيَّاش بن أبي ربيعة معه عليه حين قدما المدينة .

ثم تتابع المهاجرون ، فزول طلحة بن عبيد الله بن عثمان ، وصهيب بن
سينان علي خبيب بن إساف أخى بلحارث بن الخزرج بالشمخ . قال ابن هشام :
ويقال : يساف فيما أخبرني عنه ابن إسحاق . ويقال : بل نزل طلحة بن عبيد الله
علي أسعد بن زُرارة ، أخى بني النجَّار .

قال ابن هشام : وذكري عن أبي عثمان النهدي ، أنه قال : بلغني أن
أن صُهَيْبًا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش : أتيتنا ضُغُوكا حقيراً ، فكُفِّرْ
مَالَك عندنا ، وبلغت الذي بلغت ، ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك ، والله
لا يكون ذلك ، فقال لهم صُهَيْب : أرايتم إن جعلت لكم مالى أأخذون سبيلي ؟
قالوا : نعم . قال : فإنى جعلت لكم مالى . قال : فيبلغ ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فقال رِيح صُهَيْب رِيح صُهَيْب .

منزل حمزة وزيد وأبى مرثد وابنه وأنسة وأبى كبشة

قال ابن إسحاق : ونزل حمزة بن عبد المطلب ، وزيد بن حارثة ، وأبو مرثد كنفاز بن حصن .

قال ابن هشام : ويقال ، ابن حصين - وابنه مرثد الغنويان ، حليفاه حمزة - ابن عبد المطلب ، وأنسة ، وأبو كبشة ، موليا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على كُلتهم بن هذم ، أخى بنى عمرو بن عوف بقباء : ويقال : بل نزلوا على سعد بن خثيمة ؛ ويقال . بل نزل حمزة بن عبد المطلب على أسعد بن زرارة ، أخى بنى النجار . كل ذلك يقال :

ونزل عبيدة بن الحارث بن المطلب ، وأخوه الطفيل بن الحارث ، وألحسين ابن الحارث ؛ ومسطح بن أثانة بن عباد بن المطلب ، وسويبط بن سعد بن حريملة ، أخو بنى عبد الدار ، وطليب بن عمير ، أخو بنى عبد بن قصى ، وخباب مولى عتبة بن غزوان ، على عبد الله بن سلمة ، أخى بلعجلان بقباء . ونزل عبد الرحمن بن عوف فى رجال من المهاجرين على سعد بن الربيع . أخى بلعاريث بن الخزرج ، فى دار بلعاريث بن الخزرج .

ونزل الزبير بن العوام ، وأبو سبرة بن أبى رهم بن عبد العزى ، على مُنذر بن محمد بن عتبة بن أحيحة بن الجلاح بالمصبة ، دار بنى جحججى .

ونزل مُصعب بن عمير بن هاشم ، أخو بنى عبد الدار على سعد بن معاذ ابن النعمان ، أخى بنى عبد الأشهل ، فى دار بنى عبد الأشهل .

ونزل أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وسالم مولى أبي حذيفة .

قال ابن هشام : سالم مولى أبي حذيفة سائبة ، لثبينة [أو ثبينة] بنت
يعكر بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك .
بن الأوس ، سيبته فانقطع إلى أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة فتبناه ، فقيل :
سالم مولى أبي حذيفة ويقال : كانت ثبينة بنت يعكر تحت أبي حذيفة بن عتبة .
فأعتقت سالما سائبة . فقيل : سالم مولى أبي حذيفة .

قال ابن إسحاق : ونزل عتبة بن غزوان بن جابر على عباد بن بشر ابن
وقش أخى بنى عبد الأشهل فى دار عبد الأشهل .

ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت بن المنذر ، أخى حسان بن
ثابت فى دار بنى النجار ، فذلك كان حسان يحب عثمان ويكيه حين قتل .
وكان يقال : نزل الأعزاب من المهاجرين على سعد بن خثيمة ، وذلك أنه
كان عزبا ، فالله أعلم أى ذلك كان .

خبر الندوة وهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر
أن يؤذن له فى الهجرة ، ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين إلا من حبس .
أو فتن ، إلا على بن أبى طالب ، وأبو بكر بن أبى قحافة الصديق رضى الله
عنهما ، وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة ،
فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تمجل لى الله يجعل لك صاحبا ،
فيطمع أبو بكر أن يكونه .

الملائكة من قريش يتشاورون في أمر

الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وأما رأت قريش أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد صارت له شيعته وأصحاب من غيرهم بغير بلد ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً ، وأصابوا منهم منعة ، فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، وعرفوا أنهم قد أجمعوا لحربهم . فاجتمعوا له في دار الندوة - وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها - يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين خافوه .

قال ابن إسحاق : فحدثني من لا آتهم من أصحابنا ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج ، وغيره ممن لا آتهم ، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : لما أجمعوا لذلك ، واتعدوا أن يدخلوا في دار الندوة ليتشاوروا فيها في أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غدوا في اليوم الذي اتعدوا له ، وكان ذلك اليوم يسمى يوم الرحمة ، فاعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل ، عليه بئلة ، فوقف على باب الدار ، فلما رأوه واقفاً على بابها ، قالوا : من الشيخ ؟ قال : شيخ من أهل نجد سمع بالذي اتعدتم له ، فحضر ، معكم ليستسمع ما تقولون ، وعسى أن لا يقدمكم منه رأياً ونصيحة ، قالوا : أجل ، فادخل ، فدخل معهم ، وقد اجتمع فيها أشرف قريش ، من بني عبد شمس : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب . ومن

بنى نُوْفَل بن عبد مناف : طُعَيْمَة بن عَدَى ، وَجُبَيْر بن مُطْعِم ، والحارث بن عامر بن نوفل : ومن بنى عبد الدار بن قَعْبَى : النضر بن الحارث بن كَلْدَة .
ومن بنى أسد بن عبد العزى : أَبُو الْبَخْتَرَى بن هشام ، وَزَمْعَة بن الأسود ابن الْمُطَلِّب ، وحكيم بن حزام . ومن بنى مخزوم : أبو جهل بن هشام . ومن بنى سَهْم : بُدَيْهَة وَمُنْبَهَة ابنا الْحِجَّاج ، ومن بنى جُمَح : أُمَيَّة بن خَلْفٍ ، ومن كان معهم وغيرهم ممن لَا يُعَدُّ من قريش .

فقال بعضهم لبعض : إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم ، فلما والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأيا .
قال : فتشاوروا ثم قال قائل منهم : احبسوه في الحديد ، وأغلقوا عليه بابا ، ثم تَرَبَّصُوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله ، زُهيراً والنابغة ، ومن مضى منهم ، من هذا الموت ، حتى يُصِيبَهُ ما أصابهم ، فقال الشيخ النَّجْدَى : لا والله ، ما هذا لكم برأى . والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجنَّ أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه إلى أصحابه ، فَلَاؤَشَكُوا أن يَدْبُوا عليكم ، فينزِعوه من أيديكم ، ثم يُسَكِّثُوكُم به ، حتى يفلبوكم على أمركم ، ما هذا لكم برأى ، فانظروا فى غيره ، فتشاوروا . ثم قال قائل منهم : نُخْرِجْهُ من بين أظهرنا ، فننفيه من بلادنا ، فاذا أخرج عنا فوالله ما نبال أين ذهب ، ولا حيث وقع ، إذا غاب عنا وفرغنا منه ، فأصاحنا أمرنا وألفقتنا كما كانت .
فقال الشيخ النَّجْدَى : لا والله ، ما هذا لكم برأى ، ألم تَرَوْا حُسْنَ حَدِيثِهِ ، وحلاوة منطقه، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به ، والله لو فعلتم ذلك ما أمنتكم

أن يحلّ على حيّ من العرب ، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم ، حتى يبطّأكم بهم في بلادكم ، فيأخذ أسركم من أيديكم ، ثم يفعل بكم ما أراد ، دبرّوا فيه رأيا غير هذا . قال : فقال أبو جهل ابن هشام : والله إن لي فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد ، قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن نأخذ من كلّ قبيلة قتي شابا جليدا نسيبا وسيطا فينا ، ثم نعطي كلّ قتي منهم سيفا صارما ، ثم يعمدوا إليه ، فيضربوه بها ضربة رجل واحد ، فيقتلوه ، فنستريح منه . فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرّق دمه في القبائل جميعا ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا ، فرضوا منا بالعتل ، فعقلناه لهم . قال : فقال الشيخ النجديّ : القول ما قال الرجل ، هذا الرأى الذى لا رأى غيره ، فتفرّق القوم على ذلك وهم مجمعون له .

مما يقال عن ليلة الهجرة

فأتى جبريلُ عليه السلام رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : لا تبِتْ هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبِت عليه . قال : فلما كانت عَتَمَةٌ من الليل اجتمعوا على بابه يَرْصُدُونَهُ متى ينام فيثبّون عليه ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم ، قال لعليّ بن أبي طالب : نمّ على فراشى وتَسَجَّ بِبُرْدِي هذا الخضرميّ الأخضر ، فَنَمَ فيه ، فانه لن يَخْلُصَ إليك شيء تَكْرَهُه منهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام فى بُرْدِهِ ذلك إذا نام .

قال ابن إسحاق : فحدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظيّ

قال : لما اجتمعوا له ، وفيهم أبو جهل بن هشام ، فقال وهم على بابه : إن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره ، كنتم ملوك العرب والعجم ، ثم بُعثتم من بعد موتكم ، فجعلت لكم جنان كجنان الأردن ، وإن لم تفعلوا كان له فيكم ذبح ، ثم بُعثتم من بعد موتكم ، ثم جعلت لكم نار تُحرقون فيها .

قال : وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ حَفْنَةً من تراب في يده ، ثم قال أنا أقول ذلك ، أنت أحدُهم . وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يَرَوْنَهُ ، فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم ، وهو يتلو هؤلاء الآيات من يس : ﴿ يَس * وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَكِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ . . . إلى قوله : ﴿ فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ حتى فرغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من هؤلاء الآيات ، ولم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابا ، ثم انصرف إلى حيث أراد أن يذهب ، فأتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم ، فقال : ما تنتظرون هاهنا ؟ قالوا : محمدا ، قال : خَيِّبَكُمُ اللَّهُ ! قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ماترك منكم رجلا إلا وقد وضع على رأسه ترابا ، وانطلق لحاجته ، أفأترون ما بكم ؟ قال : فوضع كلُّ رجل منهم يده على رأسه ، فإذا عليه تراب ، ثم جعلوا يتطلعون ، فيرون عليا على الفراش مُتَسَجِّجًا بِبُرْدِ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فيقولون : والله إن هذا ل محمد نائما ، عليه بُرْدُهُ . فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام علي - رضي الله عنه - عن الفراش فقالوا : والله لقد كان صدقنا الذي حدثنا .

الآيات التي نزلت في تربص المشركين بالنبي

قال ابن إسحاق : وكان مما أنزل الله عز وجل من القرآن في ذلك اليوم ، وما كانوا أجروا له : ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ ، وقول الله عز وجل : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُّ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ . قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴾ .

قال ابن هشام : المنون : الموت . وريب المنون : ما يريب ويعرض منها .
قال أبو ذؤيب الهذلي :

أَمِنَ الْمُنُونُ وَرَيْبَهَا تَتَوَجَّعُ والدهر ليس بمعتب من يجزع
وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وأذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم عند ذلك في الهجرة .

قال ابن إسحاق : وكان أبو بكر رضى الله عنه رجلا ذاملا ، فكان حين استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تمجل ، لعل الله يجد لك صاحبا ، قد طمع بأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما يعنى نفسه ، حين قال له ذلك ، فابتاع راحلتين ، فاحتبسهما في داره ، يعلفهما إعدادا لذلك .

الهجرة إلى المدينة

قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أنهم ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : كان لا يخطئ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار ، إما بكرة ، وإما عشية ، حتى إذا كان اليوم الذي أذن فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة ، والخروج من مكة من بين ظهري قومه ، أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة ، في ساعة كان لا يأتي فيها . قالت : فلما رآه أبو بكر ، قال : ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الساعة إلا لأمر حدث . قالت : فلما دخل ، تأخر له أبو بكر عن سريره ، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي أسماء بنت أبي بكر ، فقل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عني من عندك : فقال : يا رسول الله ، إنما هما ابنتاي ، وما ذاك ؟ فذاك أبي وأمي ! فقال : إن الله قد أذن لي في الخروج والهجرة . قالت : فقال أبو بكر ، الصعبة يا رسول الله ؛ قال : الصعبة . قالت : فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكي من الفرح ، حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ ، ثم قال : يا نبي الله ، إن هاتين راحلتان قد كنت أعدتهما لهذا . فاستأجرا عبد الله بن أرقط - رجلا من بني الدئل بن بكر [وهو من بني عبد بن عدى - هاديا خريتا - والخريت : الماهر بالهداية - قد عَمَس حلفاء آل العاصم بن وائل السهمي - عن البخاري] ، وكانت أمه امرأة من بني سَهْم بن عمرو ، وكان مشركا - يدلها على الطريق ، فدفعا إليه راحلتيهما ، فكانتا عنده يرعاها لميعادهما .

الذين كانوا يعلمون بالهجرة

قال ابن إسحاق : ولم يعلم فيما بلغنى ، بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد ، حين خرج ، إلا على بن أبي طالب ، وأبو بكر الصديق ، وآل أبي بكر . أما على فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى - أخبره بخروجه ، وأمره أن يتخلف بعده بمكة ، حتى يؤدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع ، التى كانت عنده للناس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عايه إلا وضعه عنده ، لما يعلم من صدقه وأمانته صلى الله عليه وسلم .

الرسول صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فى الغار

قال ابن إسحاق : فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج ، أتى أبا بكر بن أبي قحافة ، فخرجا من خَوْخَةٍ لَأَبِي بَكْرٍ فى ظهر بيته ، ثم عمداً إلى غَارِ بَثُورٍ - جبل بأسفل مكة - فدخلاه ، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبي بكر أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون فى ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامر بن فُهَيْرَةَ مَوْلَاهُ أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يرِيحها عليهما ، يأتيهما إذا أمسى فى الغار . وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يُصاحبهما .

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم ، أن الحسن بن أبي الحسن

البصري قال : انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر إلى الغار ليلا ،
فدخل أبو بكر رضى الله عنه قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلمس الغار ،
لينظر أفيه سبع أو حية ، بقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه .

الذين قاموا بشئون الرسول في الغار

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثا ومعه
أبو بكر ، وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة ، لمن يردّه عليهم . وكان
عبد الله بن أبي بكر يكون في قريش نهاره معهم ، يسمع ما يأترون به ،
وما يقولون في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ، ثم يأتيهما إذا
أمسى فيخبرهما الخبر . وكان عامر بن فهيرة ، مولى أبي بكر رضى الله عنه ،
يرعى في رعيان أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر ، فاحتلبا وذبحا ،
فإذا عبد الله بن أبي بكر غدا من عندهما إلى مكة ، اتبع عامر بن فهيرة أثره
بالغنم حتى يعفى عليه ، حتى إذا مضت الثلاث ، وسكن عنهما الناس أتاها
صاحبهما الذي استأجراه بهيريهما وبهير له ، وأتتهما أسماء بنت أبي بكر
رضى الله عنهما بسقرتهم ، ونسيت أن تجعل لها عصاما فلما ارتحلا ذهبت
لتعلق السفرة ، فاذا ليس لها عصام ، فتحل نطاقتها فتجعله عصاما ، ثم علقها به .

لم سميت أسماء بذات النطاقين

فكان يقال لأسماء بنت أبي بكر : ذات النطاق ، لذلك .

قال ابن هشام : وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول : ذات النطاقين .

وتفسيره : أنها لما أرادت أن تملق السفرة شقت نطاقهما بائنين ، فعلمت السفرة بواحد ، وانتطقت بالآخر .

راحلة النبي صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : فلما قرب أبو بكر ، رضى الله عنه ، الزاحطين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قدم له أفضلهما ، ثم قال : اركب ، فذاك أبى وأمى ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لا أركب بغير أيسرلى ، قال : فهى لك يا رسول الله ، بأبى أنت وأمى ، قال : لا ، ولكن ما الثمن الذى ابتعتها به ؟ قال : كذا وكذا ، قال : قد أخذتها به ، قال : هى لك يا رسول الله . فركبوا وانطلقا . وأرذف أبو بكر الصديق رضى الله عنه عامر بن فهيرة موله خلفه ، ليخدمهما فى الطريق .

أبو جهل يضرب أسماء بنت أبى بكر

قال ابن إسحاق : فحدثت عن أسماء بنت أبى بكر أنها قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضى الله عنه ، أتانا نفر من قريش ، فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبى بكر ، فخرجت إليهم ؛ فقالوا : أين أبوك يا بنت أبى بكر ؟ قالت : قالت : لا أدري والله أين أبى . قالت : فرفع أبو جهل يده ، وكان فاحشا خبيثا ، فلطم خدى الطمة طرح منها قرطلى .

خبر الجنى الذى تغنى بمقدم

الرسول صلى الله عليه وسلم

قالت : ثم انصرفوا . فكثنا ثلاث ليال ، وما ندرى أين وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أقبل رجل من الجن من أسفل مكة ، يتغنى بأبيات من شعر غناء العرب ، وإن الناس ليتبعونه ، يسمعون صوته وما يرونه ، حتى خرج من أعلى مكة وهو يقول :

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيق حلاً خيمتى أم معبد
هما نزلاً بالبر ثم تروحا فأفلح من أسمى رفيق محمد
ليهن بنى كعب مكان فئاتهم ومقعدا للأومنين برصد

نسب أم معبد

قال ابن هشام : أم معبد بنت كعب ، امرأة من بنى كعب ، من خزاعة . وقوله « حلا خيمتى » و « هما نزلاً بالبر ثم تروحا » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : قالت أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما : لما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن وجهه إلى المدينة وكانوا أربعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر الصديق رضى الله عنه ، وعاصم بن فهيرة مولى أبى بكر ، وعبد الله بن أرقط دليلهما .

قال ابن هشام : ويقال : عبد الله بن أَرْيَظَ .

آل أبي بكر بعد هجرته

قال ابن إسحاق : فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير أن أباه عباداً حدثه عن جدته أسماء بنت أبي بكر ، قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج أبو بكر معه ، احتمل أبو بكر ماله كله ، ومعه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف ، فانطلق بها معه . قالت : فدخل علينا جدتي أبو قحافة ، وقد ذهب بصره ، فقال : والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه . قالت : قلت : كلا يا أبت ! إنه قد ترك لنا خيراً كثيراً . قالت : فأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها ، ثم وضعت عليها ثوباً ، ثم أخذت بيده ، فقلت : يا أبت ، ضَع يدك على هذا المال . قالت : فوضع يده عليه ، فقال : لا بأس . إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن ، وفي هذا بلاغ لكم . ولا والله ما ترك لنا شيئاً واسكني أردت أن أسكن الشيخ بذلك .

خبر سراقة بن مالك

قال ابن إسحاق وحدثني الزهري أن عبد الرحمن بن مالك بن جُعْشَم حدثه . عن أبيه ، عن عمه سُرَاقَةَ بن مالك بن جُعْشَم ، قال . لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة مهاجراً إلى المدينة ، جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن رده عليهم . قال : فبينما أنا جالس في نادى قومي إذ أقبل رجلٌ

منّا ، حتى وقف علينا ، فقال : والله لقد رأيت رَكبة ثلاثة مرّوا على آفأ ،
إني لأراهم محمداً وأصحابه ، قال : فأومأت إليه بعيني : أن اسكت ثم قلت
قليلاً ، إنما هم بنو فلان ، يبتغون ضالة لهم ، قال : لعله : ثم سكوت . قال ثم مكثت
ثم قلت فدخلت بيتي ، ثم أمرت بفرسي ، فقيدت لي إلى بطن الوادي ، وأمرت
بسلاحي ، فأخرج لي من دُبُر حجرتي ، ثم أخذت قِداحي التي أستمسم بها ،
ثم انطلقت ، فلبست لَأَمَتِي ثم أخرجت قِداحي ، فاستقسمت بها : فخرج
السهم الذي أكره « لا يضره » قال : وكنت أرجو أن أردّه على
قريش ، فأخذ الدائنة الفاقة . قال : فركبت على أثره ، فبينما فرسي يشتدّ
بي عثر بي ، فسقطت عنه . قال : فقلت : ما هذا ؟ قال ثم أخرجت
قِداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره « لا يضره » . قال : فأبيت
إلا أن أتبعه . قال : فركبت في أثره ، فبينما فرسي يشتدّ بي ، عثر بي ، فسقطت
عنه . قال : فقلت : ما هذا ؟ ، قال : ثم أخرجت قِداحي فاستقسمت بها فخرج
السهم الذي أكره « لا يضره » قال : فأبيت إلا أن أتبعه ، فركبت في أثره .
فلما بدا لي القوم ورأيتهم ، عثر بي فرسي ، فذهبت يداي في الأرض ، وسقطت
عنه ، ثم انتزع يديه من الأرض ، وتبهم ما دخان كالإعصار . قال : فمرفت
حين رأيت ذلك أنه قد مُنِع مني ، وأنه ظاهر . قال : فناديت القوم : فقلت : أنا
سُرُاقَة بن جُعْشُم : انظروني أكلّكم ، فوالله لا أرييكم ، ولا يأتاكم مني شيء
تكرهونه . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : قل له :
وما تبغني منا ؟ قال فقال ذلك أبو بكر ، قال : قلت : تكتب لي كتابا يكون
آية بيني وبينك . قال : اكتب له يا أبا بكر .

فكتب لي كتابا في عَظْم ، أو في رقعة ، أو في خَزَفَة ، ثم ألقاه إليّ ، فأخذته ، فجعلته في كِنَانَتِي ، ثم رجعت ، فسكت فلم أذكر شيئا مما كان حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفرغ من حُنين والطائف ، خرجت ومعى الكتاب لألقاه ، فلقيته بالجعرانة . قال : فدخلت في كَتِيبَةٍ من من خيل الأنصار . قال : فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولون : إياك إياك ، ماذا تريد ؟ قال : فدنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته والله لسكّاني أنظر إلى ساقه في غَرَزِهِ كأنها جُجَّارة . قال : فرفعت يدي بالكتاب ، ثم قلت : يا رسول الله ، هذا كتابك لي ، أنا سُرَاقَةُ بن جُعْشَم ؛ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوم وفاء وبرّ ، اذنه . قال : فدنوت منه ، فأسلمت . ثم تذكرت شيئا أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فـأذكره ، إلا أني قلت : يا رسول الله ، الضالة من الإبل تَفْشَى حياضِي ، وقد ملأته للإبلى ، هل لي من أجر في أن أسقيها ؟ قال : نعم ، في كلّ ذات كبد حرّى أجر . قال : ثم رجعت إلى قومي ، فسقت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقتي . قال ابن هشام : عبد الرحمن بن الحارث بن مالك بن جُعْشَم .

هجرة عمر وعياش

ذكر فيها نواعدهم التناضب بكسر الضاد ، كأنه جمع تَنْضُبْ [واحدته تَنْضُبَةٌ] وهو ضرب من الشجر ، تألفه الحَرْبَاءُ . قال الشاعر :

إِنِّي أُتِيحُ لَهُ حَرْبَاءُ تَنْضُبَةٍ لَا يُرْسِلُ السَّاقَ إِلَّا مُمَسِّكًا سَاقًا

ويقال لثمره الممتع وهو **فُتَعَمِلِل** أدغمت النون في الميم وظاهر قول سيبويه : أنه فعلل وأنه مما لحقته الزيادة بالتضعيف ، والقول الأول يقوِّيه أن مثله **الهُنْدَلِج** ^(١) ، وهو نبت وتتخذ من هذا الشجر القسيُّ كما تتخذ من النَّبَع والشوط والشریان والسراء والأشکل ، ودخان التنضب ، ذكره أبو حنيفة في النبات .

وقال الجعديُّ :

كَانَ الْعُبَارَ الَّذِي غَادَرَتْ ضَحِيًّا دَوَاخِنُ مِنْ تَنْضَبٍ
شبه الغبار بدخان التنضب لبياضه. وقال آخر [عَقِيلُ بْنُ عُلْقَةَ الْمُرِّي] :

(١) اسم بقلة ، ويقول ابن جنى في المنصف إن الاءاء الخماسية تجيء على أربعة أمثلة وخامس لم يذكره سيبويه ، فعلل وفعلل وفعلل وفعلل . . . والخامس الذي لم يذكره سيبويه فعلل ، وهو هندلج ، وقالوا : هو اسم بقلة ، ومن ادعى ذلك احتاج أن يدل على أن النون من الأصل ، ص ٣٠ - ١ . وفي شرح الشافية عن أوزان الاسم الخماسي : « وزاد محمد بن السري في الخماسي خامسا ، وهو الهندلج لبقلة ، والحق : الحكم بزيادة النون لأنه إذا تردد الحرف بين الإصالة والزيادة والوزنان باعتبارهما نادرا ، فالأولى : الحكم بالزيادة لكثرة ذى الزيادة كما يجيء ، ولو جاز أن يكون هندلج فعللا لجاز أن يكون كنهيل فعلا وذلك خرق لا يرفع فتكثر الأصول ، ص ٤٩ - ١٠٠ . والكنهيل بفتح الباء وضمها : شجر عظام وهو من العضاء ويقول سيبويه إن النون فيه زائدة لأنه ليس في الكلام على مثال سفرجل بضم الجيم .

ويقول الخشني : « التناضب بضم الضاد . يقال : هو اسم موضع ، ومن رواء بالكسر ، فهو جمع تنضب ، وهو شجر واحدته : تنضبة ، وتيده الوقشي ؛ التناضب بكسر الضاد ، .

وَهَلْ أَشْهَدَنْ خَيْلًا كَانَ غُبَارُهَا بِأَسْفَلِ عِلْكَدٍ دَوَاخِنْ تَنْضُبِ

وأضأة بنى غِفَارٍ على عشرة أميال من مَكَّةَ ، والأضأة القَدِيرُ ، كأنها
مقلوب من وَضأة على وزن فَعْلَةٍ ، واشتقاقه من الوَضَاءَةِ بالمد وهي النظافة ، لأن
الماء ينظف ، وجمع الأضأة إضأءًا وقال النابغة [في صفة الدروع] :

عُلَيْنَ بِكَدْيُونٍ وَأَبْطَنَ كُرَّةً وَهُنَّ إِضْأءٌ صَانِيَاتُ الْغَلَائِلِ

[وأضِيَّاتٌ ، وأضواتٌ وأضًا وإضُون]. وهذا الجمع يحتمل أن يكون غير
مقلوب ، فتكون الهمزة بدلًا من الواو المكسورة في وضاء ، وقياس الواو
المكسورة تقتضى الهمز على أصل الاشتقاق ، ويكون الواحد مقلوبًا لأن الواو
المفتوحة لا همز ، مع أن لام الفعل غير همزة ، وقد يجوز أن يكون الجمع محمولًا
على الواحد فيكون مقلوبًا مثله ^(١) ، ويقال أضأء بالمد ، وقد يجمع أضأة على
إضيين ، قاله أبو حنيفة وأنشد :

مَحَافِرُ كَأَسْرِيَةٍ الْإِضِيْنَا

الْأَسْرِيَةُ : جمع سَرِيٍّ ، وهو الْجَذْوَلُ ، ويقال له أيضًا : السَّعِيدُ .

(١) ومثلها : إساد في : وساد وإشاح ، في وشاح . وإعاء في وعاء . وفي اللسان :
« قال أبو الحسن : هذا الذي حكيمه من حمل أضأء على الواو بدليل : أضوات حكاية .
جميع أهل اللغة ، وقد حمله سيلويه على الياء ، قال : ولا وجه له عندى البتة .
لقولهم أضوات وعدم ما يستدل به على أنه من الياء . قال والذي أوجه كلامه .
عليه أن تكون أضأء قلعة من قولهم : آض يبيض على القلب ، لأن بعض
الغدير يرجع إلى بعض ، ولا سيما إذا صفقته الريح .

قول هشام بن العاص :

فصل : وذكر نزول الآية : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَمَرْتُكُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﴾ الزمر ٥٣ الآية في المستضعفين بمكة ، وقول هشام ابن العاص : ففاجأتني وأنا بذى طوى . طوى (١) : مقصور موضع بأسفل مكة ، ذكر أن آدم لما أهبط إلى الهند ، ومشى إلى مكة ، وجعل الملائكة ، تنتظره بذى طوى ، وأنهم قالوا له : يا آدم ما لنا ننتظر هاهنا منذ ألقى سنة (٢) ، وروى أن آدم كان إذا أتى البيت خلع نعليه بذى طوى ، وأما ذو طواء بالمد ، فوضع آخر بين مكة والطائف هكذا ذكره البكري ، وأما طوى بضم الطاء والقصر المذكور في التنزيل ، فهو بالشام اسم للوادي المقدس ، وقد قيل : ليس باسم له ، وإنما هو من صفة التقديس ، أى : المقدس مرتين .

نزول طلحة وصهيب علي غريب بن إساف :

فصل : وذكر نزول طلحة وصهيب علي غريب بن إساف ويقال فيه يساف بياء مفتوحة في غير رواية الكتاب ، وهو إساف بن عتبة ، ولم يكن

(١) مثلثة الطاء وتنون ولا تنون . فنونه فهو اسم للوادي أو الجبل ، وهو مذكور اسمي بمذكر على فعل كحطم وصرد وإن لم ينونه جملة معدولا عن طاء ، أو باعتباره اسما للبقعة . وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب الحضرمي : طوى غير منون ، وقرأها الكسائي وعاصم وحزة وابن عامر : طوى منونا في السورتين . ويقول ابن الأثير : وذو طوى : موضع عند باب مكة .

(٢) كلامه لا مسند له .

حين نزول المهاجرين عليه مُسلماً في قول الواقدي بل تأخر إسلامه ، حتى خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بدر ، قال خُبَيْبٌ : فخرجت معه أنا ورجل من قومي ، وقلنا له : نسُكره أن يشهدَ قومُنا مشهداً لا نشهده معهم ، فقل : أسلمتما ؟ قلنا : لا ، فقال : ارجعا ، فإننا لانسُعين بمشرك .

وخُبَيْبٌ هو الذي خلف على بنت خارِجة بعد أبي بكر الصديق ، واسمها : حَبِيبَةُ ، وهي التي يقول فيها أبو بكر عند وفاته : ذو بطن بنت خارِجة أراها جارية^(٢) ، وهي : بنت خارِجة بن أبي زهير^(٢) ، والجارية : أم كُلثوم بنت أبي بكر ، مات خُبَيْبٌ في خلافة عثمان ، وهو جدُّ خُبَيْبِ بن عبد الرحمن ، الذي يروي عنه مالكٌ في موطئه .

أبو كبشة

وذكر أنسٌ وأبا كبشة في الذين نزلوا على كُلثوم بن الهذم ، فأما أنسٌ مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهو من مَوْلَى السَّراة ، ويُكنى : أبا مَسروح ، وقيل : أبا مِشراح شهد بدرا والمُشاهدَ كُلَّها مع رسول الله

(١) في الإصابة : ما أظنها لإلا أنثى . غير أن إيمان أبي بكر ، وتدبره العظيم للقرآن يمنعان من أن نظن بأبي بكر مثل هذا فالقرآن يقول عن الله سبحانه في أمور الغيب انني أعلمها : (ويعلم ما في الأرحام) .

(٢) في الإصابة : بنت خارِجة بن زيد أو بنت زيد بن خارِجة . وفي ترجمته هو ذكر : زيد بن خارِجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس ابن ثعلبة بن كعب بن الخزرج .

— صلى الله عليه وسلم — ومات في خلافة أبي بكر ، وأبو كَبْشَة اسمه : سليم يقال إنه من فارس ، ويقال : من مُوَلَّدِي أرضِ دَوْس ، شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ومات في خلافة عمر في اليوم الذي ولد فيه عُرْوَةُ بن الزُّبَيْر ، وأما الذي كانت كفار قريش تذكره وتنسب النبي عليه السلام إليه ، وتقول : قال ابن أبي كَبْشَة وفعل ابن أبي كَبْشَة ، فقيل فيه أقوال : قيل : إنها كُنية أبيه لأمه وَهَب بن عبد مناف ، وقيل : كُنية أبيه من الرضاة الحارث بن عبد العزى ، وقيل : إن سَلَمَى أخت عبد المطلب كان يكنى أبوها أبا كَبْشَة ، وهو عمرو بن كَيْد ، وأشهر من هذه الأقوال كلها عند الناس أنهم شبهوه برجل كان يعبد الشَّعْرَى وحده دون العرب ، فنسبوه إليه لخروجه عن دين قومه ^(١) .

وذكر الدارقطني اسم أبي كَبْشَة هذا في المؤتلف والمختلف ، فقال : اسمه وَجْزُ ابن غالب ، وهو خُزَاعِيٌّ ^(٢) ، وهو من بنى غُبْشَانَ ^(٣) .

(١) سبق هذا ، وقد نقلته عن صاحب نسب قريش ، وقد ذكر ابن حبيب في كتابه المحبر أن وهباً جد النبي د ص ، لأمه كان يكنى أبا كَبْشَة ، وكذلك عمرو ابن زيد البخاري ، وهو أبو سلمى أم عبد المطلب ، وكذلك وجز بن غالب ، وهو جد النبي د ص ، من قبل أمه أم وهب بن عبد مناف ، وكذلك غُبْشَان بن عمرو ابن لؤى وهو الذي كان يعبد الشعري ، وكذلك حاضن الرسول د ص ، الحارث ابن عبد العزى ص ١٢٩ .

(٢) يقول ابن دريد ، في الاشتقاق وهو يتحدث عن خزاعة د ومنهم : أبو قيلة ، وهو وجز بن غالب ، وقد إله النبي صلى الله عليه وسلم ، ص ٤٨٠ .
(٣) في الأصل : وغمشان ، وهو خطأ . أبو غبشان : خزاعي كان يلي سدانة (م ١٣ — الروض الاف ج ٤)

وذكر نزولهم بقباء ، وهو مسكن بنى عمرو بن عوف وهو على فرسخ
من المدينة ، وهو يمد ويقصر ويؤثث ويذكر ، ويصرف ولا يُصرف ،
وأشد أبو حاتم في صرفه :

وَلَا بَغِينَكُمْ قُبَاً [و] عَوَارِضًا وَلَا قَبِيلًا الْخَيْلَ لَا بَةَ ضَرْغَرٍ^(١)

وكذلك أنشده قاسم بن ثابت في الدلائل قبا بضم القاف و [فتح] الباء
وهو عند أهل العربية تصحيف منهما جميعاً ، وإنما هو كما أنشده سيدييه : قنًا
وعوارِضًا ، لأن قنًا جبلٌ عند عوارِض يقال له ، ولجبل آخر معه قَنَوَان^(٢) ،

الكعبة قبل قريش ، فاجتمع مع قهي في شرب بالطائف ، فأسكره قهي ثم
اشترى المفاتيح منه بربق خمر ، وأشهد عليه ، ودفعها لابنه عبد الدار وطير به
إلى مكة ، فأفاق أبو غيثان أندم من الكسبي ، فضربت به الأمثال في الحمق
والندم ، وخسارة الصفقة ، والقاموس ، وقد سبق رأى ابن هشام فيه .

(١) أنشده سيدييه مرتين في صفحتي ٨٢ ، ١٠٩ من الجزء الأول من كتابه ،
ونسبه لعامر بن الطفيل ورواه مرة بالفاء ومرة بالواو في لا بغينسكم . وقد
اشتبه به على نصب قنا وعوارض مع إسقاط حرف الجر ضرورة لأنهما
مكانان محتصان لا ينتصبان انتصاب الظرف ، وهما بمنزلة ذهب الشام في الشذوذ
والحذف . والشاعر يريد : بقنا وعوارض ولكنه شبهه بدخلت البيت ، وقلب
الظهر والبطن .

(٢) في المرصد عن عوارض : جبل ببلاد طيء . وقيل : هو لبني أسد ،
وقيل : قنا وعوارض جبلان لبني فزارة وقيل : جبل أسود في أعلى دار طيء .
وناحية دار فزارة . وقيل عن قنوين إنهما جبلان تلقاهما الحاجر لبني مرة . وقيل
وهما عوارض وقنا ، مميّا قنوين كعادتهم في ثنية الشيء ومقارنه كالعمرين
والقمرين .

وبينهما وبين قباء مسافات وبلاد ، فلا يصح أن يقرن قباء الذى عند المدينة مع عوارض وقتونين ، وكذا قال البكرى في مُعْجَم ما استمعتم وأنشد :
[لمعل بن ضرار بن سنان الملقب بالشماخ] .

كأنها لما بدا عوارضُ والليلُ بين فتونين رايضُ
وقباء : مأخوذ من القَبْو ، وهو الغمُّ والجمعُ قاله أبو حنيفة ، وقال :
المَقَوَّاي : هن اللواتى يجمعن العصفى واحدهن : قَابِيَّةٌ . قال : وأهلُ العربية
يسمون الضمة من الحركات قَبْواً^(٢) ، وأما أقولهم : لا والذي أخرج قوباً من
من قايبة يعنون : الفرخ من البَيْضَةِ^(٣) فن قال فيه : قايبة بتقديم الباء ، فهو

(١) ذكره اللسان في مادة ربيض ، وفي مادة جله ونسبه في هذه إلى الشماخ .
ورواه في جله هكذا :

كأنها وقد بدا عوارضُ بجملة الوادى قطا نوايضُ
ورواه في ربيض كما في الروض وزاد ما وصفته بين قوسين والجملة :
ما استقبلك من حروف الوادى .

(٢) في اللسان : « أهل المدينة يقولون الضمة : قبوة . . والقبوة : الغم ،
قال الخليل : نبرة مقبوة أى : مضمومة » .

(٣) في اللسان : « قاب الطائر بيضته ، أى : فلتها . فانقابت البيضة وتقبوت
بمعنى ، والقائبة والقايبة : البيضة ، والقوب بالضم الفرخ . . وسى الفرخ : قوباً
لانقيا ب البيضة عنه . ويقال قايبة وقوب بمعنى : قايبة وقوب ، قال : وفي حديث
عمر : أنه نهى عن التمتع بالعمرة إلى الحج ، وقال : إنكم إن اعتمرتم في أشهر الحج
رأيتموها مجزئة من حجكم ، ففرغ حجكم ، وكانت قايبة من قوب . ضرب
هذا مثلاً لجلاء مكة من المعتمرين سائر السنة ، والمعنى : أن الفرخ إذا فارق
بيضته لم يعد إليها ، وكذا إذا اعتمرُوا في أشهر الحج لم يعودوا إلى مكة .

الْقُبُورِ الَّذِي يَقْدَمُ ، وَمَنْ قَالَ فِيهِ : قَابِيَّةٌ ، فَهُوَ مِنْ لَفْظِ الْقُبُورِ لِأَنَّهَا تَقَعُ قُبُورٌ عَنْهُ ، أَيْ تَقَعُشُرُ قَالَ السَّكَيْتِيُّ يَصِفُ النِّسَاءَ :

لَهُنَّ وَلِلْمَشْيِيبِ وَمَنْ عَمَلَهُ مِنْ الْأَمْثَالِ قَابِيَّةٌ وَقُوبٌ^(١)

وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ : فَكَانَتْ قَابِيَّةٌ قُوبٌ^(٢) عَامِهَا ، يَعْنِي : الْعُمُرَةُ فِي أَشْهُرِ الْحَجِّ ، وَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ قُبَاءَ اسْمَ بَثْرِ عُرِفَتْ الْقَرِيبَةُ بِهَا .

سالم مولیٰ ابی حذيفة

فصل : وَذَكَرَ سَالِمًا مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ الَّذِي كَانَ أَبُو حُذَيْفَةَ قَدْ تَبَنَّىاهُ كَمَا تَبَنَّى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - زَيْدًا ، وَكَانَ سَائِبَةً أَيْ : لِأَوْلَآءِ عَلَيْهِ لِأَحَدٍ ، وَذَكَرَ الْمَرْأَةَ الَّتِي أَعْتَقْتَهُ سَائِبَةً ، وَهِيَ ثَمِيَّةُ بِنْتِ يَعَارَ ، وَقَدْ قِيلَ فِي اسْمِهَا بُشَيْنَةَ ذَكَرَهُ أَبُو عَمْرٍو ، وَذَكَرَ عَنِ الزُّهْرِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِيهَا : بِنْتُ تَعَارَ^(٣) ، وَقَالَ ابْنُ شَيْبَةَ فِي الْمَعَارِفِ : اسْمُهَا سَلْمَى [وَقَالَ ابْنُ حَبَّانٍ : يَقَالُ لَهَا : لَيْلَمَةُ] وَيُقَالُ فِي اسْمِهَا أَيْضًا : عَمْرَةَ ، وَقَدْ أَبْطَلَ الدَّسْتَيْبِيُّ فِي الْعِتْقِ كَثِيرًا مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَجَعَلُوا الْوَلَاءَ لِكُلِّ مَنْ أَعْتَقَ أَخْذًا بِحَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذَلِكَ وَحَمَلُوا لَهُ عَلَى الْعُمُومِ ، وَلَمَّا رَوَى أَيْضًا عَنْ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ : لِلسَّائِبَةِ فِي الْإِسْلَامِ ،

(١) زَوَاهِ اللِّسَانِ فِي مَادَّةِ قُوبٍ وَلَمْ يَرَوْهُ فِي قُبُورٍ . وَفِيهِ : قَابِيَّةٌ وَقُوبٌ . .
مِثْلُ هَرَبِ النِّسَاءِ مِنَ الشَّيْخِ بِهَرَبِ الْقُوبِ - وَهُوَ الْفَرْخُ - مِنَ الْقَابِيَّةِ ، وَهِيَ الْبَيْضَةُ ، فَقَالَ : لَا تَرْجِعِ الْحَسَنَاءَ إِلَى الشَّيْخِ كَمَا لَا يَرْجِعُ الْفَرْخُ إِلَى الْبَيْضَةِ ،
(٢) فِي النِّهَايَةِ لِابْنِ الْأَثِيرِ : فَكَانَتْ قَابِيَّةٌ قُوبٌ عَامِهَا ، ثُمَّ فُسِّرَ بِمَنْقَلِهِ اللِّسَانُ عَنْهُ .

(٣) وَقِيلَ : فَاطِمَةُ بِنْتُ يَعَارَ ، وَفِي اسْمِ سَالِمٍ خِلَافٌ .

ورأى مالكٌ ميراثَ السائبة لجماعة المسلمين ، ولم ير ولاءه لمن سَيَّبه ، فكان للتسييب والعنق عنده حَكمان مختلفان ، وسالم هذا هو الذى أمر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سَهْلَةَ بنت سُهَيْل أن ترضعه ليحرُمَ عليها ، فأرضعته وهو ذو الحية ^(١) :

فإن قيل : كيف جازله أن ينظر إلى ثديها ، فقد روى فى ذلك أنها حلبت له فى مِسْقَط ^(٢) وشرب اللبن ، ذكر ذلك محمد بن حبيب .

(١) عند مسلم من طريق القاسم عن عائشة أن سالما كان مع أبى حذيفة ، فأتت سهلة بنت سهيل بن عمرو رسول الله — صلى الله عليه وآله وسلم — فقالت : إن سالما بلغ ما يبلغ الرجال ، وأنه يدخل على ، وأظن فى نفس أبى حذيفة من ذلك شيئا ، فقال : أرضعنيه تحرى عليه ، ورواه مالك فى الموطأ عن الزهرى عن عروة : وأخرجه البخارى من طريق الليث عن الزهرى موصولا . لكن أصدق حكم الرضاغة على من هو فى مثل سنه ، والقرآن يقول : (والوالدات يرضعن أولادهم حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاغة) ويخبر أن حمل الطفل وفصاله ثلاثون شهرا ؟ فهل يمكن أن يسمى رضيعا رجل فى مثل . فى أبى حذيفة وله الحية ؟ هذا وقد روى البخارى ومسلم والنسائى والترمذى من طريق مسروق عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رفعه خذوا القرآن من أربعة من ابن مسعود وسالم مولى أبى حذيفة ، وأبى بن كعب ، ومعاذ بن جبل . وكان أبو حذيفة يرى أنه ابنه ، فأنكحه ابنة أخته فاطمة بنت الوليد بن عتبة . فلما أنزل الله : (ادعوم لأبائهم) رد كل أحد تبني ابنا من أولئك إلى أبيه . ومن لم يعرف أبوه رد إلى مواليه . أخرجه مالك فى الموطأ عن الزهرى عن عروة بهذا ، وفيه قصة إرضاعه .

(٢) ويحكى أيضاً بضم الميم والعين وسكون السين وهو آية السموط تعليق على منازل المهاجرين : يقول الحنفى عن خباب مولى عتبة أى يروى

اجتماع قريش للتشاور في أمر النبي صلى الله عليه وسلم

ذكر فيه تمثل إبليس - حين أنام - في صورة شيخ جليل وانتسابه إلى أهل نجد .

قوله في صورة شيخ جليل يقول : جَلَّ الرجل وجلت المرأة إذا أسَنَّت ، قال الشاعر :

وما حظها أن قيل عَزَّتْ وَجَلَّتْ

ويقال منه : جَلَّتْ يارجل بفتح اللام ، وقياسه جَلَّتْ لأن اسم الفاعل منه : جليل ، ولكن تركوا الضم في المضاعف كله استئثالا له مع التضعيف إلا في كُبِّيت ، فأنْتَ لبيب ، حكاه سيبويه بالضم على الأصل^(١) .

أيضاً بجاء مهملة مضمومة وباء مخففة وقول ابن هشام : ونزل الاعراب . صوابه : كما قال الوقشي : الاعراب ، ص ١٢٥ شرح السيرة لأبي ذر الحثني بولمها : الاعراب ، لأن جمع عَزَب أعزاب « القاموس » .

(١) في مسند قصة الهجرة ذكر مجاهد بن جبر في خلاصة تذهيب السكال للحافظ صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الانصارى ط أولى : مجاهد بن جبر بإسكان الموحدة . للخشني وفي بعض نسخ السيرة : جبير ، وخبير ، ويقول الخشني والصحيح : جبير ص ١٢٦ . وفي اللسان عن لبيب وقد لببت - يضم الباء الأولى - ألب - بفتح اللام - ولببت بكسر الباء الأولى تلب بفتح اللام . وفي التهذيب حكى : لببت بالضم ، وهو نادر لا نظير له في المضاعف الحديث أخرجه البخاري في أبواب الاستسقاء . باب ما قيل في الزلازل والآيات بسنده عن نافع عن ابن عمر قال : قال : اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا ، قال : قالوا : وفي نجدنا ، فقال : قال : اللهم بارك لنا في شامنا وفي يمننا . قال : قالوا : وفي نجدنا . قال : قال : هنالك الزلازل والفتن ، وبها يطلع قرن الشيطان ،

وقال القابسي : سقط ذكر النبي ﷺ من النسخ ، ولا بد منه ، لأن مثله لا يقال بالرأى : وأخرجه البخارى فى كتاب الفتن . وقد صرح فيه بذكر النبي ﷺ . وقوله : فأظنه قال فى الثالثة : هنالك الزلازل الخ . وأخرجه الترمذى . وفى مجمع الزوائد . فقال رجل : وفى شرقنا يا رسول الله بدلا من : وفى نجدنا وأنه قال فى المرة الثانية : اللهم بارك لنا فى شامنا ، وفى يمننا إن من هناك يطلع قرن الشيطان ، وبه تسعة أعشار الكفر ، وبه الداء العضال ، رواه الطبرانى فى الاوسط واللفظ له : وأحمد ولفظه أن رسول الله ﷺ ، قال اللهم بارك لنا فى شامنا ويمننا مرتين ، فقال رجل وفى مشرقنا يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ ، من هناك يطلع قرن الشيطان ، وبه تسعة أعشار الشرك . . . ويقول الخطابي فى بيان المراد من نجد من جهة المشرق ، ومن كان بالمدينة كان نجد بادية العراق ونواحيها ، وهى مشرق أهل المدينة ، وأصل النجد : ما ارتفع من الأرض وهو خلاف الغور ، فإنه ما انخفض منها وتهامة . كلها من الغور ، ومكة من تهامة ، أقول . ومثل هذه الأحاديث لا يجوز أخذها على إطلاقها بل لا يجوز مطلقا أن نسميها استعمال أولئك الذين أوغروا فى الصدور الاحتاد ، وأرثوا العصبية المقيتة الحمقاء بسببها . فسيبوا كل نجد ، وذموا كل عراقى . وما أجل ما يقول العلامة الهندى الشيخ محمد بشير السهسوانى : ومن عاب الساكن بالسكنى والإقامة فى مثل تلك البلاد ، فقد عاب جهـور الأمة وسبهم وآذاهم بغير ما اكتسبوا ، وقد داوول الله تعالى الأيام بين البقاع والبلاد كما داوولها بين الناس والعباد . . . قال تعالى : (وتلك الأيام تداولها بين الناس) وكـم من بلد قد فتحت ، وصارت من خير بلاد المسلمين بعد أن كانت فى أيدي الفراعنة والمشركين والفلاسفة والصابئين والكفرة من المجوس ، وأهل الكنايين ، بل الخبرة التى كانت بها قبور المشركين صارت مسجدا هو أفضل مساجد المسلمين بعد المسجد الحرام ودفن بها أفضل المرسلين ، وسادات المؤمنين ، ص ٤٤ ط صيانة الإنسان . ولوحنا ما روى على هوى الحاملين للأحقاد لفلنا عن المدينة بحمافة العصبية إنها دار فتنة فقد ورد فى حديث متفق عليه : أنه ﷺ ، أشرف على

وإنما قال لهم : إني من أهل نجد فيما ذكر بعضُ أهل السيرة ، لأنهم قالوا : لا يدخلن معكم في المشاورة أحدٌ من أهل تهامة لأن هوام مع محمد ، فلذلك تمثل لهم في صورة شيخ نجدى ، وقد ذكرنا في خبر بُنيان السكعبة أنه تمثل في صورة شيخ نجدى أيضاً ، حين حكموا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أمر الركن : مَنْ يرفعه ، فصاح الشيخ النجدى : يا معشر قريش : أقدم رَضِيمُ أن يليه هذا الغلامُ دون أشرافكم وذوى أسنانكم ، فإن صح هذا الخبرُ فَلَمَعْنِي آخرُ تمثل نجدياً ، وذلك أن نجداً منها يطلع قرنُ الشَّيْطَانِ ، كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين قيل له : وفي نجدنا يا رسول الله ؟ قال : هنالك الزلازل والفتن ، ومنها يطلع قرنُ الشيطان ، فلم يُبارك عليها ، كما بَارَك على اليمن والشام وغيرها ، وحديثه الآخر أنه نظر إلى المشرق ، فقال : إن الفتنَ هاهنا من حيث يطلع قرنُ الشيطان ، وفي حديث ابن عمر ، أنه حين قال هذا الكلام ، ووقف عند باب عائشة ، ونظر إلى المشرق فقال : وفي وقوفه عند باب عائشة ناظراً إلى المشرق يحذر من الفتن ، وفكر في خروجها إلى المشرق عند وقوع الفتنة تفهم من الإشارة وانضمم إلى هذا قوله عليه السلام حين ذكر نزول الفتن : أيقظوا صَوَاحِبَ الْحُجَرِ ، والله أعلم .

وذكر تشاورهم في أمر النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن بعضهم أشار بأن

أطمح حصن عال أو بناء مرتفع ، من أطام المدينة ، فقال : هل ترون ما أرى ؟ قالوا : لا . قال فإني لأرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقع المطر . فلنحذر هوى الشيطان ، وفتنة العصبية ١١ .

يُحْبَسُ فِي بَيْتٍ ، وَبَعْضُهُمْ بِإِخْرَاجِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ وَنَفِيهِ ، وَلَمْ يُسَمَّ قَائِلُ هَذَا الْقَوْلِ ، وَقَالَ ابْنُ سَلَامٍ : الَّذِي أَشَارَ بِمَجْسَمِهِ هُوَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ .
ابْنُ هِشَامٍ ، وَالَّذِي أَشَارَ بِإِخْرَاجِهِ وَنَفِيهِ هُوَ أَبُو الْأَسْوَدِ رِبْعَةُ بْنُ عَمْرٍو ، أَحَدُ
بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ ، وَقَوْلُ أَبِي جَهْلٍ : نَسِيبًا وَسَيْطًا ، هُوَ مِنَ السُّطَّةِ فِي الْعَشِيرَةِ ،
وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي بَابِ تَرْوِيحِهِ خَدِيجَةُ مَعْنَى التَّوَسِيطِ ، وَأَيْنَ يَكُونُ مَدْحًا .

وَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَى بَابِهِ يَتَطَلَّعُونَ ، فَيُرُونَ عَيْنًا وَعَلَيْهِ بُرْدُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُظَنُّونَهُ إِيَّاهُ ، فَلَمْ يَزَالُوا قِيَامًا حَتَّى أَصْبَحُوا ، فَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ
التَّفْسِيرِ السَّبَبَ الْمَانِعَ لَهُمْ مِنَ التَّقَرُّجِ عَلَيْهِ فِي الدَّارِ مَعَ قِصْرِ الْجِدَارِ ، وَأَنَّهُمْ
إِنَّمَا جَاءُوا الْقِتْلَةَ ، فَذَكَرَ فِي الْخَبَرِ أَنَّهُمْ هُمُومُوا بِالْوُلُوجِ عَلَيْهِ ، فَصَاحَتِ امْرَأَةٌ
مِنَ الدَّارِ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : وَاللَّهِ إِنَّهَا لِلْسُّبَّةِ فِي الْعَرَبِ أَنْ يَتَحَدَّثَ عَنَّا
أَنَا تَسَوَّرْنَا الْحَيَاطَانَ عَلَى بَنَاتِ الْعَمِّ ، وَهَتَكْنَا سِتْرَ حُرْمَتِنَا ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي
أَقَامَهُمْ بِالْبَابِ حَتَّى أَصْبَحُوا يَنْتَظِرُونَ خُرُوجَهُ ، ثُمَّ طَمَسَتْ أَبْصَارُهُمْ عَنْهُ حِينَ
خَرَجَ ، وَفِي قِرَاءَةِ الْآيَاتِ الْأُولَى مِنْ سُورَةِ : يَسَ (١) مِنَ الْفَقْهِ النَّذْكِرَةُ
بِقِرَاءَةِ الْخَائِفِينَ لَهَا اقْتِدَاءً بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَدْ رَوَى الْحَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ
فِي مَسْنَدِهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ذِكْرِ فَضْلِ يَسَ أَنَّهَا إِنْ قُرِئَتْ خَائِفًا
أَمِنَ ، أَوْ جَائِعًا شَبِعَ أَوْ عَارِيًّا كَسِيَ ، أَوْ عَاطَشًا سُبِقَ حَتَّى ذَكَرَ خِلَالَ كَثِيرَةٍ (٢) .

(١) تَقْرَأُ هَكَذَا : يَاسِينَ وَهِيَ مِثْلُ حَمٍّ حَامِيمٍ ، وَطَهٍّ وَطَاهَا ، فَهِيَ
لَيْسَتْ اسْمًا لِلنَّبِيِّ ﷺ ، وَلَئِنْ هِيَ مِثْلُ غَيْرِهَا مِمَّا ذَكَرْتَ مِنْ أَوَائِلِ السُّورِ .
(٢) لَمْ يَرَوْهُ أَحَدٌ مِنَ أَصْحَابِ الصَّحِيحِ . وَلَوْ أَنَّ التَّلَاوَةَ لِهَذِهِ السُّورَةِ تَعْطَى

وذكر ابن إسحاق ما أنزل الله في ذلك ، وشرح ابن هشام رَيْبَ الْمُنُونِ ،
وأنشد قول أبي ذؤيب :

أمن المنونِ وزَيِّبه تنفجع

والمُنُونُ يذكّر ويؤنّث ، فمن جعلها عبارةً عن الْمَنِيَّةِ أو حوادث الدهر
أنّث ، ومن جعلها عبارةً عن الدهر ذكر ، ورَيْبُ المنون ما يَرِيكَ من تغير
الأحوال فيه ، سُمِّيَتِ الْمُنُونُ لِنَزْعِهَا مَنَّ الْأَشْيَاءِ أَى : قُوَاهَا ، وقيل : بل
سميت مَنُونًا لقطعها دون الأمال من قولهم : حَبَلٌ مَنِينٌ أَى : مقطوع ، وفي
التنزيل قوله تعالى ﴿ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ أَى غير مقطوع .

إذن الله سبحانه لنبيه بالهجرة

ذكر فيه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم : أتى بيتَ أبي بكر
في الظَّهيرة : قالت عائشة : وفي البيت أنا وأختي أسماء فقال أخرج من معك ،
فقال أبو بكر : إنما هما بنتاي يا رسول الله .

وقال في جامع البخارى : إنما هم أهلُك يا رسول الله ، وذلك أن عائشة
قد كان أبوها أنسكحها منه قبل ^(١) ذلك ، وكذلك روى عن أمها أم رومان

كل هذا الذى ذكر لكان باعة القرآن على المقابر أولى الناس في الدنيا والآخرة
هناء ورخاء وعزة وكرامة . إن التلاوة بلا تدبر لا تنفع شيئا .

(١) أخرج البخارى بسنده عن هشام عن أبيه قال : توفيت خديجة قبل
مخرج النبي د ص ، إلى المدينة بثلاث سنين فلبث سنتين ، أو قريبا من ذلك :

بنت عامر بن عويمر ، ويقال في اسم أبيها : رَوْمَانُ بفتح الراء أيضاً ، فقال ابن إسحاق في غير رواية ابن هشام في حديث طويل ثابت اختصرته : إن أبا بكر حين هاجر مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم خلف بناته بمكة ، فلما قدموا المدينة أرسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه ، وأرسل أبو بكر عبد الله بن أَرْيَقُط [الدبلي] ^(١) ، وأرسل معهم خمسمائة درهم ، فاشترى بها ظفراً بقديد ، ثم قدموا مكة فخرجوا بسودة بنت زمعة ، وبفاطمة وبأم كلثوم . قالت عائشة : وخرجت أمي معهم ومع طلحة ابن عبيد الله مصطحبين ، فلما كنا بقديد نفر البعير الذي كنت عليه أنا وأمى : أم رومان في محفة ، فجعلت أمى تنادى : وَأَبْنَيْتَاهُ وَاغْرُسَاهُ !! وفي رواية

ونكح عائشة ، وهى بنت ست سنين ، ثم بنى بها وهى بنت تسع سنين ، وفي الحديث إشكال . وقد ذكر الحافظ في الفتح رفعاً لهذا الإشكال إذ قال : إن مراده من قوله في الحديث : فلبث سنتين أو قريباً من ذلك . المراد أنه لم يدخل على أحد من النساء ، ثم دخل على سودة قبل أن يهاجر ، ثم بنى بعائشة بعد أن هاجر ، فكان ذكر سودة سقط على بعض روايته . ويقول الماوردي : الفقهاء يقولون : تزوج عائشة قبل سودة ، والمحدثون يقولون : تزوج سودة قبل عائشة . وقد يجمع بينهما بأنه عقد على عائشة ، ولم يدخل بها ، ودخل بسودة ص ١٧٩ > ٧ فتح البارى .

(١) هكذا ضبطه الحافظ في الفتح . وقال : وقيل بضم الدال وكسر ثانيه مهموز ، وهو ابن الدليل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وقيل : من بنى عدى ابن عمرو بن خزاعة . وفي رواية الأمامى عن ابن إسحاق : ابن أريقت ، وعند موسى بن عقبة : أريقه لكن بإطاء وعند ابن سعد : أريقت وعن مالك اسمه : رقيط . وفي شرح السيرة لابن خزيمة أنه اللبث عبد الله بن أريقت

يونس عن ابن إسحاق ، وفيه قالت عائشة : فسمعت قائلاً يقول - ولا أرى أحداً - ألقى خطامه ، فألقيته من يدي ، فقام البعير يستدير به ، كأن إنساناً تحته يمسكه ، حتى هبط البعير من الثنية ، فسلم الله ، فقدمنا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو بيني المسجد وأبياتاله ، فنزلت مع أبي بكر ، ونزلت سودة بنت زمعة في بيتها ، فقال أبو بكر : ألا تبني بأهلك يا رسول الله ؟ فقال : لولا الصداق ، قالت : فدفع إليه مئتي عسرة أوقية ، ونشأ ، والنش : عشرون درهماً وذكّرت الحديث . ورواه ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة .

لم اشتريت الراحلة :

وفي حديث ابن إسحاق أن أبا بكر كان قد أعد راحلتين ، فقدم لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - واحدة ، وهى أفضلهما ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لا أركب بعيراً ليس لى فقال أبو بكر : هو لك يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بالثمن ، فقال أبو بكر : بالثمن يا رسول الله فركبها ، فسئل بعض أهل العلم . لم لم يقبلها إلا بالثمن ، وقد أنفق أبو بكر عليه من ماله ما هو أكثر من هذا فقبل ، وقد قال عليه السلام : ليس من أحد آمن على أهل ومال من أبى بكر^(١) ، وقد دفع إليه حين بنى .

(١) في رواية للبخارى : إن من آمن الناس على في صحبته وماله أبا بكر وفي رواية أخرى إن آمن الناس على في صحبته وماله أبو بكر . وقد قيل : إن الرفع خطأ لأنه اسم إن . وقيل : إن وجه الرفع بتقدير ضمير الشأن أى أنه الجار والمجرور بعده خبر مقدم ، وأبو بكر مبتدأ مؤخر ، أو على أن مجموع الكنية

بمائشة ثُنْتِي عَشْرَةَ أُوقِيَةً وَنَشَأَ ، فلم يَأْب من ذلك فقال للسُّئُولُ إِنَّمَا ذَلِكَ
لِتَكُونَ هَجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ رَغْبَةً مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي اسْتِكْمَالِ فَضْلِ
الْهَجْرَةِ وَالْجِهَادِ عَلَى أَنْتُمْ أَحْوَاهُمَا ، وَهُوَ قَوْلُ حَسَنٍ حَدَّثَنِي بِهَذَا بَعْضُ أَصْحَابِنَا
عَنِ الْفَقِيهِ الزَّاهِدِ أَبِي الْحَسَنِ بْنِ اللَّوَانِ رَحِمَهُ اللَّهُ .

ذِكْرُ ابْنِ إِسْحَاقَ فِي غَيْرِ رِوَايَةِ ابْنِ هِشَامَ

وَذَكَرَ ابْنُ إِسْحَاقَ فِي غَيْرِ رِوَايَةِ ابْنِ هِشَامَ : أَنَّ النَّاقَةَ الَّتِي ابْتَاعَهَا
رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — مِنْ أَبِي بَكْرٍ يَوْمَئِذٍ هِيَ : نَاقَتُهُ
الَّتِي تَسْمَى بِالْجُدْنَاءِ ، وَهِيَ غَيْرُ الْعَضْبَاءِ الَّتِي جَاءَ فِيهَا الْحَدِيثُ حِينَ ذَكَرَ
رَسُولُ اللَّهِ — صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — نَاقَةَ صَالِحَ ، وَأَنَّهَا تَحْشَرُ مَعَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ،
فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : وَأَنْتَ يَوْمَئِذٍ عَلَى الْعَضْبَاءِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَالَ : لَا . ابْنَتِي فَاطِمَةُ
تُحْشَرُ عَلَى الْعَضْبَاءِ ، وَأَخْشَرُ أَنَا عَلَى الْبُرَاقِ ، وَيُحْشَرُ هَذَا عَلَى نَاقَةٍ مِنْ نُوقَ

اسْمُ فَلَا يَعْرَبُ مَا وَقَعَ فِيهَا مِنَ الْأَدَاءِ أَوْ إِنْ مَعْنَى نَعَمْ ، أَوْ إِنْ مِنْ زَائِدَةٍ عَلَى رَأْيِ
الْكِسَائِيِّ . وَأَمِنْ أَفْعَلٍ تَفْضِيلُ مِنَ الْمَنْ بِمَعْنَى الْعَطَاءِ وَالْبَذْلِ ، بِمَعْنَى أَنْ أَبْذَلَ
النَّاسَ لِنَفْسِهِ وَمَالِهِ . لَا مِنْ الْمُنَّةِ الَّتِي تَفْسِدُ الصَّنِيعَةَ ، وَلَكِنْ يَشْرَحُهُ الدَّوْدِيُّ
عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْمُنَّةِ وَتَقْدِيرُهُ لَوْ كَانَ يَتَجَهَّ لَأَحَدُ الْاِمْتِنَانِ عَلَى نَبِيِّ اللَّهِ ، لِتَوَجُّهِ
لَهُ . وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ : لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ آمِنٌ عَلَى فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ مِنْ
أَبِي بَكْرٍ . وَوُجُودُ مَنْ بَاعْتَبَارَهَا غَيْرَ زَائِدَةٍ يَفِيدُ أَنَّ لَغْوَهُ مِشَارَكَةٌ مَا فِي الْأَفْضَلِيَّةِ ،
وَلَكِنَّهُ الْمَقْدَمُ . وَيُؤَيِّدُ هَذَا مَا وَرَأَاهُ التِّرْمِذِيُّ : وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلَّا كَأَفْأَنَاهُ
عَلَيْهَا ، مَا خِلَا أَبَا بَكْرٍ ، فَإِنْ لَهُ عِنْدَنَا يَدٌ يَكْفِيهِ اللَّهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَهَذَا
يَدُلُّ عَلَى ثَبُوتِ مُنَّةٍ لِلْغَيْرِ ، إِلَّا أَنْ لَا يَبِي بَكْرٍ رَجَحَانَا .

الجنة وأشار إلى بلال^(١).

وذكر أذانه في الموقف في حديث طويل يرويه عبد الحميد بن كيسان عن
سُوَيْد بن عُفَيْر ، وعبد الحميد مجهول عندهم .

وفي مسند البزار عن أنس قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
على العُضْبَاء ، وليست بالجدعاء ، فهذا من قول أنس : إنها غير الجدعاء ، وهو
الصحيح ، لأنها غُفِمت ، وأخذ صاحبها العقيلي بالمدينة ، فقال : بم أخذتني يا محمد ،
وأخذت سابقة الحاج ، يعنى : العُضْبَاء ، فقال : أخذتك بجريرة حُلَفائك .

بطء الفرح من أبي بكر :

وذكر ابن إسحاق في قول عائشة - رضى الله عنها - ما كنت أرى أحداً
يبكى من الفرح حتى رأيت أبا بكر يومئذ يبكى من الفرح . قالت ذلك لصغير
سنيها ، وأنها لم تسكن بذلك قبل ، وقد تطرقت الشعراء لهذا المعنى ،

(١) الروايات الصحيحة في كتب السنة المعتبرة تخالف ما ذكرهنا عن هذا
النوع من الحشر . هذا وقد ذكر الواقدي أن النافقة التي أخذها رسول الله وص ،
هى القصواء ، وأنها كانت من نعم بنى قشير . ويذكر ابن إسحاق أنها الجدعاء ،
وأنها من إبل بنى الحريش وكذلك روى ابن حبان من طريق هشام عن أبيه .
هذا وما رواه ابن إسحاق عن الهجرة عن لايتهم عن عروة قد ورد في البخارى .
ما هو قريب منه . ولم يرد في البخارى وغيره قصة الندوة . ولارمى التراب
في الوجوه . ورواية البخارى هنا هى الرواية التى تسكن إليها النفس ، ولا يتوجه
بها سؤال لماذا لم يقتحم الراغبون في قتله عليه الباب ؟ ، وليس فيها خرافة تشكل
الشیطان بصورة شيخ نجدى .

فأخذته استحسانا له ، فقال الطائي يصف السحاب :

دُهم إذا وكفت في روضه طفت عيون أزهارها تبكي من الفرح

وقال أبو الطيب ، وزاد على هذا المعنى :

فلا تُنْكِرَنَّ لها صرعة فمن قرح النفس ما يقتل

وقال بعض المحدثين :

ورَدَ الكتابُ من الحبيب بأنه سيزورني فاستعبرت أجفاني

غلب السرور على حتى إنه من قرط ما قد سرّني أبكائي

يا عينُ صار الدمعُ عندك عادةً تبكين في قرح وفي أحران

مكة والمدينة :

فصل : ومن قوله عليه السلام حين خرج من مكة ، ووقف على الحزورة^(١) ، ونظر إلى البيت ، فقال : والله إنك لأحب أرض الله إلى ، وإنك لأحب أرض الله إلى الله ، ولولا أن أهلك أخرجوني منك ما خرجت^(٢) برويه الزُّهري عن أبي سلمة

(١) الحزورة كانت سوق مكة ، وأدخلت في المسجد لما زيد ، وباب الحزورة معروف من أبواب المسجد الحرام . وعن ابن الأثير في النهاية أنها موضع بمكة عند باب الخياطين ، وهو بوزن قسورة . وعن الشافعي : الناس يشددون الحزورة ، والحديبية ، وهما مخففتان .

(٢) أخرجه أحمد والنسائي والترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح ، وأخرجه أبو حاتم بن حبان في التقاسيم والأنواع ، وسعيد بن منصور في سننه وذكره رزين عن الموطأ ، ولكنه ليس في موطأ يحيى بن يحيى ، وأخرجه أحمد في المسند

عن عبد الله بن عدي بن الحمراء يرفعه ، وبعضهم يقول فيه : عن الزهري عن أبي سلمة عن أبي هريرة ، وهو من أصح ما يُحتج به في تفضيل مكة على المدينة ، وكذلك حديث عبد الله بن الزبير مرفوعاً : إن صلاةً في المسجد الحرام خير من مائة ألف صلاة فيما سواه^(١) فإذا كانت الأعمال تبعاً للصلاة ، فكل حسنة تعمل في الحرام ، فهي بمائة ألف حسنة ، وقد جاء هذا منصوصاً من طريق ابن عباس عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال : من حجّ ماشياً كتب له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات الحرم ، قيل : وما حسنات الحرم ؟ قال : الحسنة فيه بمائة ألف حسنة [قال عطاء : ولا أحسب السيئة إلا مثلها] أسنده البزار^(٢).

حديث الغار

وهو غار في جبل ثور ، وهو الجبل الذي ذكره في تحريم المدينة ، وأنها حرام ما بين غير إلى ثور ، وهو وهم في الحديث ، لأن ثوراً من جبال مكة ، وإنما لفظ الحديث عند أكثرهم ما بين غير إلى كذا ، كأن الحدث قد نسي اسم المكان ، فكفى عنه بكذا^(٣).

-
- (١) في رواية لابن ماجه ، والعدد مختلف في روايات الحديث المختلفة .
 (٢) لا يتعلق ثواب الحج بمشي أو ركوب وإنما يتعلق بما وقر في القلب المؤمن . وهو يأتي بأركانه ، فكلم من رجل حج ماشياً ، ولم ينل غير مشقة مشيه ، وكلم من رجل حج راكباً له بكل نامة حسنة وحسنات .
 (٣) الحديث أخرجه الشيخان ، وقد رواه مسلم بلفظ : المدينة حرم ما بين غير إلى ثور ، والبخاري بلفظ : المدينة حرم ما بين غير إلى كذا . وأبو داود

بلفظ : المدينة حرام ما بين عاير إلى ثور . . وعاير جبل كبير مشهور في قبلة المدينة بقرب ذى الحليفة ميقات المدينة وقيل غير ذلك . وأما ثور فليس المقصود به جبل ثور الذى هو من جبال مكة ، وإنما هو جبل صغير خلف أحد وقد استشكل العلماء الحديث ظنا منهم أنه ليس بالمدينة ثور ، ولهذا ذكر في أكثر الروايات عند البخارى : من عاير إلى كذا ، وفي بعضها : من عاير إلى كذا ، ولم يبين النهاية ، فكأنه يرى أن ذكر ثور وهم ، فأسقطه ، وترك بعض الرواة موضع ثور بياضا ، ليتبين الوهم ، وضرب آخرون عليه ، وقال المازرى نقل بعض أهل العلم : أن ذكر ثور هنا ، وهم من الراوى ، لأن ثورا بمكة ، والصحيح : إلى أحد . وقال أبو عبيد القاسم بن سلام : إن الحديث أصله من عاير إلى أحد . وقد روى الطبرانى الحديث : ما بين عاير وأحد حرام حرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم . . وقال الحازمى : الرواية الصحيحة : ما بين عاير إلى أحد . وقيل إلى ثور ، وليس له معنى . وقال ابن قدامة : يحتمل أن المراد تحريم قدر ما بين ثور وعاير اللذين بمكة . . وقد قال البيهقى : بلغنى عن أبى عبيد أنه قال في كتاب الجبال : بلغنى أن بالمدينة جبلا يقال له : ثور . ونقل المجد في ترجمة عاير عن نصر أن ثورا جبلا عند أحد . وقد ردد الجلال المطرى في تاريخه على من أنكر وجود ثور ، وقال : إنه خلف أحد من شماليه صغير مدور .

وقال الأفشهرى : وقد استقصينا من أهل المدينة خبر جبل يقال له : ثور عندهم . فوجدنا ذلك اسم جبل صغير خلف جبل أحد يعرفه القدماء دون المحدثين من أهل المدينة . وقال أبو العباس بن تيمية : ثور جبل في ناحية أحد ، وهو غير جبل ثور الذى بمكة . ويقول المحب الطبرى إن المحدث ابن مزروع البصرى أخبره أن حذاء أحد عن يساره جبلا صغيرا يقال له ثور ، وأخبر أنه تكرر سؤاله عنه ، لطوائف من العرب العارفين تلك المواضع . . وتواردت أخبارهم على تصديق بعضهم بعضاً . أنظر ص ٦٤ ح ١ وفاء الوفا للسهمودى ص ١٢٢٦ و ص ٦٣٠ وما بعدها القرى للمحب الطبرى ص ١٩٤٨ .
(م ١٤ — الروض الألف ج ٤)

وذكر قاسم بن ثابت في الدلائل فيما شرح من الحديث أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لما دخله وأبو بكر معه أنبت الله على بابهِ الرّاءة : قال قاسم : وهى شجرة معروفة ، فحجبت عن الغار أعين الكفار .

وقال أبو حنيفة : الرّاءة : من أغلاثِ الشجر ، وتكون مثل قامة الإنسان ، ولها خيطان ، وزهر أبيض تُحشى به المَخَاد ، فيكون كالريش خلفه ولينه ، لأنه كالقطن أنشد :

تَرى وَدَكَ الشَّرِيفِ عَلَى لَحَاهُمْ كَمَثَلِ الرِّاءِ لَبَدَهُ الصَّيِّعُ

وفى مُسنَد البزار : أن الله تعالى أمر العنكبوتَ فَنَسَجَتْ على وجه الغار ، وأرسل حمامتين وَخَشِيتَيْنِ ، فوقعتا على وجه الغار ، وأن ذلك مما صدَّ المشركين عنه ، وأن حمام الحرم من نسل تَيْنِكَ الحمامتين ، وروى أن أبا بكر - رضى الله عنه حين دخله وتقدم إلى دخوله - قبلَ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليقبّه بنفسه ، رأى فيه جُجْرًا فَأَلْقَمَهُ عَقِبَهُ ، لئلا يخرج منه ما يؤذى رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، وفى الصحيحين عن أنس : قال : قال أبو بكر - رضى الله عنه - لرسول الله صلى الله عليه وسلم - وهما فى الغار : لو أن أحدَهم نظر إلى قدمه لرآنا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ظَنُّكَ بانيّين ، الله نالهما^(١) ، وروى أيضا أنهم لما عمى عليهم الأثر جاؤا بِالْقَافَةِ ، فجعلوا

(١) أخرجه البخارى فى صحيحه ومسلم والترمذى وأحمد .

أورد هنا كلمة موجزة عن الهجرة : قال صلى الله عليه وسلم : رأيت فى المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهب وهلى إلى أنها اليمامة . أو

هجر ، فإذا هي المدينة ، رواه الشيخان ولكن ورد في البيهقي أنها هجر أو بئر ، ولم يذكر التمامة . كما أخرج الترمذي والحاكم أنه دس ، قال : إن الله أوحى إلى : أي هؤلاء الثلاثة نزلت هي دار هجرتك : المدينة . أو البحرين ، أوقندريز . وزاد الحاكم : فاختار المدينة . وصححه الحاكم ، وأقره الذهبي في التلخيص . أما في الميزان ، فورد أنه حديث منكر ما أقدم الترمذي على تحسينه ، بل قال : غريب .

متى خرج النبي من مكة : يحزم بعض الرواة ومنهم ابن إسحاق أنه خرج أول يوم من ربيع الأول وأنه قدم المدينة لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول . أي بعد بيعة العقبة بشهرين وبضعة عشر يوماً ، أما الحاكم فيذكر أن خروجه كان بعدها بثلاثة أشهر أو قريباً منها . كما يؤكد تواتر الأخبار أنه خرج يوم الإثنين وأن دخوله المدينة كان يوم الإثنين . وقبل إنه خرج في صفر ، وقدم المدينة في ربيع . وقبل . كان خروجه من مكة يوم الخميس . وقول ابن إسحاق هو المشهور مدة مقامه بمكة : في البخاري عن ابن عباس أنه مكث بها ثلاث عشرة سنة . وفي مسلم وعن ابن عباس أيضاً خمس عشرة سنة ، وابن حجر يصح رواية البخاري . وعن عروة أنه مكث بمكة عشر سنين ، ورواه أحمد عن ابن عباس والبخاري في باب الوفاة عنه وعن عائشة أيضاً . وقد ورد في بعض نسخ مسلم بيت أبي قيس صرمة :

ثوى في قريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى صديقاً موافياً
وهذا يخالف ذلك .

العنكبوت والحامتان والشجرة : لم يرد لها ذكر فيما روى من حديث صحيح ولهذا لم ترد في واحد من الكتب الستة وتدبر هذه الآية الكريمة (إلا تنصروه ، فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين ، إذ هما في النار إذ يقول لصاحبه : لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه ، وأيده بجنود لم ترها ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) أنها حامية أو عنكبوت ، أو شجرة ، أم هنا سكينته وجنود لم يروا ، الآية الكبرى هنا هي أن الله صرف قلوبهم ، وجعل على أبصارهم غشاوة ، . . تدبرها جيداً

يَتَقَوُّونَ الْأَثَرَ ، حتى انتهوا إلى باب الغار ، وقد أُنْبِئْتُ اللهُ عليه ما ذكرنا في الحديث قبل هذا ، فعند ما رأى أبو بكر رضى الله عنه القافة اشتد حزنه

القاصون الأثر أولو خبرة ودراية تامة بقص الأثر ، ولقد أدت بهم الأدلة إلى المشول أمام باب الغار ، ويشعر بهم النبي ﷺ ، وأبو بكر . ويقول أبو بكر لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا . وتدبر قوله تحت قدميه لترى أنهم كانوا قيد خطوة أو نصفها من باب الغار . . . ويقول الرسول ﷺ ، بحسب صاحب مذكرا بحفظ الله سبحانه : ما ظنك يا أبا بكر باثنين ، الله ثالثهما . كما روى البخارى . وتدبر مع الحديث قوله سبحانه : (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) . هذا هو القهر الأعظم الذى لا يغلبيه قهر آخر ، ولا تقف أمام سلطانه الأعظم قوى ولا قدر فلماذا نصرف القلب عن تدبر جلال الآية الكبرى هنا من صرف الله عنه قلوبهم وأعينهم وأسماعهم وإحساساتهم ، إلى رواية راهية تصور حامية وعنكبوتية . سل نفسك . . كيف لم يبصروه والواقع المحسوس الملموس المشهود يؤكد أنه هنا ؟ لم لم ينظر أحدهم تحت قدميه ، وكل شيء يؤكد أن المذنبود العظيم في الغار ؟ والرغبة الملحة في النفس تدفع إلى استنباء الرمل والحصى والصخر والجبل عن مذنبودهم . والرمل والحصى وكل شيء تحت العين وصوبها يملأ حتى عقل القلب بفهم هذه الدلالة البينة الواضحة المستمدة من أدلة لا يمكن أن يصرف الإنسان عنها نزعة من شك . الدلالة التى تشبه في وضوحها وضوح أن الواحد نصف الإثنين كالتدلالة ، وكانت الأدلة حينئذ لا تختمل سوى شيء واحد هو أن محمداً ﷺ ، في الغار . فلم لم ينظروا ؟ ليست الحمامتان ولا العنكبوت . . إنما هو هذا السلطان الأعظم الذى يعرف القلوب ، ويصرف الأبصار والاسماع عما تريد وتحب وإن كان منها قيد شعرة . إنما هو القهر الإلهي الأكبر والجبروت الاسمي الذى لا يدع لاحد قدرة تقاها لحيلة أماعة . وهو جل شأنه يريد ذلك . ولو أن نصفاً ثابتاً تحدث عن الحمامتين والعنكبوت ما انصرف عنه الفكر ولا القلم ، فأنه قادر سبحانه على أعظم وأعظم .

على رسول الله - صلى الله عليه وسلم- وقال : إن قتلتُ فإنما ، أنا رجل واحد ، وإن قُتِلتَ أنتَ هلكَت الأمة ، فعمدها قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تحزن إن الله معنا ، ألا ترى كيف قال : لا تحزن ، ولم يقل لا تخف ؟ ! لأن حزنه على رسول الله - صلى الله عليه وسلم شغله عن خوفه على نفسه ، ولأنه أيضاً رأى منازل برسول الله صلى الله عليه وسلم من النَّصَب ، وكونه في ضيقة الغار مع فرقة الأهل ، ووحشة القرية ، وكان أرقَّ الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشنعهم عليه ، فحزن لذلك ، وقد روى أنه قال : نظرت إلى فدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم في الغار ، وقد تَفَطَّرَ تادماً ، فاستَبَكَّيتُ ، وعلمت أنه عاياه السلام لم يكن تعود الحفَاء والجَفْوَة ^(١) ، وأما الخوف فقد كان عنده من اليقين بوعد الله بالنصر لنبيه . ما يسكن خوفه ، وقول الله تعالى : ﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ ﴾ قال أكثر أهل التفسير : يريد على أبي بكر ، وأما الرسول فقد كانت السكينة عليه ^(٢) ، وقوله : ﴿ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا ﴾ الهاء في أيده راجعة على النبي ، والجُنُودُ : الملائكة أنزلهم عليه في الغار ، فبشروه بالنصر على أعدائه ، فأياه ذلك ، وقواه على الصبر [و] قيل أيده

(١) ليس لهذا من سند صحيح . وعند ابن حبان أنها ركباً حتى أتيا الغار ، فتواريا .

(٢) يقول ابن كثير في تفسير الآية : « أي تأييده ونصره عليه . أي على الرسول » ص ، في أشهر القولين . وقيل على أبي بكر ، وروى عن ابن عباس وغيره ، قالوا : لأن الرسول » ص ، لم تزل معه سكينه ، وهذا لا ينافي بتحدد سكينه خاصة بتلك الحال ، ولهذا قال : وأيده بجنود لم تروها ، يقصد ابن كثير أن عود الضمير في قوله « أيده » يؤكد عود الضمير على النبي » ص ، في قوله « عليه »

مجنود لم تروها ، يعنى : يوم بدر وحنين وغيرها من مشاهد ، وقد قيل :
الهاء راجعة على النبي عليه السلام فى الموضعين جميعاً وأبو بكر تبع له ، فدخل
فى حكم السكينة بالمعنى ، وكان فى مصحف حفصة^(١) : فأنزل الله سكينة عليهما ،
وقيل : إن حزن أبى بكر كان عند ما رأى بعض الكفار يبول عند الفار ،

(١) لا يصح أبداً إطلاق مثل هذه التعبيرات ، فالقرآن الذى نزل الله على
محمد ص ، هو الذى نتلوه الآن فى المصحف ، وكل حديث يوحى بأن المصحف
فيه نقص يجب رفضه ، واعتباره فرية لعينة . والذين يؤمنون بأن فى المصحف
نقصاً كبيراً هم الرافضة ، وقد حاجنى أحد قضاة الشيعة فى قطر عربى ، فبنت أهل
السنة بأن كتبهم هى التى تروى أن فى القرآن نقصاً ، وذكرنى ببعض ما جاء فى
بعض الأحاديث !!

وأهل السنة بالمعنى الخاص الذين يؤكدون بسلوكتهم ومعتقدهم أنهم أهل
السنة لا يمكن أن ينسبوا إلى المصحف هذا الزور ، ولا أن يسموه بهذا البهتان .
أما الرافضة ، فإليك ما رووه فى كتابهم السكافى للسكيتى - وهو يعادل البخارى
عند غيرهم - عن جابر - أى الجمعى - قال : سمعت أبا جعفر يقول : ما ادعى
أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب ، وما جمعه وحفظه -
كما أنزله الله - إلا على بن أبى طالب ، والائمة من بعده ، وعن أبى بصير قال :
دخلت على أبى عبد الله . . إلى أن قال له أبو عبد الله : وإن عندنا لمصحف
فاطمة عليها السلام . . قلت : وما مصحف فاطمة ؟ قال مصحف فيه مثل قرآنكم
هذا ثلاث مرات . والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد ، ص ٥٤ ، ٥٧ من كتاب
السكافى للسكيتى ط ١٢٧٨ .

ولقد كان أحبار النصارى من الأسبانين يحتجون على ابن حزم بدعوى
الرافضة تحريف القرآن ، فكان يقول : « إن الروافض ليسوا من المسلمين ،
- ٢ ص ٧٨ الفصل - وانظر ص ٨ من مقدمة محب الدين الخطيب للمتتقى
للذهبي وهو مختصر منهاج السنة النبوية للإمام ابن تيمية .

فأشفق أن يكونوا قد رأوها ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : لاتحزن ، فإنهم لو رأونا لم يستقبلونا بفروجهم عند البول ، ولا تشاغلوا بشيء عن أخذنا ، والله أعلم^(١) .

الرد على الرافضة فيما بهتوا به أبابكر :

فصل : وزعمت الرافضة^(٢) أن في قوله عليه السلام لأبي بكر لاتحزن غصًا من أبي بكر وذمًا له ؛ فإن حزنه ذلك : إن كان طاعة فالرسول عليه السلام لا ينهى عن الطاعة ، فلم يبق إلا أنه معصية ، فيقال لهم على جهة الجدال : قد قال الله لمحمد عليه السلام : ﴿ فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ ﴾ يس : ٧٦ وقال : ﴿ وَلَا يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ ﴾ آل عمران : ١٧٦ وقال لموسى : ﴿ خُذْهَا وَلَا تَحْزَنْ ﴾ طه : ٢١ وقالت الملائكة للوط . لاتحزن ، ولا تحزن ، فإن زعتم أن الأنبياء حين قيل لهم هذا كانوا في حال معصية ، فقد كفرتم ، ونقضتم أصلكم في وجوب العصمة للإمام المعصوم في زعمكم ؛ فإن الأنبياء هم الأئمة المعصومون بإجماع ، وإنما قوله : لاتحزن ، وقول الله الحمد : لَا يَحْزُنُكَ ،

(١) هذا بعض ما يقال ، والله أعلم بحقيقته ، والمفروض تدبر ما ذكر في القرآن عن النبي ص ، وعن صاحبه ، وهما في الغار وكيف أن الكفر الغليظ الكنود ، ونحت إمرة المال والصلاح والسلطة والقدرة لم تستطع الوصول الى من في الغار وهي تعربد كالابالسة على بابها ١٤

(٢) هم الشيعة الذين رفضوا إمامة زيد بن يحيى .

وقوله لأنبيائه مثل هذا تسكين للجأشهم^(١) وتبشير لهم وتأنيس على جهة النهى الذى زعموا ، ولكن كما قال سبحانه : ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾^(٢) فصلت : ٣٠ وهذا القول إنما يقال لهم عند المعاينة ، وليس إذ ذاك أمر بطاعة ولا نهى عن معصية .

وجه آخر من التحقيق ، وهو أن النهى عن الفعل لا يقتضى كون المنهى فيه ، فقد نهى الله نبيه عن أشياء ، ونهى عباده المؤمنين ، فلم يقتض ذلك أنهم كانوا فاعلين لتلك الأشياء فى حال النهى ، لأن فعل النهى فعل مستقبل ، فكذلك قوله : لأبى بكر : لا تحزن ، لو كان الحزن كما زعموا لم يكن فيه على أبى بكر - رضى الله عنه - ما ادَّعَوْا من الغضب ، وأما ما ذكرناه نحن من حزنه على النبى صلى الله عليه وسلم ، وإن كان طاعة ، فلم ينه عنه الرسول عليه السلام إلا رفقاً به وتبشيراً له لا كراهية لعمله ، وإذا نظرت المعانى بعين الإنصاف لا بيمين الشهوة والتعصب للمذاهب لاحت الحقائق ، واتَّضحت الطرائق والله الموفق للصواب .

معية الله مع رسوله وصاحبه :

وانتبه أيها العبد المأمور بتدبر كتاب الله تعالى لقوله : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ التوبة : ٤٠ كيف كان معهما بالمعنى ، وباللفظ ، أما المعنى

(١) الجأش : رواع القلب اذا اضطرت عند الفزع ، ونفس الإنسان جمعه ،

جشوش ، القاموس .

(٢) والآية فى حق الذين قالوا ربنا الله ، ثم استقاموا . فهى فى حق خير فئة مؤمنة .

فكان معهما بالنصر والإرفاد^(١) والهداية والإرشاد ، وأما اللفظ فإن اسم الله تعالى كان يذكر إذا ذكر رسوله ، وإذا دُعِيَ ف قيل : يا رسول الله ، أو فعل رسول الله ، ثم كان لصاحبه كذلك يقال : يا خليفة رسول الله ، وفعل خليفة رسول الله ، فكان يُذكر معهما ، بالرسالة وبالخلافة ، ثم ارتفع ذلك فلم يكن لأحد من الخلفاء ولا يكون .

حديث سراقه بن مالك بن جعشم الكنانى

ثم المذبحي أحد بنى مذاج بن مرة بن نعيم بن عبد مناة بن كنانة . وقد ذكر ابن إسحاق حديثه حين بذلت قريش مائة ناقة لمن رد عليهم محمداً عليه السلام ، وأن سرآفة استفتسم بالأزلام ، فخرج السهم الذى يكره ، وهو الذى كان فيه مكتوباً لا تُضَرَّه إلى آخر القصة ، وأن قواهم فرسه حين قُرب من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - سَاخت فى الأرض ، وتبعها عُثَّان ، وهو : الدخان وجمعه : عَرَّائِن . وذكر غير ابن إسحاق أن أبا جهل لأمه حينه رجع بلا شيء ، فقال وكان شاعراً :

أبا حَكَمَ والله لو كنت شاهداً	لأمر جوادى إذ تسوخُ قوائمه
علت ولم تشكك بأن محمداً	رسول بيزهانٍ فمن ذا يُقاومه ؟!
عليك بكف القوم عنه ، فإننى	أرى أمره يوماً سَتبدو معالمه
بأمر يودُّ الناسُ فيه بأُسْرِهِم	بأن جميعَ الناس طُرّاً يسألُه

وقد قدمنا في هذا الكتاب عند ذكر كسرى ما فعله عمر بن الخطاب حين أتى بتاج كسرى ، وسواريه ومَنَطَقَتِه ، وأنه دعا بِسُرَاقَةِ ، وكان أَرَبَ الذراعين^(١) ، فخلَّاه حِلْيَةَ كسرى ، وقال له : ارفع يديك ، وقل : الحمد لله الذي سَلَبَ هذا كِسْرَى الملك الذي كان يزعم أنه رَبُّ الناس وكساها أعرابيا من بني مُذَلِج^(٢) . فقال ذلك سُرَاقَةُ ، وإنما فعلها عمر لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان قد بَشَّرَ بها سُرَاقَةُ حين أسلم ، وأخبره أن الله سيفتح عليه بلاد فارس ، ويُعْزِمُه مُلْكَ كِسْرَى ، فاستبعد ذلك سُرَاقَةُ في نفسه ، وقال : أَكِشْرَى ملك الملوك ؟ فأخبره النبي - صلى الله عليه وسلم - أن حِلْيَتَه ستجعل عليه تحقيقا للوعد ، وإن كان أعرابيا بَوَّالاً على عقبيه ، ولكن الله يُعْزِزُ بالإسلام أهله ، ويُسَبِّحُ على محمد وأُمَّته ونعمته وفضله .

وفي السير من رواية يونس شعر لأبي بكر رضى الله عنه في قصة الغار :

قال النبي ولم يزل يُوقِّرُنِي ونحن في سُدْفٍ من ظُلْمَةِ الغار^(٣)

(١) التزبب في الإنسان : كثرة الشعر وطوله .

(٢) في رواية : كسرى بن هرمز . وقصة سُرَاقَةُ في البخارى . ولكن ليس في روايته مسألة السوارين ، إنما فيها أنه قال بعد أن حدث لفرسه ما حدث والتقى برسول الله - صلى الله عليه وسلم - . فقلت له : إن قومك قد جعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم أخبار ما يريد الناس بهم ، وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني ، ولم يسألاني إلا أن قال : اخف عنا ، فسألته أن يكتب لي كتاب أمن . فأمر عامر بن فهيرة ، فكتب في رقعة من أديم .

(٣) سدف بفتح السين : الظلمة والليل وسواده ، وبضمها : جمع سدفة : الظلمة والقطعة من الليل .

لَا تَخْشَ شَيْئًا ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَالُفْنَا وَقَدْ تَوَكَّلْ لِي مِنْهُ بِإِظْهَارِ
وَأَمَّا كَيْدُ مَنْ تَخْشَى بَوَادِرَهُ كَيْدُ الشَّيَاطِينِ كَادَتْهُ لِسْكَفَارِ
وَاللَّهُ مُهِلْكُمْ طُرًّا بِمَا كَسَبُوا وَجَاعِلُ الْمُنتَهَى مِنْهُمْ إِلَى النَّارِ
وَأَنْتَ مُرْتَحِلٌ عَنْهُمْ وَتَارِكُهُمْ إِمَّا غُدُوءًا وَإِمَّا مَدْلَجٌ سَارِي
وَهَاجِرٌ أَرْضَهُمْ حَتَّى يَكُونَ لَنَا قَوْمٌ عَلَيْهِمْ ذُؤُوءٌ عِزَّةٌ وَأَنْصَارِ
حَتَّى إِذَا اللَّيْلُ وَارْتَفَأَ جَوَانِبُهُ وَسَدَّ مِنْ دُونِ مَنْ تَخْشَى بِاسْتِكَارِ
سَارِ الْأَرْضِ قَطِطٌ يَهْدِينَا وَأَيُّقُهُ يَنْعَمِينَ بِالْقَرَمِ نَعْبًا تَحْتَ أَكْوَارِ
يَغْسِفْنَ عَرْضَ الثَّنَا بِأَمْدِ أَطْوَلِهَا وَكُلَّ سَهْبٍ رَقَاقِ الثَّرَابِ مَوَّارِ
حَتَّى إِذَا قُلْتُ: قَدْ أَنْجَذَنَ عَارِضُهَا مَنْ مَدْلَجٌ فَارِسٌ فِي مَنْصَبِ وَارِ
يُرْدِي بِهِ مُشْرِفُ الْأَقْطَارِ مُعْتَزِمٌ

كَالسَيْدِ ذِي اللَّبْدَةِ الْمُسْتَأْسِدِ الضَّارِي
فَقَالَ: كُرُّوا فَقُلْتُ: إِنْ كَرَرْنَا مِنْ دُونِهَا لَكَ نَقْصَرُ الْخَالِقِ الْبَارِي
أَنْ يَخْشِفَ الْأَرْضَ بِالْأَحْوَى وَفَارِسِهِ

فَانْظُرْ إِلَى أَزْبُعِ فِي الْأَرْضِ غَوَّارِ
فَقِيلَ لِمَا رَأَى أَرْسَاغَ مُقَرَّبِهِ قَدْ سَخُنَ فِي الْأَرْضِ لَمْ يُخْفَرْ بِمُخْفَارِ
فَقَالَ: هَلْ لَكُمْ أَنْ تُطْلِقُوا فَرَسِي وَتَأْخُذُوا مَوْثِقِي فِي نُصْحِ أَسْرَارِ
وَأَصْرِفُ الْخَلَى عَنْكُمْ إِنْ لَقِيْتَهُمْ وَأَنْ أَعَوَّرَ مِنْهُمْ عَيْنَ غَوَّارِ
فَادْعُوا الَّذِي هُوَ عَنْكُمْ كَفَّ عَوَّرَنَا يُطْلِقُ جَوَادِي وَأَنْتُمْ خَيْرُ أَبْرَارِ

فقال قولا رسول الله مُبْتَهَلًا ياربَّ إن كان منه غير إخفَار
فَنَجَّه سَالِمًا مِنْ شَرِّ دَعْوَتِنَا ومُهَرَّه مُطْلَقًا مِنْ كَلَمِ آثَار
فَظَهَرَ اللَّهُ إِذْ يَدْعُو حَوَافِرَهُ وفَارَ فَارِسُهُ مِنْ هَوْلِ أَخْطَار^(١)

حديث أم معبد

وذكر عن أسماء بنت أبي بكر حين خفي عليها ، وعلى من معها أمرُ
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يدروا أين توجه ، حتى أتى رجل من
الجن يسمعون صوته ، ولا يرونه ، فر على مكة والناس يتبعونه وهو ينشد
هذه الأبيات :

جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ رَفِيقَيْنِ حَلًّا خَيَّمَتِي أُمُّ مَعْبِدٍ
هَما نَزَلَا بِالْبَرِّ ثُمَّ تَرَحَّلَا^(٢) فَأَفْلَحَ مِنْ أُمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدٍ
إِلَيْهِنِ بَنِي كَعْبٍ مَقَامَ فِتْنَتِهِمْ وَمَقْعَدُهَا لِلْوَثْنَيْنِ بِمَرْصَدٍ
فِي الْقَصِيِّ مَا زَوَى اللَّهُ عَنْكُمْ بِهِ مِنْ فَعَالٍ لَا يُجَازِي وَسُودِدِ
سَلُوا اخْتَكَمَ عَنْ شَأْنِهَا وَإِنَائِهَا فَإِنَّكُمْ إِنْ تَسَالَوْا الشَّاةَ تَشْهَدُ
دَعَاها بِشَاةٍ حَائِلٍ فَتَحَلَّلَتْ لَهُ بِصَرِيحِ ضَرَّةِ الشَّاةِ مُزِيدُ
فَغَادَرَهَا رَهْنًا لَدَيْهَا بِحَالٍ يُرَدِّدُهَا فِي مَصْدَرٍ ثُمَّ مَوْرِدُ

(١) في القصيدة صنعة لا تدل على العصر المنسوبة إليه . وليس فيها روح
إيمان أبي بكر . ولهذا لم ترو في كتب السنة المعتمدة .

(٢) في السيرة : تروحا

ويروى أن حَسَّانَ بن ثابت لما بلغه شعرُ الجنى ، وماهتف به في مكة

قال يحبيه :

لقد خابَ قومٌ غابَ عنهم نبيُّهم وقد سرَّ مَنْ يَسْرى إليهم ويَفْتدى
ترحل عن قوم فضلت عقولهم وحلَّ على قوم بنور مُجَدِّد
هداهم به بعد الضلالة ربُّهم وأرشدهم مَنْ يَدْبِعُ الحقَّ يرشُد
وهل يَسْتَوِي ضلالُ قوم تَسْفَهُوا عما يَتَّبِعُ هاد بها كل مهتد^(١)

(١) قصة أم معبد ضعيفة السند ، وقد أخرجها البغوي وابن شاهين وابن السكن وابن منذر والطبراني والحاكم والبيهقي وأبو نعيم من طريق حزام بن هشام ابن حبيش بن خالد عن أبيه عن جده ، وبعضها في تاريخ الطبري . انظر ص ٤٦٦
١ الخصائص للسيوطي دار الكتب الحديثة وص ٣٨٠ > ٢ الطبري ط دار المعارف .

والقصيدة مروية بروايات مختلفة فنبا :

جزى الله خيرا والجزاء بكفه رفيقن قالَا خيمتي أم معبد
هما رحلا بالحق وانزلَا به فقد فاز من أمسى رفيق محمد
فا حملت من ناقة فوق رحلها أبر وأوفى ذمة من محمد
وأكسى لبرد الحال قبل ابتذاله وأعطى لرأس السائح المتجدد
ولم يصرح في رواية البغوي ومن ذكرتهم بعده بذكر الجنى وإنما قيل في روايتهم « فأصبح صوت بمكة عاليا يسمعون الصوت ولا يدرون من صاحبه » ولكن غرام الرواة بالجزء جعلهم يفرمون بذكرهم وراء كل شأن عجيب ١١
رواية البيت في وفاء الوفا وفي الاكتفاء للكلاعي هكذا :

وهل يستوى ضلال قوم تسكعوا عمى وهداة يهتدون يهتد
وفي شرح السيرة للبخشي :

وهل يستوى ضلال قوم تشفَّهوا وهاد به نال الهدى كل مهتد
وفي المواهب : الشطرة الثانية هكذا : عمى وهداة يهتدون يهتدى .

لقد نزلت منه إلى أهل يثرب ركباً هُدى حلت عليهم بأشعُد
نبي يرى مالا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كل مشهد^(٢)

(١) وفي رواية أخرى : مسجد .

ولما في حديث أم معبد من أسلوب أدنى يمتاز أحبيت نقله وقد ذكر السهيلي باختصار « روى ابن حبيش بن خالد عن أبيه عن جده أن رسول الله « ص » حين خرج من مكة مهاجراً إلى المدينة هو وأبو بكر ومولى أبي بكر : عامر ابن فهيرة ، ودليلهما الليثي : عبد الله بن الأريقط مروا على خيمتى أم معبد الخزاعية ، وكانت برزة جلدة تحبى بفناء القبة ، ثم تسقى ، وتطعم ، فسألوها لحماً وتمراً ، ليشتروا منها ، فلم يصيبوا عندها شيئاً وكان القوم مرملين مشتين — وبروى : مسنتين فنظر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إلى شاة في كسر الخيمة . فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم . فقال : هل بها من لبن ؟ قالت هي أجهد من ذلك . قال أناذين لى أن أحلبها ، قالت : بآنى أنت وأمى إن رأيت بها فاحلبها ، فدعا بها رسول الله — ص — ففسح بيده ضردها ، وسمى الله ودعائها في شاتها ، فتفاجت عليه ، ودرت واجترت ، ودعا بإناء يراض الرهط ، فحلب فيه ثجاً حتى علاه لبنها — وفي رواية : حتى علته الرغوة ، أو حتى علاه البهاء — ثم سقاها حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رويوا ، ثم شرب آخرهم — صلى الله عليه وسلم — ثم أراضوا ، ثم حلب فيه ثانية بعد بدءه حتى ملأ الإناء ، ثم غادره عندها ثم بابها — يعنى على الإسلام ، ثم ارتحلوا عنها ، فلبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعزراً عجافاً يتساوكن هزلى ، لا نقى بهن ، فلما رأى أبو معبد اللبن عجب ، وقال : من أين لك هذا يا أم معبد ، والشاة عازب حيمال ، ولا حلب في البيت ؟ ، قالت : لا والله إلا أنه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا ، وقال : صفيه لى يا أم معبد ، قالت : رأيته رجلاً ظاهر الوضأة ، أبلج الوجه حسن الخلق ، لم تعب ثجلة — أو نخلة — ولم تزر به صغلة ، وسيم قسيم ، فى عينيه دمع ، وفى أشفاره عطف أو غطف — والشك من أبى محمد بن مسلم — وبروى : وطف ، وفى صورته صحل ، وفى عنقه

سطح ، وفي لحيته كشاشة أحور أ كحل أزج أقرن شديد سواد الشعر ، إن صمت ، فعليه الوقار ، وإن تكلم سما ، وعلاه البهاء ، أجل الناس وأباهم من بعيد ، وأحسنه وأحلاه من قريب ، حلوا المنطق ، فصل لا نور ، ولا هذر ، كان منطقته خرزات نظمن - أو ، ربعة خرزات نظم تحدرن لا بائن من طول ، ولا تقصمه عين من قصر ، غصنا بين غصنين ، فهو أنضر الثلاثة منظرا ، وأحسنهم قدرا ، له رفقاء يحفون به ، إن قال : أنصتوا له ، وإن أمر تبادروا إلى أمره ، محفود محشود ، لا عابس ولا معتد .

قال أبو معبد : هذا والله صاحب قریش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة لقد هممت أن أصحبه ، ولا فعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا ، نقلت الحديث من شرح السيرة لأبي ذر الخشنى ص ١٢٦ وما بعدها ، مراجعا على ص ٤٦٦ .
 ١ الخصائص للسيوطى ط دار الكتب الحديثة وص ١٣٩ > ٢ زاد المعاد لابن القيم . إليك شرح أبي ذر لمفردات الحديث : برزة المرأة التي طغنت في السن فهي تبرز للرجال ، ولا تحتجب عنهم ، جلدة : جلزة وصفها بالجزالة . مرملين : أرمل الرجل : إذا نفذ زاده في سفر أو حضر . مشتين : أى داخلين في زمن الشتاء ، ومن رواه : مستتين ، فعناه : دخلوا في سنة الجذب والقحط . وكسر البيت جانبه ، يقال بكسر الكاف وفتحها . والجهد : المشقة والضعف . فتاجت : أى فتحت رجلها للحلب . يربض الرهط : يبالغ في ربهم ويشقلهم حتى يلصقهم بالأرض ، يقال ربضت الدابة وغيرها ، وأربضتها أى جعلتها تلصق بالأرض ، والرهط : ما بين الثلاثة إلى العشرة . ثجا : أى سائلا ، والماء الشجاج : السائل . علاه البهاء : يريق الرغوة ولمعائها أراضوا : كرروا الشرب حتى بالغوا في الرى يقال : أراض الوادى : إذا كثر ماؤه ، واستنقع . وكذلك الحوض ، وفي بعض الروايات : ثم أراضوا عللا بمد نهل . ذكر ذلك ابن قتيبة ، والنهل : الشرب الثانى . غادره : تركه ، ومنه سمى الغدير ، لأن السيل غادره ، أى تركه . عجاف : ضعاف . تشاركن هزلا ، أى تساوين في الضعف و (يتساوكن هزلى) : يتمايلن من شدة ضعفهن . غارب : بعيد المرمى . حبال : جمع حائل ، وهى التى لم تحمل ، ولا

حلوب : يعنى : شاة تحلب ، وقد تكون الحلوب واحدا ، وقد يكون جمعا . ظاهر
الوضاءة : الوضاءة : حسن الوجه . ونظافته ، ومنه اشتقاق الوضوء . أباج
للوجه : مشرق الوجه ، يقال تباج الصبح إذا أشرق وأنار . لم يعبه نحله : يعنى :
ضعفه وصغره ، وهو من الجسم الناحل ، وهو القليل اللحم . ولم يزر : لم يقصر ،
والصقل والصقلة : جلدة الخاصرة ، تريد : أنه ناعم الجسم ، ضامر الخاصرة ،
وهو من الأوصاف الحسنة . وفي بعض روايات هذا الحديث : لم تدبه ثجلة . ولم
يؤر به صعلة ، فالثجلة : عظم البطن ، يقال : بطن أثجل إذا كان عظيما ، والصعلة
صغر الرأس ، ومنه يقال للنعام : صعل . وقسم : الحسن والوضاءة الثابتة .
وقسيم : كأن كل عضو من وجهه أخذ قسمة من الجلال . . الدعج : شدة سواد
العين . . الأشفار : أهداب العين ، فى أشفاره عطف أو غطف ، ويروى : وطف
الوطف : طول شعر أشفار العين ، وقال صاحب كتاب العين : العطف بالعين
المعجمة ، مثل الوطف ، وأما العطف بالعين المهملة ، فلا معنى له هنا ، وقد فسر
بعضهم ، فقال : هو أن تطول أشفار العين حتى تنعطف . صحل : الصحل : البجح ،
يريد : أنه ليس بحاد الصوت . فى عنقه سطع : أى : إشراف وطول ، يقال :
عنق سطعا إذا أشرفت وطالت ، فى لحيته كثائة : الكثائة : دقة نبات شعر
اللحية مع استدارة فيها . أزج أقرن : الزجج : دقة شعر الحاجبين مع طولها ،
والقرن : أن يتصل ما بينهما بالشعر علاه البهاء : البهاء هنا : حسن الظاهر . فصل لانزور
ولا هذر : الفصل : الكلام البين ، والنزور : الكلام القليل ، والهذر : الكلام
الكثير . وأرادت أن كلامه ليس بقليل ، فينسب إلى الهى ، ولا بكثير فينسب إلى
التزيد . لا بائن من طول : طوله ليس بمفرط لا تفتححه عين : أى : لا تحقره ،
يقال رأيت فلانا فافتحمت عينى ، أى : احتقرته أنضر الثلاثة : أى : أنعم الثلاثة
من النضرة ، وهو النعيم . محفود : مخدوم ، والحفدة : الخدمة ، ويقال : حفدت
الرجل : إذا خدمته ، محشود : مخفوف به . قال ابن طريف : يقال : حشدت
الرجل إذا أطقت به ، واستشبهت بلفظة محشود من هذا الحديث ، ولا معتد : أى
غير ظالم . أحورا كحل : الحور بياض العين الواضح ، والكحل : سواد أشفار

وإن قال في يومٍ مقالة غائب فتصدِّقُه في اليوم أو في ضحَى الغدِ
إِنَّ أَبَا بَكْرٍ سَعَادَةٌ جَدُّهُ بِصَحْبَتِهِ مَنْ يُسْعِدَ اللَّهُ يُسْعِدِ

وزاد يونس في روايته أن قريشاً لما سمعت الهاتف من الجن أرسلوا إلى أمِّ معبد، وهي بخيمتها، فقالوا : هل مرَّ بك محمد الذي من حِلْمَتِهِ كَذَا ، فقالت : لا أدري ما تقولون ، وإنما ضافني حالبُ الشاة الحائل ، وكانوا أربعة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأبو بكر ، وعامرُ بنُ فُهَيْرَةَ مولى أبي بكر ، وقد تقدم التعريف به وطرفٌ من ذكر فضائله في هجرة الحبشة ، والرابع عبد الله بن أَرْيَظُ اللَّيْثِي ولم يكن إذ ذاك مسلماً ، ولا وجدنا من طريق صحيح أنه أسلم بعد ذلك ، وجاء في حديث أنهم استأجروه ، وكان هادياً خريئاً ، وإِخْرَيْتُ : الماهرُ بالطريق الذي يَهْتَدِي بِمَثَلِ خَرَّتِ الْإِبْرَةِ ، ويقال له : انْخَوْتُعُ أيضاً قال الراجز :

يضل فيها انْخَوْتُعُ الْمُشْهَرُ

نسب أم معبد وزوجها :

وأما أم معبد التي مر بخيمتها ، فاسمها : عاتكة بنت خالد إحدى بنى

العين كأنها مكحلة . خرزات : حبات اللؤلؤ ونحوه . النظم : العقد المنظوم . يتحدثون : إذا انفرد العقد في العنق ، فأخذت الحبات تنزل واحدة بعد واحدة . ربة : وسط في الطول . وقد وردت عدة أحاديث في صفاته الجسمية متفق عليها بين البخاري ومسلم ، فانظرها .

كعب من خُزَاعَة ، وهى أخت حُبَيْش بن خالد ، وله صحبة ورواية ، ويقال له الأشعر ، وأخوها : حُبَيْش بن خالد سيمى ذكره والخلاف فى اسمه .
وخالد الأشعر أبوها ، هو : ابن خُمَيْف بن مُنْقِذ بن رَبِيعَة بن أَصْرَم بن ضُبَيْس بن حرام بن حُبَشِيَّة بن كَعْب بن عمرو وهو أبو خُزَاعَة (١) .
وزوجها أبو معبد يقال إن له رواية أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - توفى فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) ، ولا يُعرف اسمه ، وكان منزلاً أم معبد بُقْدَيْد ، وقد روى حديثها بألفاظ مختلفة متقاربة المعانى ، وقد رواه ابن قُتَيْبَة فى غريب الحديث ، وتَقَوَّى شرح ألفاظه ، وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأم معبد : وكان القوم مُرْمِلِينَ مُسْنَدِينَ ، فطلبوا لَبَنًا أو لحماً يشترونه ، فلم يجدوا عندها شيئاً ، فنظر إلى شاة فى كِسْرِ الخُيْمَة خلفها الجُهدُ عن الغنم ، فسألها : هل بها من لبن ؟ فقالت : هى أجهد من ذلك ، فقال أتأذنين لى أن أخلبها ، فقالت بأبى أنت وأمى ، إن رأيت بها حلباً فاحلبها ، فدعا بالشاة ، فاعتَقَلَهَا ، وَمَسَحَ ضَرْعَهَا ، فتفاجت ودرت واجترت ، ودعا بإناء يُرْبِضُ الرَّهْطَ أى : يشبع الجماعة حتى يُرْبِضُوا ، فحلب فيه حتى ملاءه ، وسقى القوم حتى رَوَوْا ثم شرب آخرهم ، ثم حلب فيه مرة أخرى عَمَلًا بعد نَهْلٍ ، ثم غادره عندها ، وذهبوا ، فجاء أبو معبد ، وكان غائباً

(١) نسب أبيهما فى الإصابة : خالد بن سعد بن منقذ بن ربيعة فانظرها بن
أصرم بن خبليس بمعجمة ثم مشناة ثم موحدة ثم مهملة ابن حرام الخ .

(٢) انظر الإصابة ترجمة رقم ١٠٥٠

فلما رأى الابن قال : ماهذا يا أم معبد أنى لك هذا والشاء عازب حِيَالٌ ،
ولا حُلُوبَةٌ بالبيت ، فقالت : لا والله ، إلا أنه مرَّ بنا رجلٌ مُبَارَكٌ ، فقال :
صِفِيهِ يا أم معبد ، فوصفته بما ذكر الْقُتَيْبِيُّ وغيره في الحديث ، ومما ذكره القُتَيْبِيُّ :
فشربوا حتى أراضوا جملة القُتَيْبِيِّ من استَراض الوادى : إذا استَنَقَعَ ومن
الرَّوْضَةِ وهى بَقِيَّةُ الماء فى الحوض وأنشد :

وَرَوْضَةٌ سَقِيَتْ فِيهَا نِضْوًى^(١)

ورواه التَّهَرُّوِيُّ حتى آرَضُوا على وزن آمَنُوا ، أى ضَرَبُوا بأنفسهم إلى
الأرض من الرى ، وفى حديث آخر أن آل أبى عَبد كانوا يؤرخون بذلك ،
اليوم ، ويسمونه : يوم الرجل المبارك ، يقولون فعلنا كَيْتَ وكَيْتَ قبل أن
يأتينا الرجل المبارك ، أو بعد ما جاء الرجل المبارك ، ثم إنها أتت المدينة بعد ذلك
بما شاء الله ، ومعها ابنٌ صغير قد بلغ السَّعْيَ فمر بالمدينة على مسجد رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - وهو يكلم الناس على المِنْبَرِ فانطلق إلى أمه يَشْتَدُّ ،
فقال لها يا أُمَّتَاهُ إنى رأيت اليوم الرجل المبارك ، فقالت له : يا بنى وَيَحْمُكَ هو
رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم .

(١) فى اللسان : نِضْوًى وهى أنثى البعير المهزول . قال ابن برى : وأنشد أبو
عمرو فى نوادره وذكر أنه لهُمان السعدى :

وروضة فى الحوض قد سقيتها نِضْوًى وأرض قد أبت طوبتها
وأراض الحوض غطى أسفله الماء ، استراض تبطح فيه الماء على وجهه ،
واستراض الوادى استنقع فيه الماء ، قال : وكأن الروضة سميت روضة لاستراحة
الماء فيها .

طريق الهجرة

قال ابن إسحاق : فلما خرج بهما دليهما عبدُ الله بن أرقط ، سلك بهما أسفل مكة ، ثم مضى بهما على الساحل ، حتى عارض الطريق أسفل من عُسفان ، ثم سلك بهما على أسفل أمّج ، ثم استجاز بهما ، حتى عارض بهما الطريق ، بعد أن أجاز قُديدا ، ثم أجاز بهما من مكانه ذلك ، فسلك بهما الخرار ، ثم سلك بهما نديّة العرة ، ثم سلك بهما لقفًا .

قال ابن هشام : ويقال : لقفنا . قال معقل بن خُوَيْلِد المذلي :

تَزَيْعًا مُخْلِيًا مِنْ أَهْلِ لَقْفٍ حَتَّى بَيْنَ أَثَلَةٍ وَالنَّجْمِ

قال ابن إسحاق : ثم . أجاز بهما مَدْلَجَةً لَقْفٍ ثم استبطن بهما مَدْلَجَةً مَجَاجٍ - ويقال : مَجَاج ، فيما قال ابن هشام - ثم سلك بهما مَرَجِجٍ مَجَاجٍ ،

ومما يُسأل عنه في هذا الحديث أن يقال : هل استمرت تلك القبركة في شاة أم معبد بعد ذلك اليوم ، أم عادت إلى حالها ؟ وفي الخبر عن هشام بن حُبَيْش الكعبي ، قال : أنا رأيت تلك الشاة وإنها لتأدُم أمَّ معبد وجميعِ صرِمها ، أي : أهل ذلك الماء ، وفي الحديث أيضًا من الغريب في وصف الشاة : قال ما كان فيها بُصْرَةٌ وهي النقطة من اللبن تبصر بالعين .

ثم تبطّن بهما مَرَجِح من ذى الغضوين - قال ابن هشام : ويقال : العَضَوَيْن -
ثم بطن ذى كَشْر ، ثم أخذ بهما على الجَدَّاجِد ، ثم على الأَجْرَد ، ثم سلك
بهما ذَا سَلَم ، من بطن أعداء مَدْلَجَة نَعِيْن ، ثم على العَبَايِد . قال ابن هشام :
ويقال : العَبَايِب ، ويقال : العَثِيَانَة . يريد : العبايب .

قال ابن إسحاق : ثم أجاز بهما الفَاجَة ، ويقال : الفَاحَة ، فيما قال
ابن هشام .

قال ابن هشام : ثم هبط بهما العَرَج ، وقد أبطأ عليهما بعض ظهرهم ،
فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلًا من أسلم ، يقال له : أوس بن
حُجْر ، على جل له - يقال له : ابن الرداء - إلى المدينة ، وبعث معه غلاما له ، يقال
له : مسعود بن هُنَيْدَة ، ثم خرج بهما دليلهما من العَرَج ، فسلك بهما نَفِيَة
العائر ، عن يمين رَكُوبَة - ويقال : ثنية الفائر ، فيما قال ابن هشام - حتى هبط
بهما بطن رِئْم ، ثم قدم بهما قُبَاء ، على بنى عمرو بن عوف ، لاثنتى عشرة
ليلة خلت من شهر ربيع الأول يوم الاثنين ، حين اشتدَّ الضُّحَاء ، وكادت
الشمس تعتدل .

النزول بقباء

قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عُرْوَة بن الزبير ،
عن عبد الرحمن بن عُوَيْر بن ساعدة ، قال : حدثني رجال من قومي من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : لما سمعنا بمُخْرَج رسول الله صلى الله عليه

وسلم من مكة ، وتوَكَّفنا قدومَه ، كُنَّا نخرج إذا صلينا الصبح ، إلى ظاهر حَرَّتْنا ننتظر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمسُ على الظلال فإذا لم نجد ظلاً دخلنا ، وذلك في أيام حارَّة . حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جالسنا كما كُنَّا نجلس ، حتى إذا لم يبق ظلٌ دخلنا بيوتنا ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت ، فكان أول من رآه رجلٌ من اليهود ، وقد رأى ما كُنَّا نصنع ، وأنا ننتظر قدوم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - علينا ، فصرخ بأعلى صوته : يا بني قَيْبِلَةَ ، هذا جدُّكم قد جاء . قال : نخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في ظلِّ نخلة ، ومعه أبو بكر رضى الله عنه في مثل سنَّه ، وأكثرنا لم يكن رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل ذلك ، ورَكِبَه الناس وما يعرفونه من أبى بكر ، حتى زال الظلُّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام أبو بكر فأظَلَّ بردائه ، فمرقناه عند ذلك .

المنازل التي نزلت بقباء

قال ابن إسحاق : فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما يذكر - على كَلْثُوم بن هِذَم ، أخى بنى عمرو بن عَوْف ، ثم أحد بنى عُبيد : ويقال : بل نزل على سعد بن خَيْثَمَة . ويقول من يذكر أنه نزل على كَلْثُوم بن هِذَم : إنما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا خرج من منزل كَلْثُوم بن هِذَم يجلس للناس في بيت سعد بن خَيْثَمَة . وذلك أنه كان عَزَباً لأهل له ، وكان منزل العَرَّاب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين ، فمن

هناك يقال : نزل على سعد بن خيثمة ، وكان يقال لبیت سعد بن خيثمة : بيت العزّاب . فالله أعلم أى ذلك كان ، كلاً قد سمعنا .

ونزل أبو بكر الصديق رضى الله عنه على خُبَيْب بن إساف ، أحد بني الحارث بن الخزرج بالسُّنَح . ويقول قائل : كان . نزله على خارجة بن زيد بن أبي زهير ، أخى بني الحارث بن الخزرج .

وأقام على بن أبي طالب عليه السلام بمكة ثلاث ليال وأيامها ، حتى أذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس ، حتى إذا فرغ منها لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل معه على كُثُوم بن هذم .

سهيل بن حنيفة وامرأة مسلمة

فكان على بن أبي طالب ، وإماما كانت إقامته بقاء ليلة أو ليلتين يقول : كانت بقاء امرأة لزوج لها ، مسلمة . قال : فرأيت إنسانا يأتيها من جوف الليل ، فيضرب عليها بابها ، فتخرج إليه فيعطيه شيئاً معه فتأخذه . قال : فاستربتُ بشأنه ، فقلت لها : يا أمة الله ، من هذا الرجل الذى يضرب عليك بابك كل ليلة ، فتخرجين إليه فيعطيك شيئاً لا أدرى ما هو ، وأنت امرأة مسلمة لزوج لك ؟ قالت : هذا سهل بن حنيفة بن واهب ، قد عرف أنى امرأة لا أحدى ، فإذا أمسى عدا على أو ثمان قومه فكسرها ، ثم جاءنى بها ، فقال : احتطبي بهذا ، فكان على رضى الله عنه يأثر ذلك من أمر سهل بن حنيفة ، حتى هلك عنده بالعراق .

قال ابن إسحاق : وحدثني هذا ، من حديث عليّ رضي الله عنه ، هـند بن سعيد بن سهل بن حنيف ، رضي الله عنه .

بناء مسجد قباء

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء ، في بني عمرو بن عوف ، يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ويوم الخميس وأسس مسجده .

ثم أخرج به الله من بين أظهرهم يوم الجمعة . وبنو عمرو بن عوف يزعمون أنه مكث فيهم أكثر من ذلك ، فالله أعلم أيّ ذلك كان . فأدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة في بني سالم بن عوف ، فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي ، وادى راؤوناء ، فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة .

القبائل تعرضه لينزل عندها

فأتاه عتيبان بن مالك ، وعبّاس بن عبادة بن نضلة في رجال من بني سالم بن عوف ، فقالوا : يا رسول الله . أقم عندنا في العدد والعدة والمنة ؛ قال : خلّوا سبيلها ، فإنها مأمورة ، لناقة : نخلّوا سبيلها ، فانطلقت حتى إذا وازنت دار بني يياضة ، تلقاه زياد بن أبيد ، وقرؤة بن عمرو ، في رجال من بني يياضة . فقالوا : يا رسول الله : هلمّ إلينا ، إلى العدد والعدة والمنة ؛ قال : خلّوا سبيلها ، فإنها مأمورة ، فخلّوا سبيلها . فانطلقت ، حتى إذا مرت بدار بني ساعدة . اعترضه سعد بن عبادة ، والمندر بن عمرو ، في رجال من بني ساعدة ، فقالوا :

يارسول الله ، هلمّ إلينا إلى العدد والعدة والمنعة ؛ قال : خلوا سبيلها ، فإنها مأمورة ، نخلّوا سبيلها ، فانطلقت ، حتى إذا وازنت دار بني الحارث بن الخزرج . اعترضه سعد بن الربيع ، وخارجة بن زيد ، وعبد الله بن رَوَاحَة ، في رجال من بني الحارث ابن الخزرج فقالوا : يارسول الله هلمّ إلينا إلى العدد والعدة والمنعة ، قال : خلوا سبيلها ، فإنها مأمورة ، نخلّوا سبيلها . فانطلقت ، حتى إذا مرت بدار بني عدى بن النجار ، وهم أخواله دنيا - أم عبد المطلب ، سلمى بنت عمرو ، إحدى نسائهم - اعترضه سَليط بن قيس ، وأبو سَليط أُسيرة . ابن أبي خارجة ، في رجال من بني عدى بن النجار ، فقالوا : يارسول الله ، هلمّ إلى أخوالك ، إلى العدد والعدة والمنعة ؛ قال : خلوا سبيلها فإنها مأمورة ، نخلّوا سبيلها ، فانطلقت .

مَبْرَكُ النّاقَةِ بَدَارُ بَنِي مَالِكِ بْنِ النّجَارِ

حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجار ، بركت على باب مسجده . صلى الله عليه وسلم ، وهو يومئذ مرّ بدّ لَغَلامين يَتِيمَين من بني النجار ، ثم من بني مالك بن النجار ، وهما في حجر مُعَاذِ بْنِ عَفْرَاء ، سَهْلٍ وَسُهَيْلِ ابْنَيْ عَمْرٍو . فلما بَرَكْتَ - ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم عليها - لم ينزل ، وثبت فسارت غير بعيد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع لها زِيَامَهَا لا يَبْثُنُهَا بِهِ ، ثم التفتت إلى خلفها فرجعت إلى مَبْرَكِهَا أوّل مرة ، فبركت فيه ، ثم تَحَاكَلَتْ وَرَزَمَتْ ووضعت جِرائِهَا ، فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد رَحْلَهُ ، فوضعه في بيته ، ونزل عليه رسولُ الله صلى الله

عليه وسلم ، وسأل عن المَرَبْدَ لِمَن هو ؟ فقال له مُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ : هو
يارسول الله اسهِّلِ وَسَهِّلِ ابْنِي عَمْرُو ، وهما يَتِيمَانِ لِي ، وسأرضيهما منه ،
فَاتَّخَذَهُ مَسْجِدًا .

المسجد والمسكن

قال : فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُبْنَى مَسْجِدًا ، ونزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم على أَبِي أَيُّوبَ حَتَّى بَنَى مَسْجِدَهُ وَمَسَاكِنَهُ ، فَعَمِلَ فِيهِ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَرْغَبَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْعَمَلِ فِيهِ ، فَعَمِلَ فِيهِ الْمُهَاجِرُونَ
وَالْأَنْصَارُ ، وَدَأَّبُوا فِيهِ ، فَقَالَ قَاتِلُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ :

لَيْتَ قَعَدْنَا وَالنَّبِيَّ بِعَمَلٍ لَذَاكَ مِنَّا الْعَمَلُ الْمُضِلُّ

وَارْتَجَزَ الْمُسْلِمُونَ وَهُمْ يَبْنُونَهُ يَقُولُونَ :

لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ

قال ابن هشام : هذا كلام وليس برجز .

قال ابن إسحاق : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ
الْآخِرَةِ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارَ .

عمار والفئة الباغية

قال : فدخل عمار بن ياسر ، وقد أُنْقَلَوْهُ بِاللَّيْلِ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ،
قَتَلُونِي ، يَحْمِلُونَ عَلَيَّ مَا لَا يَحْمِلُونَ . قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

غُرِيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يَنْقُضُ وَفْرَتَهُ بِيَدِهِ ، كَانَ رَجُلًا جَمَدًا ،
وَهُوَ يَقُولُ : وَيَحَ ابْنُ سُمَيَّةَ ، لَيْسُوا بِالَّذِينَ يَقْتُلُونَكَ ، إِنَّمَا تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاطِلَةُ .

ارتجاز على

وارتجز على بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذ :

لَا يَسْتَوِي مَنْ يَعْمُرُ الْمَسَاجِدَ يَدَأُبُ فِيهِ قَائِمًا وَقَاعِدًا
وَمَنْ يُرَى عَنِ الْغُبَارِ حَائِدًا

قال ابن هشام : سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر ، عن هذا
الرجز ، فقالوا : بلغنا أن علي بن أبي طالب ارتجز به ، فلا يُدْرَى : أهو قائله
أم غيره .

مشادة عمار

قال ابن إسحاق : فأخذها عمار بن ياسر ، فجعل يرتجز بها .

قال ابن هشام : فلما أكثر ، ظنَّ رجل من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه إنما يُعرِّضُ به ، فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائي ، عن
ابن إسحاق ، وقد سمى ابنُ إسحاق الرجل .

الرسول صلى الله عليه وسلم يوصي بعمار

قال ابن إسحاق : فقال : قد سمعتُ ما تقول منذ اليوم يا ابنِ سُمَيَّةَ ، والله إني
للأراني سأعرض هذه العصا لأنفك . قال : وفي يده عصا . قال : ففضب

رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : ما لهم واعمار ، يدعوهم إلى الجنة ، ويدعونه إلى النار ، إن عمارا جِلْدَةٌ ما بين عَيْنَيَّ وَأُنْفَيَّ ، فإذا بلغ ذلك من الرجل فلم يُسْتَبَقِ فاجتنبوه .

إضافة بناء أول مسجد إلى عمار

قال ابن هشام : وذكر سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ زَكَرِيَّا ، عَنْ الشَّعْبِيِّ ، قَالَ :
إِنَّ أَوَّلَ مَنْ بَنَى مَسْجِدًا عِمَارُ بْنُ يَاسِرٍ .

الرسول صلى الله عليه وسلم في بيت أبي أيوب

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أبي أيوب ، حتى بُنِيَ لَهُ مَسْجِدُهُ وَمَسَاكِنُهُ ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى مَسَاكِنِهِ مِنْ بَيْتِ أَبِي أَيُوبَ ، رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَرِضْوَانَهُ .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن مَرْثَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَزْزِيِّ ، عَنْ أَبِي رُفَيْمٍ السَّامَعِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو أَيُوبَ ، قَالَ : لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته ، نزل في السُّفْلِ ، وأنا وأُمُّ أَيُوبَ فِي الْعُلُوِّ ، فَقُلْتُ لَهُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، بَابِي أَنْتَ وَأُمِّي ، إِنِّي لَا أَكْرَهُ وَأَعْظَمُ أَنْ أَكُونَ فَوْقَكَ ، وَتَكُونَ تَحْتِي ، فَظَهَرَ أَنْتَ فَكُنْ فِي الْعُلُوِّ ، وَنَزَلْ نَحْنُ فَنَكُونَ فِي السُّفْلِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا أَيُوبَ ، إِنْ أَرَفَقَ بِنَا وَبِعَمَلِنَا ، أَنْ نَكُونَ فِي سُفْلِ الْبَيْتِ .

قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سُفْلِهِ ، وكنا فوقه في المسكن ، فلقد انكسر حُبُّ لَمَّا فيه ماء فُقِّمَتْ أنا وأمُّ أيوبَ بِقَطِيفَةٍ لَنَا ، مَالْنَا لحافَ غيرها ، نَدَشَفُ بها الماءَ ، تخوفاً أَنْ يَقْطُرَ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم — مِنْهُ شَيْءٌ فيؤْذِيهِ .

قال : وكنا نصنع له العشاءَ ، ثم نبعث به إليه ، فإذا رَدَّ علينا فضله تَيَمَّمْتُ أنا وأمُّ أيوبَ موضعَ يده ، فَأَكَلْنَا مِنْهُ نَبْتَغِي بِذَلِكَ البركةَ ، حتى بعثنا إليه ليلةَ بَعَثَانِهِ وقد جِئْنَا له بصلاً أو ثُوماً ، فَرَدَّهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ولم أَرِ لِيده فيه أثراً قال : فَجِئْتُهُ قَزْعاً ، فقلت : يا رسول الله ، بَأبَى أَنْتَ وَأُمِّي رَدَدْتَ عِشَاءَكَ ، ولم أَرِ فيه موضعَ يدِكَ ، وكنتُ إِذَا رَدَدْتَهُ عَلَيْنَا ، تَيَمَّمْتُ أنا وأمُّ أيوبَ موضعَ يدِكَ ، نَبْتَغِي بِذَلِكَ البركةَ ؛ قال : إِنِّي وَجَدْتُ فِيهِ رِيحَ هَذِهِ الشَّجَرَةِ ، وَأَنَا رَجُلٌ أَنَا جِي ، فَأَمَّا أَنْتُمْ فَسَكُّوهُ . قال : فَأَكَلْنَاهُ ، ولم نصنع له تلكَ الشَّجَرَةَ بعد .

تلاحق المهاجرين

قال ابن إسحاق : وتلاحق المهاجرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يبقَ بِمَكَّةَ مِنْهُمْ أَحَدٌ ، إِلَّا مَفْتُونٌ أَوْ مَحْبُوسٌ ، ولم يُوَعِّبْ أَهْلُ هِجْرَةٍ مِنْ مَكَّةَ بِأَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ إِلَى اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَإِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِلَّا أَهْلُ دُورِ مُسَمَّونَ : بنو مِظْعُونٍ مِنْ جُمُحٍ ؛ وَبنو جَعْفَرِ بْنِ رَبِئَابٍ ، حُلَفَاءُ بَنِي أُمَيَّةَ ؛ وَبنو أَبِي كَعْبٍ ، مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ لَيْثٍ ، حُلَفَاءُ بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ ، فَإِنْ دُورَهُمْ غَلَّقَتْ بِمَكَّةَ هِجْرَةً ، لَيْسَ فِيهَا سَاكِنٌ .

قصة أبي سفيان مع بني جحش

ولما خرج بنو جحش بن رثاب من دارهم ، عدا عليها أبو سفيان بن حرب فباعها من عمرو بن علقمة ، أخى بنى عامر بن لؤى ؛ فلما بلغ بنى جحش ما صنع أبو سفيان بدارهم ، ذكر ذلك عبد الله بن جحش لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ترضى يا عبد الله أن يعطيك الله بها دارا خيرا منها فى الجنة ؟ قال : بلى ؛ قال : فذلك لك . فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة كالمه أبو أحمد فى دارهم ، فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال الناس لأبى أحمد : يا أبا أحمد ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره أن ترجعوا فى شيء من أموالكم أُصيب منكم فى الله عزّ وجلّ ، فأمسك عن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال لأبى سفيان :

أبلغ أبا سفيان عن أمر عوافيه نداه
دار ابن عمك بعثها تقضى بها عنك الغرامة
وحايفكم بالله ربّ الناس مجتهد القسامه
أذهب بها ، أذهب بها طوتها طوق الحمامه

انتشار الإسلام ومن بقى على شركه

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة إذ قدّمها شهر ربيع الأوّل ، إلى صفر من السنة الداخلة ، حتى بُنى له فيها مسجدُه ومساكنه واستجمع له إسلام هذا الحىّ من الأنصار ، فلم يبق دار من دور

الأنصار إلا أسلم أهلها ، إلا ما كان من خَطْمَةٍ ، وواقف ، ووائل ، وأمّية ،
وتلك أوس الله ، وهم حىّ من الأوس ، فانهم أقاموا على شركهم .

الخطبة الأولى

وكانت أوّل خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى عن
أبى سَلَمَةَ بن عبد الرحمن - نعوذ بالله أن نقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما لم يقل - أنه قام فيهم ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ،
أيها الناس ، فقد مّوا لأنفسكم . تَعَلَّمَنَّ والله لِيُضَعَّقَنَّ أحدكم ، ثم كَيْدَعَنَّ
غَمَّهُ ليس لها راع ، ثم ليقولنّ له ربه ، وليس له ترجان ولا حاجب يحجبه
دونه : ألم يأتك رسولى فبلّغك ، وآتيتك مالاّ وأفضلت عليك ؟ فما قدّمت
لنفسك ؟ فلم ينظرنّ يمينالا وشمالا فلا يرى شيئا ، ثم كينظرن قدامه فلا يرى
غير جهنم . فمن استطاع أن يبق وجهه من النار ولو بِشِقِّ من تمرّة فليفعل ، ومن
لم يجد فبِسْكَلمة طيبة ، فإن بها تُجزى الحسنة عشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف ،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الخطبة الثانية

قال ابن إسحاق : ثم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس مرة
أخرى ، فقال : إنّ الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا ،
وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يُضلل فلا هادى له ، وأشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . إنّ أحسن الحديث كتاب الله تبارك

و تعالٰى ، قد أفلح من زَيَّنَه الله فى قلبه ، وأدخله فى الإسلام بعد الكفر ، واختاره
على ماسواه من أحاديث الناس ، إنه أحسنُ الحديث وأبلغه ، أَحَبُّوا ، مَا أَحَبَّ
الله ، أَحَبُّوا الله من كلِّ قلوبكم ، وَلَا تَمَلُّوا كَلَامَ الله وَذَكَرَهُ ، وَلَا تَقْسُ عَنْهُ
قُلُوبُكُمْ فَإِنَّهُ مِنْ كُلِّ مَا يَخْلُقُ اللهُ يَخْتَارُ وَيَصْطَفِي ، قد سماه الله خَيْرَتَهُ مِنَ الْأَعْمَالِ ،
وَمُصْطَفَاهُ مِنَ الْعِبَادِ ، الصَّالِحُ الْحَدِيثُ ، وَمِنْ كُلِّ مَا أُوتِيَ النَّاسُ مِنَ الْحَلَالِ
وَالْحَرَامِ ، فَاعْبُدُوا الله وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَاتَّقُوهُ حَقَّ تَقَاتِهِ ، وَاصْدُقُوا الله
صَالِحًا مَا تَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ ، وَتَحَابُّوا بِرُوحِ اللهِ بَيْنَكُمْ ، إِنْ اللهُ يَغْضِبُ أَنْ
يُنْكَثَ عَهْدُهُ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ .

كتاب المَوَادعة لليهود

قال ابن إسحاق : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين
المهاجرين والأنصار ، وادع فيه يهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ،
وشرط لهم واشترط عليهم :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم ،
بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم ، فلحق بهم ، وجاهد
معهم ، إنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم
يتعاقلون ، بينهم ، وهم يقدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين ؛
وبنو كوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلم الأولى ، كل طائفة تفدى عانيها
بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلم
الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين ،

وبنو الحارث على رَبِّعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى ، وكلَّ طائفةٍ تَقْدَى عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وبنو جُشَمٍ على رَبِّعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى ، وكلَّ طائفةٍ منهم تَقْدَى عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وبنو النَجَّارِ على رَبِّعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى ، وكلَّ طائفةٍ منهم تَقْدَى عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وبنو عمرو بن عَوْفٍ على رَبِّعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى ، وكلَّ طائفةٍ تَقْدَى عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وبنو النَّبِيتِ على رَبِّعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى ، وكلُّ طائفةٍ تَقْدَى عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وبنو الْأَوْسِ على رَبِّعَتِهِمْ يَتَعَاقِلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى ، وكلَّ طائفةٍ منهم تَقْدَى عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ ، وإنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتَرَكُونَ مُفَرَّحًا بَيْنَهُمْ أَنْ يُعْطَوْهُ بِالْمَعْرُوفِ فِي فِدَاءٍ أَوْ عَقْلٍ .

قال ابن هشام : الْمُفَرَّحُ : الْمُثْقَلُ بِالْدينِ وَالسَّكْنِيرِ الْعِيَالِ . قال الشاعر :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَبْرَحْ تُؤَدِّي أَمَانَةً وَتَحْمِلُ أُخْرَى أَفَرَحْتَكَ الْوَدَائِعُ

وَأَنْ لَا يَحَافَ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنٌ دُونَهُ ؛ وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتَّقِينَ عَلَى مَنْ بَغَى مِنْهُمْ ، أَوْ ابْتَغَى دَسِيعَةً ظُلْمَ ، أَوْ إِثْمَ ، أَوْ عَدْوَانَ ، أَوْ فُسَادَ بَيْنِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَإِنْ أَيْدِيهِمْ عَلَيْهِ جَمِيعًا ، وَلَوْ كَانَ وَلَدَ أَحَدِهِمْ ؛ وَلَا يَقْتُلُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنًا فِي كَافِرٍ ، وَلَا يَنْصُرُ كَافِرًا عَلَى مُؤْمِنٍ ، وَإِنْ ذِمَّةُ اللَّهِ وَاحِدَةٌ ، يُخِيرُ عَلَيْهِمْ أَدْنَاهُمْ ، وَإِنْ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضُهُمْ مَوَالِي بَعْضٍ دُونَ النَّاسِ ، وَإِنَّمَا مِنْ تَبِعْنَا مِنْ يَهُودَ فَإِنْ لَهُ النَّصْرَ وَالْأُسُوءَةَ ، غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَا مُتَنَاصِرِينَ عَلَيْهِمْ ؛ وَإِنْ سَلِمَ الْمُؤْمِنِينَ

واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله ، إلا على سواء وعدل بينهم ، وإن كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا ، وإن المؤمنين يُبىء بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله ، وإن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه ؛ وإنه لا يجير مشرك مالا لقريش ، ولا نفسا ، ولا يحول دونه على مؤمن ، وإنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بئنة فإنه قودٌ به إلا أن يرضى وليّ القتول ، وإن المؤمنين عليه كافة ، ولا يحلّ لهم إلا قيامٌ عليه ، وإنه لا يحلّ لمؤمن أقرّ بما في هذه الصحيفة ، وآمن بالله واليوم الآخر ، أن ينصر مُحدّثا ، ولا يؤويه ؛ وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرفٌ ولا عدلٌ ، ولمنكم مهما اختلفتم فيه من شيء ، فإن مردّه إلى الله عزّ وجلّ ، وإلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يُوَفَّقُ إلا نفسه ، وأهل بيته ، وإن ليهود بنى النّجّار مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن ليهود بنى الحارث مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن ليهود بنى ساعدة مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن ليهود بنى جشم مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن ليهود بنى الأوس مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن ليهود بنى ثعلبة مثل ما ليهود بنى عوف ، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يُوفَّقُ إلا نفسه وأهل بيته ، وإن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم ؛ وإن لبني الشّطيبة مثل ما ليهود بنى عوف ، وإن الأبرّ دون الإثم ، وإن موالي ثعلبة كأنفسهم ؛ إن بطانة يهود كأنفسهم ؛ وإنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد صلى الله عليه وسلم ، وإنه لا ينحجز على ثار

جُرُح ، وإنه من فَتَكَ فبنفسه فتك ، وأهل بيته ، إلامن ظلم ، وإن الله على أبرّ هذا ، وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وإن بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم ، وإنه لم يَأْتِ امرؤ بحليفه ، وإن النصر للظالم ، وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين ، وإن يَثْرِب حرام جَوْفُهَا لأهل هذه الصحيفة ، وإن الجار كالنفس غير مُضَارٍّ ولا آثم ، وإنه لا تُجَار حُرْمَةٌ إِلَّا بِإِذْنِ أَهْلِهَا ، وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة مِنْ حَدَثٍ أَوْ اشْتِجَارٍ يُخَافُ فُسَادُهُ ، فَإِنْ مَرَدَّهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنْ اللَّهُ عَلَى أَتَقَى مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَبْرَهُ ، وإنه لا تُجَار قَرِيشٌ وَلَا مَنْ نَصَرَهَا ، وَإِنْ بَيْنَهُمُ النَّصْرُ عَلَى مَنْ دَمٌ يَثْرِبُ ، وَإِذَا دُعُوا إِلَى صَاحِبٍ يَصْلَحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ ، فَانْهَمُ يَصْلَحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ ، وَإِنْهُمْ إِذَا دُعُوا إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ فَانْهَمُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ، إِلَّا مَنْ حَارَبَ فِي الدِّينِ ، عَلَى كُلِّ أَنْاسٍ حَصَّتْهُمْ مِنْ جَانِبِهِمُ الَّذِي قَبْلَهُمْ ، وَإِنْ يَهُودُ الْأَوْسِ ، وَمَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ ، عَلَى مِثْلِ مَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ ، مَعَ الْبَرِّ الْحَضِّ ، مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ .

قال ابن هشام : ويقال : مع البرّ المحسن من أهل هذه الصحيفة .

قال ابن إسحاق : وإن البرّ دون الإثم ، لا يكسب كاسبٌ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ ، وَإِنْ اللَّهُ عَلَى أَصْدَقَ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَبْرَهُ ، وإنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم ، وإنه من خرج آمنٌ ، ومن قعد آمنٌ بالمدينة ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ أَوْ أَثَمَ ، وَإِنْ اللَّهُ جَارٌ لِمَنْ بَرَّ وَاتَّقَى ، وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

قال ابن إسحاق : وآخى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال - فيما بلغنا ، ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل : تَأَخَّوْا فِي اللَّهِ أَخَوَيْنِ أَخَوَيْنِ ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ : هَذَا أَخِي فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ ، وَإِمَامَ الْمُتَّقِينَ ، وَرَسُولَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الَّذِي لَيْسَ لَهُ خَطِيرٌ وَلَا نَظِيرٌ مِنَ الْعِبَادِ ، وَعَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَخَوَيْنِ ، وَكَانَ حِمَزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، أَسَدُ اللَّهِ وَأَسَدُ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَعَمُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَزَيْدُ ابْنِ حَارِثَةَ ، مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَخَوَيْنِ ، وَإِلَيْهِ أَوْصَى حِمَزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ حِينَ حَضَرَ الْقِتَالَ لَمَّا حَدَثَ بِهِ حَادِثُ الْمَوْتِ ، وَجَعَفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ذُو الْجَنَاحَيْنِ ، الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ ، وَمَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، أَخُو بَنِي سُلَيْمَةَ ، أَخَوَيْنِ .

قال ابن هشام : وكان جعفر بن أبي طالب يومئذ غائباً بأرض الحبشة .

قال ابن إسحاق : وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، ابن أبي قحافة ، وخارجة بن زهير ، أخو بلحارث بن الخزرج ، أخوين ، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وعُتْبَانُ بْنُ مَالِكٍ ، أخو بني سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج أخوين ؛ وأبو عُبَيْدَةَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْجَرَّاحِ ، واسمه عامر بن عبد الله ، وسعد بن معاذ بن النعمان ، أخو بني عبد الأشهل ، أخوين . وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن الربيع ، أخو بلحارث بن الخزرج ، أخوين . والزبير

ابن العوام ، وسلامة بن سلامة بن وقش ، أخو بني عبد الأشهل ، أخوين .
ويقال : بل الزبير وعبد الله بن مسعود ، حليف ، بني زهرة ، أخوين ، وعثمان
ابن عفان ، وأوس بن ثابت بن المنذر ، أخو بني النجار ، أخوين . وطاحه بن
عبيد الله ، وكعب بن مالك ، أخو بني سلمة ، أخوين . وسعيد بن زيد بن
عمرو بن نفيل ، وأبى بن كعب ، أخو بني النجار : أخوين ؛ ومُصعب بن
عُمير بن هاشم ، وأبو أيوب خالد بن زيد ، أخو بني النجار : أخوين ،
وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وعبد بن بشر بن وقش ، أخو بني عبد الأشهل :
أخوين . وعمار بن ياسر ، حليف بني مخزوم ، وحذيفة بن اليمان ، أخو بني
عبد عبيس ، حليف بني عبد الأشهل : أخوين . ويقال : ثابت بن قيس بن
الشماس ، أخو بلحارث بن الخزرج ، خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وعمار بن ياسر : أخوين . وأبو ذر ، وهو بُرَيْر بن جُنَادَة الْغِفَارِيّ وَالْمُنْذِر
ابن عمرو ، الْمُعَنِق لِمُوت ، أخو بني ساعدة بن كعب بن الخزرج : أخوين .
قال ابن هشام : وسمعت غير واحد من العلماء يقول : أبو ذر : جُنْدَب
ابن جُنَادَة .

قال ابن إسحاق : وكان حاطب بن أبي بلتعة ، حليف بني أسد بن
عبد العزى وعويم بن ساعدة ، أخو بني عمرو بن عوف ، أخوين ، وسلمان
الفارسي ، وأبو الدرداء ، عويمر بن ثعلبة ، أخو بلحارث بن الخزرج ،
أخوين .

قال ابن هشام : عويمر بن عامر ، ويقال : عويمر بن زيد .

قال ابن إسحاق : وبلال ، مولى أبى بكر رضى الله عنهما ، مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو رُوَيْحَةَ ، عبد الله بن عبد الرحمن الخثعمى ، ثم أحدُ الفزَع ، أخوين . فهؤلاء من سُمى لنا ، يَمَن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بينهم من أصحابه .

بلال يوصى بديوانه لأبى رُوَيْحَةَ

فلما دَوَّن عمر بن الخطاب الدواوين بالشام ، وكان بلال قد خرج إلى الشام ، فأقام بها مُجَاهِداً ، فقال عمرُ لبلال : إلى من تجعل ديوانك يا بلال ؟ قال : مع أبى رُوَيْحَةَ ، لا أفارقه أبداً ، للأخوة التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد بيته وبينى ، فضمَّ إليهِ ، وضمَّ ديوان الحبشة إلى خَثَم ، لمسكان بلال منهم ، فهو فى خَثَم إلى هذا اليوم بالشام .

أبو أمامة

قال ابن إسحاق : وهلك فى تلك الأشهر أبو أمامة ، أسعدُ بن زُرارةُ ، والمسجد بينى ، أخذته الذبْحَةُ أو الشِهْقَةُ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أسعد بن زُرارة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بئس الميتُ أبو أمامة ، ليهود ومُنافقوا العرب يقولون : لو كان نبيا لم يمت صاحبه ، ولا أملك لنفسى ولا لصاحبى من الله شيئاً .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري : أنه لما مات أبو أمامة ، أسعدُ بن زُرارة ، اجتمعت بنو النجَّار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو أمامة نقيبهم ، فقالوا له : يا رسول الله ، إن هذا قد كان منّا حيثُ قد علمتَ ، فاجعل منّا رجلاً مكانه يُقيم من أمرنا ما كان يُقيم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم : أنتم أخوالي ، وأنا بما فيكم ، وأنا نقيبكم ، وكره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يخصَّ بها بعضهم دون بعض . فكان من فضل بنى النجَّار الذي يُعدّون على قومهم ، أن كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نقيبهم .

بدر في طريق الهجرة :

وذكر أن دليلهما سلك بهما عُسقان . قال المؤلف رضى الله عنه : وقد روى عن كثير أنه قال : سُمي عُسقان لتعسف السيول فيه ، وسُئل عن الأبواء^(١) الذى فيه قبرُ أمّةِ النَّبي صلى الله عليه وسلم : لم سُمى الأبواء ؟ فقال : لأن السيول تذبّوّه أى : تحمل به ، وبمسفان فيما روى كان مسكن الجذماء ، ورأيت في بعض المسندات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ بعُسقان وبه الجذماء فأمرع المشى ولم ينظر إليهم ، وقال : إن كان شيء من الليل يمدى

(١) عُسقان : قيل منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة ، وقيل : عُسقان بين المسجدين ، وهى من مكة على مرحلتين ، وقيل : هو قرية جامعة على ستة وثلاثين ميلاً من مكة ، وهى حد تهامة . والأبواء : قرية من أعمال النجر من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً ، وقيل : جبل عن يمين آره ويمين المصعد إلى مكة من المدينة المراد .

فهو هذا ، وهذا الحديث هو من روايتي ، لأنه في مسند الحارث بن أبي أسامة ، وقد تقدم اتصال سندی به ، وكنت رأيت قبل في مسند وكيع بن الجراح ، وليس لي فيه إسناد .

فصل : وذكر أن دليلهم سلك بهم أنجاء ثم ثنية المرأة ، كذا وجدته مخفف .
الراء مقيدا ، كأنه مُسَهِّل الهمزة من المرأة .

وذكر آقفاً بفتح اللام مقيدا في قول ابن إسحاق ، وفي رواية ابن هشام :
آقفاً ، واستشهد ابن هشام بقول مَعْقِل [بن خُوَيْلِد] الهذلي :

نَزِيعاً مُحْلِباً مِنْ أَهْلِ آفَتٍ حَيٍّ بَيْنَ أَثْنَلَةٍ فَالْزَجَامُ (٢)
وَأَلْفَيْتَ فِي حَاشِيَةِ الشَّيْخِ عَلَى هَذَا الْمَوْضِعِ قَالَ : لِفَتْ بِكَسْرِ اللَّامِ أَلْفَيْتَهُ .
فِي شَعْرِ مَعْقِلٍ هَذَا فِي أَشْعَارِ هَذَيْلٍ فِي نَسَخَتِي ، وَهِيَ نَسْخَةٌ صَحِيحَةٌ جَدًّا ،
وَكَذَلِكَ أَلْفَاءُ مَنْ وَثَّقْتَهُ وَكَفَّفْتَهُ أَنْ يَنْظُرَ فِيهِ لِي فِي شَعْرِ مَعْقِلٍ هَذَا فِي أَشْعَارِ

(١) الزبيح : الغريب والبعيد أو من أمه سبية أو الشريف . والحلب : المعين .
من غير قومك . وقد رواه اللسان في مادة حلب :
صريح = لب من أهل نجد . إلخ .

وفي المراسد عن لفث : قيده القاضي عياض على ثلاثة أوجه : بفتح اللام .
وسكون الفاء ولفث بالتحريك ، وبكسر اللام وسكون الفاء وهي ثنية بين مكة
والمدينة قيل : هي ثنية جبل قديد وستاني والبيت والذي بعده في معجم البكري .
في مادة لفث ، صريحاً محلياً ، وقد ضبطها بكسر اللام وفتحها فقط مع سكون
الفاء .

هَذَيْلٌ مَكْسُورُ اللَّامِ فِي نَسْخَةِ أَبِي عَلِيٍّ الْقَتَالِي الْمَقْرُوءَةِ عَلَى الزِّيَادِيِّ ، ثُمَّ عَلَى الْأَحْوَلِ ، ثُمَّ قَرَأَتْهَا عَلَى ابْنِ دُرْبَنْدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَفِيهَا صَرِيحٌ مُخْلِياً ، وَكَذَلِكَ كَانَ الضَّبْطُ فِي هَذَا الْكِتَابِ قَدِيمًا ، حَتَّى ضَبَطْتَهُ بِالْفَتْحِ عَنِ الْقَاضِي ، وَعَلَى مَا وَقَعَ فِي غَيْرِهَا أَنْتَهَى كَلَامُ أَبِي بَحْرٍ . وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو عُبَيْدٍ الْبُسْكُرِيُّ : لِفَتْحًا ، فَقَيِّدَهُ بِكَسْرِ اللَّامِ كَمَا ذَكَرَ أَبُو بَحْرٍ وَأَنْشَدَ قَبْلَهُ :

لَعَمْرُكَ مَا خَشِيتُ ، وَقَدْ بَلَفْنَا جِبَالَ الْجُوزِ مِنْ بَلَدٍ تَهَامٍ
صَرِيحًا مُخْلِياً الْبَيْتَ .

وَذَكَرَ الْمَوَاضِعَ الَّتِي سَالَتْ عَلَيْهَا . وَذَكَرَ فِيهَا مَجَاجَ بِكَسْرِ الْمِيمِ وَجِيمِينَ ، وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ : وَيُقَالُ فِيهَا : تَجَاجَ بِالْفَتْحِ ، وَقَدْ أَلْفَيْتُ شَاهِدًا لِرَوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ فِي آتَفٍ ، وَفِيهِ ذَكَرَ تَجَاجَ بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ بَعْدَ الْجِيمِ ، وَهُوَ قَوْلُ مُحَمَّدِ ابْنِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ :

لَعَنَ اللَّهُ بَطْنَ آتَفٍ مَسِيلاً وَتَجَاجًا وَمَا أَحَبُّ تَجَاجًا
آتَفَيْتُ نَاقَتِي بِهِ ، وَبَلَقَفٍ بِلْدًا مُجْدِبًا وَأَرْضًا شَحَاجًا

هَكَذَا ذَكَرَهُ الزُّبَيْرُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، وَلَقَفَ آخَرَ غَيْرِ آتَفٍ فِيمَا قَالَ الْبُسْكُرِيُّ .

وَذَكَرَ مَرْجَحَ بِتَقْدِيمِ الْجِيمِ عَلَى الْحَاءِ ، وَذَكَرَ مَذْلُجَةً نَعْنِ (١) بِكَسْرِ التَّاءِ .

(١) فِي النِّهَايَةِ لِابْنِ الْأَثِيرِ : قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ : لِأَنَّمَا هُوَ الْجَدُّ وَهُوَ الْبُتْرُ الْجَمِيدَةُ الْمَوَاضِعُ مِنَ السَّكَلَاءِ .

والهاء ، والتاء فيه أصلية على قياس النحو فوزنه فَعْلِلَ إلا أن يقوم دليل من اشتقاق عن زيادة التاء ، أو تصح رواية من رواه تُعْمِن بضم التاء ، فإن صحَّت فالتاء زائدة ، كسرت أو ضمت ^(١) وَتُعْمِن صخرة ، يقال لها : أم عَمَى عُرِفَت بامرأة كانت تسكن هناك ، فربها النبي صلى الله عليه وسلم واستسقاها فلم تسقه ، فدنا عليها فمِسَخَتْ صخرة ، فهي تلك الصخرة فيما يذكرون .

وذكر الجَلْدَاجِدَ بجيمين ودالين كأنها جمع جُدُجْد ، وأحسبها آباراً ففي ، الحديث : أتينا على بئر جُدُجْد ، قال أبو عبيد : الصواب : بئر جُدْأى قديمة ، وقال الهَرَوِيُّ عن اليزيدى : وقد يقال : بئر جدجد قال : وهو كما يقال في الحكم كمكم وفي الرفرف رَفَرَف .

وذكر العباييد كأنه جمع عباد ، وقال ابن هشام : هي العباييد ، كأنها جمع : عُبَاب من عَبَبْتُ الماءَ عَباً ، فكأنها - والله أعلم - مياه تُعَبُّ عُبَاباً أو تُعَبُّ عُبَا .

وذكر الفاجّة بفاء وجيم ، وقال ابن هشام : هي : الفاجّة بالقاف والحاء ^(٢) .

(١) في المراد : ضبط تعهن : بكسر أوله وهائه وتسكين العين وآخره نون اسم عين ماء على ثلاثة أميال من السقيا بين مكة والمدينة . وفي معجم البلدان روى بفتح أوله كسر هائه وبضم أوله .

(٢) هي - كما قال ابن هشام - في المراد ، وأنها على ثلاث مراحل من المدينة تقبل السقيا ، وقيل : موضع بين الجحفة وقديد .

قصة أوس بن حجر :

وذكر قدومهم على أوس بن حجر ، وهو أوس بن عبد الله بن حجر الأسلمي ، وبعضهم يقول فيه : ابن حجر ، وهو قول الدارقطني ، والمعروف ، ابن حجر بضم الحاء ، وقد تقدم في المبعث ذكر من اسمه حجر^(١) في أنساب حمير ، ومن يسمى : حُجراً من غيرهم بسكون الجيم ، ومن يسمى الحجر بكسر الحاء ، فانظره هنالك عند ذكر خديجة وأمها ، ولا يختلف في أوس بن ابن حجر أنه بفتحتين .

وذكر أن أوسا حمل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على جمل له ، يقال له : ابن الرداء ، وفي رواية بونس بن بكير عن ابن إسحق يقال له : الرِّدَّاح ، وفي الخطابي أنه قال لعلامة مسعود ، وهو مسعود بن هنيذة : أسلك بهم الحارق بالقف ، قال : والصحيح الحارم ، يعني : مخارم الطريق ، وفي النسوي أن مسعودا هذا قال : فكنت آخذ بهم إخفاء الطريق . وفقه هذا أنهم كانوا خائفين ، فلذلك كان يأخذ بهم إخفاء الطريق ومخارقه ، وذكر

(١) في الاشتقاق : أوس بن حجر بفتح الحاء والجيم ، وفيه أيضا : د وقد سميت العرب حجرا وحجرا ، وحجرا ، ص ٢٠٧ .

وفي القاموس : د حجر بالضم وبضمين : والد امرئ القيس وجده الأعلى وابن ربيعة ، وابن عدى وابن الزمان وابن يزيد صحابيون ، وابن العنيس : تابعي وبالتحريرك والد أوس الصحابي ، والد الجاهلي الشاعر ، والد أنس المحدث ، وأوسا بالفتح .

النَّسَوِيُّ فِي حَدِيثٍ مَسْعُودٌ هَذَا : أَنْ أَبَا بَكْرٍ قَالَ لَهُ : إِنَّتَ أَبَا تَمِيمٍ ، فَقَالَ لَهُ :
يَحْمَلُنِي عَلَى بَعِيرٍ وَيَبْعَثُ إِلَيْنَا بَزَادَ ، وَدَلِيلٌ يَدُلُّنَا ، فِي هَذَا أَنْ أَوْسًا كَانَ يُبَكِّئِي
أَبَا تَمِيمٍ ، وَأَنْ مَسْعُودًا هَذَا قَدْ رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -
وَحَفِظَ عَنْهُ حَدِيثًا فِي الْخُمْسِ وَحَدِيثًا فِي صَلَاةِ الْإِمَامِ بِالْوَاحِدِ وَالْإِثْنَيْنِ ذَكَرَهُ
النَّسَوِيُّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ ، غَيْرَ أَنَّهُ قَالَ فِي مَسْعُودٍ هَذَا : غُلَامٌ قَرَوَةَ الْأَسْلَمِيِّ .
وَقَالَ أَبُو عُمر : قَدْ قِيلَ فِي أَوْسٍ هَذَا إِنْ اسْمُهُ تَمِيمٌ ، وَيَكْنَى أَبَا أَوْسٍ فَاللَّهُ أَعْلَمُ ^(١) .

وَرَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ لِمَسْعُودٍ حِينَ انصَرَفَ
إِلَى سَيِّدِهِ مُرْسِيْدَكَ أَنْ يَسْمِ الْإِبِلَ فِي أَعْنَاقِهَا قَيْدَ الْفَرَسِ ^(٢) ، فَلَمْ تَزَلْ تَلِكُ
يَسْمَتَهُمْ فِي إِبِلِهِمْ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا فِي شَرْحِ قَصِيْدَةِ أَبِي طَالِبٍ عِنْدَ قَوْلِهِ : مُوسِمَةُ الْأَعْضَادِ
أَسْمَاءُ السَّمَاتِ كَالْعَرَاضِ وَالْخَبَاطِ وَالْهَلَالِ ، وَذَكَرْنَا قَيْدَ الْفَرَسِ ، وَأَنَّهُ سِمَةٌ
فِي أَعْنَاقِهَا ، وَقَوْلُ الرَّاجِزِ :

(١) قِصَّةُ أَوْسٍ لَمْ يَرَوْهَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ الْكِتَابِ السَّنَةِ ، فَالَّذِينَ رَوَوْهَا هُمُ
الْبَغَوِيُّ وَابْنُ السَّكَنِ وَابْنُ مَنْدَةَ أَوْ الطَّبْرَانِيُّ . وَقِصَّةُ مَسْعُودٍ بِنِ هَنِيْدَةٍ عِنْدَ الْحَاكِمِ
فِي الْاَكْلِيلِ . وَاسْمُ أَوْسٍ يَتَرَدَّدُ فِي الْإِصَابَةِ تَمِيمٌ بِنِ أَوْسٍ بِنِ حَجْرٍ أَيْ أَوْسٍ
الْأَسْلَمِيِّ وَبَيْنَ أَوْسٍ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ بِنِ حَجْرٍ الْأَسْلَمِيِّ وَيَكْنَى : أَبَا تَمِيمٍ وَرَبَّمَا يَنْسَبُ
إِلَى جَدِّهِ فَقِيلَ : أَوْسٌ بِنِ حَجْرٍ وَفِيهِ عَمَّنْ رَوَى عَنْهُمْ أَنَّهُ لَقِيَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَأَبَا بَكْرٍ وَهُمَا مَتَوَجَّهَانِ إِلَى الْمَدِينَةِ بِقَهْدِ وَاتِّبَانِ الْجَحْفَةِ وَهَرَشَى ، وَهُمَا عَلَى
جَمَلٍ ، لَحْمُهُمَا عَلَى لَحْلِ لَهْمَنِ إِبِلَةٍ . وَأَوْسٌ مِنْ أَهْلِ الْعَرَجِ . وَقَالَ ابْنُ حَبَّانَ وَالطَّبْرَانِيُّ :
لَهُ حَبَّةٌ ، وَلَمْ يَخْرُجْ حَدِيثُهُ .

(٢) صَوْرَةُ هَذِهِ السَّمَةِ : حَلْقَتَانِ بَيْنَهُمَا مَدَّةٌ وَفَرْدَاتُ ابْنِ الْأَثِيرِ وَاللَّسَانِ .
وَذَكَرَ الْجَوْهَرِيُّ أَنَّهَا سِمَةٌ تَتَكُونُ فِي عُنُقِ الْبَعِيرِ عَلَى صَوْرَةِ الْقَيْدِ .

كُومٌ عَلَى أَعْنَاقِهَا قَيْدُ الْفَرَسِ تَنْجُو إِذَا اللَّيْلُ تَدَانَى وَالتَّبَسُّ

منى قدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة ؟

كان قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة يوم الإثنين لاثنتي عشرة من ربيع الأول ، وفي شهر أيلول من شهور العَجَم ، وقال غير ابن إسحاق قدمها لثمانٍ خلّون من ربيع الأول ، وقال ابن الكلبي : خرج من الغار يوم الإثنين أول يوم من ربيع الأول ، ودخل المدينة يوم الجمعة لِثْنَتَيْ عَشْرَةَ مِنْهُ ، وكانت بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ أَوْسَطَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ ^(١) .

كلثوم بن الهمرم :

فصل : وذكر ابن إسحاق نزول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على كلثوم بن الهمرم ، وكلثوم هذا كُنْيَتُهُ أَبُو قَيْس ، وهو كلثوم بن الهمرم ابن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ^(٢) ، وكان شيخا كبيرا مات بعد قدوم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة بيسير ، هو أول من مات من الأنصار بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم مات بعده أسعد بن زُرَّارَةَ بِأَيَّامٍ ، وسعد بن خَيْثَمَةَ ، وأنه كان يقال لبيته : بيت العُزَّاب هـكذا روى ، وصوابه : الأعزب ؛ لأنه

(١) في الفتح : ليلة وحول تاريخ دخوله المدينة يدور خلاف شديد . انظر ص ٣٥٠ وما بعدها ١ شرح المواهب للزرقاني .

(٢) في جهرة ابن حزم يرد بعد الحارث بن زيد ما يأتي : بن عبيد بن زيد الخ .

جمع عَزَبٍ ، يقال : رجل عَزَبٌ ، وامرأة عَزَبٌ ، وقد قيل : امرأة عَزَبَةٌ .
بالتاء (١) .

تأسيس مسجد قباء :

فصل : وذكر تأسيس مسجد قُباء ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسسه لبني عمرو بن عَوْفٍ ، ثم انتقل إلى المدينة ، وذكر ابن أبي خَيْثَمَةَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسسه ، كان هو أول من وضع حَجَرًا في قِيابته ، ثم جاء أبو بكر بحجر فوضعه ، ثم جاء عمر بحجر فوضعه إلى حَجَرِ أَبِي بَكْرٍ ، ثم أخذ الناس في البنيان . في الخطابي عن الشُّمُوسِ بنت النعمان [بن عامر ابن مجمع الأنصارية] قالت : كان النبي صلى الله عليه وسلم حين بنى مسجد قباء . يأتي بالحجر قد صَهَرَهُ إلى بَطْنِهِ ، فيضعه فيأتي الرجل يريد أن يُقِلَّهُ فلا يستطيع حتى يأمره أن يدعاه ويأخذ غيره . يقال : صَهَرَهُ وَأَصْهَرَهُ إذا ألصقه بالشيء ، ومنه اشتق الصَّهْرُ في القرابة (٢) ، وهذا المسجد أول مسجد بنى في الإسلام ، وفي أهله نزلت ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَخَطَّوْا ﴾ التوبة : ١٠٨ فهو على هذا المسجد الذي أسس على التقوى ، وإن كان قد روى أبو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى ، فقال : هو

(١) في اللسان: رجل عَزَبٌ ومُعَذَّابٌ لأهل له ، ونظيره : مطرابة ، ومطواعة .
وامرأه عَزَبَةٌ وعَزَبٌ : لزوج لها . . والجمع أعزاب والعزاب الذين لأزواج لهم من الرجال والنساء .

(٢) في رواية أخرى : فمصره إلى بطنه : أي أضافه وأماله .

مسجدي هذا ، وفي رواية أخرى قال : وفي الآخر خير كثير ، وقد قال ابني عمرو بن عوف حين نزلت : « لَمْسَجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى » مَا الطَّهْرُ الَّذِي أَثْنَى اللَّهُ بِهِ عَلَيْكُمْ ؟ فذكروا له الاستنجاء بالماء بعد الاستنجاء بالحجر ، فقال : هوذا كم فَعَلَيْكُمْوه ^(١) وليس بين الحديين تعارضٌ كلاهما أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى ، غير أن قوله سبحانه : من أول يوم يقتضى مسجد قباء لأن تأسيسه كان في أول يوم من حلول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دار معجزته والبلد الذي هو مُهَجَرُهُ .

التاريخ العربي :

وفي قوله سبحانه : ﴿ من أول يوم ﴾ وقد علم أنه ليس أول الأيام كلها ، ولا أضافه إلى شيء في اللفظ الظاهر [فتعين أنه أضيف إلى شيء مضمّر] فيه من الفقه صحة ما اتفق عليه الصحابة مع عمر حين شاورهم في التاريخ ، فاتفق رأيهم أن يكون التاريخ من عام الهجرة لأنه الوقت الذي عزّ فيه الإسلام ، والذي أُمِر فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - وأسس المساجد . وَعَبَدَ اللَّهُ آمَنَّا كما يجب ^(٢) ، فوافق رأيهم هذا ظاهر التنزيل ، وفهمنا الآن بفعلهم أن قوله

(١) ردّد هذا في روايات بينها وبين بعضها خلاف في الطبراني وأحمد وابن خزيمة . وقد أخرج عبد الرزاق والبخاري عن عروة وابن عائذ عن ابن عباس : الذي بنى فيهم المسجد الذي أسس على التقوى هم بنو عمرو بن عوف . ولكن ورد في مسلم وأحمد والترمذي عن أبي سعيد الخدري أنه مسجد المدينة ، وبهذا جرم الإمام مالك .

(٢) نقل الحافظ في الفتح عبارة السهيلي ، فقال : « وأفاد السهيلي أن الصحابة أخذوا التاريخ بالهجرة من قوله تعالى (المسجد أسس على التقوى من أول يوم) لأن من

المعلوم أنه ليس أول الأيام مطلقاً، فتبين أنه أضيف إلى شيء مضمّر، وهو أول الزمن الذي عز فيه الإسلام، وعبد فيه النبي، وص، ربه آمناً، وابتدأ بناء المسجد، فوافق رأى الصحابة ابتداء التاريخ من ذلك اليوم، وفهمنا من فعلهم أن قوله تعالى من أول يوم أنه أول أيام التاريخ الإسلامي. كذا قال - يعنى السهيلي - ويعقب الحافظ على هذا بقوله: «والمبتادر أن معنى قوله من أول يوم أى دخل فيه النبي، وص، وأصحابه المدينة، والله أعلم».

ويقول ابن المنير: «كلام السهيلي تكلف وتعسف وخروج عن تقدير الأقدمين، فإنهم قدروه: من تأسيس أول يوم فكانه قيل: من أول يوم وقع فيه التأسيس وهذا تقدير تقتضيه العربية، ص ٣٥٣ ج ١ المواهب. وعن أمر التاريخ روى الحاكم في الإكليل عن الزهرى أن النبي، وص، هو الذى أمر بالتاريخ وهو بقاء. والحديث معضل والمشهور خلافه. وأخرج أبو نعيم الفضل بن دكين فى تاريخه ومن طريقه الحاكم من طريق الشعبي أن أبا موسى كتب إلى عمر إنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ، لجمع عمر الناس، فقال بعضهم: أرخ بالمبعث، وبعضهم: بالهجرة، فقال عمر: الهجرة فرقت بين الحق والباطل، فأرخوا بها أو بالحرم، لأنه منصرف الناس من حجهم، فاتفقوا عليه، وذلك سنة سبع عشرة، وقيل كما روى ابن خيثمة عن ابن سيرين سنة سبع عشرة. وقيل: ست عشرة فى ربيع الأول... والذى يفهم من مجموع الآثار أن الذى أشار بالحرم عمر وعثمان وعلى... وقيل: إن أول من أرخ يعلى بن أمية حين كان باليمن حكامه مغلطى، ورواه أحمد بإسناد صحيح عن يعلى - لكن فيه انقطاع بين عمرو بن دينار ويعلى. ويقول الزرقانى: «ولم يؤرخوا بالمولد ولا بالمبعث، لأن وقتهما لا يخلو من نزاع من حيث الاختلاف فيما، ولا بالوفاة النبوية لما يقع فى تذكره من الأسف والتألم على فراقه ص ٢١٤ ج ٧ فتح البارى وص ٣٥٢ ج ١ شرح المواهب وأقول من يتدبر كلمة عمر رضى الله عنه فى وصف الهجرة يعرف لماذا اختاروا التاريخ بالهجرة دون غيره، وعن التاريخ العربى انظر كتاب المحبر لمحمد بن حبيب ص ٥ ط الهند».

سبحانه من أول يوم أن ذلك اليوم هو أول أيام التاريخ الذي يورّخ به الآن، فإن كان أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذوا هذا من الآية ، فهو الظن بأفهامهم ، فهم أعلمُ الناس بكتاب الله وتأويله ، وأفهمهم بما في القرآن من إشارات وإفصاح ، وإن كان ذلك منهم عن رأي واجتهاد ، فقد علم ذلك منهم قبل أن يكونوا وأشار إلى صحته قبل أن يفعل ، إذ لا يعقل قول القائل : فعلته أول يوم إلا بإضافة إلى عام معلوم أو شهر معلوم ، أو تاريخ معلوم ، وليس هاهنا إضافة في المعنى إلا إلى هذا التاريخ المعلوم لعدم الزائن الدالة على غيره من قرينة لفظ أو قرينة حال فتدبره ففيه معتبر لمن اذْكُر وعِلْمٌ لمن رأى بعين فؤاده واستبصر والحمد لله .

مِنْ ودخولها على الزمان :

وليس يحتاج في قوله من أول يوم إلى إضمار كما قرره بمضُ النحاة : من تأسيس أول يوم ، فراراً من دخول من على الزمان ، ولو لفظ بالتأسيس لكان معناه من وقت تأسيس أول يوم ، وإضماره للتأسيس لا يفيد شيئاً ، ومن تدخل على الزمان ، وغيره ، ففي التنزيل ﴿ من قبل ومن بعد ﴾ والقبْل والتأخر زمان ، وفي الحديث : ما من دابة إلا وهى مُصَيَّخَةٌ ^(١) يوم الجمعة من حين تطلع الشمس إلى أن تغرب ، وفي شعر النابغة [في وصف سيف] :

(١) يروى : مسيخة أى مصغية .

تَوَرَّثَ مِنْ أَزْمَانٍ يَوْمَ حَلِيمَةٍ إِلَى الْيَوْمِ قَدْ جُرَّبْنَا كُلَّ التَّجَارِبِ (٢)

(١) جاء في معنى اللبيب عن من ما يأتي تأتي على خمسة عشر وجها أحدها : ابتداء الغاية ، وهو الغالب عليها حتى ادعى جماعة أن سائر معانيها راجعة إليه ، وتقع لهذا المعنى في غير الزمان نحو : من المسجد الحرام . لأنه من سليمان قال الكوفيون والآخرش والمبرد وابن درستويه : وفي الزمان أيضا بدليل : من أول يوم ، وفي الحديث : فطرنا من الجمعة إلى الجمعة . وقال النابغة :

تخبرن من أزمان يوم حليلة إلى اليوم قد جربن كل التجارب
وقيل : التقدير من مضى أزمان يوم حليلة ، ومن تأسيس أول يوم ، ورده السهيلي بأنه لو قيل هكذا لاحتيج إلى تقدير الزمان ، وعلق الأمير في حاشيته على هذا بقوله : « الظاهر أنه لا رد وأنه لا مانع من جعله نفس المضى ، والتأسيس مبدأ كما تحمل الدار مبدأ للخروج ، ولا حاجة لتقدير زمن ، ثم معنى ابتداء الخروج مثلا من الدار أنه أول ما تحقق نشأ منها وكذا ابتداء العلم من زيد في قولك أخذت العلم من زيد ، وليس بلازم أن الخروج مثلا أمر ممتد له مبدأ لما أنه يقال : خرجت من الدار بمجرد مفارقتها لها ، وكذلك الابتداء في إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة أي نداء ناشئا من يوم الجمعة ، وأما من أول يوم ، فالمراد بالتأسيس فيه : الوضع والبناء لخصوص وضع الأساس الذي لا يمتد ، وتوقف الرضى في معنى الابتداء في الآيتين ، وقال : الظاهر أنها بمعنى في ، ونياية حروف الجر بعضها عن بعض غير عزيزة ، ثم قال : الظاهر مذهب الكوفيين ، وأنها تأتي للابتداء في الزمان إذ لا مانع من قولك صمت من أول الشهر إلى آخره . ونمت من أول الليل إلى آخره ، وأقول إن من تفيد ابتداء الغاية المسكانية باتفاق من البصريين والكوفيين ، بدليل أن الغاية تنتهى بعدها . ويرى الكوفيون والآخرش والمبرد وابن درستويه وبعض البصريين أنها تفيد أيضا ابتداء الغاية الزمانية . والشاهد ما ذكر والحديث المروى في البخاري : فطرنا من الجمعة إلى الجمعة ، وقول بعض العرب الذي رواه الآخرش في المعاني : من الآن إلى القند .

[تَقْدُ السُّلُوقَى الْمُضَاعَفَ نَسْجُهُ وَيُوقَدَنَّ بِالصُّفْحِ نَارَ الْحُبَابِ]

وبين من الداخلة على الزمان ، وبين منذ فرق بديع قد بيناه في شرح آية الوصية^(١).

والبيت للناطقة الذيباني كما قال من قصيدته التي مدح بها النعمان وأولها :
كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أفاقيه بطي . السكواكب
والرواية المشهورة : تخيرن بدلا من نورثن . والشاهد في البيت قوله : من
أزمان حيث جاءت من هنا لابتداء الغاية أى المسافة في الزمان ، وقد أجاب
البصريون القائلون بأنها لا ابتداء الغاية في المسكان فقط عن هذا بقولهم إن في البيت
حذف مضاف : أى من استقرار زمان يوم حليلة ورد عليهم بأن الاصل
عدم الحذف .

ويوم حليلة نسبة إلى حليلة بنت الحارث بن أبي شمر ملك غسان ولحم ،
وكان أبوها وجه جيشا إلى المنذر بن ماء السماء ، فأخرجت لهم طيبا فطيتهم ،
فقالوا ما يوم حليلة بسر . يضرب مثلا في كل أمر . تعالم مشهور . وقال المبرد :
هو أشهر أيام العرب . وفي هذا اليوم قتل المنذر ، وقيل قتل في يوم عين أباغ وهو
يوم وقعة بين غسان ولحم أيضا . أنظر مجمع الأمثال رقم ٣٨١٤ = السنة
المحمدية والتبصريح على التوضيح لابن هشام والازهرى ص ٧ ط ٢ ط مصطفى
محمد ، ص ٢٠٥ شرح شواهد ابن عقيل للشيخ عبد المنعم الجرجاوى ص ١٩١٤ م
ص ١٣ = ٢ من مغنى اللبيب لأبي محمد جمال الدين عبد الله بن يوسف بن أحمد
ابن عبد الله بن هشام ط ١٣٢٨ هـ ، .

(١) أنظر معنى منذ ومنذ في مغنى اللبيب تحت المادة . وفي نوادر أبي زيد :
منذ ومنذ لا ابتداء الغاية في الزمان ، ومن لا ابتداء الغاية في سائر الأشياء والزمان
وإن انفرد بمنذ ومنذ ، فالاصل فيه أن تدخل عليه من . ص ٢١ .

تَحْلِيلٌ وَتَحْلِيحٌ :

فصل : وذكر لقاء كل قبيلة من الأنصار له يقولون : هَلُمَّ إِلَيْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَى الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ ، فيقول : خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ حَتَّى بَرَكْتَ بِمَوْضِعِ مَسْجِدِهِ ، وَقَالَ تَخَلَّجَلْتُ وَرَزَمْتُ وَأَلَقْتُ بِحِجْرَانِهَا أَيْ : بَعَقْتُهَا ، وَفَسَّرَهُ ابْنُ قَتَيْبَةَ عَلَى تَخْلُجَحَ أَيْ : أَرَزَمَ مَكَانَهُ . وَلَمْ يَبْرَحْ ، وَأَنشَدَ :

أَنَاسُ إِذَا قِيلَ انْفِرُوا قَدْ أُنِيتُمْ أَقَامُوا عَلَى أُنْقَالِهِمْ وَتَخَلَّجَلُوا

قال : وَأَمَّا تَحْلِلُحَلَّ بِتَقْدِيمِ الْحَاءِ عَلَى اللَّامِ فَمَعْنَاهُ : زَالَ عَنِ مَوْضِعِهِ ، وَهَذَا الَّذِي قَالَهُ قَوًى مِنْ جِهَةِ الْاِشْتِقَاقِ ، فَإِنَّ التَّخْلُجَحَ يُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ لِحَحَتٍ عَيْنُهُ : إِذَا انْتَصَقَتْ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي لِحَاً ^(١) .

(١) فِي اللِّسَانِ « لِحَحَتٌ عَيْنُهُ تَلْحِجُ لِحْجًا بِإِظْهَارِ التَّضْعِيفِ ، وَهُوَ أَحَدُ الْأَحْرَفِ الَّتِي أَخْرَجَتْ عَلَى الْأَصْلِ مِنْ هَذَا الضَّرْبِ مُنْهَبَةً عَلَى أَصْلِهَا وَدَلِيلًا عَلَى أُولِيَةِ حَالِهَا ، وَالْإِدْغَامِ لُغَةً ، وَفِي إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ لِابْنِ السَّكَيْتِ : « كُلُّ مَا كَانَ عَلَى فَعَلَتْ سَا كَسَنَ التَّاءِ مِنْ ذَوَاتِ التَّضْعِيفِ ، فَهُوَ مَدْغَمٌ نَحْوُ : صَمَتِ الْمَرْأَةِ وَأَشْبَاهِهِ إِلَّا أَحْرَفًا جَاءَتْ نَوَادِرُ فِي إِظْهَارِ التَّضْعِيفِ ، وَهِيَ : لِحَحَتٌ عَيْنُهُ : إِذَا انْتَصَقَتْ ، وَمِنْهُ قِيلَ : هُوَ ابْنُ عَمِّي لِحَاً ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ لِحْ وَلِحْ . وَقَدْ مَشَشَتْ الدَّابَّةُ وَصَكَّكَتْ ، وَقَدْ ضَبَّابَ الْبَلَدُ : إِذَا كَثُرَ ضَبَابُهُ ، وَقَدْ أَلَّ السَّقَاءُ : إِذَا تَغَيَّرَتْ رِيحُهُ ، وَقَدْ قَطَطَ شَعْرُهُ ، ص ٢٤٢ إِصْلَاحُ الْمَنْطِقِ لِابْنِ السَّكَيْتِ ط الْمَعَارِفُ وَفِي اللِّسَانِ : وَهُوَ ابْنُ عَمِّ لِحْ فِي النُّكْرَةِ بِالسُّكْرَةِ لِأَنَّهُ نَعَتٌ لِلْعَمِّ ، وَابْنُ عَمِّي لِحَاً فِي الْمَعْرِفَةِ أَيْ : لِأَزَقِ النِّسْبِ مِنْ ذَلِكَ ، وَنُصِبَ لِحَاً عَلَى الْحَالِ ، لِأَنَّهُ مَأْقُوبَةٌ مَعْرِفَةٌ ، وَالْوَاحِدُ وَالْإِثْنَانُ وَالْجَمْعُ وَالْمَوْثُوتُ فِي هَذَا سِوَاهُ بِمَنْزِلَةِ الْوَاحِدِ . وَقَالَ اللِّحْيَانِيُّ : هُمَا ابْنَا عَمِّ لِحْ وَهُمَا ابْنَا خَالَاتِهِ ، وَلَا يُقَالُ : هُمَا ابْنَا خَالَ لِحَاً ، وَلَا ابْنَا عَمَّةِ لِحَاً لِأَنَّهُمَا

وأما التَّحَلُّلُ : فاشتقاقه من الحُلِّ والانهلال بَيْن ، لأنه انفِكَاكُ شيءٍ من شيء ، ولكن الرواية في سيرة ابن إسحاق : تَحَلَّلْتُ بتقديم الحاء على اللام ، وهو خلاف المعنى إلا أن يكون مقلوبا من تَلَحَّلْتُ ، فيكون معناه : لصقت بموضعها ، وأقامت على المعنى الذي فسرهُ ابن قتيبة في تَلَحَّلْتُ .

وأما قوله : ورَزَمْتُ فيقال : رَزَمْتُ الناقة رُزوماً إذا أقامت من الكلال ونُوقَ رَزَمِي ، وأما أُرْزَمْتُ بالألف ، فمعناه : رَغَتْ ، ورجعت في رُغائِها ، ويقال منه : أُرْزَمَ الرعدُ ، وأُرْزَمَتِ الريحُ قاله صاحب العين ، وفي غير هذه السيرة : أنها لما أَلَقَتْ بِجِرَانِها في دار بني النجار جعلَ رَجُلٌ من بني سَلَمَةَ ، وهو جَبَّارُ بن صَخْرٍ يَنْخُسُها رجاء أن تقومَ فَتَبْرُك في دار بني سَلَمَةَ ، فلم تفعل .

المربد وصاحبه :

وقوله كان المسجد مِرْبِداً . المِرْبِدُ والجَرِينُ [والجُرْنُ والمِجْرُنُ] والمِسْطَاحُ^(١) وهو بالفارسية : مشطاح والجوخار والبِيدَرُ والأَنْدَرُ لغات بمعنى واحد للموضع الذي يُجْمَعُ فيه الزرع والتمرُ للتَّيْبِيسِ ، وأنشد أبو حنيفة في المِسْطَاحِ [التميم بن مُقْبِل] :

مفترقان ، إذ هما رجل وامرأة ، وإذا لم يكن ابن العم لحا ، وكان رجلا من العشيرة قلت : هو ابن عم الكلاله ، وابن عم كلاله ، وهذا البيت الذي أنشده ابن قتيبة هو لابن مقبل وروايته

في اللسان : يحي إذا قيل : اظعنوا . . . إلخ .

(١) المسطاح تكسر ياءه وتفتح .

تري الأَمْعَزَ المَحْزُوفَ فيه كأنه من الحَرِّ في نَحْرِ الظَّهِيرَةِ مِسْطَحٌ^(١)

قال : والمَحْزُوفُ من : حَزَوْتُ الشيء : إذا أَظْهَرْتَه . والمِسْطَحُ هو بالفارسية : مشطح ، وأما المِسْطَحُ الذي ، هو عُود الخُبَاءِ قَعَرِيَّةٌ .

وذكر أن ذلك المِرُّ بدكان لِسَهْلٍ وسُهَيْلِ ابْنِ عَمْرِو يَتِيمَيْنِ فِي حِجْرٍ
مُعَاذِ بْنِ عَفْرَاءَ ولم يعرفهما بأكثر من هذا ، وقال موسى بن عُقْبَةَ : كانا يَتِيمَيْنِ
فِي حِجْرٍ أَسْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ^(٢) وهما ابنا رافع بن عمرو بن أبي عمرو بن عُيَيْنَدِ
ابْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ غَثَمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ شَهِدَ سُهَيْلٌ مِنْهُمَا بَدْرًا ، وَالْمُشَاهِدَ كُلَّهُمَا ،
وَمَاتَ فِي خِلَافَةِ عَمْرِو بِشَهِدِ سَهْلٍ بَدْرًا ، وَشَهِدَ غَيْرَهَا وَمَاتَ قَبْلَ أَخِيهِ سُهَيْلٍ .

مول بنيان المسجِد :

فصل : وذكر بُنْيَانَ المَسْجِدِ إِلَى آخِرِ القِصَّةِ ، وفي الصحيح أنه قال : يا بني
النَّجَّارَ تَأْمِنُونِي بِحَائِطِكُمْ^(٣) [هذا] حين أراد أن يتخذَه مَسْجِدًا ، [فقالوا : لا ، والله

(١) روايته في اللسان :

إذا الأَمْعَزُ المَحْزُوفُ آضُ كأنه من الحَرِّ في حَدِّ الظَّهِيرَةِ مِسْطَحٌ
وقد ذكره اللسان لبيان أن المِسْطَحَ معناه : حَصِيرٌ يَسْفُ من خِوَصِ الدَّوْمِ
لأن المِسْطَحَ هو البيدر . والأَمْعَزُ : الأرضُ الحَزَنَةُ الغَلِيظَةُ ذاتُ الحجارةِ أو
المكان الصَّلبُ الكثيرُ الحصى وقد فسر الأصمعي المَرِيدَ بقوله : كل شيء حبست
فيه الإبل أو الغنم ، وبه سمى مَرِيدَ البصرة ، لأنه كان موضع سوق الإبل .

(٢) في رواية أبي ذر وحده : سعد بن زُرَّارَةَ ، وفي رواية الباقرين : أسعد ،
وهو الوجه : لأن أخاه سعدًا تأخر إسلامه . وحكى الزبير أنهما كانا في حِجْرٍ
أبي أيوب .

(٣) في رواية للبخاري : تَأْمِنُونِي بِحَائِطِكُمْ .

لا نطلب ثمنه إلا إلى الله ، وفي رواية أخرى في الصحيح أيضا : « ثم دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم الغلامين فساومهما بالبريد ليتخذاه مسجدا ، فقالا : بل نهيه لك يا رسول الله ، ثم بناه مسجدا ١ ، وقد ترجم البخاري على هذه المسألة لفتح ، وهو أن البائع أولى بتسمية الثمن الذي يطلبه ، قال أنس : وكان في موضع المسجد نخْلٌ وخَرْبٌ ومقابر مشركين ، فأمر بالقبور فنبشت وبالنخْل^(١) فسويت ، وبالنخل فقطعت .

ويروى في هذا الحديث نخْلٌ وخرث مكان قوله : وخَرْبٌ ، وروى عن الشفاء بنت عبد الرحمن الأنصارية قالت : كان النبي - صلى الله عليه وسلم - حين بني المسجد يؤمّه جبريلُ إلى الكعبة ويقم له القبلة .

(١) بكسر الحاء وفتح الراء ، وقال الخطابي : أكثر الرواة بالفتح ، ثم الكسر ، وحدثناه الخيام بالكسر ثم الفتح ، ثم حكى احتمالات منها : الحرب : بهم أوله وسكون ثانيه ، وهي الخروق المستديرة في الأرض ، والجرف بكسر الجيم وفتح الراء : ما تجرفه السيول وتأكله من الأرض ، والحدب : المرتفع من الأرض بفتح الحاء والبدال . قال : وهذا لائق بقوله : فسويت لأنه إنما يسوى المسكان المحدوب وكذا الذي جرفته السيول ، وأما الخراب ، فبيني ويعمر دون أن يصلح ويسوى . . ورد الحافظ في الفتح عليه : وما المانع من تسوية الخراب بأن يزال ما بقي منه ، ويسوى أرضه ، ولا ينبغي الالتفات إلى هذه الاحتمالات مع توجيه الرواية الصحيحة . د ص ٢٠٣ ٧ فتح الباري ط ١٣٤٨ . وفي بعض الروايات عن معمر عن الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أبا بكر أن يعطيها ثمنه وقال غير معمر : أعطاهما عشرة دنانير ، وعند الزبير أن أبا أيوب أرضاهما عن ثمنه .

وذكر فيه قول الرجل لعمّار : قد سمعتُ ماتقول يا بن سُمَيَّة . قال ابن هشام : وقد سمي ابن إسحاق الرجل ، وكره ابن هشام أن يسميه كي لا يذُكر أحدٌ من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكرهه ، فلا ينبغي إذاً البحثُ على اسمه .

سمية أم عمار :

وسُمَيَّة : أم عمار وقد تقدم التعريف بها في الهجرة الأولى ونهبنا على غلط ابن قتيبة فيها فإنه جعلها وسُمَيَّة أم زياد واحدةً وسُمَيَّة أم زياد كانت للحارث بن كَلْدَةَ المَتَطَبِّب ، والأولى : مَوَلَاةٌ لبني تَخْزُوم وهي سُمَيَّة بنت خباط^(١) ، كما تقدم ، وكان أهدى سُمَيَّة إلى الحرث رجلٌ من مُلوك اليمَن : يقال له أبو جَبْر ، وذلك أنه عالج من داء كان به فَبَرَى ، فوهبها له ، وكانت قبل أبي جبر للملك من مُلوك الفرس وقد عليه أبو جَبْر ، فأهداها إليه الملكُ ذكره ابن قُتَيْبَةَ^(٢) ، وفي جامع معمر بن راشد أن عماراً كان يَنْقُلُ في بُنْيَانِ المسجدِ كَيْمَتَيْنِ ، كَيْمَةً

(١) في الإصابة : سمية بنت خباط بمعجمة ومضمومة ، وموحدة ثقيلة ، ويقال : بمثناة - أى ياء - تحتانية ، وعند الفاكهي : سمية بنت خبط بفتح أوله بغير ألف كانت سابعة سبعة في الإسلام . وما يذكروه السهيلي ذكره أبو عمر . أما سمية أم زياد فذكرها ابن حجر في القسم الثالث ، أو قال : ولم يرد ما يدل على أنها رأت النبي صلى الله عليه وآله ، وأنها ولدت للحارث بن كَلْدَةَ التي كان يَطْوُها بملك اليمين : نافعا ونفيعا : فانتفى منه لأنه رآه أسود ، ثم وهبها لزوجته ، فزوجتها عبداً رومياً لها ، فولدت له زيادا فأعتقه صفية زوجة الحارث .

(٢) في الإصابة أن السكوي الشكري سمي سمية من الروم ، ثم وهبها للحارث ابن كَلْدَةَ وهو ابن قتيبة هذا وفي كتابه المأثور ص ٧٦ ط ١٣٠٠ هـ .

عنه ، وَاَئِنَّةً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالنَّاسِ يَنْقَلِبُونَ آئِنَّةً
وَاحِدَةً ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِلنَّاسِ أَجْرُؤُكَ ، أَجْرَانِ ، وَآخِرُ
زَادَكَ مِنَ الدُّنْيَا شَرْبَةُ ابْنِ ، وَتَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ فَلَمَّا قُتِلَ يَوْمَ صِفِّينَ دَخَلَ
عَمْرُوهُ عَلَى مَعَاوِيَةَ فَزِعَا ، فَقَالَ : قُتِلَ عَمَّارٌ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : فَاذَا ؟ فَقَالَ عَمْرُو :
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ : تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ
دَحَضْتَ فِي بَوْلِكَ ^(١) ، أَمْحَنَ قَتْلَانَاهُ ؟ إِنَّمَا قَتَلَهُ مِنْ أَخْرَجَهُ ^(٢) !؟

(١) ذَلَقَتْ .

(٥) وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ
عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنَ الْعَاصِ ، يَقُولُ لِأَبِيهِ عَمْرُو : قَدْ قَتَلْنَا هَذَا الرَّجُلَ ، وَقَدْ قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ مَا قَالَ ، قَالَ : أَيُّ رَجُلٍ ؟ قَالَ : عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ ،
أَمَّا تَذَكَّرَ يَوْمَ بَنِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْجِدَ فَكُنَّا نَحْمِلُ لَبْنَةً لَبْنَةً ،
وَعَمَّارٌ يَحْمِلُ ابْنَتَيْنِ لَبْنَتَيْنِ لِمَخٍ وَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ هَذَا الْبِنَاءَ كَانَ فِي الْخَامِسَةِ مِنَ
الْهِجْرَةِ أَوْ بَعْدَهَا ، لِأَنَّ عَمَّاراً أَسْلَمَ فِي الْخَامِسَةِ ١١ وَيَقُولُ الْإِمَامُ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ تَعْلِيْقًا
عَلَى حَدِيثٍ : تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ ، تَسْكُمُ فِيهِ بَعْضُهُمْ ، وَبَعْضُهُمَا تَأْوِلُهُ عَلَى أَنَّ الْبَاغِيَّ :
الطَّالِبُ ، وَهَذَا لَا شَيْءَ ، وَأَمَّا السَّلَافُ كَأَبِي حَنِيفَةَ وَمَالِكٍ وَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِمْ ، فَيَقُولُونَ
لَمْ يَوْجَدْ شَرْطُ قِتَالِ الطَّائِفَةِ الْبَاغِيَةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَأْمُرْ بِقِتَالِهَا ابْتِدَاءً ، بَلْ أَمَرَ إِذَا
اِقْتَتَلَتْ طَائِفَتَانِ أَنْ يَصْلَحَ بَيْنَهُمَا ، ثُمَّ : إِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا قَوْتَلَتْ ، وَلِهَذَا كَانَ
هَذَا الْقِتَالُ عِنْدَ أَحْمَدَ وَمَالِكٍ قِتَالُ فِتْنَةٍ ، وَأَبُو حَنِيفَةَ يَقُولُ : لَا يَجُوزُ قِتَالُ الْبَغَاةِ
حَتَّى يَبْدُوَ بِقِتَالِ الْإِمَامِ ، وَهَؤُلَاءِ لَمْ يَبْدُوْا ، وَفِي مَكَانٍ آخَرَ يَقُولُ : كَانَ عَلَى
وَمَعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَطْلُبُ لِكَبِ الدِّمَاءِ مِنْ أَكْثَرِ الْمُقْتَلَيْنِ ، لَكِنْ
غَلَبَا فِيمَا وَقَعَ ، وَالْفِتْنَةُ إِذَا ثَارَتْ عَجَزَ الْحُسَيْنُ عَنْ إِطْفَاءِ نَارِهَا ، وَكَانَ فِي الْعَسْكَرَيْنِ
مِثْلُ الْأَشْتَرِ النَّخَعِيِّ ، وَهَاشِمِ بْنِ عَثْبَةَ الْمَرْقَالِ ، وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ،
وَأَبِي الْأَعْوَرِ السُّلَمِيِّ ، وَنَحْوِهِمْ مِنَ الْمُحْرَضِينَ عَلَى الْقِتَالِ . قَوْمٌ يَنْتَصِرُونَ لِعِثْمَانَ
غَايَةَ الْإِتِّصَارِ ، وَقَوْمٌ يَنْفِرُونَ عَنْهُ ، وَقَوْمٌ يَنْتَصِرُونَ لِعَلِيٍّ ، وَقَوْمٌ يَنْفِرُونَ عَنْهُ ،

إضافة بناء المسجد إلى عمار :

وذكر ابن إسحاق في هذا الموضع الحديث الوارد في عمار ، وهو : أول من بنى الله مسجداً عمار بن ياسر ، فيقال : كيف أضاف إلى عمار بنيان المسجد ، وقد بناه معه الناس ؟ فيقول إنما عني بهذا الحديث مسجد قباء ، لأن عماراً هو الذي أشار على النبی - صلى الله عليه وسلم - ببنيانه ، وهو جمع الحجارة له ، فلما استبشيره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - استتم بنيانه عماراً .

أطوار بناء المسجد :

كذلك ذكر ابن إسحاق في رواية يونس بن بكير عنه : وبنى مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسقف بالجريد وجعلت قبائمه من اللبن ، ويقال : بل من حجارة منضودة بعضها على بعض ، وجعلت عمده من جذوع

وقال الفتنه مثل قتال الجاهلية لا تنضب مقاصد أهله واعتقاداتهم ، ص ٢٦٣ ولقد حاول ملك الروم استغلال معركة صفين ، لحشد جيوشا كثيرة وحاول الاقتراب من الحدود الإسلامية ، فكتب إليه معاوية رضى الله عنه : د واقه لن لم تنه وترجع إلى بلادك ، لأصطلحن أنا وابن عمي عليك ، ولاخرجنك من جميع بلادك ، ولأضيقن عليك الأرض بما رحبت ، لجبن ملك الروم - ص ٨ من ١٨٩ البداية والنهاية لابن كثير . ويقول الأستاذ محب الخطيب : د وكان معاوية يعرف من نفسه أنه لم يكن منه البقي في حرب صفين لأنه لم يردعا ، ولم يبتدئها ، ولم يأت لها إلا بعد أن خرج على من الكوفة ، وضرب معسكره في النخيلة ليسير إلى الشام ، ولذلك لما قتل عمار قال معاوية : إنما قتله من أخرجه ، انظر ص ٢٥١ ، ص ٢٦٣ من كتاب المنتقى للإمام الذهبي الذي اختصر فيه كتاب منهاج السفة للإمام ابن تيمية .

النخل ، فنَخِرَتْ في خلافة عُمرَ لُجُرْدَها ، فلما كان عثمانُ بِناءَ بالحجارة المنقوشة بالقَصَّةِ وسَقَفَهُ بالسَّاج^(١) ، وجعل قبلته من الحجارة ، فلما كانت أيام بني العباس بِناءَ مُحَمَّدُ بنُ أَبِي جَعْفَرٍ المسمَّى بِالْمَهْدِيِّ ، ووسعه وزاد فيه ، وذلك في سنة ستين ومائة ، ثم زاد فيه المأمونُ بنُ الرَّشِيدِ في سنة ثنتين ومائتين ، وأثنتَ بِنِيانِه ، ونقش فيه : هذا ما أمر به عبدُ الله المأمون في كلام كثير كَرِهْتُ الإطالة بذكره ، ثم لم يبلغنا أن أحداً غيَّرَ منه شيئاً ، ولا أحدث فيه عملاً .

بيوت النبي صلى الله عليه وسلم :

وأما بيوته عليه السلام فكانت تسعة ، بعضها من جريدِ مُطَيَّنٍ^(٢) بالطَّيْنِ وسقَّفها جريد ، وبعضها من حجارة مَرْضُومَةٍ ، بعضها فوق بعض ، مسقفة بالجريد أيضاً . وقال الحسن بن أبي الحسن^(٣) : كنت أدخل بيوت النبي

(١) القصة : الجص لغة حجازية ، وتقصيص الدار : تجهيزها والساج : ضرب من الشجر يعظم جدا ، ويذهب طولا وعرضا ، وله ورق كبير ، يغطي الرجل بورقة منه فيقيه الماطر ، واحده : ساجة ، والمعجم الوسيط ، ورواية الصحيحين عن القبلة : « فصغوا النخل قبلة المسجد ، وجعلوا تضادتيه الحجارة ، وعضادتا الباب : خشبتان منصوبتان مشبعتان في الحائط على جانبيه ويقال إن معنى صف للنخل قبلة له : جعلها سوارى في جهة القبلة ، ليسقف عليها ، كافي الصحيح من أن عمده كانت خشب النخل .

(٢) ينكر بعضهم هذه اللغة ، ويقول ، طانه من باب باع ، فهو مطين بفتح فكسر .

(٣) ذكر في إعلام الساجد لمحمد بن عبد الله الزركشى أنه : الحسن البصري وذكر أنه نقله عن السهيلي . انظر ص ٢٢٤ .

عليه السلام ، وأنا غلام مراهق ، فأنال السقف بيدي ، وكانت حُجْرُهُ
 - عليه السلام - أُكْسِيَّةً من شعر مربوطة في خشب عَرَعَر^(١) وفي تاريخ
 البخارى أن بابَه - عليه السلام - كان يُقَرَّع بالأظافر ، أى لا حَلَقَ له ،
 ولما تَوَفَّى أزواجه عليه السلام خُلِطَت البيوتُ والحجر بالمسجد ، وذلك
 في زمن عَبدِ الملك ، فلما ورد كتابُه بذلك ضَجَّ أهلُ المدينة بالبكاء ، كيوم
 وفاته عليه السلام ، وكان سريره خَشَبَاتٍ مشدودةً بالليف ، بيعت زمن بنى
 أُمَيَّة ، فاشترها رجل بأربعة آلاف درهم قاله ابن قتبية . وهذا يدل على أن
 بيوته عليه السلام إذا أُضيفت إليه ، فهي إضافةً مِلْكٍ ، كقوله تعالى :
 ﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ ﴾ وإذا أُضيفت إلى أزواجه كقوله : ﴿ وَقَرْنَ فِي
 بُيُوتِكُنَّ ﴾ فليست بإضافةً مِلْكٍ ، وذلك أن ما كان مِلْكًا له عليه السلام ،
 فليس بِمَوْزُوثٍ عنه^(٢) .

(١) جنس أشجار وجنبات من فصيلة الصنوبريات . فيه أنواع تصالح
 للأخراج وللتزيين أنواعه كثيرة « المعجم الوسيط » ، وفي القاموس أنه شجر
 السرو فارسية .

(٢) وعن المسجد والبيوت روى عن أنوار بنت مالك أم زيد بن ثابت
 أنها رأت أسعد بن زرارة قبل أن يقدم رسول الله ﷺ ، صلى بالناس
 الصلوات الخمس ، ويجمع بهم في مسجد بناه في مبرد سهل وسهيل ابني رافع
 ابن أبي عمرو بن عابد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار قالت : فأ نظر إلى
 رسول الله ﷺ ، لما قدم صلى بهم في ذلك المسجد وبناه ، فهو مسجده اليوم .

ووقع في رواية عطف بن خالد عند ابن عابد أنه ﷺ ، صلى فيه — وهو
 عريش — اثني عشر يوماً ، ثم بناه ، وسقفه وسيأتي ما يشهد له .
 وروى أحمد عن طلحة بن علي قال : جئت إلى النبي ﷺ ، وأصحابه يبنون

المسجد ، قال : فسكاه لم يعجبه عملهم ، قال : فأخذت المسحات ، فخططت بها الطين ، فسكاه أعجبه أخذى المسحاة وعمل ، فقال : دعوا الحنفي والطين ، فإنه من أصنعكم للطين . وفي كتاب رزين أن الصحابة لما كثروا قالوا : يا رسول الله لو زيد فيه ، ففعل ، فرفعوا أساسه قريباً من ثلاثة أذرع بالحجارة وجعلوا طوله عما يلي القبلة إلى مؤخره مائة ذراع ، وكذا في العرض . وكان مربعا .

وفي حديث حصار عثمان يأتي قول عثمان : أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو . أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من يتباع مر يد بني فلان غفر الله له ، فاتبعته بعشرين ألفا ، أو خمسة وعشرين ألفا ، فأثبت النبي د ص ، فقلت : قد ابتعته ، فقال : جعله في مسجدنا ، وأجره لك ؟ قالوا : اللهم نعم ،

هذا وقد ورد في ذرع المسجد هذا عدة روايات : فهو سبعون ذراعا في ستين أو يزيد ، الذراع المقصود ذراع الآدمي ، أو هو مائة ذراع في مائة وأنه مربع ، أو هو : أقل من مائة ، وقيل إنه بناء أولا أقل من مائة في مائة ثم بناه وزاد عليه مثله في الدور ، وليس المراد هنا في هذه الرواية مثله في الأذرع لأنه كان حتى نهاية القرن التاسع الهجري لا يبلغ مائة وخمسين ذراعا والرواية الأولى بالقبول أنه كان سبعين في ستين .

الصفة : هي — كما قال ابن حجر — مكان في مؤخر المسجد مظلل أعد لتزول الغرباء فيه ممن لا مأوى له ، ولا أهل ، وكانوا يكثرون فيه ويقولون بحسب من يتزوج منهم أو يموت أو يسافر . وعن ابن سعد أن أهل الصفة كانوا أناسا فقراء لا منازل لهم . فكانوا ينامون في المسجد لا مأوى لهم غيره ، وقريب من هذا في البخاري .

الزيادات في المسجد : روى البخاري وأبو داود عن نافع أن عبد الله ابن عمر أخبره أن المسجد كان على عهد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — مبنيا باللبن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل ، فلم يزد فيه أبو بكر شيئا ، وزاد فيه عمر ، وبناه على بنائه في عهد رسول الله د ص ، باللبن والجريد ، وأعاد عمده خشبا ، ثم غيره عثمان ، فزاد فيه زيادة كبيرة ، وبني جداره

بالحجارة المنقوشة والقصة ، وجعل عمده من حجارة منقوشة ، وسقفه بالساج .
زيادة عمر : في الحديث السابق ورد أن عمر زاد فيه ، وقد روى أحمد عن
نافع أن عمر « رض » زاد في المسجد من الأسطوانة إلى المقصورة ، وقال عمر :
لولا أني سمعت رسول الله « ص » يقول : ينبغي أن يزيد في المسجد ما زدت في
المسجد شيئا . وذكر ابن سعد أنه لما كثر المسلمون في عهد عمر رضى الله عنه -
وضاق بهم المسجد ، اشترى عمر ما حول المسجد من الدور لإلا دار العباس بن
عبد المطلب وحجر أمهات المؤمنين . ولكن العباس تصدق بداره ، فقبلها عمر ،
وأدخلها في المسجد - وروى البيهقي نحوه في كتاب الرجعة عن أبي هريرة .
وحسبنا هذا

زيادة عثمان : لما ولي عثمان كله الناس أن يزيد في مسجدهم ، وشكوا إليه
صفة يوم الجمعة حتى إنهم ليصلون في الرحاب . فشاور عثمان أهل الرأي ، فأجمعوا
على أن يهدمه ويزيد فيه وفي البخاري ومسلم عن عبيد الله الخولاني أنه سمع عثمان
عند قول الناس فيه حين بنى مسجد الرسول « ص » ، إنكم قد أكثرتم ، وإني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من بنى مسجدا لله بنى الله له في
الجنة مثله ، وفي مسلم أنه أراد بناء المسجد ، فكره الناس ذلك ، وأحبوا أن
يدعه على هيئته .

وقد روى أن عثمان بدأ بهذا في شهر ربيع الأول من سنة تسع وعشرين وأنه
فرع منه حين دخلت السنة للال المحرم سنة ثلاثين ، أو قبل أن يقتل بأربع سنين
ويروى أن القصة « الجص » كانت تحمل إلى عثمان ، وهو يبنى مسجد رسول الله
« ص » - من بطن نخل ، وأنه كان يقوم على رجليه ، والعمال يعملون فيه ، حتى
تأتى الصلاة ، فيصلي بهم ، وربما نام ثم رجع ، وربما نام في المسجد . وعن
خارجة بن زيد قال : هدم عثمان بن عفان المسجد ، وزاد في قبلته ، ولم يزد في
شرقيه ، وزاد في غريبه قدر أسطوانه ، وبناء بالحجارة المنقوشة والقصة وعسب
النخل والجريد ويبيضه بالقصة ، وقدر زيد بن ثابت أساطينه ، فجعلها على قدر

النخل ، وجعل فيه طبقاتا مما يلي المشرق والمغرب ، وزاد فيه إلى الشام
خمين فراعاً . .

وهناك عدة روايات أخرى بعضها يقارب هذه والآخر يباعدنها
زيادة الوليد بن عبد الملك : نقل رزين أن المسجد بعد أن زاد فيه عثمان رضي
الله عنه لم يزد فيه على ولا معاوية رضي الله عنهما ، ولا يزيد ولا مروان ولا ابنه
عبد الملك شيئاً ، حتى كان الوليد بن عبد الملك وكان عمر بن عبد العزيز عامله على
المدينة ومكة ، فبعث الوليد إلى عمر بن عبد العزيز بمال ، وقال له : من باعك ،
فأعطه ثمنه ، ومن أبي فاهدم عليه ، وأعطه المال ، فإن أبي أن يأخذه فأصرفه
إلى الفقراء . وقد روي أن عمر اشترى ما حول المسجد من المشرق والمغرب والشام ،
وأه أراد ابتياع بيت حفصة رضي الله عنها ، فأرسل إلى رجال من آل عمر ، وانتهى
الامر إلى هدم البيت لإدخاله في المسجد ، وإلى إعطائهم طريقاً إلى المسجد فنتهى
إلى الاسطوانة ، مع توسعتها . وكانت قبل ذلك ضيقة قدر ما يمر الرجل منحرفاً .

هذا ونجمع أخبار المؤرخين على أن حجر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
أدخلت في المسجد بأمر الوليد ، ويقول عطاء الخراساني : حضرت كتاب الوليد
يقرأ بأمر بإدخال حجر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فأرأيت يوماً كان أكثر باكية
من ذلك اليوم . قال عطاء : فسمعت سعيد بن المسيب يقول : والله لو ددت أنهم
تركوها على حالها . ويقول عبد الله بن زيد الهذلي : نه رأيت بيوت أزواج النبي
صلى الله عليه وسلم ، حين هدمها عمر كانت باللبن ولها حجر من جريد ، طرود بالطين عدت
تسعة أبيات بمجراتها . وكانت الحجرات شرقي المسجد وقبله ، خارجة من المسجد
مديرة به إلا من الغرب ، وهذا الرأي يخالف ما ذكر السهيلي من أنها أدخلت
في زمن عبد الملك . كما أدخل فيه عمر دور عبد الرحمن بن عوف الثلاث التي
يقال لها : القرايين ويقال إن الوليد طلب من ملك الروم أن يعينه بمال
وفسيفساء ، فبعث إليه بأحمال منها ، وبعدد من المال . قيل كانوا ثمانين : أربعين
من الروم وأربعين من القبط . ، كما قيل لأنه بعث إليه بعدة ألوف من الذهب ،
وبأحمال من سلاسل القناديل .

ويقال إن عمر هدمه سنة إحدى وتسعين هـ وأن البناء كان بالحجارة المنقوشة ، وقصة بطن نخل وعمله بالفسيفساء وهى ألوان من الخرز يركب فى حيطان البيوت والمرمر ، وعمل سقفه بالساج ، وماء الذهب ، وجعل عمدة المسجد من حجارة حشوها عمد الحديد والرصاص ، ويقال إن عمر لما صار إلى جدار القبلة دعا مشيخة من أهل المدينة من قريش والانصار والعرب والموالى ، فجعل لا ينزع حجرا إلا وضع مكانه حجرا ، فكانت زيادة الوليد من المشرق إلى المغرب ست أساطين ، وزاد إلى الشام من الاسطوانة المربعة التى فى القبر أربع عشرة أسطوانة . ومكث فى بنائه ثلاث سنين .

كما روى أن عمل القبط كان مقدم المسجد ، وكانت الروم تعمل ما خرج من المسجد جوانبه ومؤخره ، فقال سعيد بن المسيب عن القبط : عمل هؤلاء أحكم . وروى أن عثمان مات وليس فى المسجد شرفات ولا محراب ، وأن أول من أحدث المحراب والشرفات عمر بن عبد العزيز ، وأنه هو الذى عمل الميازيب التى من الرصاص ، ولكن روى من طريق آخر أن الذى عمل الشرفات هو عبد الواحد بن عبد الله وهو وال على المدينة سنة أربع ومائة . وعمر توفي سنة ١٠١ ولما احترق المسجد جددت له شرفات سنة ٧٦٧ فى أيام الأشرف شعبان بن حسين بن محمد صاحب مصر . أما مناراته وماذنه ، فأحدثها عمر أيضاً ويشهد لهذا ما رواه ابن إسحاق وأبو داود والبيهقى أن امرأة من بنى النجار قالت : كانت يدعى من أطول يدعى حول المسجد وكان بلال يؤذن عليه الفجر كل غداة ، فيأتى بمسحاة ، فيجلس على البيت ، لينظر إلى الفجر ، فإذا رأى تمطى ، ثم قال : اللهم إني أحمدك وأستعينك على قريش أن يقيموا دينك ، قالت : ثم يؤذن . القبر : حين رزى المسلمون بموت النبي عليه الصلاة والسلام اختلفوا فى مكان دفنه ، ثم روى لهم أنه يدفن حيث مات ، فاهتدوا ، وكان أبو عبيدة يضرح — والضرح هو الشق فى وسطه القبر — وأبو طلحة يلحد — واللحد : الشق يعمل فى جانب القبر ، فيميل عن وسطه — فقال الصحابة : نستخير ربنا ، ونبعث إليهما ، فأبهما سبق تركذاه ، فأرسل إليهما ، فسبق أبو طلحة ، فلحدوا للنبي كما ورد فى مسند أحمد وسنن ابن ماجه وغيرهما .

فلما دفن في حجرة السيدة عائشة حيث مات قالت ابنته فاطمة : أطابت نفوسكم أن تحشوا على رسول الله ﷺ ، و سكت أنس عن جوابها رعاية لها ، ولسان حاله يقول : لم تطب أنفسنا بذلك إلا لأننا قهرنا على فعله امتثالاً لأمره .

وقد روى البخارى في موضعين من الجنائز ، وفي المغازى ، ومسلم في الصلاة أن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ عليه وسلم في مرضه الذى لم يقم منه - أو توفي فيه : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . » لولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشى - أو خشى - أن يتخذ قبره مسجداً ، ولم يجلس أحد على قبره صلى الله عليه وسلم ولم يصل إليه ، ولا عليه ، لأنه قال - كما روى مسلم : « لا تجلسوا على القبور ، ولا تصلوا إليها أو عليها ، وروى مسلم أنه قال هذا في مرضه الذى مات منه قبل موته بخمس وأنه قال : « فلا تتخذوا القبور مساجد ، فاني أنهاكم عن ذلك ، ولم يوره رجل ولا امرأة ، ولم يعلق عليه فتدليل ولا غيره ، لأن الواقع كان يمنع الرجال من ذلك ، أفكان يستطيع أحد أن يقتحم على عائشة بيتها ؟ ثم إن ابن عباس روى لهم ما يأتى : « لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور ، والمتخذين عليها المساجد والسرج » رواه الخمسة إلا ابن ماجه ، كما روى لهم أبو هريرة ما يأتى : قال رسول الله ﷺ صلى الله عليه وسلم « لأن يجلس أحدكم على جمرة ، فتحرق ثيابه ، فتخلص إلى جلدته ، خير له من أن يجلس على قبر ، ولم يخصص قبره عليه الصلاة والسلام ، ولم يكتب عليه شيء ، لأن جابراً روى لهم : « نهى النبي صلى الله عليه وسلم - أن يخصص القبر ، وأن يقعد عليه ، وأن يبني عليه ، رواه أحمد ومسلم والفسائى وأبو داود والترمذى وصححه ، ولفظه : « نهى أن تخصص القبور ، وأن يكتب عليها ، وأن يبني عليها ، وأن توطأ ، وفي لفظ الفسائى : « نهى أن يبني على القبر ، أو يزد عليه ، أو يخصص ، أو يكتب عليه ، » .

ولم يستطع أحد أن يقيم له ضرباً ، أو يعلى من قبره ، لأنهم كانوا يعلمون

ما قاله على لابي الهياج الاسدى « أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لاتدع تمثالا إلا طمسته ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته » رواه الجماعة إلا البخارى وابن ماجه . وكان هديهم هذا ، فقد روى مسلم أن فضالة بن عبيد أمر بقبر فسوى ، ثم قال : سمعت رسول الله « ص » يأمر بتسويتها . ولقد روى ابن سعد فى طبقاته بسنده عن مالك بن أنس : قسم بيت عائشة باثنين : « قسم كان فيه القبر ، وقسم كان تكون فيه عائشة ، وبينهما حائط فكانت عائشة ربما دخلت حيث القبر فضلاً ، فلما دفن عمر لم تدخله إلا وهى جامعة عليها ثيابها » كما روى أن عمر هو أول من بنى جداراً على بيت النبى « ص » . وورد أن هذا الجدار كان قصيراً ثم بناه عبد الله بن الزبير . وروى البخارى فى صحيحه من حديث هشام بن عروة عن أبيه : لما سقط عنهم الحائط - يعنى حائط حجرة النبى « ص » ، فى زمان الوليد بن عبد الملك بن مروان أخذوا فى بنائه فقيدت لهم قدم ، ففزعوا ، وظنوا أنها قدم النبى « ص » ، فاجدوا أحداً يعلم ذلك ، حتى قال لهم عروة : لا والله ما هى قدم النبى « ص » ، ما هى إلا قدم عمر . ولما أدخل عمر بن عبد العزيز حجرات أزواج النبى « ص » فى المسجد نازله عروة منازلة شديدة كيلاً يجعل قبر النبى « ص » فى المسجد ، فأبى وقال : كتاب أمير المؤمنين لا بد من إنفاذه ، ولكنه جعل حجرة السيدة عائشة مثلاً الشكل محذرة حتى لا يتأتى لأحد أن يصلى إلى جهة القبر الكريم مع استقبال القبلة .

ثم جرت ما جرت ، واقترف الناس ما اقترفوا من عبادة للقبر . لهذا يجب العمل على إفراد القبر عن المسجد اعتناء بهدى الرسول نفسه صلى الله عليه وسلم - فليس من تكريم النبى - صلى الله عليه وسلم - أن يعبد قبره من دون الله ، أو أن يتمسح به ، أو يستجار به ، أو . . . مما يحاول اقترافه عبدة الشياطين . وما أجل ما قاله الإمام الشوكانى وهو يشرح حديث النهى عن رفع القبور . « ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولاً أولياً : القبر والمشاهد المعمورة على القبور . وأيضاً هو من اتخاذ القبور مساجد ، وقد لعن النبى « ص » فاعل ذلك . . . وكفى قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفايد يبكى لها الإسلام

منها : اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار الأصنام ، وعظم ذلك ، فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ، ودفع الضرر ، فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج ، وملجأ لنجاح المطالب ، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم وشهدوا لآلهيها الرجال ، وتمسحوا بها ، واستغاثوا ، وبالجملة أنهم لم يدعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، ومع هذا المنكر الشنيع والكفر الفظيع لا نجد من يغضب الله ، ويفار حمية الدين الحنيف لا عالماً ، ولا متعلماً ، ولا أميراً ، ولا وزيراً ولا مملوكاً ، وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يشك معه أن كثيراً من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم إذا توجهت عليه عين من جهة خصمه حلف بالله فاجراً ، فإذا قيل له بعد ذلك : احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني تعلم وتسلطك وأبي واعترف بالحق ، وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال إنه تعالى ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة . فياعلماء الدين ، وبأملوك المسلمين : أى رزء للإسلام أشد من الكفر ١٤

وأى بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله ١٤

وأى مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة ؟

وأى منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك البين واجبا ١٤

لقد أسمعنا لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

ولو نارا نفخت بها أضأت ولكن أنت تنفخ في رماد

أفيسمع المسلمون من رجل لا يستطيع أحد أن ينال من علمه وفقهه

وإخلاصه ؟ ؟

وإنه ليروي أن الوليد لما قدم حاجا جعل يطوف في المسجد ، وينظر إليه .

ويصبح بعمرها هنا ، ومعه أبان بن عثمان : فلما استنفذ الوليد النظر إلى المسجد

التفت إلى أبيان ، وقال : أين بناؤنا من بنائكم ؟ قال أبان : إنما بنيناه بنيان المساجد

وبنيتموه بناء الكنائس ص ٣٧٠ السهمودي ١٣

وصف المسجد في القرن السادس : وقد ورد للمسجد وصف دقيق من كاتب

مراكشي عاش في القرن السادس الهجري تنقله بنصه عن كتابه ، والاستبصار

في عجائب الأمصار : « ومسجد النبي » ص ، مستطيل غير مربع يزيد طوله على عرضه مائة ذراع ، وسما المسجد منقوشة مدعونة محفورة مذهبة كلها على عتب منقوشة على أعمدة خرز أسود بعضه على بعض ملبسة بالجيار ، وهو ليس على أقواس إلا ما كان إلى الصحن ، فانه أقواس معقودة وجوها منزولة بالفسيفساء على أعمدة من خرز ملبسة بالجيار والأعمدة التي إلى صحن المسجد هي أقصر من التي عليها سماء المسجد ، وتلك الأقواس التي إلى صحن المسجد مغلقة بشرايب الساج ، مقدم المسجد خمس بلاطات معترضة ، ومؤخره مثل ذلك ، ومجنبة المسجد الشرقية فيها ثلاث بلاطات معترضة ، ومجنبة الغربية أربع بلاطات ، ومن مقدم المسجد إلى الصحن أحد عشر قوسا ، وكذلك من مجنبته الأخرى . وطول المسجد من ركن منار بلال - رضى الله عنه - وهو الذي بإزاء قبر النبي « ص إلى ركن مؤخره ، وعرضه من باب جبريل عليه السلام ، وهو الذي بإزاء قبر النبي « ص ، إلى باب الرحمة التي بجنب دار السيدة مائة وسبعون ذراعاً ، ص ٣٧ ط ١٩٥٨ نشر وتعليق الدكتور سعد زغلول عبد الحميد .

حجرات أزواج النبي « ص : يقول الذهبي في بلبل الروض : لم يبلغنا أنه عليه السلام بنى له تسعة أبيات حين بنى المسجد ، ولا أحسبه بعد ذلك . إنما كان يريد بيتا واحدا حيثئذ لسودة أم المؤمنين ، ثم لم يحتاج إلى بيت آخر حتى بنى بمائتة في شوال سنة اثنتين ، وكأنه عليه السلام بناها في أزمان مختلفة ، ص ٢٢٤ أعلام الساجد .

وفي رواية أنه لما انصرف النبي « ص ، من خير وزاد في مسجده البنية الثانية ضرب الحجرات ما بين القبلة إلى الشام ، ولم يضرها غريبة ، وكانت خارجة من المسجد مديرة به إلا من الغرب ، وكانت لها أبواب في المسجد . وسائر الروايات فهم ما ذكر السهيلي تقر بأن أبواب بيوت زوجات النبي كانت مستورة بالمسوح ، وقال ابن عطاء بن أبيه : وكانت بيوت أزواج النبي « ص ، يقوم الرجل فيمس سقف البيت ، والحجرات سقف عليها المسوح ، وقد وصف عطاء الخراساني حجرات أزواج النبي بأنها كانت من جريد على أبوابها المسوح

من شعر أسود . كما يروى أن أحدهم قال حين هدمت : ليتها تركت حتى يقصر الناس عن البناء ، ويرى الناس مارضى الله لنبيه ، وخزائن الدنيا بيده . هذا ولفظ الحجرة في هذه الآثار لا يراد به جملة البيت كما في قوله تعالى : (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون : بل يراد ما يتخذ حجرة للبيت عند بابه مثل الحريم للبيت ، وكانت هذه من جريد التخل ، بخلاف الحجر التي هي المساكين فانها كانت من اللبن ، كما يروى أن بعضهم كانت له حجرة ، وبعضهم لم يكن له حجرة ، وكان بيت فاطمة مع على خلف حجرة عائشة لم يزل حتى أدخله الوليد في المسجد ، وكان بيت عائشة بمأبى الشام ، وكان ذا مصراع واحد . وما يوضح مسمى الحجرة التي قدام البيت ما في سنن أبي داود وغيره عن ابن عمر : قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في حجرتها ، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها ، فالمخدع أستر من البيت الذي يقعد فيه ، والبيت أستر من الحجرة التي هي أقرب إلى الباب والطريق ، وكانت حجر عائشة وسودة وحفصة - رضى الله عنهن - لا صفة بالمسجد لأنه بنى من قبل غيرهن ، وآخر من تزوجها صفة لما فتح خيبر سنة تسع من الهجرة ، وحينئذ اتخذها بيتا ، وكان أبعد عن المسجد من غيره كما يستفاد من حديث ورد في الصحيحين ، وفيه أنه خرج مع صفة من المسجد ليوصلها إلى سكنها ، ولو كان بيتها متصلا بالمسجد لم يفعل .

وحين دخلت حجرة عائشة في المسجد سد عمر بن عبد العزيز باب الحجرة ، وبنى حائطا آخر عليها غير الحائط القديم . فالواجب - كما بينا من قبل - أن يعود كل شيء إلى مكانه ، وأن يفصل بين القبر والمسجد ، كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه ، انظر كتابي الرد على البكري والرد على الإخنائي للإمام ابن تيمية المطبوعين معا سنة ١٣٤٦ هـ ولا سيما من ص ١٨٤ من كتاب الرد على الإخنائي ، وانظر ص ٢٩٢ وما بعدها ٨ شرح المواهب اللدنية ، وكتاب وفاء الوفاء ١٠ من ص ٢٢٩ إلى ٣٧٩ ط ١٣٢٦ هـ ونيل الاوطار ٤ ص ٨٣ ط عثمان خليفة ١٣٥٧ وكتاب الخصائص للسيوطي ص ٣٩٦ ٣ بتحقيق فضيلة الشيخ هراس .

حب حباب :

فصل : وذكر حديث أم أيوب ، وقولها : انكسر حُبُّ لنا . الحُبُّ
جَرَّةٌ كبيرة ، جَمْعُهُ [أحب وحباب] حَبَبُهُ مثل جُجْرٍ وجِجَرَةٍ [وأججار
وجِجَر] وكأنه أخذ لفظه من حبابِ الماء أو من حَبَبَةٍ ، وحبابُهُ بالألف :
ترافعه . قال الشاعر :

كَأَنَّ صَلَا جَبَهَزَةَ حِينَ تَمْشِي حَبَابُ الْمَاءِ يَتَّبِعُ الْحَبَابَا^(١)

نشر دار الكتب الحديثة ، والنصوص التي نقلتها عن الحجرات نقل أكثرها
الإمام ابن تيمية عن كتاب أخبار المدينة لأبي زيد عمر بن شبة النخعي ، وانظر
كتاب القرى للمحب الطبري ص ٦٢٩ ط الحلبي . وأما السرير الذي تحدث عنه
السهمي ، فقد ورد في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها : إنما كان فراش
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه أدما - أي : جلدًا - خشو : ليف ،
وكذلك رواه الترمذي . وورد أنه نام على حصير أثر في جنبه ، أحمد وابن ماجه
والترمذي ، والحاكم ، وروى ابن حبان أنه كان لرسول الله «ص» سرير مرمل - بضم
الميم وفتح الراء وتشديد الميم المفتوحة - بالبردي ، وعليه كساء أسود محشو بالبردي
والبردي نبات يعمل منه الحصر . والمعنى : أن قوائم السرير موصولة مغطاة
بماتنج من نبات البردي . وفي حديث عمر أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وإذا هو جالس على رمال سرير وفي رواية : على رمال حصير . والرمال :
مارمل أي نسج .

(١) البيت في اللسان في مادة حب غير منسوب إلى أحد وفيه قامت بدلا
من . تمشي ، وفيه الحب : حب الماء وهو تمكسره وهو الحباب . . وقيل حباب
الماء موجه الذي يتبع بعضه بعضا . . وقال الأصمعي : حباب الماء الطرائق التي في
الماء كأنها الوشي ، والصلا : العجيزة .

وَالْحَبِيبُ بَغِيرِ أَلِفٍ مُفَاخَاتٍ بَيِّضٌ صِفَارٌ تَكُونُ عَلَى وَجْهِ الشَّرَابِ
قَالَ ابْنُ ثَابِتٍ ^(١) .

الثوم :

وذكر قوله عليه السلام لأُم أيوب - حين رَدَّ عليها الثَّيِّدَ من أجل
الثوم: أنا رجل أناجي ، وروى غيره حديث أم أيوب ، وقال فيه : إن الملائكة
تتأذى بما يتأذى به الإنس ^(٢) . وروى أن خَصِيفَ بن الحارث قال رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ، فقلت : يا رسول الله : الحديث الذي
ترويه عنك أم أيوب أن الملائكة تتأذى بما يتأذى به الإنس أصحيح هو ؟
قال : نعم .

مصير منزل أبي أيوب

ومنزله أبي أيوب الذي نزل فيه النبي - صلى الله عليه وسلم - تصير بعده
إلى أفْلَحَ مولى أبي أيوب ، فاشتراه منه بعد ما خَرِبَ ، وَتَشَلَّمت حيطانُهُ

(١) في اللسان عن الحباب - بالالف - أنها النفاخات والنفاقيع التي تطفو
على وجه الماء كأنها القوارير . وحجب الأسنان : تنضدها .

(٢) ورد حديث أبي أيوب في مسلم وفيه أن أبا أيوب سأل رسول الله
ﷺ : أحرام هو ؟ قال : لا ، ولكن أكرهه من أجل ريحه . قال أبو أيوب :
فاني أكره ما كرهت . وعن جابر أن النبي ﷺ قال : من أكل ثوما أو بصلا
فليعتزلنا ، أو قال : فليعتزل مسجدا ، أو ليقعد في بيته ، وإن النبي ﷺ أتى
بقدر فيه خضرات من بقول ، فوجد لها ريحا ، فقال قربوها إلى بعض أصحابه
وقال : كل فاني أناجي من لاتباجي ، متفق عليه .

المَغِيرَةُ بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بألف دينار بعد حيلة احتالها عليه
المَغِيرَةُ ذكرها الزبير ، ثم أصلح المَغِيرَةُ ما وَهَى منه ، وتصدق به على أهل بيتٍ
من فقراء المدينة ، فكان بعد ذلك ابنُ أَفْلَحٍ يقول للمَغِيرَةِ : خَدَعَنِي ،
فيقول له المَغِيرَةُ : لَا أَفْلَحَ مَنْ نَدِمَ . هذا معنى ما ذكره الزُّبَيْرُ بن أبي بكر^(١)

من قصة أبي سفيان مع بني محسٍ

وذكر قول أبي أحمد بن جحش لأبي سفيان :

دارَ ابنِ عَمِّكَ بِعَتْمَا تقضى بها عنك الغرامة
إذهب بها إذهب بها طَوَّقَتْهَا طَوَّقَ الحَمَامَةُ

أبو أحمد هذا اسمه عَبْدٌ ، وقيل : ثَمَامَةُ ، والأولُ أصح ، وكانت عنده الفارعةُ
بنت أبي سفيان ، وبهذا السبب تطرَّق أبو سفيان إلى بيع دارِ بني جَحْشٍ إذ
كانت بنته فيهم . مات أبو أحمد بعد أخته زينب أم المؤمنين في خلافة عمر .

وقوله لأبي سفيان طَوَّقَتْهَا طَوَّقَ الحَمَامَةُ مُتَزَعِّجٌ من قول النبي - صلى الله

(١) ذكر ابن إسحاق أن بيت أبي أيوب بناء تبع الأول لما مر بالمدينة
للنبي د ص ، ينزل إذا قدم المدينة ! ! فتداول البيت الملائكة إلى أن صار لأبي
أيوب ! ! وهى ولا شك خرافة حين يقال إن تبعاً بناها للنبي د ص ، فما كان تبع
لها حتى يعرف الغيب ، أو ما كان تبع يعرف ما لم يعرفه النبي نفسه حتى ليلة
الوحي . . ويقال إن الملك المظفر شهاب الدين غازي بن الملك العادل سيف
الدين بكر بن أيوب بن شاذي اشترى عرصة دار أبي أيوب ، وبناها مدرسة لتدريس
المذاهب الأربعة .

عليه وسلم - مَنْ غَصَبَ شَيْئاً مِنْ أَرْضِ طُوقٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ^(١)
وقال طُوقُ الحِمَامَةِ ، لأن طوقها لا يفارقها ، ولا تلقى عن نفسها أبداً ، كما يفعل
مَنْ لَيْسَ طُوقاً مِنَ الْآدَمِيِّينَ ، ففي هذا البيت من السَّمانَةِ وَحَلَاوَةِ الْإِشَارَةِ
وَمَلَاخَةِ الْاسْتِمَارَةِ مالا مزيداً عليه ، وفي قوله : طُوقُ الْحِمَامَةِ رَدٌّ عَلَى مَنْ تَأَوَّلَ
قَوْلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : طُوقُهُ مِنْ سَبْعِ أَرْضِينَ أَنَّهُ مِنَ الطَّائِفَةِ ، لَأَمِنْ الطُّوقِ
فِي الْعَنْقِ ، وقاله الخطابي في أحد قوليهِ ، مع أن البخاري قد رواه ، فقال في بعض
روايته له : خُصِفَ بِهِ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ^(٢) ، وفي مسند ابن أبي شيبة : مَنْ غَصَبَ
شَيْئاً مِنْ أَرْضٍ جَاءَ بِهِ إِسْطَافاً فِي عُنُقِهِ ، وَالْإِسْطَافُ كَالْحَلِاقِ مِنَ الْحَدِيدِ ، وَسِطَامُ
السَّيْفِ . حَدَّثَهُ^(٣) .

الخطبة :

فصل : وذكر خطبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفيها يقول
الله عز وجل لعبده : أَلَمْ أَوْتِكَ مَالاً وَأَفْضَلَ عَلَيْكَ ، فإذا قَدِّمْتَ ؟ وفي غير
هذا الكتاب زيادة ، وهي : أَلَمْ أَوْتِكَ مَالاً ، وَجَعَلْتُكَ تَرْبِعُ وَتَدَسَّعُ ؟
وفسره ابن الأنباري ، فقال : هو مثل ، وأصله : أَنْ الرَّئِيسَ مِنَ الْعَرَبِ كَانَ

(١) متفق عليه .

(٢) فسرهما ابن الأثير في النهاية بما يأتي : أَيْ يَخْصِفُ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ فَتَصِيرُ
الْقِطْعَةُ الْمَفْصُوبَةُ فِي عُنُقِهِ كَالطُّوقِ ، وَقِيلَ : هُوَ أَنْ يَطُوقَ حِمْلَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، أَيْ
يَكْلِفُ ، فَيَكُونُ مِنْ طُوقِ التَّكْلِيفِ لَأَمِنْ طُوقِ التَّقْلِيدِ .

(٣) سِطَامُ أَوْ إِسْطَافُ : الْحَدِيدَةُ الَّتِي تَحْرُكُهَا النَّارُ وَتُسَمَّرُ فِيهَا النَّارُ لِأَنَّ الْأَثِيرَ .

يَرْبَعُ قَوْمَهُ أَى : يَأْخُذُ الْإِثْبَاعَ إِذَا غَزَا وَيَذْسَعُ : أَى يُعْطَى وَيَدْفَعُ مِنَ الْمَالِ
لِمَنْ شَاءَ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ : فَلَانِ ضَخْمُ الدَّرْسِيَّةِ (١) .

الحب :

وذكر خطبة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الثانية ، وفيها : أُحِبُّوا
الله من كل قلوبكم ، يريد أن يَسْتَعْرِقَ حُبُّ الله جميع أجزاء القلب ، فيكون
ذِكْرُهُ وعمله خارجا من قلبه خالصا لله ، وإضافة الحب إلى الله تعالى من عبده
مَجَازٌ حسنٌ لأن حقيقة المحبة : إرادة يقارنُها استِدْعاءٌ للمحبوب إِمَّا بِالطَّبْعِ ،
وإِمَّا بِالشَّرْعِ ، وقد كشفنا معناها بغاية البيان في شرح قوله عليه السلام : لِمَنْ
الله [تعالى] سَجِيلٌ يَحِبُّ الْجَمَالَ (٢) ونبهنا هنالك على تقصير أبى المعالى رحمه الله
في شرح المحبة في كتاب الإرادة من كتاب الشامل فَلْتَنْظُرْ هنالك (٣) .

(١) أصل الذسع : الدفع . وضخم الدسيعة : واسع العطية ، ومعنى ألم أجعلك
لخ - كما في النهاية لابن الأثير : ألم أجعلك رئيسا مطاعا ، لأن الملاك كان يأخذ الربع
من الغنيمة في الجاهلية دون أصحابه .

(٢) رواه مسلم والترمذى والطبرانى في الكبير والحاكم في مستدركه .

(٣) أحسن من تسكلم عن الحب هو الإمام ابن القيم في كتابيه « روضة
المحبين » ، وكتاب « مدارج السالكين » ، وفي هذا الأخير يقول الإمام الجليل إن
الكلام عن الحب معلق بطرفين : « محبة العبد لربه ، وطرف محبة الرب لعبده .
والناس في إثبات ذلك ونفيه أربعة أقسام : فأهل يحبهم الله ويحبونه على
إثبات الطرفين ، وأن محبة العبد لربه فوق كل محبة تقدر ، ولانسبة لساير المحاب
إليها ، وهى حقيقة : لا إله إلا الله ، وكذلك عندهم محبة الرب لاوليائه وأنبيائه
ورسله صفة زائدة على رحمته وإحسانه ، وعطائه ، فإن ذلك أثر المحبة وموجبه ،

فإنه لما أحبههم كان نصيبهم من رحمته وإحسانه وبره أتم نصيب .
والجهمية المعطلة عكس هؤلاء ، فانه عندهم لا يحب ولا يهيب ، ولم يمكنهم
تكذيب النصوص ، فأولوا نصوص محبة العباد له على محبة طاعته وعبادته .
والازدياد من الأعمال ؛ لينالوا بها الثواب ، وإن أطلقوا عليهم بها لفظ المحبة ،
فلما ينالون به من الثواب والأجر والثواب المنفصل عندهم : هو المحبوب لذاته ،
والرب تعالى محبوب لغيره حب الوسائل .

وأولوا نصوص محبته لهم بإحسانه إليهم ، وإعطائهم الثواب ، وربما أولوها
بثنائه عليهم ، ومدحه لهم ، ونحو ذلك . وربما أولوها بأرادته لذلك .
فتارة يؤولونها بالمفعول المنفصل ، وتارة يؤولونها بنفس الإرادة .
ويقولون : الإرادة إن تعلقت بتخصيص العبد بالأحوال والمقامات العلية ،
سميت محبة ، وإن تعلقت بالعقوبة والانتقام سميت غضبا . وإن تعلقت بعموم
الإحسان والإنعام الخاص سميت برا ، وإن تعلقت بإيصاله في خفاء من حيث
لا يشعر أولا يحتسب سميت : لطفًا ، وهى واحدة ، ولها أسماء ، وأحكام باعتبار
متعلقاتها .

ومن جعل محبته للعبد ثناءه عليه ومدحه له . ردها إلى صفة الكلام ، فهى
عنده من صفات الذات ، لا من صفات الأفعال ، والفعل عنده نفس المفعول ،
فلم يقدّم بذات الرب محبة لعبده ولا لآلبيائه ، ورسله ألبته .
ومن ردها إلى صفة الإرادة جعلها من صفات الذات باعتبار أصل الإرادة ،
ومن صفات الأفعال باعتبار متعلقها .

ولما رأى هؤلاء أن المحبة إرادة ، وأن الإرادة لا تتعلق إلا بالمحدث
المقدور . والقديم ويستحيل أن يراد أنسكروا محبة العباد ، والملائكة والأنبياء
والرسل له . وقالوا : لا معنى إلا لإرادة التقرب إليه ، والتعظيم له ، وإرادة عبادته ،
فأنسكروا خاصة الإلهية ، وخاصة العبودية ، واعتقدوا أن هذا من موجبات
التوحيد والتنزيه ، فعندهم لا يتم التوحيد والتنزيه ، إلا بجدد حقيقة الإلهية ، ووجد
حقيقة العبودية .

وجميع طرق الأدلة : عقلا ، ونقلا ، وفطرة وقياسا واعتبارا . . تدل على إثبات محبة العبد لربه ، والرب لعبده . .

ثم قال إن من أنكروا المحبة : قد أنكروا خاصة الخلق والأمر ، والغاية التي وجدوا لاجلها ، فإن الخلق والأمر والثواب والعقاب إنما نشأ عن المحبة ، ولأجلها ، وهي الحق الذي به خلقت السموات والأرض ، وهي الحق الذي تضمنته الأمر والنهي ، وهي سر التأليه ، وتوحيدها ، هو : شهادة أن لا إله إلا الله . . والقرآن والسنة يملوآن بذكر من يحبه الله سبحانه ، من عباده المؤمنين . وذكر ما يحبه من أعمالهم وأقوالهم وأخلاقهم كقوله تعالى : (والله يحب الصابرين) آل عمران : ١٤٦ (والله يحب المحسنين) آل عمران ١٣٤ ، ١٤٨ .

وكم في السنة : أحب الأعمال إلى الله كذا كذا فلو بطلت مسألة المحبة لبطلت جميع مقامات الإيمان والإحسان ، ولتمطلت منازل السير إلى الله ، فأنها روح مقام ومنزلة وعمل ، والمحبة حقيقة العبودية . . فمنكر هذه المسألة ومعطّلها من القلوب معطل لذلك كله ، وحجاب به أكشف الحجب ، وقابض أقمى القلوب ، وأبعدا عن الله ، وهو منكر لخلّة إبراهيم عليه السلام ، فإن الخلّة كمال المحبة ، ص ١٨ إلى ص ٢٧ باختصار ص ٣ ط السنة المحمدية .

وبالنصوص القرآنية يثبت لنا أن الحب ليس هو الإرادة ، وإنما هو صفة أخرى . والذين ينكرون حب الله لعباده ، وحب العباد لله . قوم عيونهم وأفكارهم مشدودة إلى صفات البشر بكل ما لهذه الصفات البشرية من خصائص ، وظنوا - خاضعين في هذا لأفكار غير عربية وغير إسلامية أنهم إن وصفوا الله بهذه الصفات التي بها وصف الله نفسه . أو أضافوا إليه من الأفعال والأسماء ما أضافه إلى نفسه . . ظنوا أنهم إن فعلوا ذلك أسندوا إلى الله ما يستندونه من لوازم هذه الصفات في بشريتها إلى البشر ، زعموا أن من لوازم الحب اللهب والقلق والخوف والشوق والفقر ، والشعور بالنقص فنقصوا عن الله صفة أنه يحب أو أنه استوى ، أو . . لأن هذه الصفات تستلزم ما يستحيل إطلاقه على الله . وهذا الظن قصور وتقصير . وإفراط في المادية ، واستفراق في الذمهور عن الحقيقة ، فإن الصفة

تستمد قيمتها من موصوفها . بل إن الصفات تتغير وتباین لوازمها تبعاً لتباين الموصوفات في الخلق أنفسهم ، فغضبي ليس عين غضبك وحبي ليس عين حبك . وحبنا ليس حب الآخرين . فإبالتا بصفات الخالق ؟ فكيف نسند إلى صفات الخلاق ما نسند إلى صفات البشر من لوازم وخصائص ؟ وكيف نظن أن حب الله مثل حب خلقه ! حتى نحمل عليه ما نحمله عليهم ؟ وكيف نجرؤ على أن نجرد صفات الله من معانيها ، أو ننفيها عنه ونحن مستعدون لظنون وأوهام ضرب الشيطان بها أفكار غيرنا وقلوبهم فأعماهم وأضلهم عن سواء السبيل ؟ وكيف نسوى بين صفتين ، لم يجعل الله لإحدهما عين الأخرى ، كيف نسوى بين الإرادة والمحبة ، والله يقول : (قل : من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً أو أراد بكم رحمة) الأحزاب : ١٧ (قل : فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً ، أو أراد بكم نفعاً) الفتح : ١١ (إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره ، أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته) الزمر : ٣٨ (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ، ففسقوا فيها فحق عليها القول

فدمرناها تدميراً) الإسراء : ١٦

(ومن يرد الله فتنة ، فلن يملك له من الله شيئاً) المائدة : ٤١

(إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئاً) يس : ٢٣ أو يمكن

أن نضع الحب مكان الإرادة في هذه الآية ؟

لقد تكرر إسناد الحب إلى الله في القرآن لإثباتا قرابة عشرين مرة ، وفي كل مرة يتعلق الحب بصفة في العبد تجعله من خير العباد الذين يستحقون هذه المحبة الإلهية ، فهو جل شأنه يحب المحسنين ، والتوابين والمطهرين ، والمتقين والصابرين ، والمتوكلين ، والمقسطين والمطهرين والذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ، والأذلة على المؤمنين الأئمة على الكافرين ، والذين يحبونه ، ويتبعون نبيه ، وهو لا يحب المعتدين ، ولا يحب الفساد ولا المفسدين ، ولا يحب الكفار الأثيم ولا يحب الظالمين ، ولا يحب من كان مختالاً فخوراً ولا يحب المسرفين ، ولا يحب الخائنين ، ولا يحب المستكبرين ، ولا يحب كل خوان فخور ، ولا يحب الفرحين ، ولا يحب الكافرين ، هكذا يثبت الله حبه

من شرح الخطبة

وقوله عليه السلام : لَا تَمَلُّوا كَلَامَ اللَّهِ وَذَكَرَهُ ، فإنه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفى . الهاء في قوله : فإنه لا يجوز أن تكون عائدة على كلام الله سبحانه ، ولكنها ضمير الأمر والحديث ، فكأنه قال : إن الحديث من كل ما يخلق الله يختار ، فالأعمال إذاً كلها من خلق الله قد اختار منها ما شاء قال سبحانه : ﴿ [وَرَبِّكَ] يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾ القصص : ٦٨ ، وقوله : قد سماه خيرته من الأعمال ، يعنى : الذكر ، وتلاوة القرآن ؛ لقوله سبحانه : ويختار ، فقد اختاره من الأعمال .

وقوله : والمصطفى من عباده ، أى : وسمى المصطفى من عباده بقوله : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾ الحج : ٧٥ ويجوز أن يكون معناه المصطفى من عباده أى : العمل الذى اصطفاه منهم واختاره من أعمالهم ، فلا تكون من على هذا للتبويض ، إنما تكون لابتداء الغاية ، لأنه عملٌ استخرجه منهم بتوقيته إياهم . والتأويل الأول أقرب مأخذاً والله أعلم بما أراد رسوله .

لقوم ، وينفيه عن آخرين ، وبهذا الإثبات والنفي ، تأكد ثبوت هذه الصفة الإلهية له سبحانه . فليؤمن بأن الله يحب ، ولينقل إن الله يحب ، والمسلم بأن الله يحب ، ولينشر بروح وريحان حين نذكر ونقرأ ونقول : إن الله يحب ، ولن تلبس خاطرة من فكرة مهما كان شأنها فى الصغر أو الكبر أن حب الله يشبه حب خلقه . إلا إذا كان ثمة لإنسان يجعل الله بمحض خلقه ١١ وجل جلال الله سبحانه أن نشبهه بشئ ، أو ننفى عنه ما أثبتته لنفسه .

وقوله في أول الخطبة^(١) إن الحمد لله أحمدُه هكذا برفع الدال من قوله: الحمد لله وجدته مقيداً مصححاً عليه ، وإعرابه ليس على الحكاية ، ولكن على إضمار الأمر كأنه قال : إن الأمر الذي أذكره ، وحذف الماء العائدة على الأمر كي لا يقدم شيئاً في اللفظ من الأسماء على قوله : الحمد لله ، وليس تقديم إن في اللفظ من باب تقديم الأسماء ، لأنها حرف مؤكِّد لما بعده مع ما في اللفظ من التجزى للفظ القرآن والتيمن به ، والله أعلم .

وكانت خطبته في تلك الأيام على جذع ، فلما صُنِعَ له المنبر من طرَفَاء الغابة^(٢) ، وصنعه له عبد لامرأة من الأنصار اسمه باقوم^(٣) خار الجذع خوار

(١) روى أبو داود عن الخطبة الثانية ما يأتي : عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي إذا تشهد قال : الحمد لله . . . الحديث إلى قوله لا شريك له . وقد صحح النووي إسناد هذا الحديث في شرحه لمسلم . هذا ويرى الحسن البصري ، وداود الظاهري ، والجويني والشوكاني أن الخطبة مندوبة ، وليست بواجبة .

(٢) شجر ، الواحدة : طرفة ، وقال سيديويه : الطرفاء واحد وجمع . ويصفها المعجم الوسيط بقوله جنس جنبات وجنديات للتزيين من الفصيلة الطرفارية ، ومنها : الأثل ، وفي الصحيحين عن سهل بن سعد أنه صنع له من أثل الغابة ، ويقول الزرقاني في المواهب : وهو شجر كالطرفاء لاشوك له ، وخشبه جيد ، يعمل منه القصاع والأواني ، والغابة : موضع بالعوالي

(٣) واختلف في اسم صانعه ، ففي الصحيح أنه ميمون مولى امرأة من الأنصار ، وقيل : مولى سعد بن عبادة ، فكأنه في الأصل مولى امرأته ، ونسب إلى سعد مجازاً - وقد اختلف أيضاً في اسم امرأة سعد - وروى أبو نعيم أن صانعه باقوم الرومي مولى سعيد بن العاص ، أو باقول ، أو صباح ، أو قبيصة ، أو مينا ، أو صالح أو كلاب ، وكلاهما مولى العباس ، أو إبراهيم ، أو تميم الداري

الفاقة الخُلُوج ، حتى نزل عليه السلام ، فالتزمه ، وقال : لو لم ألتزمه ما زال يَخُورُ إلى يوم القيامة ، ثم دفنه ، وإنما دفنه ، لأنه قد صار حكمه حكم المؤمن لحبه وحنينه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا ينظر إلى قوله تعالى : ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ الآية ، وإلى قوله عليه السلام في النخلة : مثلها كمثل المؤمن ، وحديث خُوارِ الجذع وحنينه منقول نقل التواتر لكثرة من شاهد خُواره من الخلق وكلهم نقل ذلك ، أو سمعه من غيره فلم ينكره^(١).

كما ورد في أبي داود . ويقول الحافظ في الفتح : وليس في جميع الروايات التي سمى فيها النجار شيء قوى السند سوى الحديث الذي رواه أبو داود عن ابن عمر لكن لم يصرح فيه بأن صانعه تميم . وأشبه الأقوال بالصواب بأنه ميمون لكونه من طريق سهل بن سعد . . وكان المنبر ذا ثلاث درجات ، وزاد فيه مروان ست درجات لما كثرت الناس ، ولما احترق المسجد سنة ٦٥٤ جدد المظفر صاحب اثنين سنة ست وخمسين منبرا ، ثم أرسل الظاهر بيمبرس بعد عشر سنين منبرا ، فأزيل منبر المظفر ، ولم يزل منبر بيمبرس إلى سنة ٨٢٠ ، ثم أرسل المؤيد شيخ منبرا ، فبقى سنة ٨٦٧ ، فأرسل الظاهر خشعة منبرا .

(١) يقول القاضى عياض في الشفاء عن حديث حنين الجذع : حديث حنين الجذع مشهور منتشر ، والخبر به متواتر ، أخرجه أهل الصحيح ، ورواه الصحابة بضعة عشر ، منهم أبي بن كعب وجابر وأنس وابن عمر وابن عباس وسهل بن سعد وأبو سعيد الخدرى وبريدة وأم سلمة والمطلب بن أبي وداعة ، وقد أخرج البخارى الحديث في علامات النبوة ، والترمذى في الصلاة عن نافع عن ابن عمر ، ورواه أحمد من رواية أبي جناب وهو ضعيف عن أبيه أبي حية عن ابن عمر ، ورواه ابن ماجه وأبو يعلى الموصلى وغيرهما من رواية حماد بن مسلمة عن ثابت عن أنس ، ورواه الترمذى وصححه وأبو يعلى وابن خزيمة والطبرانى والحاكم وصححه ، وقال على شرط مسلم يلزمه لإخراجه من رواية

كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينه وبين اليهود

شرط لهم فيه ، وشرط عليهم ، وأمنهم فيه على أنفسهم وأهلهم وأموالهم ، وكانت أرض يثرب لهم قبل نزول الأنصار بها ، فلما كان سبيل العرم ، وتفرقت سبأ نزلت الأوس والخزرج بأمر طريفة السكاهنة ، وأمر

إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس ، ورواه الطبراني من رواية الحسن عن أنس ، ورواه أحمد بن منيع والطبراني وغيرهما من رواية حماد بن سلية عن عمار بن أبي عامر عن ابن عباس . ورواه أحمد والدارمي وأبو يعلى وابن ماجة وغيرهم من رواية الطفيل بن أبي بن كعب عن أبيه ، ورواه الدارمي من رواية أبي حازم عن سهل بن سعد ، ورواه أبو محمد الحسن بن علي الجوهري من رواية عبد العزيز بن رواد عن نافع عن تميم الداري . وقال الحافظ في الفتح : « حنين الجذع وانشقاق القمر نقل كل منهما نقلا مستفيضا يفيد القطع عند من يطلع على طرق الحديث دون غيرهم من لا يمارسة في الله ، والله أعلم ، وقال البيهقي : « قصة حنين الجذع من الأمور الظاهرة التي حملها الخلف ورووها عن السلف رواية الأخبار الخاصة كالتكليف »

أقول : زالت آية الجذع ، وبقيت آية الله الكبرى التي من بها على محمد صلى الله عليه وسلم ، وهي القرآن ، ومن يتدبر القرآن يجد هاديا إلى الأدلة التي بها تثبت نبوة عبده وخاتم أنبيائه ، وذكر فيه من آياته الكبرى ما ذكر . والله بمن على عبده بما شاء .

والناقة الخلود : التي اختاج ولدها أي انتزع منها . وحديث النخلة في الجامع الصغير : « مثل المؤمن مثل النخلة ما أخذت منها من شيء نفعك » وقال عنه رواه الطبراني عن ابن عمر ١١

عمران بن عامر ، فإنه كان كاهناً أيضاً وبما سَجَعَتْ به لِسُكُل قَبِيلَةٍ مِنْ سَبَأَ ، فَسَجَعَتْ لِبَنِي حَارِثَةَ بْنِ تَعْلَبَةَ . وَهُمْ الْأَوْسُ وَالخَزْرَجُ أَنْ يَنْزِلُوا بِثَرِبَ ذَاتِ النَّخْلِ فَنَزَلُوهَا عَلَى يَهُودَ وَخَالَفُوهُمْ وَأَقَامُوا مَعَهُمْ ، فَكَانَتْ لِدَارُ وَاحِدَةٍ .

مَنْ دَخَلَ الْيَهُودَ بِثَرِبَ؟

والسبب في كون اليهود بالمدينة ، وهى وسط أرض العرب مع أن اليهود أصلهم من أرض كنعان أن بنى إسرائيل كانت تغير عليهم الْعَمَالِيقُ من أرض الحجاز ، وكانت منازلهم بِثَرِبَ وَالْجَحْفَةِ إِلَى مَكَّةَ ، فَشَكَتْ بِمَوِ إِسْرَائِيلَ ذَلِكَ إِلَى مُوسَى ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ جَيْشًا ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَقْتُلُوهُمْ ، وَلَا يُبْقُوا مِنْهُمْ أَحَدًا ؛ ففعلوا وتركوا منهم ابنَ مَلِكٍ لَهُمْ كَانَ غُلَامًا حَسَنًا ، فَرَّقُوا لَهُ ، وَيُقَالُ لِلْمَلِكِ : الْأَرْقَمُ بْنُ أَبِي الْأَرْقَمِ فِيمَا ذَكَرَ الزُّبَيْرُ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى الشَّامِ وَمُوسَى قَدِمَاتٌ ، فَقَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لَهُمْ : قَدْ عَصَيْتُمْ وَخَالَفْتُمْ ، فَلَا تُؤْوِيكُمْ ، فَقَالُوا : نَرْجِعْ إِلَى الْبِلَادِ الَّتِي غَلَبْنَا عَلَيْهَا فَتَسْكُونُ بِهَا ، فَرَجَعُوا إِلَى ثَرِبَ ، فَاسْتَوطَنُوهَا وَتَنَاسَلُوا بِهَا إِلَى أَنْ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ الْأَوْسُ وَالخَزْرَجُ بَعْدَ سَبِيلِ الْعَرَمِ . هَذَا مَعْنَى مَا ذَكَرَهُ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي كِتَابِهِ السَّكْبِيرِ الْمَعْرُوفِ : بِكِتَابِ الْأَغَانِي ، وَإِنْ كَانَ الزُّبَيْرُ قَدْ ذَكَرَهُ أَيْضًا فِي أَخْبَارِ الْمَدِينَةِ ، وَلَا أَحْسَبُ هَذَا صَحِيحًا لِبَعْدِ عُمَرِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَالَّذِي قَالَ غَيْرُهُ إِنْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَحِقَتْ بِأَرْضِ الْحِجَازِ حِينَ دَوَّخُ نَحْتُ نَصَرَ الْبَابِلِيَّ فِي بِلَادِهِمْ ، وَجَاسَ خِلَالِ دِيَارِهِمْ ، فَحِينَئِذٍ لَحِقَ مِنْ لَحِقَ مِنْهُمْ بِالْحِجَازِ كَقَرِيطَةَ وَالنَّضِيرِ ، وَسَكَنُوا خَيْبَرَ وَالْمَدِينَةَ ، وَهَذَا مَعْنَى مَا ذَكَرَ الطَّبْرِيُّ وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

اسم يثرب

وأما يثربُ فاسم رجل نزل بها أول من العماليق فُعرفت باسمه ، وهو يَثْرِبُ بن قَيْن بن عَيْيل بن مِهْلَيل بن عوص بن عِمْلَاق بن لَؤْذ بن إرم ، وفي بعض هذه الأسماء اختلافٌ وبنو عَيْيل هم الذين سكنوا الجُحْفَةَ فَأُجْحِفَتْ بهم السيولُ وبذلك سُمِّيَتِ الجُحْفَةُ ^(١) ، فلما احتلها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كره لها هذا الاسم أعنى : يَثْرِب لما فيه من لفظ التثريب ، وسماها طيبةً والمدينة .

فإن قلت : وكيف كره اسماً ذكرها الله في القرآن به ، وهو الْمُقْتَدِي بكتاب الله ، وأهل أن لا يعدل عن تسمية الله ؟ قلنا إن الله - سبحانه - إنما ذكرها بهذا الاسم حاكياً عن المنافقين ؛ إذ قالت طائفة منهم : ﴿ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ ﴾ فنهيه بما حكى عنهم أنهم قد رغبوا عن اسم سماها الله به ورسوله ، وأبوا إلا ما كانوا عليه في جاهليتهم ، والله سبحانه قد سماها : المدينة ، فقال غير حالكٍ عن أحد : ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ [التوبة ١٢٠] ، وفي الخبر عن كُفْب الأخبار قال : إنا نجد في التوراة يقول الله للمدينة يَا طَابَةُ يَا طَيْبَةُ يَامَسْكِينَةُ لَا تَقْبَلِي السُّكُورَ أَرْفَعِ أَجَاجِيرَكَ عَلَى أَجَاجِيرِ ^(٢) الْقُرَى ، وقد روى هذا الحديث عن

(١) أجحف به : ذهب به ، وكان اسم الجحفة : مهيعة د معجم البكري ،

المراصد ، القاموس ،

(٢) أجاجير : جمع إجار ، وهو السطح الذي ليس حواله ما يرد الساقط

عنه ، والاناجير جمع أيضا

على بن أبي طالب يرفعه ، وروى أيضا أن لها في التوراة أحد عشر اسما :
المدينة وطابة وطيبة والمِسْكِينَة والجابرة والمُحِبَّة والمَحْبُوبَة والقاصِمة
والمُجْبُورَة والعذراء والمرحومة (١) ، وروى في معنى قوله : ﴿ وَقُلْ رَبِّ

(١) في تسميتها روى مسلم عن جابر بن سمرة قال : كان الناس يقولون :
يثرب والمدينة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — إن الله عز وجل
سماها : طابة .

وعن زيد بن ثابت أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : إنها طيبة ،
وإنها تنفي الخبث ، كما تنفي النار خبث الفضة ، مسلم أيضا ،
وعن أحمد : من سمى المدينة ، فليستغفر الله عز وجل ، هي طابة ،
هي طابة

وقال الأزهري : كره ذكر الثرب ، لأنه فساد في لسان العرب
ويرى ابن فارس وقطرب أن المدينة من دان إذا أطاع ، فتكون الميم زائدة ،
وقيل من مدن بالمكان إذا أقام به ، فتكون الميم أصلية وجمعها مدن بضم الدال
وإسكانها ومدائن وترك الهمزة أفصح ، والنسب إلى المدينة مدني ، وإلى مدينة
المنصور مديني ، وإلى مدائن كسرى : مدائني وقيل : مدني إذا نسبت الرجل
والثوب . أما الطير فديني . والطاب والطيب لغتان بمعنى . وحديث كعب رواه
ابن زبالة وما أضعفه .

وقد ذكرت لها أسماء أخرى منهما : طيبة بتثنية الياء ، والمطيبة بتشديد الياء
مع فتحها ، والدار والهذراء - لشدة حرارتها - ، والحبيدة ، ومدخل صدق ،
ودار السنة ، ودار الهجرة ، والبلاط ، والإبمان ، ويندر ، ويندد والبحرة
والبهيرة . وقد غالى السهمودي فذكر لها أكثر من تسعين اسما ، راجع ص ٢٣٢
لإعلام الساجد ص ٧ وفاء الوفا للسهمودي ، ص ٦٢٠ القرى للمحب الطبري .

وقد اختلف في يثرب - كما قال ابن دقيق العيد في شرح الإمام - : هل هو
اسم يرادف المدينة ، أو هو اسم لقطر محدود ، والمدينة في ناحية منه ؟ وعن

أَذْخَلَنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ [وَأَخْرَجَنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ] الإسراء : ٨٠ أنها المدينة ، وأن ﴿مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ مَكَّةَ و﴿سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ الأنصار .

تفسير على رباعتهم :

وفي الكتاب : بنو فلان على رباعتهم . هكذا رواه أبو عبيد عن ابن بكير عن عَقِيلِ بْنِ خَالِدٍ [بن عَقِيلِ الْأَيْلِي] عن الزهري ورواه عن عبد الله ابن صالح بهذا الإسناد ، فقال : رباعتهم . الألف بعد الباء ، ثم قال أبو عبيد : يقال : فلان على رباعة قومه إذا كان نقيهم ووافدهم .

قال المؤلف : وكسر الراء فيه القياس على هذا المعنى ، لأنها ولاية ، وإن جعل الرباعة مصدرًا فالقياس فتح الراء ، أي على شأنهم وعادتهم من أحكام الدِّيَّاتِ والدماء ^(١) يتماقلون معاقبتهم الأولى : جمع : مَعْقَلَةٌ وَمَعْقَلَةٌ مِنَ الْعَقْلِ

أبي عبيد : يشرب اسم أرض ، ومدينة الرسول في ناحية منها ، . وقيل : أرض وقعت المدينة في ناحية منها أو أن يشرب اسم للمدينة ، هكذا ورد في الكشف . وقال ابن عطية : يشرب قطر محدود ، والمدينة في طرف منه ، وقد غالى السهمودي ، فجمع لها أكثر من تسعين اسما . وانظر ص ١٠٩ وما بعدها . وفاء الوفاء في سكنائها وما ذكر في سبب نزول اليهود بها وبيان منازلهم .

(١) في النهاية لابن الأثير : يقال القوم على رباعتهم ، ورباعهم أي : على استقامتهم ، يريد : أنهم على أمرهم الذي كانوا عليه ، ورباعة الرجل : شأنه وحاله التي هو رابع عليها ، أي : ثابت مقيم . وعند الخشنى : الربعة والرباعة الحال التي جاء الإسلام ، وهم عليها ؛ ويقال : فلان يقوم برباعة أهله ، إذا كان يقوم بأمرهم وشأنهم ص ١٢٥

وهو الدِّية ^(١) .

من كلمات الكتاب :

وقال في الكتاب : **وَالْأَيُّتْرَكَ مُفْرَحٌ** ، وفسره ابن هِشَام كما فسره أبو عُبَيْد أنه الذي أنقله الدِّين ، وأنشد البيت الذي أنشده أبو عُبَيْد ^(٢) .

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَبْرَحْ تُؤَدِّي أَمَانَةً وَتَحْمِلُ أُخْرَى أَفَرَحْتَكَ الْوَدَائِعُ
 أى : أفتلتك يجوز أن يكون من أفعال السَّلب ، أى سَلَبْتَكَ الْفَرَحَ ، كما قيل : **أَقْطَطَ الرَّجُلُ إِذَا عَدَلَ** ، أى : أزال الْقِطْطَ ، وهو الإِعْوَجَاجُ ، ويجوز أن تكون الفاء مُبَدَّلَةً من باء ، فيكون من الْبَرَح وهو الشدة ، تقول : لقيت من فلان بَرَحًا أى : شِدَّةً ، وذكر أبو عُبَيْد رواية أخرى مُفْرَجٌ بِالْجِيمِ ، وذكر في معناه أقوالا ، منها أنه الذي لاديوان له ، ومنها : أنه الْقَتِيلُ بَيْنَ الْقَرَبَتَيْنِ لَا يُدْرَى مِنْ قَتْلِهِ ، ومنها أنه في معنى الْمُفْرَحِ بِالْهَاءِ أى :

(١) يقال : بنو فلان على معاقبهم التي كانوا عليها ، أى : مراتبهم وحالاتهم ، وسميت دية القَتِيل : عقلا ، لأن الْقَاتِلَ كَانَ إِذَا قَتَلَ قَتِيلًا جَمَعَ الدِّيةَ مِنَ الْإِبْلِ ، فعقلها بفناء أولياء المقتول ، أى شدها في عقلها ، ليسلها إليهم ، ويقبضوها منه ، فسميت الدية : عقلا بالمصدر ، يقال : عقل البعير يعقله عقلا ، وجمعها عقول ، والعاقلة : هى العصابة والأقارب من قبل الأب الذين يعطون دية قَتِيلٍ خَطَأً . وهى صفة جماعة عاقلة ، وأصلها اسم فاعلة من العقل ، وهى من الصفات الغالبة انظر مادة عقل فى النهاية لابن الأثير

(٢) فى اللسان أبو عبيدة ، ونسبه لبيسى العذرى ، وقبلة :

إذا أنت أكثرت الاخلاء صادفت بهم حاجة بعض الذى أنت مانع

الذى لاشىء له ، وقد أثقله الدين ، أو نحو (١) هذا فيُقَصَّى عنه من بيت المال .
وفيه : ولا بُوتِغْ إلا نَفْسَه ، أى : لا يُوبِقُ ، ويهلك إلا نفسه ، يقال
وَتَغَّ الرجلُ ، وأوتغَه غيره ، ناله أبو عبيد . ومعنى قوله بُيىء هو من البَوَاءِ ،
أى : المساواة ، ومنه قول مُهَلِّيل حين قَتَلَ ابناً للحارث بن عباد : بُوْ بِشِيع
تَغْلٍ كُتَيْب (٢) .

وقوله : إن البرِّ دُونَ الإِثْمِ ، أى : إن البرَّ والوفاء ينبغى أن يكون حاجزاً
عن الإِثْمِ .

وقوله : وإن الله على أتقى ما فى هذه الصحيفة وأبره ، أى : إن الله وحزبه
المؤمنين على الرضى به ، وقال أبو عبيد فى كتاب الأموال : إنما كتب
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هذا الكتابَ قبل أن تُفرض الجزيةُ ،

(١) وفى اللسان عن أبي عبيد : أن المفرج هو الذى يسلم ، ولا يوالى أحداً
فاذا جنى جناية ، كانت جنايته على بيت المال ، لأنه لا عاقلة له .

(٢) حين نشب الشراستعرت الحرب بين بكر وتغلب أربعين سنة ، وكان الحارث
ابن عباد البكرى قد اعتزل القوم ، فلما استحر القتل فى بكر ، اجتمعوا إليه
وقالوا : قد فى قومك فارس الحارث إلى مهمل أخى كليب بجيرا ابنه ينأشه
السلام ، فقد أدرك وتره من بكر ، فلما عرف المهمل أن يجيرا هو ابن الحارث
ابن عباد قتله قتلاً : بُوْ بِشِيع نعل كليب ، فلما علم أبوه الحارث بهذا خرج يقاتل
المهمل وبنى تغلب ثأراً بجيرا ابنه ، وأنشأ يقول :

قرباً مربوط النعامه منى إن بيع الكريم بالشسع غالى
قرباً مربوط النعامه منى لفتحت حرب وائل عن حيال
لم أكن من جناتها . علم الله وإنى بشرها اليوم صالى
وېروى : بجرها . والنعامه : فرس الحارث ، وكانت هزيمة تغلب على يد الحارث .

وإذ كان الإسلام ضعيفاً . قال : وكان لليهود إذ ذاك نصيب في المَغْنَمِ إذا قاتلوا مع المسلمين ، كما شرط عليهم في هذا الكتابِ النفقةَ معهم في الحروب .

المؤاخاة بين الصحابة

فصل المؤاخاة بين الصحابة : آخى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أصحابه حين نزلوا المدينة ، ليذهب عنهم وَحْشَةُ الْعَرَبِةِ وَيُوْنَسَهُمْ من مفارقة الأهل والعشيرة ، وَيُسَدُّ أَرْزَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ، فلما عز الإسلام واجتمع الشَّمْلُ ، وذهبت الوحشة أنزل الله سبحانه : ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾ الأنفال ٧٥ أعنى في الميراث ^(١) ، ثم جعل المؤمنين كلهم إخوة

(١) من أين جاء بهذا ، وليس في آيات الميراث شيء من هذا ؟ ، هذا وقد أنكر الإمام ابن تيمية رضي الله عنه في منهاج السنة النبوية المؤاخاة بين المهاجرين والمهاجرين . وأقول : إنه ينكر هذه المؤاخاة بمعناها الخاص المعروف ، وإلا فالسلم من أول يوم هو أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه . ولنتدبر ما ذكر الله في أول سورة الحشر عما فعل الانصار بأخوتهم المهاجرين ، ففى هدى الله هداية الحق والنور المبين لا في كلام السهيلي أو غيره

ويقول الإمام ابن القيم : « وقد قيل : إنه آخى بين المهاجرين بعضهم مع بعض مؤاخاة ثانية ، واتخذ فيها علياً أخاً لنفسه . »

والثابت الأول . معنى المؤاخاة بين المهاجرين والانصار - والمهاجرون كانوا مستغنين بأخوة الإسلام ، وأخوة الدار ، وقرابة النسب عن عقد مؤاخاة بخلاف المهاجرين مع الانصار ، ولو آخى بين المهاجرين ، كان أحق الناس بأخوته أحب الخلق إليه ، ورفيقه في الهجرة ، وأنيسه في الغار ، وأفضل الصحابة ، وأكرمهم عليه : أبو بكر الصديق ، وقد قال : لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً ، لا تتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أخوة الإسلام أفضل ، « الصحيحان

فقال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ يعنى فى التَّوَادُّ وشمول الدعوة .
وذكر مؤاخاته بين أبى ذَرٍّ وَالسُّنْدَرِ بن عمرو ، وقد ذكرنا إنكار الواقدي
لذلك فى آخر حديث بيعة العقبة .

نسب أبى الدرداء :

فصل : وذكر مؤاخاة سَلْمَانَ وَأبى الدَّرْدَاءِ ، وأبو الدَّرْدَاءِ اسمه عَوْيَمِرُ
ابن عامر ، وقيل عَوْيَمِرُ بن زيد بن ثعلبة ، وقيل : عَوْيَمِرُ بن مالك بن
ثَعْلَبَةَ بن عمرو بن قيس بن أُمَيَّةَ من بَلَدِ حَارِثِ^(١) بن الْخَزْرَجِ ، أمه : تَحِيْبَةُ
بنت وَاقد بن عمرو بن الإطنابة ، وامراته : أم الدَّرْدَاءِ ، اسمها : خَيْرَةُ بنت
أبى حَذَرٍ ، وأم الدرداء الصغرى ، اسمها : جُمَانَةُ ، مات أبو الدرداء بدمشق
سنة اثنين وثلاثين ، وقيل سنة أربع وثلاثين^(٢) .

من حديث أنس ، وفى لفظ د ولكن أخى وصاحبى ، وهذه الاخوة فى الإسلام
وإن كانت عامة كما قال : وددت أن قدر رأيتنا لإخواننا ؟ قالوا : ألسنا إخوانك ؟
قال : أنتم أصحابى ، وإخوانى : قوم يأتون من بعدى يؤمنون بى ، ولم يرونى
رواه مسلم .

فلاصديق من هذه الاخوة أعلى مراتبها ، كما له من الصَّحبة أعلى مراتبها ،
فالصَّحابة لهم الاخوة ومزية الصَّحبة ولاتباعهم الاخوة والصَّحبة . ص ١٧٦
٢ زاد المعاد ط السنة المحمدية .

(١) و اختلف فى اسم أبيه ، فقول : عامر أو مالك أو ثعلبة أو عبد الله
أو زيد ، وأبوه : ابن قيس بن أُمَيَّةَ بن عامر بن عدى بن كعب بن الخزرج
الأنصارى الخزرجى ، الإصابة

(٢) قيل مات اسنتين بقبينا من خلافة عثمان ، وقال ابن عبد البر إنه مات
بعد صفين ، والأصح عند أصحاب الحديث أنه مات فى خلافة عثمان .

نسب الفرع

فصل وذكر مؤاخاة أبي رُوَيْحَةَ وبلالٍ ، وسماه: عَبْدَ اللَّهِ بن عبد الرحمن ، وقال : هو أحد الْفَرْعِ^(١) ، لم يبينه بأكثر من هذا ، وَالْفَرْعُ عند أهل النسب ، هو ابن شَهْرَانَ بن عَفْرِس بن حُلَف بن أَفْتَل ، وَأَفْتَلُ هو خَنْعَمُ . وقد تقدم في أول الكتاب : لِمَ سَمِيَ خَنْعَمُ وهو ابن أُمَار ، وقد تقدم خِلَاف النساين فيما بعد أُمَارٍ .

وَالْفَرْعُ هذا بفتح الزاي ، وأما الْفَرْعُ بسكونها ، فهو الْفَرْعُ بن عبد الله ابن ربيعة [بن جندل] ، وكذلك الْفَرْعُ في خَزَاعَةَ ، وفي كلب هما ساكنان أيضاً قاله ابن حبيب ، وقال الدَّارِقُطْنِيُّ : الْفَرْعُ بفتح الزاي : رَجُلٌ يَرْوَى عن ابن عمر .

وذكر آخر في الرواة أيضاً بفتح الزاي يَرْوَى حديثاً في الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عُقِدَ لِأَبِي رُوَيْحَةَ الْخَنْعَمِيِّ لَوَاءً عام الفتح ، وأمره أن ينادى : مَنْ دَخَلَ تَحْتَ لَوَاءِ أَبِي رُوَيْحَةَ ، فهو آمن .

مؤاخاة حاطب بن أبي بلتعة

فصل : وذكر مؤاخاة حَاطِبِ بن أبي بِلْتَعَةَ^(٢) وَعُؤَيْمِ بن ساعدة ،

(١) ويروي بالاقاف كما ذكر الحُشْنِيُّ .

(٢) نسب حاطب في الإصابة : حاطب بن أبي بلتعة بن عمر بن عيمر بن سلبة ابن صعب بن سهل اللخمي .

خبر الأذان

قال ابن إسحاق : فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين ، واجتمع أمرُ الأنصار ، استحكم أمرُ الإسلام ، فقامت الصلاة ، وفُرضت الزكاة والصيام ، وقامت الحدود ، وفُرض الحلال والحرام ، وتبوا الإسلام بين أظهرهم ، وكان هذا الحى من الأنصار هم الذين تبوءوا الدار والإيمان . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قَدِمها إنما يجتمع الناسُ إليه للصلاة حين مَوَاقِيتِها ، بغير دَعْوَةٍ فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قَدِمها أن يجعل بُوقاً كبُوق يَهُودَ الذين يدعون به لصلاتهم ، ثم كرهه ، ثم أمر بالناقوس ، فَنُحِتَ ليُضرب به للمسلمين للصلاة .

رؤيا عبد الله بن زيد

فبينما هم على ذلك ، إذ رأى عبدُ الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه ، أخو بَلْحَارِث بن أَخْزَرَج ، النداء ، فأتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يا رسول الله ، إنه طاف بي هذه الليلة طائف : مرتبى رجلٌ عليه ثوبان أخضران ، يحمل ناقوساً في يده ، فقلت له : يا عبد الله ، أتبيع هذا الناقوس ؟ قال :

وقال فى حاطب : حليف بنى أسد ، وقال غيره : كان عَبْدُ الْمُعَيْتِدِ الله بن حميد ابن زُهَيْر بن أسد بن عبد العزى ، وقيل : كان من مَذْحِج ، والأشهر : أنه من اخنم بن عدى ، واسم أبى بَلْتَعَةَ عمرو بن أشد بن معاذ . والبَلْتَعَةُ من قولهم تَبَلَّتْ الرجلُ إذا تَنَزَّرَفَ ، قاله أبو عبيد فى الغريب المصنف .

وما تصنع به؟ قال : قلت : ندعوا به إلى الصلاة ، قال : أفلا أدلك على خيرٍ من ذلك ؟ قل : قلت : وما هو ؟ قال : تقول : الله أكبر الله أكبر ، الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، حتى على الصلاة ، حتى على الصلاة ، حتى على الفلاح ، حتى على الفلاح ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله .

فلما أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : إنها لرؤيا حق ، إن شاء الله ، فقم مع بلال فأتىها عليه ، فليؤذن بها ، فإنه أندى صوتا منك . فلما أذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب ، وهو في بيته ، فخرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يجر رداءه ، وهو يقول : يانبي الله ، والذي بعثك بالحق ، لقد رأيت مثل الذي رأى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فله الحمد على ذلك .

رؤيا عمر في الأذان

قال ابن إسحاق : حدثني بهذا الحديث محمد بن إبراهيم بن الحارث : عن محمد بن عبد الله بن زيد بن عتبة بن عبد ربه ، عن أبيه .

قال ابن هشام : وذكر ابن جريج ، قال : قال لي عطاء : سمعت عبيد بن عمير الليثي يقول : أئتمر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالناقوس للاجتماع للصلاة ، فبينما عمر بن الخطاب يريد أن يشتري خشبتين للناقوس ، إذ رأى عمر بن الخطاب في المنام : لا تجعلوا الناقوس ، بل أذنوا للصلاة . فذهب عمر

إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليُخبره بالذي رأى ، وقد جاء النبي صلى الله عليه وسلم الوحي بذلك ، فما راع عمر إلا بلالاً يؤذن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره بذلك : قد سبقك بذلك الوحي .

ما كان يقوله بلال في الفجر

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن امرأة من بني النجار ، قالت : كان يدي من أطول بيت حول المسجد ، فكان بلال يؤذن عليه للفجر كل غداة ، فيأتني بسجّ ، فيجلس على البيت ينتظر الفجر ، فإذا رآه تمطى ، ثم قال : اللهم إني أحمدك وأستعينك على قریش أن يُقيموا على دينك . قالت : والله ما علمته كان يتركها ليلة واحدة

أبو قيس بن أبي أنس

قال ابن إسحاق : فلما اطعأنت برسول الله صلى الله عليه وسلم داره ، وأظهر الله بها دينه ، وسره بما جمع إليه من المهاجرين والأنصار من أهل ولايته ، قال أبو قيس صرمة بن أبي أنس ، أخو بني عدى بن النجار .

قال ابن هشام : أبو قيس ، صرمة بن أبي أنس بن صرمة بن مالك بن عدى بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار .

قال ابن إسحاق : وكان رجلاً قد ترهب في الجاهلية ، ولبس المسوح ، وفارق الأوثان ، واغتسل من الجنابة وتطهر من الحائض من النساء ، وهم

بالنصرانية ، ثم أمسك عنها ، ودخل بيتا له ، فأتخذه مسجدا لا تدخله عليه فيه طاميتٌ ولا جنب ، وقال : أعبد ربَّ إبراهيم ، حين فارق الأوثانَ وكرهها ، حتى قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأسلم وحسن إسلامه ، وهو شيخ كبير ، وكان قَوَّالا بالحقِّ معظما لله عزَّ وجلَّ في جاهليته ، يقول أشعارا في ذلك حسنا - وهو الذي يقول :

يقولُ أبو قيس وأصبح غاديا : أَلَا مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ وَصَاتِي فافْعَلُوا
فَأَوْصِيَكُمْ بِاللَّهِ وَالْبِرِّ وَالتَّقَى وَأَعْرَاضِكُمُ وَالْبِرِّ بِاللَّهِ أَوَّلُ
وإِنْ قَوْمُكُمْ سَادُوا فَلَا تَحْسُدُ لَهُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ أَهْلُ الرِّيَاسَةِ فَاعْدِلُوا
وإِنْ نَزَلَتْ إِحْدَى الدَّوَامِي بِقَوْمِكُمْ فَأَنْفُسَكُمْ دُونَ الْعَشِيرَةِ فَاجْعَلُوا
وإِنْ نَابَ غُرْمٌ فَادْحَ فَارْفُقُوهُمْ وَمَا تَحْلُوكُمْ فِي الْمُمَامَاتِ فَاحْمِلُوا
وإِنْ أَنْتُمْ أَمَعَرْتُمْ فَتَعَفَّفُوا وَإِنْ كَانَ فَضْلُ الْخَيْرِ فِيكُمْ فَافْضِلُوا

قال ابن هشام : و يروى :

وإِنْ نَابَ أَمْرٌ فَادْحَ فَارْفُدُوهُمْ

قال ابن إسحاق : وقال أبو قيس صرمة أيضا :

سَبَّحُوا اللَّهَ شَرْقَ كُلِّ صَبَاحٍ طَلَعَتْ شَمْسُهُ وَكُلَّ هِلَالٍ
عَالِمِ السَّرِّ وَالْبَيَانِ لَدَيْنَا لَيْسَ مَا قَالَ رَبُّنَا بَضَلَالٍ
وَلَهُ الطَّيْرُ تَسْتَرِيدُ وَتَأْوِي فِي وَكُورٍ مِنْ آمِنَاتِ الْجِبَالِ
وَلَهُ الْوَحْشُ بِالْفَلَاةِ نَرَاهَا فِي حِقَافٍ وَفِي ظُلُلِ الرَّمَالِ

وَلَهُ هَوِّدْتُ يَهُودُ وَدَانَتْ كُلَّ دِينَ إِذَا ذَكَرْتَ عُضَالَ
 وَلَهُ شَمْسَ النَّصَارَى وَقَامُوا كُلَّ عِيدٍ لِرَبِّهِمْ وَاحْتِفَالَ
 وَلَهُ الرَّاهِبُ الْحَبِيسُ تَرَاهُ رَهْنَ بُؤْسٍ وَكَانَ نَاعِمَ بَالِ
 يَا بَنِي الْأَرْحَامِ لَا تَنْقَطِعُوا وَصَلُّوا قَصِيدَةً مِنْ طَوَالِ
 وَاتَّقُوا اللَّهَ فِي ضِعَافِ الْيَتَامَى رُبَّمَا يُسْتَحْلُ غَيْرُ الْحَلَالِ
 وَعَلِّمُوا أَنْفَ الْيَتِيمِ وَلِيًّا عَلِيمًا يَهْتَدِي بِغَيْرِ السُّوَالِ
 ثُمَّ مَالَ الْيَتِيمِ لَا تَأْكُلُوهُ إِنَّ مَالَ الْيَتِيمِ يَرْعَاهُ وَالِي
 يَا بَنِي ، التَّخَوُّمِ لَا تَخْزِلُوهَا إِنَّ خَزَلَ التَّخَوُّمِ ذُو عُقَّالِ
 يَا بَنِي الْأَيَّامِ لَا تَأْمَنُوهَا وَاحْذَرُوا مَكْرَهَا وَمَرَّ الْأَيَّامِ
 وَعَلِّمُوا أَنْفَ مَرَّهَا لِنَفَادِ الْخَلْقِ مَا كَانَ مِنْ جَدِيدِ وَبَالِي
 وَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَتَرَكْنَا وَأَخَذَ الْحَلَالِ

وقال أبو قيس صِرْمَةٌ أَيْضًا ، يَذْكُرُ مَا أَكْرَمَهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ
 مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَمَا خَصَّهُمُ اللَّهُ بِهِ مِنْ نُزُولِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ :

ثَوَى فِي قُرَيْشٍ بَضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقَى صَدِيقًا مُوَاتِيَا
 وَيَعْرِضُ فِي أَهْلِ الْعَوَاسِمِ نَفْسَهُ فَلَمْ يَرَّ مِنْ يَوْوَى وَلَمْ يَرَّ دَاعِيَا
 فَلَمَّا أَنَا أَظْهَرَ اللَّهُ دِينَهُ فَأَصْبَحَ مَسْرُورًا بِطَبِيعَةٍ رَاضِيَا
 وَأَلْفَى صَدِيقًا وَاطْمَأَنَّتْ بِهِ النَّوَى وَكَانَ لَهُ عَوْنًا مِنَ اللَّهِ بَادِيَا
 يَقْصُ لَنَا مَا قَالَ نُوْحَ اقْوَمِهِ وَمَا قَالَ مُوسَى إِذْ أَجَابَ الْمُنَادِيَا

فأصبح لا يخشى من الناس واحداً قريباً ولا يخشى من الناس نائياً
 بذلنا له الأموال من حلّ مالنا وأنفسنا عند الوغى والتآسيا
 ونعلم أنّ الله لأشياء غيره ونعلم أنّ الله أفضل هاديا
 نعاذى الذى عادى من الناس كلهم جميعاً وإن كان الحبيب المصافيا
 أقول إذا أدعوك فى كلّ بيعة : تباركت قدأ كثرت لاسمك داعيا
 أقول إذا جاوزت أرضاً مخوفةً حنانيك لا تظهر على الأعاديا
 فطأ مُعرِضاً إن الخُتوف كثيرةٌ وإناك لا تُبقي لنفسك باقيا
 فوالله ما يدري الفتى كيف يتقى إذا هو لم يجعل له الله واقيا
 ولا تحفلُ النّخلُ المِعمِمة ربّها إذا أصبحت رياءً وأصبح ثاويا
 قال ابن هشام : البيت الذى أوله :

فطأ مُعرِضاً إنّ الخُتوف كثيرةٌ

والبيت الذى يليه :

فوالله ما يدري الفتى كيف يتقى

لأفنون التّغلبى ، وهو صرّيم بن مَعشَر ، فى أبيات له .

الاعداء من يهود

قال ابن إسحاق : وَنَصَبَتْ عِنْدَ ذَلِكَ أَهْبَارُ يَهُودَ - لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الْعِدَاوَةَ ، بَغِيًّا وَحَسَدًا وَضِيغًا ، لِمَا خَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ الْعَرَبَ مِنْ أَخْذِهِ رَسُولَهُ مِنْهُمْ ، وَإِنِضَافِ إِلَيْهِمْ رِجَالًا مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ ، مَنْ كَانَ عَلَى عَلَى جَاهِلِيَّتِهِ فَكَانُوا أَهْلَ نِفَاقٍ عَلَى دِينِ آبَائِهِمْ مِنَ الشَّرْكِ وَالتَّكْذِيبِ بِالْبَيْعِ ، إِلَّا أَنَّ الْإِسْلَامَ قَهَرَهُمْ بِظُهُورِهِ وَاجْتِمَاعِ قَوْمِهِمْ عَلَيْهِ ، فَظَهَرُوا بِالْإِسْلَامِ ، وَاتَّخَذُوهُ جَنَّةً مِنَ الْقَتْلِ وَنَافَقُوا فِي التَّسَرُّ ، وَكَانَ هَوَامٌّ مَعَ يَهُودَ ، لَتَكْذِيبِهِمُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَجُحُودِهِمُ الْإِسْلَامَ . وَكَانَتْ أَهْبَارُ يَهُودَ هُمُ الَّذِينَ يَسْأَلُونَ - رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَيَتَعَمَّنُونَهُ ، وَيَأْتُونَهُ بِاللَّبْسِ ، لِيَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ، فَكَانَ الْقُرْآنُ يُنْزَلُ فِيهِمْ فِيمَا يَسْأَلُونَ عَنْهُ ، إِلَّا قَلِيلًا مِنَ الْمَسَائِلِ فِي الْخِلَالِ وَالْحَرَامِ كَانَ الْمُسْلِمُونَ يَسْأَلُونَ عَنْهَا .

من يهود بني النضير

منهم : حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ ، وَأَخْوَاهُ أَبُو يَاسِرٍ بْنُ أَخْطَبَ ، وَجُدَيْي بْنُ أَخْطَبَ ، وَسَلَّامُ بْنُ مِشْكَمَ ، وَكِنَانَةُ بْنُ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ ، وَسَلَّامُ بْنُ أَبِي الْحَقِيقِ ، أَبُو رَافِعِ الْأَعُورِ ، وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَيْبَرَ - وَالرَّبِيعُ بْنُ الرَّبِيعِ بْنِ أَبِي الْحَقِيقِ ، وَعَمْرُو بْنُ جَعْلَاشَ ، وَكُمبُ بْنُ الْأَشْرَفِ ، وَهُوَ مِنْ طَيْءٍ ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي نَهْجَانَ ، وَأُمُّهُ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ ، وَالْحَجَّاجُ بْنُ عَمْرٍو ، حَلِيفُ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ ، وَكَرْدَمُ بْنُ قَيْسٍ ، حَلِيفُ

كعب بن الأشرف ، فهؤلاء من بني النضير .

من يهود بني ثعلبة

ومن بني ثعلبة ابن الفطيمون : عبد الله بن صوريا الأعور ، ولم يكن بالحجاز في زمانه أحد أعلم بالتوراة منه ؛ وابن صكوبا ، ومُخَيْرِيق ، وكان حَبَرَم ، أسلم .

من يهود بني قينقاع

ومن بني قينقاع : زيد بن اللصيت - ويقال : ابن اللصيت - فيما قال ابن هشام - وسعد بن حنيفة ، ومحمود بن سيجان ، وعُزَيْر بن أبي عُزَيْر ، وعبد الله ابن صيف . قال ابن هشام : ويقال . ابن صيف .

قال ابن إسحاق : وسويد بن الحارث ، ورفاعة بن قيس ، وفنحاص ، وأشيع ، ونُعْمان بن أضا ، وبُحْرَى بن عمرو ، وشأس بن عدى ، وشأس ابن قيس ، وزيد بن الحارث ، ونُعْمان بن عمرو ، وسُكَيْن بن أبي سُكَيْن ، وعدى بن زيد ، ونُعْمان بن أبي أوفى ، أبو أنس ، ومحمود بن دحية . ومالك ابن صيف . قال ابن هشام : ويقال : ابن صيف .

قال ابن إسحاق : وكعب بن راشد ، وعازر ، ورافع بن أبي رافع ، وخالد وأزار بن أبي أزار . قال ابن هشام : ويقال : أزر بن أزر .

قال ابن إسحاق : ورافع بن حارثة ، ورافع بن حُرَيْمِلَة ، ورافع بن خارجة ،

ومالك بن عوف، ورفاعة بن زيد بن الثابت ، وعبدالله بن سلام بن الحارث ،
وكان حَبْرَمَ وأَعْلَمَهُم ، وكان اسمه الْحَصَيْن ، فلما أسلم سَمَّاهُ رسولُ الله صلى الله
عليه وسلم - عبدَ الله . فهؤلاء من بنى قَيْنُقَاع .

من يهود بنى قريظة

ومن بنى قُرَيْظَةَ : الزُّبَيْرُ بن بَاطِن بن وَهَب ، وَعَزَّال بن شَمُوِيل ،
وكعب بن أسد ، وهو صاحب عَقْدِ بنى قُرَيْظَةَ الذى يُقْبَضُ عام الأحزاب ،
وشَمُوِيل بن زيد ، وَجَبَلُ بن عمرو بن سُكَيْمَةَ ، وَالنَّجَّامُ بن زيد ، وَقَرْدَمُ
ابن كعب ، وَوَهَبُ بن زيد ، وَنَافِعُ بن أبى نافع ، وَأَبُو نَافِعٍ ، وَعَدَى
ابن زَيْد ، وَالْحَارِثُ بن عَوْف ، وَكَرْدَمُ بن زيد ، وَأَسَامَةُ بن حَبِيبٍ ، وَرَافِعُ
ابن رُمَيْلَةَ ، وَجَبَلُ بن أبى قُسَيْرٍ ، وَوَهَبُ بن يَهُوذَا ، فهؤلاء من بنى قُرَيْظَةَ .

من يهود بنى زريق

ومن يهود بنى زُرَيْقٍ : كَيْبِدُ بن أَغْصَم ، وهو الذى أَخَذَ رسولَ الله
صلى الله عليه وسلم عن نسائه .

من يهود بنى حارثة

ومن يهود بنى حارثة : كَنَانَةُ بن صُورِيَا .

من يهود بنى عمرو

ومن يهود بنى عمرو بن عوف : قَرْدَم بن عمرو .

من يهود بنى النجار

ومن يهود بنى النجار : سَلْسِلَة بن بَرْهَام .

فهؤلاء أحياء اليهود ، أهل الشرور والعداوة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه ، وأصعاب المسألة ، والنصب لأمر الإسلام الشرور يطفئونه ، إلا ما كان من عبد الله بن سلام ومُحَيَّرِيق .

إسلام عبد الله بن سلام

قال ابن إسحاق : وكان من حديث عبد الله بن سلام ، كما حدثني بعض أهله عنه . وعن إسلامه حين أسلم ، وكان حبراً علماً ، قال : لما سمعتُ برسول الله صلى الله عليه وسلم عَرَفْتُ صفته واسمه وزمانه الذي كُنَّا نَتَوَكَّفُ له ، فكُنْتُ مُسِرّاً لذلك ، صامتا عليه ، حتى قَدِمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلما نَزَلَ بِقُبَاءَ ، في بنى عمرو بن عوف ، أَقْبَلَ رجلٌ حتى أَخْبَرَ بِقُدُومِهِ ، وأنا في رأسِ نَحْلَةٍ لِي أَعْمَلُ فيها ، وعمتي خالدةُ ابنة الحارثِ تَحْتِي جالسةً ، فلما سمعتُ الْخَبَرَ بِقُدُومِ رسول الله صلى الله عليه وسلم كَبُرْتُ ، فقالت لي عَمَّتِي ، حين سمعتُ تَكْبِيرِي : خَيْبَكَ اللهُ ، والله لو كُنْتُ سمعتُ بِمُوسَى ابنِ عمرانَ قَادِمًا مَارِدْتُ ، قال : فقلتُ لها : أَيُّ عَمَّةٍ ، هو والله أَخُو مُوسَى

ابن عِمران ، وعلى دينه ، بُعِثَ بما بُعِثَ به . قال : فقالت : أي ابن أخى ،
أهو النبي الذي كُنَّا نخبِرُ أنه يبعث مع نَفْسِ الساعة ؟ قال : فقلت لها : نعم .
قال : فقالت : فذاك إذا . قال : ثم خرجتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
فأسلمتُ ، ثم رجعتُ إلى أهل بيتي ، فأمرتهم فأسلموا .

قال : وكنمتُ إسلامي من يهود ، ثم جئتُ رسولَ الله صلى الله عليه
وسلم ، فقلتُ له : يا رسول الله ، إن يهودَ قومٌ بُهتَ وإني أحبُّ أنْ تدخلني
في بعضُ بيوتك ، وتغيَّبني عنهم ، ثم تسألهم عني ، حتى يُخبروك كيف أنا فيهم ،
قبل أن يعلموا بإسلامي ، فلوهم إن علموا به بهتوني وعابوني . قال : فأدخلني
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعضُ بيوته ، ودخلوا عليه ، فكلموه
وسألوه ، ثم قال لهم : أي رجلٍ الحصين بن سلام فيكم؟ قالوا : سيِّدنا وابن
سيِّدنا ، وحَبْرنا وعالمنا . قال : فلما فرغوا من قولهم ، خرجتُ عليهم ، فقلت
لهم : يا معشر يهود ، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به ، فوالله إنكم لتعلمون إنه
لرسول الله ، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصِفته ، فإني أشهدُ
أنه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، رأوا من به وأصدقاه وأعرفه ، فقالوا :
كذبتَ ثم وقعوا بي ، قال : فقلتُ لرسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أخبرك
يا رسول الله أنهم قومٌ بُهتَ ، أهلُ غدرٍ وكذبٍ وفجورٍ ! قال : فأظهرت
إسلامي وإسلام أهل بيتي ، وأسلمت عمتي خالدة بنت الحارث ، فحسن
إسلامها .

حديث مخيريق

قال ابن إسحاق : وكان من حديث مُخَيَّرِيق ، وكان جبراً عالماً ، وكان رجلاً غنياً كثير الأموال من النخل ، وكان يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بصِفَتِهِ ، وما يجد في علمه ، وغلب عليه إلفُ دينه ، فلم يزل على ذلك ، حتى إذا كان يوم أحد ، وكان يوم أحد يوم السبت ، قال : يامعشر يهود ، والله إنكم لتعملون أن نصر محمد عليكم لحق . قالوا : إن اليوم يوم السبت ؛ قال : لاسبت لكم . ثم أخذ سلاحه ، فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، وعهد إلى من وراءه من قومه : إن قُتِلْتُ هذا اليوم ، فأموالي لحمد - صلى الله عليه وسلم - يصنع فيها ما أراه الله . فلما اقتتل الناس قاتل حتى قُتِل . فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني - يقول : مخيريق خير يهود . وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم أمواله ، فعمامة صدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة منها .

شهادة عن صفية

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال : حدثت عن صفية بنت حيي بن أخطب أنها قالت : كنت أحب ولد أبي إليه ، وإلى عمتي أبي ياسر ، لم ألقهما قط مع ولد لهما إلا أخذاني دونه . قالت : فلما قديم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، ونزل قباء ، في بني عمرو بن عوف ، غداً عليه أبي ، حيي بن أخطب ، وعتي : أبو ياسر بن

أخطب ، مُغَلِّسِينَ . قالت : فلم يَرُجِعَا حَتَّى كَانَا مَعَ غُرُوبِ الشَّمْسِ . قالت :
فَأَتَيَا كَالَّذِينَ كَسَلَانَيْنِ سَاقِطَيْنِ يَمْشِيَانِ الْهُوَْبَى . قالت : فَمَشِيتُ إِلَيْهِمَا
كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ ، فَوَاللَّهِ مَا التَفْتُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمَا ، مَعَ مَا بِهِمَا مِنَ الْغَمِّ .
قالت : وَسَمِعْتُ عَمِّي أَبَا يَاسِرٍ ، وَهُوَ يَقُولُ لِأَبِي : حَيْثُ بَنِي أَخْطَبُ : أَهْوَاهُ ؟
قال : نَعَمْ وَاللَّهِ ؛ قال : أَتَدْرِيهِ ؟ وَتُنَبِّئُهُ ؟ قال : نَعَمْ ، قال : فَمَا فِي نَفْسِكَ مِنْهُ ؟
قال : عِدَاوَتُهُ وَاللَّهِ مَا بَقِيَتْ .

من اجتمع إلى يهود من منافقي الأنصار منافقو بني عمرو

قال ابن إسحاق : وَكَانَ مِمَّنْ انْضَافَ إِلَى يَهُودَ ، مِمَّنْ سَمِيَ لَنَا مِنَ الْمُنَافِقِينَ
مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ . مِنَ الْأَوْسِ ، ثُمَّ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفِ بْنِ
مَالِكِ بْنِ الْأَوْسِ ؛ ثُمَّ مِنْ بَنِي لَوْذَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ : زُوَيْ بْنُ الْحَارِثِ .

منافقو حبيب

وَمِنْ بَنِي حُبَيْبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ : جُلَاسُ بْنُ سُوَيْدِ بْنِ الصَّامِتِ ،
وَأَخُوهُ الْحَارِثُ بْنُ سُوَيْدٍ .

من نفاق جلاس

وَجُلَاسُ الَّذِي قَالَ - وَكَانَ مِمَّنْ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ - إِنَّكَ كَانَ هَذَا الرَّجُلُ صَادِقًا لِنَجْنٍ شَرٍّ مِنَ الْحُمْرِ . فَرَفَعَ ذَلِكَ

من قوله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - عُمير بن سعد ، أحدهم ، وكان في حِجْر جُلّاس ، خَلَفَ جُلّاسٌ عَلَى أُمِّهِ بَعْدَ أَبِيهِ ، فَقَالَ لَهُ عُمِيرُ بْنُ سَعْدٍ : وَاللَّهِ يَا جُلّاسُ ، إِنَّكَ لِأَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ ، وَأَحْسَنَهُمْ عِنْدِي يَدًا ، وَأَعَزَّهُمْ عَلَى أَنْ يَصِيبَهُ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ ، وَلَقَدْ قُلْتَ مَقَالََةً لَنْ رَفَعْتُهَا عَلَيْكَ لِأَفْضَحْتَنِكَ ، وَلَنْ صَمِتْتُ عَلَيْهَا لِيَهْلِكَ نَدْبِي ، وَلِأَحْدَاهُمَا أَيْسَرُ عَلَى مِنَ الْآخَرَى . ثُمَّ مَشَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَذَكَرَ لَهُ مَا قَالَ جُلّاسُ ، فَخَافَ جُلّاسُ بِاللَّهِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَقَدْ كَذَبَ عَلَى عُمِيرٍ ، وَمَا قُلْتُ مَا قَالَ عُمِيرُ ابْنُ سَعْدٍ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ : ﴿ يَخْلُقُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا ، وَاقْعَدُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ، وَهُمْ عَوَّاهٌ مِمَّا كَلَمُوا ، وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ، فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ ، وَإِنْ يَتَمَدَّبُوا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ التوبة : ٧٤ .

قال ابن هشام : الأليم : الموجع . قال ذو الرمة يصف إبلا :

وَتَرَفَعَ مِنْ صَدُورِ شَمَرِ ذَلَالٍ يَصُكُّ وَجُوهَهَا وَهَيْجُ أَلِيمٍ

وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : فزعوا أنه تاب فحسنت توبته ، حتى عُرف منه الخير

والإسلام .

ارتداد الحارث بن سويد وغدره

وأخوه الحارث بن سويد ، الذى قتل المجذّر بن زياد البلوى ، وقيس ابن زيد ، أحد بنى ضبيعة ، يوم أحد . خرج مع المسلمين ، وكان منافقا ، فلما التقى الناس عدّا عليهما ، فقتلتهما ثم لحق بقريش .

قال ابن هشام : وكان المجذّر بن زياد قتل سويد بن صامت فى بعض الحروب التى كانت بين الأوس والخزرج فلما كان يوم أحد طلب الحارث ابن سويد غرة المجذّر بن زياد ، ليقتله بأبيه ، فقتله وحده ، وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول : والدليل على أنه لم يقتل قيس بن زيد ، أن ابن إسحاق لم يذكره فى قتل أحد .

قال ابن إسحاق : قتل سويد بن صامت معاذ بن عفراء غيلةً ، فى غير حرب ، رماه بسهم فقتله قبل يوم بُعث .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما يذكره - قد أمر عمر بن الخطاب بقتله إن هو ظفر به ، فقاته ، فكان بمكة ، ثم بعث إلى أخيه جلاس بطالب التوبة ، ليرجع إلى قومه . فأنزل الله تبارك وتعالى فيه - فيما بلغنى عن ابن عباس - : ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ ، وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ آل عمران : ٨٦ إلى آخر القصة .

منافقو بنى ضبيعة

ومن بنى ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف : بجاد
ابن عثمان بن عامر .

منافقو بنى لوزان

ومن بنى لوزان بن عمرو بن عوف : نَبْتَل بن الحارث ، وهو الذى قال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنى : من أحب أن ينظر إلى الشيطان ،
فليَنظر إلى نَبْتَل بن الحارث ، وكان رجلاً جَسِيماً أَدْلَم ، نَأَثَرَ شعرِ الرأسِ
أَحْمَرَ العَيْنَيْنِ ، أَسْفَعَ الخَدَّيْنِ ، وكان يَأْتِي رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم
بِتَحَدُّثٍ إِلَيْهِ فَيَسْمَعُ مِنْهُ ، ثُمَّ يَنْقُلُ حَدِيثَهُ إِلَى الْمُنَافِقِينَ ، وهو الذى قال :
إِنَّمَا مُحَمَّدٌ أُذُنٌ ، مَنْ حَدَّثَهُ شَيْئاً صَدَقَهُ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ : ﴿ وَمِنْهُمْ
الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ : هُوَ أُذُنٌ ، قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ ،
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ، وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ
رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْسَ عَذَابُ آلِيمٍ ۝ ﴾ .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض رجال بَلَمَجَلَانِ أَنَّهُ حَدَّثَ : أَنَّ جَبْرِيلَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ لَهُ إِنَّهُ يَجْلِسُ إِلَيْكَ رَجُلٌ أَدْلَم ،
نَأَثَرَ شعرِ الرأسِ ، أَسْفَعَ الخَدَّيْنِ أَحْمَرَ العَيْنَيْنِ ، كَأَنَّهُمَا قِدْرَانِ مِنْ صُفْرِ ،
كَبِدُهُ أَغْلَظُ مِنْ كَبِدِ الْحِمَارِ ، يَنْقُلُ حَدِيثَكَ إِلَى الْمُنَافِقِينَ ، فَاحْذَرُوهُ . وَكَانَتْ
تِلْكَ صِفَةُ نَبْتَلِ بْنِ الْحَارِثِ ، فِيمَا يَذْكُرُونَ .

منافقو بنى ضبيعة

ومن بنى ضبيعة : أبو حَبِيبَةَ بن الأزعر ، وكان ممن بنى مسجد الضرار ،
وثعلبة بن حاطب ، ومُعْتَب بن قُشَيْر ، وهما اللذان عاهدا الله لئن آتانا من
فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ، الخ القصة . ومعتب الذى قال يوم
أحد : لو كان لنا من الأمر شئ ما قُتِلنا هاهنا . فأنزل الله تعالى فى ذلك من
قوله ﴿ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ
الْجَاهِلِيَّةِ ، يَقُولُونَ لَا كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ﴾ إلى آخر
القصة . وهو الذى قال يوم الأحزاب : كان محمد يبعدنا أن نأكل كُنُوز
كسرى وقيصَرَ ، وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الغائط . فأنزل الله عز وجل
فيه : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا
اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ والحارث بن حاطب .

معتب وابنا حاطب بدريون وليسوا منافقين

قال ابن هشام : مُعْتَب بن قُشَيْر ، وثعلبة والحارث ابنا حاطب ، وهم
من بنى أمية بن زيد من أهل بدر وليسوا من المنافقين فيما ذكر لى من أتق به
من أهل العلم ، وقد نسب ابنُ إسحاق ثعلبة والحارث فى بنى أمية بن زيد
فى أسماء أهل بدر .

قال ابن إسحاق : وعَبَّاد بن حُنَيْف ، أخو سهل بن حُنَيْف ؛ وبَحْزَج ،

وهم ممن كان بنى مسجد الضرار ، وعمرو بن خِذام ، وعبد الله بن نُبَيْل .

من بنى ثعلبة

ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عَوْف : جارية بن عامر بن العَطَّاف ، وابناه : زيد ومُجَمِّع ، ابنا جارية ، وهم ممن اتخذ مسجد الضرار . وكان مجَمِّع غلاماً حدثاً قد جمع من القرآن أكثره ، وكان يصلى بهم فيه ، ثم إنه لما أُخرب المسجد ، وذهب رجال من بنى عمرو بن عوف ، كانوا يصلون ببنى عمرو ابن عوف في مسجدهم ، وكان زمانُ عمر بن الخطاب ، كُذِّمَ في مجَمِّع ليصلى بهم ؛ فقال : لا ، أو ليس بإمام المفاقيين في مسجد الضرار ؟ فقال لعمر : يا أمير المؤمنين ، والله الذى لا إله إلا هو ، ما علمت بشيء من أمرهم ، ولست أرى كُنت غلاماً قارئاً للقرآن . وكانوا لا قرآن معهم ، فقدّمونى أصلى بهم ، وما أرى أمرهم ، إلا على أحسن ماذكروا . فزعموا أن عمر تركه فصلى بقومه .

من بنى أمية

ومن بنى أمية بن زيد بن مالك : ودِيعَة بن ثابت ، وهو ممن بنى مسجد الضرار ، وهو الذى قال : إنما كنّا نخوض ونعب . فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِنَّ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ . . . إلى آخر القصة .

من بنى عبيد

ومن بنى عبيد بن زيد بن مالك : خِذام بن خالد ، وهو الذى أُخْرِجَ

مسجد الضرار من داره ؛ وبشر ورافع ، ابنا زيد .

من بنى النبيت

ومن بنى النبيت - قال ابن هشام : النبيت : عمرو بن مالك بن الأوس - قال ابن إسحاق : ثم من بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس : مربع بن قَيْظَى ، وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أجاز فى حائطه ورسول الله صلى الله عليه وسلم عامدٌ إلى أحد : لا أُحِلُّ لك يا محمد ، إن كنت نبيا ، أن تمرّ فى حائِطى ، وأخذ فى يده حفنة من تراب ، ثم قال : والله لو أعلم أنى لا أصيب بهذا التراب غيرك لرميتك به ، فابتدره القومُ ليقْتُلوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوه ، فهذا الأعمى ، أعمى القلب ، أعمى البصيرة . فضربه سعد بن زيد ، أخو بنى عبد الأشهل بالقوس فشجّه ؛ وأخوه أوس بن قَيْظَى ، وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق : يا رسول الله ، إن بيوتنا عورة ، فأذن لنا فلنرجع إليها . فأنزل الله تعالى فيه ﴿ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ .

قال ابن هشام : عورة ، أى مُعَوْرَةٌ للعدوّ وضائفة ؛ وجمعها : عورات قال النابغة الذبياني :

مَتَى تَلْقَهُمْ لَا تَلْقَ لِلْبَيْتِ عَوْرَةً وَلَا الْجَارِ تَحْرُومًا وَلَا الْأَمْرِ ضَائِعًا

وهذا البيت في أبيات له . والمورة (أيضا) : عورة الرجل ، وهي حرمة .
والمورة (أيضا) السوءة .

من بنى ظفر

قال ابن إسحاق : ومن بنى ظفر ، واسم ظفر : كعب بن الحارث بن
الخرزج حاطبُ بن أمية بن رافع ، وكان شيخا جسيما قد عسا في جاهليته وكان
له ابنٌ من خيار المسلمين يقال له يزيد بن حاطب أصيب يوم أحد حتى أثبتته
الجراحات ، فحمل إلى دار بنى ظفر .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بنُ عمر بن قتادة أنه اجتمع إليه مَنْ بها
من رجال المسلمين ونسائهم وهو بالموت فجعلوا يقولون أبشر يا بن حاطب
بالجنة . قال فتعجبَ نفاقه حينئذ ، فجعل يقول أبوه أجل جنة والله من حرمل ،
غررتم والله هذا المسكين من نفسه .

قال ابن إسحاق : وبشير بن أبيرق ، وهو أبو طعمة ، سارق الدرعين ،
الذي أنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَلَا تَجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ ، إِنَّ
اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِمًا ﴾ وقُرْمان : حليف لهم .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يقول : إنه لمن أهل النار . فلما كان يوم أحد قاتل قتالا
شديدا حتى قتل بضعة نفر من المشركين ، فأثبتته الجراحات ، فحمل إلى دار
بنى ظفر ، فقال له رجال من المسلمين : أبشر يا قُرْمان ، فقد أبلت اليوم ،

وقد أصابك ما ترى في الله : قال : بماذا أبشر ، فوالله ما قانت إلا حمية عن قومي ؛ فلما اشتدت به جراحاته وآذته أخذ سهما من كِفائته ، فقطع به رواهش يده ، فقتل نفسه .

من بنى عبد الأشهل

قال ابن إسحاق : ولم يكن في بنى عبد الأشهل منافق ولا منافقة يعلم ، إلا أن الضحّاك بن ثابت ، أحد بني كعب ، رهط سعد بن زيد ، قد كان يُتهم بالنفاق وحُبّ يهود .

قال حسان بن ثابت :

من مُلَبِّغُ الضحّاك أنَّ عُرُوقَهُ أَعْيَتْ عَلَى الْإِسْلَامِ أَنْ تَتَجَدَّأَ
أَتَحَبُّ يَهْدِئُ الْحِجَازَ وَدِيَنَهُمْ كَبِدَ الْحِمَارِ ، وَلَا تَحَبُّ مُحَمَّدًا
دِينًا لَعَمْرِي لَا يُوَافِقُ دِينَنَا مَا اسْتَنَّ آلٌ فِي الْقَضَاءِ وَخَوْدَا

وكان جلاس بن سويد بن صامت قبل توبته - فيما بلغني - ومعقب ابن قشير ، ورافع بن زيد ، وبشر ، وكانوا يُدْعَوْنَ بالإسلام ، فدعاهم رجال من المسلمين في خصومة كانت بينهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاهم إلى الكُفَّان ، حكّام أهل الجاهلية ، فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم : « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنزَلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا » . . . إلى آخر القصة .

من الخزرج

ومن الخزرج ، ثم من بنى النجَّار : رافعُ بن ودِيعَة ، وزيد بن عمرو ، وعمرو بن قيس ، وقيس بن عمرو بن سَهْل .

من بنى جشم

ومن بنى جُشم بن الخزرج ، ثم من بنى سَلَمَة : الجدّ بن قَيْس ، وهو الذى يقول : يا محمد ، ائذن لى ، ولا تفتنى . فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لى ، وَلَا تَفْتِنى أَلَا فى الفِتْنَةِ سَقَطُوا ، وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ . . . إلى آخر القصة .

من بنى عوف

ومن بنى عوف بن الخزرج : عبدُ الله بن أبى بن سلُول ، وكان رأسَ المنافقين وإليه يجمعون ، وهو الذى قال : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنّ الأعزّ منها الأذلّ فى غزوة بنى المصطلق . وفى قوله ذلك ، نزلت سورة المنافقين بأسرها . وفيه وفى ودِيعَة - رجل من بنى عوف - ومالك بن أبى قوفل ، وسويد ، وداعس ، وهم من رهط عبد الله بن أبى بن سلُول ؛ وعبد الله بن أبى بن سلُول . فهؤلاء نفر من قومه الذين كانوا يدسّون إلى بنى النضير حين حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن اثبتوا ، فوالله لئن أخرجتم لتخرجنّ معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبداً ، وإن قوتلتم لننصرنكم . فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ

كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَنْ أَخْرِجَكُمْ لَتَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا ، وَإِنْ قُوْنَلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠﴾ ، ثم القصة من السورة حتى انتهى إلى قوله : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

من أسلم من أحبار يهود نفاقا

قال ابن إسحاق : وكان ممن تعوذ بالإسلام ، ودخل فيه مع المسلمين وأظهره وهو مُنَافِق ، من أحبار يهود :

من بنى قَيْنَقَاعَ

من بنى قَيْنَقَاعَ : سعدُ بْنُ حُنَيْفٍ ، وَزَيْدُ بْنُ اللَّصِيَّتِ ، وَنُعْمَانُ بْنُ أَوْفَى ابن عمرو ، وعثمان بن أوفى . وزيد بن اللصيت ، الذي قاتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسوق بنى قَيْنَقَاعَ ، وهو الذي قال ، حين ضَلَّتْ ناقةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم : يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدرى أين ناقةُ الله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجاءه الخبر بما قال عدو الله في رَحْله ، ودلَّ الله تبارك وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على ناقة الله : « إن قائلًا قال : يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء ، ولا يدرى أين ناقة الله ؟ وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله ، وقد دلاني الله عليها ، فهي في هذا الشَّعْبِ ، قد حبستها شجرة بزمائها ، فذهب رجال من المسلمين ، فوجدوها حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

عليه وسلم ، وكما وصف « ورافعُ بنُ حُرَيْمَةَ ، وهو الذى قال له الرسول صلى الله عليه وسلم - فيما بلغنا - حين مات : قد مات اليوم عظيمٌ من عطاء المنافقين ؛ ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هبَّت عليه الرياح ، وهو قافلٌ من غزوة بنى المُصْطَلِق ، فاشتدت عليه حتى أشفق المسلمون منها ؛ فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لا تخافوا ، فإنما هبَّت لموتِ عَظِيمٍ من عُطاء الكفار . فلما قَدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة وجد رفاعة بن زيد بن التابوت مات ذلك اليوم الذى هبَّت فيه الرياحُ وسلسلة بن يرها . وكنانة بن صُورِيا .

طرد المنافقين من مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم

وكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيستمعون أحاديثَ المُسلمين ، وَيَسْخَرُونَ وَيَسْتَهْزِئُونَ بدينهم ، فاجتمع يوما فى المسجد منهم ناسٌ فرآهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يتحدثون بينهم ، خافضى أصواتهم ، قد لَصِق بعضهم ببعض ، فأمر بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فأخرجوا من المسجد إخراجا عَنيفاً ، فقام أبو أيُّوب ، خالد بن زيد بن كُليب ، إلى عمرو بن قَيْس ، أحدِ بنى غَلم بن مالك بن النجار - كان صاحبَ آلهتهم فى الجاهلية فأخذ برجله فسحبهُ ، حتى أخرجهُ من المسجد ، وهو يقول : أُنْخِرْ جَنِي يا أبا أيوب من مرَبْدِ بنى ثعلبة ، ثم أقبل أبو أيوب أيضا إلى رافع بن ودِيعَة ، أحدِ بنى النجار فلبَّيْهُ بِرِداءٍ ، ثم نَتَرَهُ نَتْرًا شَدِيدًا ، ولطم وجهه ، ثم أخرجهُ من المسجد .

وأبو أيوب - يقول له : أفَ نك مناهنا خبيثنا : أدراجك يا منافق . من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن هشام : أي ارجع من الصرى التي جنت منها . قال الشاعر :
فولى وأذبر أدراجَه وقد ماء بالظلم من كان ثم

وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمرو ، وكان رجلا طويل الأخمية . فأخذ بِلَحْيَتِهِ فقاد به قوداً عتيقا حتى أخرجه من المسجد ، ثم جمع عمارة يديه قلده بهما في صدره لدمه خرب منها . قال : يقول : خدشتني يا عمارة ؛ قال : أبعدك الله يا منافق ، فما أعد الله لك من العذاب أشد من ذلك ، فلا تقرن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : اللدم : للضرب ببطن الكف . قال تميم بن أي بن مقبل :

وللفؤاد وجيبٌ تحت أبهره لدم الوليد وراء الغيب بالحجر

قال ابن هشام : الغيب : ما انخفض من الأرض . والأبهر : عرق القلب .

قال ابن إسحاق : وقام أبو محمد ، رجل من بني النجّار ، كان بدريا ، وأبو محمد مسمود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن تغلبه بن غنم ابن مالك بن النجّار إلى قيس بن عمرو بن سهل ، وكان قيس غلاما شاما ، وكان لا يعلم في المنافقين شاب غيره ، فجعل يدافع في قفاه حتى أخرجه من المسجد .

وقام رجل من بَلْخَدْرَةَ بنِ الْخَزْرَجِ ، رهط أبي سعيد الْخُدْرِي ، يقال له :
عبد الله بن الحارث ، حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخراج المنافقين
من المسجد إلى رجل يُقال له : الحارث بن عمرو ، وكان ذا بُجْمَةٍ ، فأخذ
بُجْمَتَهُ فَسَجَّهَ بِهَا سَجْبًا عَنيفًا ، على مامرته به من الأرض ، حتى أخرجه من
المسجد . قال : يقول المنافق : لقد أغلظت يا بن الحارث ؛ فقال له ؛ إناك أهلٌ
لذلك ، أى عدوّ الله لما أنزل الله فيك ، فلا تقر بن مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فإنك نجس .

وقام رجل من بنى عمرو بن عوف إلى أخيه زُوَيْبِ بن الحارث ، فأخرجه
من المسجد إخراجاً عَنيفًا ، وأُفِّفَ منه ، وقال : غلب عليك الشيطانُ وأمره .
فهؤلاء من حضر المسجد يومئذٍ من المنافقين ، وأمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بإخراجهم .

مازل من البقرة فى المنافقين ويهود

مازل فى الأحبار

ففى هؤلاء من أحبار يهود ، والمنافقين من الأوس والخزرج ، نزل
صدرُ سورة البقرة إلى المائة منها - فيما بلغنى - والله أعلم .

يقول الله سبحانه وبمحمده : ﴿ أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ، أى
لا شك فيه .

قال ابن هشام : قال ساعدة بن جُوَيْة الهذلي :

فقالوا عَهْدنا القَوْمَ قد حَصَرُوا به فلا رَيْبَ أنْ قد كانَ ثمَّ حَلِيمٌ

وهذا البيت في قصيدة له ، وارتب (أيضا) : الريبة . قال خالد بن
زُهَيْر الهذلي :

كَأَنِّي أُرِيْبُهُ بِرَيْبِ

قال ابن هشام : ومنهم من يرويه :

كَأَنِّي أُرْبِتُهُ بِرَيْبِ

وهذا البيت في أبيات له . وهو ابن أخي أَبِي ذُوَيْب الهذلي .

﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ، أى الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون
من الهدى ، ويرجون رحمته بالتصدق بما جاءهم منه : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ أى يقيمون الصلاة بفرضها ،
ويؤفون الزكاة احتسابا لها : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ
مِنْ قَبْلِكَ﴾ ، أى يصدقونك بما جئت به من الله عز وجل ، وما جاء به
مَنْ قَبْلَكَ من الرسلين ، لا يفرقون بينهم ، ولا يحدون ما جاءهم به من
رَبِّهِمْ . ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ أى بالبعث والقيامة والجنة والنار والحساب
والميزان ، أى هؤلاء الذين يزعمون أنهم آمنوا بما كان من قبلك ، وبما جاءك من
ربك ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ ، أى على نور من ربهم واستقامة
على ما جاءهم ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أى الذين أدركوا ما طلبوا ونجوا

من شرّ مامنه هربوا . ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ، أى بما أنزل إليك ، وإن قالوا إنا قد آمنّا بما جاءنا قبلك ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أى أنهم قد كفروا بما عندهم من ذكرك ، وجحدوا ما أخذ عليهم من الميثاق لك ، فقد كفروا بما جاءك وبما عندهم ، ممّا جاءهم به غيرك ، فكيف يستمعون منك إنذاراً أو تحذيراً ، وقد كفروا بما عندهم من علمك . ﴿ حَتَّمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ﴾ أى عن الهدى أن يُصِيبُوهُ أبدأ ، يعنى بما كذبوك به من الحق الذى جاءك من ربك حتى يؤمنوا به ، وإن آمنوا بكلّ ما كان قبلك ، ولهم بما هم عليه من خلافك عذابٌ عظيم .

فهذا فى الأحبار من يهود ، فيما كذبوا به من الحق بعد معرفته .

مانزل فى منافقى الأوس والخزرج

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ يعنى المنافقين من الأوس والخزرج ، ومن كان على أمرهم . ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ . فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ ، أى شك ﴿ فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾ ، أى شكاً ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ بما كانوا يكذبون . وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض ، قالوا إنما نحن مصلحون ﴿ أى إنما نريد الإصلاح بين الفريقين من المؤمنين وأهل الكتاب . يقول الله تعالى ﴿ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ * وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس ، قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ، ألا إِنَّهُمْ

هُمُ الشَّهَاءُ وَلَئِنْ لَا يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ﴿١﴾ مِنْ يَهُودٍ ، الَّذِينَ يَأْمُرُونَهُمْ بِالْكَذِبِ بِالْحَقِّ ، وَخِلَافَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﴿٢﴾ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ ﴿٣﴾ ، أَيْ إِنَّا عَلَى مِثْلِ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ . ﴿٤﴾ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿٥﴾ : أَيْ إِنَّمَا نَسْتَهْزِئُ بِالْقَوْمِ ، وَنَلْعَبُ بِهِمْ . يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿٦﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧﴾ .

تفسير بن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام يَعْمَهُونَ : يحارون . تقول العرب : رجل عمه وعامه : أَيْ حيران . قال رؤبة بن العجاج يصف بلدا :

أعمى الهدى بالجاهلين العمه

وهذا البيت في أرجوزة له . فالعمه : جمع عامه ؛ وأما عمه ، فجمعه : عَمَهُون . والمرأة : عَمِيَّة وعَمَّاء .

﴿٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى : أَيْ الْكَفَرُ بِالْإِيمَانِ ﴿٩﴾ فَمَا رَاجَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُتَقَدِّينَ ﴿١٠﴾ .

قال ابن إسحاق : ثم ضرب لهم مثلا ، فقال تعالى ﴿١١﴾ كَمَثَلِ الْإِنْدِيِّ اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٢﴾ أَيْ لَا يَبْصِرُونَ الْحَقَّ وَيَقُولُونَ بِهِ حَقٌّ إِذَا خَرَجُوا بِهِ مِنْ ظُلُمَةِ الْكَفَرِ أَطْفَنُوهُ بِكَفَرِهِمْ بِهِ وَنَفَاةِهِمْ فِيهِ ، فَتَرَكَهُمْ اللَّهُ فِي ظُلُمَاتِ الْكَفَرِ فَهُمْ لَا يَبْصِرُونَ هُدًى ، وَلَا يَسْتَقِيمُونَ عَلَى حَقٍّ : ﴿١٣﴾ صُمُّ بَكْمٌ غَمَى قَمَمٌ

لَا يَرْجُونَ ۖ : أَى لَا يَرْجِعُونَ إِلَى الْهُدَى ، صُمْ بُكُمْ عَنْى عَنِ الْخَيْرِ ،
لَا يَرْجِعُونَ إِلَى خَيْرٍ وَلَا يَصِيبُونَ نَجَاةً مَا كَانُوا عَلَى مَآمٍ عَلَيْهِ ۖ أَوْ كَصَيْبٍ
مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ
الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ، وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ۖ

قال ابن هشام : الصَّيْبُ : المطر ، وهو من صاب يصُوب ، مثل قولهم :
 السَّيْدُ ، من ساد يسود ، والمَيِّتُ : من مات يموت ؛ وجمعه : صَيَائِبُ . قال
 عَلْقَمَةُ بن عَبْدَةَ ، أَحَدُ بنى رَبِيعَةَ بن مالك بن زيد مَنَاة بن تميم :
 كَانَهُمْ صَابَتْ عَنْهُمْ سَحَابَةٌ صَوَاعِقُهَا أَطْيَرُ عَنْ دَيْبٍ .
 وفيها :

فَلَا تَعْدِلِي بَيْنِي وَبَيْنَ مُغَمَّرَ سَقَمَتِكَ رَوَايَا الْمُزْنِ حَيْثُ تَصُوبُ .
وهذان البيتان في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : أى هم من ظلمة ما هم فيه من الكفر والحذر من القتل ،
 من الذى هم عليه من الخلاف والتخوف لكم ، على مثل ما وصف ، من الذى هو
 (فى) ظلمة الصيب ، يحمل أصابعه فى أذنيه من الصواعق حذر الموت . يقول :
 والله منزل ذلك بهم من النعمة ، أى هو محيط بالكافرين ﴿ يَكَادُ الْبَرُّ ﴾
 يُخْطَفُ أَبْصَارُهُمْ ﴿ : أى لشدة ضوء الحق ﴾ ﴿ كَلِمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ ، وَإِذَا
 أَظْلَمَ عَايَنَهُمْ قَامُوا ﴾ ، أى يعرفون الحق ويتسكلمون به ، فهم من قولهم به
 على استقامة ، فإذا ارتكسوا منه فى الكفر قاموا متحيرين . ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ﴿ أَى لِمَا تَرَكُوا مِنَ الْحَقِّ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ ﴾ ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

ثم قال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ ﴾ للفريقين جميعا ، من الكفار والمنافقين ، أَى وَحَّدُوا رَبَّكُمْ ﴿ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ * الَّذِى جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا ، وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الشَّجَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ، فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الأنداد : الأمثال ، واحدهم ندّ . قال لبيد بن ربيعة :

أَحْمَدُ اللَّهِ فَلَا نَدَّ لَهُ بِيَدَيْهِ الْخَيْرُ مَا شَاءَ فَعَلُ

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : أَى لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ خَيْرَهُ مِنَ الْأَنْدَادِ الَّتِى لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا رَبَّ لَكُمْ يَرْزُقُكُمْ غَيْرَهُ ، وَتَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِى يَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ الرَّسُولُ مِنْ تَوْحِيدِهِ هُوَ الْحَقُّ لَا شَكَّ فِيهِ . ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا ﴾ أَى فى شكٍّ مما جاءكم به ، ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ، وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ أَى مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ أَعْوَانِكُمْ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَاقِينَ ، فَإِنْ كَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ فَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ الْحَقُّ ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِى وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾

أى لمن كان على مثل ما أنتم عليه من الكفر .

ثم رغبهم وحذرهم نقض الميثاق الذى أخذ عليهم لنبيّه صلى الله عليه وسلم إذا جاءهم ، وذكر لهم بدء خلقهم حين خلقهم ، وشأن أبيهم آدم عليه السلام وأمره ، وكيف صنّع به حين خالف عن طاعته ، ثم قال : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ للأخبار من يهود ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ أى بلائى عندكم وعند آبائكم ، لَمَّا كَانَ نَجَاحُهَا مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي ﴾ الذى أخذتُ فى أعناقكم لنبيّ أحمد إذا جاءكم ﴿ أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ أنجز لكم ما وعدتكم على تصديقه واتباعه بوضع ما كان عليكم من الآصار والأغلال التى كانت فى أعناقكم بذنوبكم التى كانت من أحداثكم ﴿ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾ أى أن أنزل بكم ما أنزلت بمن كان قبلكم من آبائكم من النعمات التى قد عرفتم ، من المسخ وغيره ﴿ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ ﴾ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ﴿ وَعِنْدَكُمْ مِنَ الْعِلْمِ فِيهِ مَا لَيْسَ عِنْدَ غَيْرِكُمْ ﴾ وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ * وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ، وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ أى لا تكتموا ما عندكم من المعرفة برسولى وبما جاء به ، وأنتم تجدونه عندكم فيما تعلمون من الكتب التى بأيديكم ﴾ أَنْتُمْ تُرَوْنَ النَّاسَ بِالْبَرِّ وَتَكْتُمُونَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ الْكِتَابَ أَقْلًا تَقُولُونَ ﴿ أى أنتمون الناس عن الكفر بما عندكم من النبوة والعهد من التوراة وتتركون أنفسكم ، أى وأنتم تكفرون بما فيها من عهدى إليكم فى تصديق رسولى وتنفقون ميثاقى ، وتجدون ما تعلمون من كتابى .

ثم عدّد عليهم أحداثهم ، فذكر لهم العجلَ وما صنعوا فيه ، وتوبته عليهم ، وإقالاته إياهم ، ثم قولهم : ﴿ أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : جهرة ، أى ظاهراً لنا لا شئ يستره عنا . قال أبو الأخرز الحِمَّاني ، واسمه قُتَيْبَة :

يَجْهَرُ أَجْوَافَ الْمِيَاهِ السَّدَمِ

وهذا البيت في أرجوزة له .

يَجْهَرُ : يقول : يُظْهِرُ الْمَاءَ وَيَكْشِفُ عَنْهُ مَا يَسْتُرُهُ مِنَ الرَّمْلِ وَغَيْرِهِ .

قال ابن إسحاق : وأخذ الصاعقة إياهم عند ذلك لغفرتهم ، ثم إحياءه إياهم بعد موتهم ، وتظليله عليهم الغمام ، وإنزاله عليهم المنّ والسّلوى ، وقوله لهم : ﴿ ادْخُلُوا الْبَابَ سَجْدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ ، أى قولوا ما أمركم به أحطّ به ذنوبكم عنكم ؛ وتبديلهم ذلك من قوله استهزاءً بأمره ، وإقالاته إياهم ذلك بعد هُزْنِهِمْ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : المنّ : شئ كان يسقط في السّحر على شجرهم ، فيجتنبونه حلواً مثل العسل ، فيشربونه ويأكلونه . قال أعشى بن قيس بن ثعلبة :
لَوْ أَطْعَمُوا الْمَنَّ وَالسَّلْوَى مَكَانَهُمْ مَا أَبْصَرَ النَّاسُ طُعْمًا فِيهِمْ نَجْمًا

وهذا البيت في قصيدة له . والسلوى : طير ؛ واحدها : سلواة ؛ ويقال :
لأنها الشَّمَانَى ، ويقال للعسل (أيضا) : السلوى . وقال خالد بن زهير الهذلي :
وقاسمها بالله حتماً لأنتمُ الذُّن من السلوى إذا ما نشورها
وهذا البيت في قصيدة له . وحِطَّة : أى حُطَّ عَنَّا ذُنُوبَنَا .

قال ابن إسحاق : وكان من تبدلهم ذلك ، كما حدثني صالح بن كيسان
عن صالح مولى التَّوْءمة بنت أمية بن خلف ، عن أبي هريرة ومن لأنهم ، عن
ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : دَخَلُوا الباب الذى
أُمرُوا أن يدخلوا منه سَجْدًا يزحفون ، وهم يقولون حِطَّ فى شعير .

قال ابن هشام : وىروى : حنطة فى شعيرة :

قال ابن إسحاق : واستثناء موسى لقومه ، وأمره (إياه) أن يضرب
بعضاه الحجرَ فانفجرت لهم منه اثنتا عشرة عينا ، لكل سَبْط عَيْن يَشْرَبُونَ .
منها ، قد علم كلُّ سَبْط عينه التى منها يشرب ؛ وقواهم لموسى عليه السلام :
(لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ ، فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْزِلُ
الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا) .

قال ابن هشام : الفُوم : الحنطة . قال أمية بن الصلت التَّقْفِي :

فوقَ شَيْزَى مثلِ الجوابى عليها قِطْعٌ كالوذيل فى نَقِي فُومٍ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الوذيل : قطع الفضَّة والنوم : القمح ؛ واحده : فُومة .
وهذا البيت في قصيدة له .

﴿وَعَدَسِيهَا وَبَصَايِهَا، قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ *
اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَاسَأَلْتُمْ﴾ .

قال ابن إسحاق : فلم يفعلوا . وَرَفَعَهُ الطُّورُ فَوْقَهُمْ لِيَأْخُذُوا مَا أُوتُوا ؛
والمسخ الذي كان فيهم ، إذ جعلهم قِرْدَةً بِأَحْدَانِهِمْ ، والبقرة التي أَرَاهِمُ اللَّهُ
عِزًّا وَجَلَّ بِهَا الْعِبرَةُ فِي الْقَتِيلِ الذي اختلفوا فيه ، حتى بَيَّنَّ اللَّهُ لَهُمْ أَمْرَهُ ، بعد
التردد على موسى عليه السَّلَامُ فِي صِفَةِ الْبَقَرَةِ ؛ وقسوة قلوبهم بعد ذلك حتى
كَانَتْ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً . ثم قال تعالى : ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا
يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ ، وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا
يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ أَي وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لِأَلْيُنْ مِنْ قُلُوبِكُمْ عَمَّا تَدْعُونَ
إِلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ .

ثم قال الحمد عليه الصلاة والسلام ولئن معه من المؤمنين يُؤَيِّسُهُمْ مِنْهُمْ ﴿أَفَتَطْمَعُونَ
أَنْ يُؤْمِنُوا بِالْكَفَرِ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ
مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ وإيس قوله يَسْمَعُونَ التَّوْرَةَ ،
أَنْ كَلَّمَهُمْ قَدْ سَمِعُوا ، وإسكنه فَرِيقٌ مِنْهُمْ ، أَي خَاصَّةً .

قال ابن إسحاق ، فيما بلغني عن بعض أهل العلم : قالوا لموسى : يَا مُوسَى ،
قَدْ حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رُؤْيَا اللَّهِ ، فَاسْمَعْنَا كَلَامَهُ حِينَ يَكَلِّمُكَ ، فَطَلَبَ ذَلِكَ مُوسَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ رَبِّهِ ، فَقَالَ لَهُ : نَعَمْ ، مُرُّهُمْ فَلْيَطَّهَّرُوا ، أَوْ لِيُطَهَّرُوا ثِيَابَهُمْ ،
وَلْيَصُومُوا ، ففعلوا . ثم خرج بهم حتى أتى بِهِم الطُّورَ ؛ فلما غَشِيَهُمُ الْغَمَامُ
أَمَرَهُمْ مُوسَى فَوَقَعُوا سُجَّدًا ، وَكَلَّمَ رَبَّهُ ، فَسَمِعُوا كَلَامَهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، بِأَمْرِهِمْ

وَيَنْهَاهُمْ ، حَتَّى عَقَلُوا ، مَاسَمَعُوا ، ثُمَّ انْصَرَفَ بِهِمْ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ حَرْفُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ ، وَقَالُوا ، - هَيْنَ قَالَ مُوسَى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ : إِنْ اللَّهُ قَدْ أَمَرَكُمْ بِكَذَا وَكَذَا ، قَالَ ذَلِكَ الْفَرِيقُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِنَّمَا قَالَ كَذَا وَكَذَا ، خِلَافَ مَا قَالَ اللَّهُ لَهُمْ ، فَهُمْ الَّذِينَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِذَا أَتَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا فَاَلُوا آمَنًا ﴾ ، أَيْ بِصَاحِبِكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ، وَلَسَكُنْهُ إِلَيْكُمْ خَاصَّةً . ﴿ وَإِذَا خَلَا بِمَعْصُومٍ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا : لَا تَخَدِّثُوا الْعَرَبَ بِهَذَا ، فَإِنَّكُمْ قَدْ كُنْتُمْ تَسْتَفْتِحُونَ بِهِ عَلَيْهِمْ ، فَكَانَ فِيهِمْ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ : ﴿ وَإِذَا أَتَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا فَاَلُوا آمَنًا ، وَإِذَا خَلَا بِمَعْصُومٍ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَنْتَدِّثُواهُمْ بِمَا فَتَحَ عَلَيْكُمْ لِيُخَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ، أَيْ تُقَرُّونَ بِأَنَّهُ نَبِيٌّ ، وَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنَّهُ قَدْ أَخَذَ لَهُ الْمِيثَاقَ عَلَيْكُمْ بِاتِّبَاعِهِ ، وَهُوَ يُخَبِّرُكُمْ أَنَّهُ النَّبِيُّ الَّذِي كُنَّا نَنْتَظِرُ وَنَحْمَدُ فِي كِتَابِنَا ؛ اجْعَدُوهُ وَلَا تُقَرُّوْا لَهُمْ بِهِ . يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَنْسَلُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِمُونَ ، مِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانٍ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام ، عن أبي عبيدة : إلا أمانى : إلا قراءة ، لأن الأمانى : الذى يقرأ ولا يكتب . يقول : لا يعلمون الكتاب إلا (أنهم) يقرءونه .

قال ابن هشام : عن أبي عبيدة ويونس أنهما تأولا ذلك عن العرب .
في قول الله عز وجل ، حدثني أبو عبيدة بذلك .

قال ابن هشام : وحدثني يونس بن حبيب النحوي وأبو عبيدة : أن
العرب تقول : تمنى ، في معنى قرأ . وفي كتاب الله تبارك وتعالى :

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَتَتْهُ
الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴿١﴾ . قال : وأنشدني أبو عبيدة النحوي :

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلِهِ وَآخِرَهُ وَافَى حِمَامُ الْقَادِرِ
وَأَنشَدَنِي أَيْضًا :

تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ فِي اللَّيْلِ خَالِيَا تَمَنَّى دَاوُدَ الزُّبُورَ عَلَى رِسْلِ

وواحدة الأمانى : أُمْنِيَّةٌ . والأمانى (أيضا) : أن يتمنى الرجل المال أو غيره .

قال ابن إسحاق : ﴿ وَإِنْ أُمِمٌ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ : أى لا يعلمون الكتاب
ولا يدرون ما فيه ، وهم يحمدون نبوتك بالظن . ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ
إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾ ، قُلْ أَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ
أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ .

دعوى اليهود قلة العذاب في الآخرة ورد الله عليهم

قال ابن إسحاق : وحدثني مولى يزيد بن ثابت عن عكرمة ، أو عن
سميد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم

المدينة واليهود تقول : إنما مدّة الدنيا سبعة آلاف سنة ، وإنما يُعذب الله
الناس في النار بكلّ ألف سنة من أيام الدنيا يوماً واحداً في النار من أيام
الآخرة ، وإنما هي سبعة أيام ثم ينقطع العذاب . فأنزل الله في ذلك من قولهم :
﴿ وَقَالُوا أَنْ تَسْمِنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً ﴾ * قُلْ أَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ
عَهْداً فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * بَلَى مَنْ
كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ ﴿ أَى مِنْ عَمَلٍ بِمِثْلِ أَعْمَالِكُمْ ، وكفر
بمثل ما كفرتم به ، يحيط كفره بما له عند الله من حسنة ﴾ فأولئك أصحابُ
النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿ أَى خُلِدُوا أَبَداً . ﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿ أَى مِنْ آمَنَ بما كفرتم به ، وعمل
بما تركتم من دينه ، فإهم الجنة خالدون فيها ، يُخبرهم أن الثواب بالخير والشرّ
مقيمٌ على أهله أبداً ، لا انقطاع له .

قال ابن إسحاق : ثم قال (الله عز وجل) يؤنّبهم : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ
بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴾ أَى ميثاقكم ﴿ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ، وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً ،
وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ ، وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً ، وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ، ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾
أَى تركتم ذلك كله ليس بالتقصص . ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ
دِمَاءَكُمْ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب،

قال ابن هشام : تسفكون : تصبّون . تقول العرب : سفك دمه ، أى صبّه ، وسفك الزق ، أى هرقه . قال الشاعر :

وكفنا إذا ما الضيفُ حلّ بأرضنا سفكنا دماء البدن في ترربة الحال

قال ابن هشام : يعنى « بالحال » : الطين الذى يخالطه ازمّل ، وهو الذى تقول له العرب : السهلة . وقد جاء فى الحديث : أن جبريل لما قال فرعون : ﴿ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ ﴾ أخذ من حال البحر ﴿ وَجَاهَهُ ﴾ فضرب به وجه فرعون . (والحال : مثل الحمأة) .

قال ابن إسحاق : ﴿ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ﴾ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿ عَلَى أَنْ هَذَا حَقٌّ مِنْ مِيثَاقِ عَلَيْكُمْ ﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ ، وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ ، تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْمُدْوَانِ ﴿ أَى أَهْلَ الشَّرِكِ ، حَتَّى يَسْفِكُوا دِمَاءَهُمْ مَعَهُمْ ، وَيُخْرِجُوهُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ مَعَهُمْ ﴾ وَإِنْ يَأْذُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ ﴿ وَقَدْ عَرَقْتُمْ أَنْ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ فِي دِينِكُمْ ﴾ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ ﴿ : فى كتابكم ﴾ إِخْرَاجُهُمْ ، أَفْتَوْهُمْ مُنُونٍ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴿ ، (أَى) أَنْفَادُونَهُمْ مُؤْمِنِينَ بِذَلِكَ ، وَتُخْرِجُونَهُمْ كَفَرًا بِذَلِكَ . ﴿ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ ، وَمَا لِلَّهِ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا

بِالْآخِرَةِ ، فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ ، وَلَا لَهُمْ يُنْصَرُونَ ﴿١﴾ فَأَنْبِئِهِمُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ ، وَقَدْ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ فِي التَّوْرَةِ سَفْكَ دِمَائِهِمْ ، وَافْتَرَضَ عَلَيْهِمْ فِيهَا فِدَاءَ أَسْرَاهُمْ .

فَكَانُوا فَرِيقَيْنِ ، مِنْهُمْ بَنُو قَيْنُقَاعَ وَلَقُّهُمْ ، حُلَفَاءُ الْخَزْرَجِ ، وَالنَّضِيرُ وَفُرَيْظَةُ وَلَقُّهُمْ ، حُلَفَاءُ الْأَوْسِ . فَكَانُوا إِذَا كَانَتْ بَيْنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ حَرْبٌ خَرَجَتْ بَنُو قَيْنُقَاعَ مَعَ الْخَزْرَجِ وَخَرَجَتْ النَّضِيرُ وَفُرَيْظَةُ مَعَ الْأَوْسِ يُظَاهِرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ حُلَفَاءَهُ عَلَى إِخْوَانِهِ ، حَتَّى يَتَسَافَكُوا دِمَاءَهُمْ بَيْنَهُمْ وَبِأَيْدِيهِمُ التَّوْرَةُ يَعْرِفُونَ فِيهَا مَا عَلَيْهِمْ وَمَالَهُمْ ، وَالْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ أَهْلُ شِرْكٍ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ . لَا يَعْرِفُونَ جَنَّةً وَلَا نَارًا ، وَلَا بَعَثًا وَلَا قِيَامَةً ، وَلَا كِتَابًا ، وَلَا حَلَالًا وَلَا حَرَامًا ، فَإِذَا وَضَعَتْ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا افْتَدَوْا أَسْرَاهُمْ تَصْدِيقًا لِمَا فِي التَّوْرَةِ ، وَأَخَذَ بِهِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ ، يَفْتَدِي بَنُو قَيْنُقَاعَ مَنْ كَانَ مِنْ أَسْرَاهُمْ فِي أَيْدِي الْأَوْسِ وَتَفْتَدِي النَّضِيرُ وَفُرَيْظَةُ مَا فِي أَيْدِي الْخَزْرَجِ مِنْهُمْ وَيُطْلُونَ مَا أَصَابُوا مِنَ الدِّمَاءِ ، وَقَتْلَى مَنْ قَتَلُوا مِنْهُمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، مُظَاهَرَةً لِأَهْلِ الشِّرْكِ عَلَيْهِمْ . يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ حِينَ أَنْبَأَهُمْ بِذَلِكَ : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ﴾ ، أَيْ تُفَادِيهِ بِحُكْمِ التَّوْرَةِ وَتَقْتُلُهُ ، وَفِي حُكْمِ التَّوْرَةِ أَنْ لَا تَفْعَلَ ، تَقْتُلُهُ وَتُخْرِجُهُ مِنْ دَارِهِ وَتُظَاهِرُ عَلَيْهِ مِنْ يُشْرِكُ بِاللَّهِ ، وَيَعْبُدُ الْأَوْثَانَ مِنْ دُونِهِ ، ابْتِغَاءَ عَرْضِ الدُّنْيَا . فَنَفَى ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمْ مَعَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ - فِيمَا بَلَغَنِي - نَزَلَتْ هَذِهِ الْقِصَّةُ .

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ

بالرُّسُلِ ، وَآتَيْنَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ ﴿١٠﴾ ، أَى الْآيَاتِ الَّتِي وَضَعْتَ عَلَى يَدَيْهِ ، مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى ، وَخَلَقَهُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ، ثُمَّ يَفْخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ، وَإِبْرَاءِ الْأَسْقَامِ ، وَالْخَبَرِ بِكَثِيرٍ مِنَ الْغُيُوبِ مِمَّا يَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِهِمْ ، وَمَارَدَ عَلَيْهِمْ مِنَ التَّوْرَةِ مَعَ الْإِنْجِيلِ ، الَّذِي أَحْدَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ . ثُمَّ ذَكَرَ كُفْرَهُمْ بِذَلِكَ كُلِّهِ ، فَقَالَ : ﴿١١﴾ أَفَكَلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ ، فَفَرِّقَا كَذَبْتُمْ وَفَرِّقَا تَقْتُلُونَ ﴿١٢﴾ ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿١٣﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ﴿١٤﴾ : فِي أَكِنَّةٍ . يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿١٥﴾ بَلْ تَعَنَّهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَأْيُومُونَ * وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ بِسَافَهَةٍ جَاءَهُمْ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿١٦﴾ .

قال ابن إسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه ، قال : قالوا : فإنا والله وفيهم نزلت هذه القصة ، كننا قد علوناهم ظهراً في الجاهلية ونحن أهل شرك وهم أهل كتاب فكانوا يقولون لنا : إن نبياً يبعث الآن نتبعه قد أظلم زمانه ، نفتلكم معه قتل عاد وإرم . فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم من قُرَيْشٍ فاتبعناه كفروا به . يقول الله : ﴿١٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ، فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ * بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴿١٨﴾ ، أَى أَنْ جَعَلَهُ فِي غَيْرِهِمْ : ﴿١٩﴾ فَبَادُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ ، وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُبِينٌ ﴿٢٠﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : فباءوا بغضب : أى اعترفوا به واحتملوه . قال أعشى
بنى قيس بن ثعلبة :

أَصْلِحْكُمْ حَتَّى تَبُوءُوا بِمِثْلِهَا كَصَرْخَةِ حُبْلَى يَسْرَتْهَا فَبَيْدَهَا

(قال ابن هشام : يَسْرَتْهَا : أجازتها للولادة . وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : فالغضب على الغضب لغضبه عليهم فيما كانوا ضيَّعوا من
النوراة ، وهى معهم ، وغضب بكفرهم بهذا النبى صلى الله عليه وسلم الذى
أحدث الله إليهم .

ثم أَنَّبَهُمْ بِرَفْعِ الطُّورِ عَلَيْهِمْ ، وَاِنْخَاذِهِمُ الْعِجْلَ إِلَهًا دُونَ رَبِّهِمْ ، يَقُولُ
اللَّهُ تَعَالَى لِحَمْدِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ
عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ ، فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾
أى ادعوا بالموت على أى الفريقين أ كَذَبُ عِنْدَ اللَّهِ ، فَأَبَوْا ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . يَقُولُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاهُ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : ﴿ وَكَانَ
يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ ، أى يَعْلَمُهُمْ بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ بِكَ ،
وَالْكَفَرِ بِذَلِكَ ، فَيَقَالُ : لَوْ تَمَنَّوْهُ يَوْمَ قَالَ ذَلِكَ لَهُمْ مَا بَقِيَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ
يَهُودَى إِلَّا مَاتَ . ثُمَّ ذَكَرَ رَغْبَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَطُولِ الْعُمُرِ ، فَقَالَ تَعَالَى :
﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ ﴾ الْيَهُودَ ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا

عيني وقلبي يقضان . قالوا : فأخبرنا عما حرم إسرائيل على نفسه ؟ قال :
 أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل ، هل تعلمون أنه كان أحب الطعام
 والشراب إليه ألبان الإبل ولحومها ، وأنه اشتكى شكوى ، فعافاه الله منها ،
 فحرم على نفسه أحب الطعام والشراب إليه شكراً لله ، فحرم على نفسه لحوم
 الإبل وألبانها ؟ قالوا : اللهم نعم . قالوا : فأخبرنا عن الروح ؟ قال : أنشدكم
 بالله وبأيامه عند بني إسرائيل ، هل تعلمونه جبريل ، وهو الذي يأتيني ؟ قالوا :
 اللهم نعم ، ولكنه يا محمد لنا عدو ، وهو ملك ، إنما يأتي بالشدّة وبسفك
 الدماء ، ولولا ذلك لاتبعناك ، قال : فأنزل الله عزّ وجلّ فيهم : ﴿ قُلْ مَنْ
 كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَدْرِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
 وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . . . إلى قوله تعالى ﴿ أَوْ كُنَّا عَاهِدُوا عَهْدًا
 نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ * ولما جاءهم رسولٌ
 مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
 كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ
 عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ ، أى السحر ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ
 كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ ﴾ .

إنكار اليهود نبوة داود عليه السلام

ورد الله عليهم

قال ابن إسحاق : وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني -

لما ذكر سليمان بن داود في المرسلين ، قال بعض أحبارهم : ألا تعجبون من محمد ، يزعم أن سليمان بن داود كان نبياً ، والله ما كان إلا ساحراً . فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا ﴾ ، أى بإتباعهم السحر وعملهم به . ﴿ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَا رُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ ﴾ .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض من لا أتهم عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه كان يقول : الذى حرم إسرائيل على نفسه زانداً السكبد والكلبتان والشعم ، إلا ما كان على الظَّهر ، فإن ذلك كان يُقَرَّبُ للقربان ، فتأكله النار .

كتابه صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر

قال ابن إسحاق : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يهود خيبر ، فيما حدثني مولى لآل زيد بن ثابت عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صاحب موسى وأخيه ، والمصدق لما جاء به موسى : ألا إن الله قد قال لكم يامعشر أهل التوراة ، وإنكم لتجدون ذلك في كتابكم : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَاءُ بَيْنَهُمْ ، تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ، سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ

الشُّجُود ، ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ ، وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوَاقِهِ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيْفِيضَ بِهِمْ الْكُفَّارَ ، وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا .

وإني أنشدكم بالله ، وأنشدكم بما أنزل عليكم ، وأنشدكم بالذي أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المن والسَّلَوَى ، وأنشدكم بالذي أينس البحر لأبائكم حتى أنجاهم من فزعون وعمله ، إلا أخبرتموني : هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد ؟ فإن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا تكرهه عليكم . ﴿ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ - فَادْعُواكُمْ إِلَى اللَّهِ وَإِلَىٰ نَبِيِّهِ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : شطؤه : فراخه ، وواحدته : شطاة . تقول العرب : قد أشطأ الزرع إذا أخرج فراخه . وآزره : عاونه ، فصار الذي قبله مثل الأمهات . قال اسرؤ القيس بن حجر الكندي :

بِمَحْنِيَّةٍ قَدْ آزَرَ الضَّالَّ نَبْتُهَا بَحْرٌ جُيُوشُ غَانِمِينَ وَخَيْبِ

وهذا البيت في قصيدة له . وقال حميد بن مالك الأزقطي ، أحد بني ربيعة

ابن مالك بن زيد مناة :

زَرَعًا وَقَضَبًا مُؤَزَّرَ النَّبَاتِ

وهذا البيت في أرجوزة له . وسوقه غير مهموز جمع ساق ، لساق الشجرة .

ما نزل في أبي ياسر وأخيه

قال ابن إسحاق : وكان ممن نزل فيه القرآن ، بمخاضة من الأخبار وكفارة يهود ، الذي كانوا يسألونه ويتعنتونه ليلبسوا الحق بالباطل - فيما ذكر لي عن عبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله بن رثاب - أن أبا ياسر بن أخطب مرّ برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يتلو فاتحة البقرة : ﴿ الم ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ ، فأتى أخاه حُيَّ بن أخطب في رجال من يهود ، فقال : تعلّموا والله ، لقد سمعت محمداً يتلو فيما أنزل عليه : ﴿ الم ذلك الكتاب ﴾ ، فقالوا : أنت سمعته ؟ فقال : نعم ، فمشى حُيَّ بن أخطب في أولئك النفر من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا له : يا محمد ، ألم يُذكر لنا أنك تتلو فيما أنزل إليك : ﴿ الم ذلك الكتاب ﴾ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بلى ، قالوا : أجهلك بها جبريل من عند الله ؟ فقال : نعم ، قالوا : لقد بعث الله قبلك أنبياء ، مانعهم بين النبيّ منهم مامدة ملكه ، وما أكل أمته غيرك ، فقال حُيَّ بن أخطب ، وأقبل على من معه ، فقال لهم : الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، فهذه إحدى وسبعون سنة ، أفندخلون في دين إنما مدة ملكه وأكل أمته إحدى وسبعون سنة ؟ ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، هل مع هذا غيره ؟ قال : نعم ، قال ماذا ؟ قال : ﴿ المص ﴾ . قال : هذه والله أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم

أربعون ، والصاد تسعون ، فهذه إحدى وستون ومائة سنة ، هل مع هذا يا محمد غيره ؟ قال : نعم ﴿ المرء ﴾ قال : هذه والله أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والراء مائتان ، فهذه إحدى وثلاثون ومائتان ، هل مع هذا غيره يا محمد ؟ قال : نعم ﴿ المرء ﴾ . قال : هذه والله أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والراء مائتان ، فهذه إحدى وسبعون ومائتا سنة ، ثم قال : لقد لبس علينا أمرك يا محمد ، حتى ما ندرى أقليلاً أعطيت أم كثيراً ؟ ثم قاموا عنه ، فقال أبو ياسر لأخيه حبي بن أخطب ولمن معه من الأحرار : ما يدريكم لعله قد جمع هذا كله لمحمد ، إحدى وسبعون ، وإحدى وستون ومائة ، وإحدى وثلاثون ومائتان ، وإحدى وسبعون ومائتان ، فذلك سبع مائة وأربع وثلاثون سنة ، فقالوا : لقد تشابه علينا أمره . فيزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ، وَآخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ .

قال ابن إسحاق : وقد سمعت من لا أتهم من أهل العلم يذكر : أن هؤلاء الآيات إنما أنزلن في أهل نجران ، حين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن عيسى بن مريم عليه السلام .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني محمد بن أبي أمية بن سهل بن حنيف ، أنه قد سمع : أن هؤلاء الآيات إنما أنزلن في نفر من يهود ، ولم يُفسر ذلك لي . قاله أعلم أي ذلك كان .

كفر اليهود به صلى الله عليه وسلم بعد استفتاحهم به وما نزل في ذلك

قال ابن إسحاق : وكان فيما بلغني عن عكرمة مولى ابن عباس ، أو عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والنخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه ، فلما بعثه الله من القرب كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه . فقال لهم معاذ بن جبل ، وبشر ابن البراء بن معرور ، أخو بني سلمة : يامعشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك ، ونخبروننا أنه مبعوث ، وتصفونه لنا بصفته ، فقال سلام بن مشكم ، أحد بني النضير : ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي كننا نذكره لكم ، فأنزل الله في ذلك من قوله : ﴿ وَإِنَّمَا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ ، فَلَعَنَّاهُ اللَّهُ . عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ .

ما نزل في نكران مالك بن الصيف العهد إليهم بالنبي

قال ابن إسحاق : وقال مالك بن الصيف ، حين بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر لهم ما أخذ عليهم له من الميثاق ، وما عهد الله إليهم فيه : «والله ما عهد إلينا في محمد عهد ، وما أخذ له علينا من ميثاق . فأنزل الله فيه :

﴿ أَوْ كَلِمَا عَاهَدُوا عِنْدَ رَبِّهِمْ فَفِيهِمْ أَكْثَرُ خَيْرٍ ﴾
 لا يُؤْمِنُونَ .

مانزل في قول أبي صلوبا « ما جئتنا بشيء نعرفه »

وقال أبو صلوبا الفطيموني لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، ما جئتنا
 بشيء نعرفه ، وما أنزل الله عليك من آية فننتبئك لها . فأنزل الله تعالى
 في ذلك من قوله : ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا
 إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾ .

مانزل في قول ابن حريمة ووهب

وقال رافع بن حريمة ، ووهب بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ،
 اتينا بكتاب أنزل علينا من السماء نقرؤه ، وفجّر لنا أنهاراً تنبعك ونصدقك .
 فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما : ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ
 كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ ، وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ
 سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : سواء السبيل : وسط السبيل . قال حسان بن ثابت :
 يا وَيْحَ أنصار النبي ورَهْطِهِ بعد الْمُغَيَّبِ في سواء المُلْحَدِ
 وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها في موضعها إن شاء الله تعالى .

ما نزل في صد حي وأخيه الناس عن الإسلام

قال ابن إسحاق : وكان حيّ بن أخطب وأخوه أبو ياسر بن أخطب ، من أشدّ يهود لاّ قرب حسداً ، إذ خصّهم الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم ، وكانا جاهدين في ردّ الناس عن الإسلام بما استطاعا . فأنزل الله تعالى فيهما : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُودُ نَسِكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفْرًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ، مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ، فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ ﴾ .

تنازع اليهود والنصارى

عند الرسول صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : ولَمَّا قَدِمَ أَهْلُ نَجْرَانَ مِنَ النَّصَارَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَتْهُمْ أَحْبَارُ يَهُودَ ، فَتَنَازَعُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ رَافِعُ بْنُ خُرَيْمَةَ : مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ ، وَكَفَرَ بَعِيسَى وَبِالْإِنْجِيلِ ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ مِنَ النَّصَارَى لِلْيَهُودِ : مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ ، وَجَعَدَ نُبُوَّةَ مُوسَى وَكَفَرَ بِالتَّوْرَةِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ ، وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ، كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ، فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ ﴾ ، أَى كُلِّ يَتْلُو فِي كِتَابِهِ تَصْدِيقَ مَا كَفَرَ بِهِ ، أَى يَكْفِرُ الْيَهُودُ بِعِيسَى ، وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا مَا أَخَذَ

الله عليهم على لسان موسى عليه السلام بالتصديق بعيسى عليه السلام ، وفي الإنجيل ما جاء به عيسى عليه السلام ، من تصديق موسى عليه السلام ، وما جاء به من التوراة من عند الله ، وكلّ يكفر بما في يد صاحبه .

ما نزل في طلب ابن حريملة أن يكلمه الله

قال ابن إسحاق : وقال رافع بن حريملة لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا محمد ، إن كنت رسولا من الله كما تقول ، فقل لله فليُكَلِّمنا حتى نسمع كلامه . فأنزل الله تعالى في ذلك من قوله : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ ، أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَوْلِهِمْ ، تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ، قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ .

ما نزل في سؤال ابن صوريا

للنبي عليه الصلا والسلام بأن يهود

وقال عبد الله بن صوريا الأعور الفطيني لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الهدى إلا ما نحن عليه ، فاتبعنا يا محمد تهدي ، وقالت النصارى مثل ذلك . فأنزل الله تعالى في ذلك من قول عبد الله بن صوريا وما قالت النصارى : ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ، قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ . ثم القصة إلى قول الله تعالى : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ، لَهَا مَا كَسَبَتْ وَآلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ، وَلَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

مقالة اليهود عند صرف القبلة إلى الكعبة

قال ابن إسحاق : ولما صُرفت القبلة عن الشام إلى الكعبة ، وصُرفت في رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مُقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفاعة بن قيس ، وقرذم بن عمرو ، وكنب بن الأشرف ، ورافع بن أبي رافع ، والحجاج بن عمرو ، حليف كعب بن الأشرف ، والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق ، وكنانة بن الربيع ابن أبي الحقيق ، فقالوا : يا محمد ، ماؤلاًك عن قبلك التي كنت عليها ، وأنت تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ؟ ارجع إلى قبلك التي كنت عليها نذبتك ونصدقتك ، وإنما يريدون بذلك فتنته عن دينه فأزل الله تعالى فيهم : ﴿ سَيَقُولُ الشُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَاؤَلَاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ، قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ، يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا * وَما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ ﴾ أى ابتلاء واختبار ﴿ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾ أى من الفتن : أى الذين ثبَّت الله ﴿ وَما كانَ اللَّهُ لِيُضِلَّعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ أى إيمانكم بالقبلة الأولى ، وتصديقكم بنبىكم ، واتباعكم إياه إلى القبلة الآخرة ، وطاعتكم بنبىكم فيها : أى ليعطينكم أجراً جميعاً ﴿ إِنْ كَانَ اللَّهُ بِالنَّاسِ لَرَّوْفٌ رَحِيمٌ ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً

تَرْضَاهَا ، قَوْلَ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا
وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ۖ

تفسير ابن هشام لبعض العريب

قال ابن هشام : شطره : نحوه وقصده . قال عمرو بن أحرر الباهلي - وباهلة
ابن يعصر بن سمد بن قيس بن عيلان - يصف ناقة له .

تعدو بنا شَطْرَ جَمْعٍ وَهِيَ عَاقِدَةٌ قَدْ كَارَبَ الْعَمْدُ مِنْ إِيْفَادِهَا الْحَقْبَا
وهذا البيت في قصيدة له .

وقال قيس بن خويلد الهذلي يصف ناقته :
إِنَّ النَّمُوسَ بِهَا دَلَا مُخَامِرَهَا فَشَطَرَهَا نَظَرُ اللَّعِينِينَ مَحْسُورُ
وهذا البيت في أبيات له .

قال ابن هشام : والنموس : ناقتة ، وكان بها داء فنظر إليها نظر حسير ،
من قوله : وهو حسير .

﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ،
وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ وَلَكِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ
آيَةٍ مَا تَتَّبِعُوا فَبَقِلْتُكُمْ ، وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ ، وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ
قِبَلَةَ بَعْضٍ ، وَلَكِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ،
إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ۖ

.

قال ابن إسحاق : إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ،
فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُفْتَرِينَ ﴾ .

كتمانهم ما في التوراة من الحق

وسأل معاذ بن جبل ، أخو بني سلمة ، وسعد بن معاذ ، أخو بني عبد الأشهل
وخارجة بن زيد ، أخو بلحارث بن الخزرج ، نفرأ من أحنبار يهود عن بعض
ما في التوراة ، فسكتهم إياه ، وأبوا أن يخبروه عنه . فأنزل الله تعالى فيهم :
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ
لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾ .

جوابهم للنبي عليه الصلاة والسلام

حين دعاهم إلى الإسلام

قال : ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهود من أهل الكتاب إلى
الإسلام ورغبهم فيه ، وحذَّره عذاب الله ونقمته ؛ فقال له رافع بن خارجه ،
ومالك بن عوف : بل نطيع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا ، فهم كانوا أعلم وخيراً
منَّا * فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهما ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا
مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَنبَيْعُ مَا آتَيْنَا عَلَيْنَا ، أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ
لَا يَتَّبِعُونَ شَيْئًا وَلَا يَتَذَكَّرُونَ ﴾ .

جمعهم في سوق بني قينقاع

ولما أصاب الله عز وجل قريشا يوم بدر جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود في سوق بني قينقاع ، حين قدم المدينة ، فقال : يا معشر يهود ، أسلموا قبل أن يُصيبكم الله بمثل ما أصاب به قريشا ، فقالوا له : يا محمد ، لا يفرّئك من نفسك أنك قتلت نفراً من قريش ، كانوا أغماراً لا يعرفون القتال ، إنك والله لو قاتلنا لعرفت أننا نحن الناس ، وإنك لم تلق مثلنا ، فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتُفْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾ * قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتِنَا الثَّقَتَا ، فِتْنَةُ تَقَاتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ، يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ ، وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿ آل عمران : ١٢ ، ١٣ .

دخوله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس

قال : ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدراس على جماعة من يهود ، فدعاهم إلى الله ، فقال له النعمان بن عمرو ، والحارث بن زيد : على أي دين أنت يا محمد ؟ قال : على ملة إبراهيم ودينه ، قالا : فإن إبراهيم كان يهودياً ؟ فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : فَهَلُمَّ إِلَى التَّوْرَةِ ، فَهِيَ بَيْنُنَا وَبَيْنَكُمْ ، فَأَبَيَا عَلَيْهِ . فأنزل الله تعالى فيهما : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ يَقُولُوا قَرِيبٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ * ذَلِكَ بَأْسُهُمْ قَالُوا : لَنْ تَمْسُقَنَا النَّارُ

إِلَّا أَيَّامًا مَمْدُودَاتٍ ، وَغَرَّكُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿١٠﴾ .

اختلاف اليهود والنصارى في إبراهيم عليه السلام

وقال أخصاب يهود ونصارى نجران ، حين اجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعوا ، فقالت الأخصاب : ما كان إبراهيم إلا يهودياً ، وقالت النصارى من أهل نجران : ما كان إبراهيم إلا نصرانياً . فأنزل الله عز وجل فيهم : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ . هَآؤُنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ، فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ * ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ، وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . إِنْ أَوْلَى النَّاسُ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ، وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

ما نزل فيما هم به بعضهم من الإيمان غدوة والكفر عشية

وقال عبد الله بن صيف ، وعدى بن زيد ، والحارث بن عوف ، بعضهم لبعض : تعالوا نؤمن بما أنزل على محمد وأصحابه غدوة ، ونكفر به عشية ، حتى نلبس عليهم دينهم لعالمهم يصنعون كما نضنع ، ويرجعون عن دينه ، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَتْلُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ، وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ * وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي

أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارَ وَكَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ •
وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ، قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى
أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ، قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ
اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ •

مانزل في قول أبي رافع والنجراني « أتريد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى »

وقال أبو رافع القرظي ، حين اجتمعت الأحزاب من يهود ، والنصارى
من أهل نجران عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى الإسلام :
أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم ؟ وقال رجل من
أهل نجران نصراني ، يقال له : الربيس ، (ويروى : الرئيس) :
أو ذاك تريد منا يا محمد وإليه تدعوننا ؟ أو كما قال . فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : معاذ الله أن أعبد غير الله أو آمر بعبادة غيره ، فما بذلك بعثني
الله ، ولا أمرني ؛ أو كما قال . فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهما : ﴿ مَا كَانَ
لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ، ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ
كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ
الْكِتَابَ ، وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ بَعْدَ إِذْ
أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .

قال ابن هشام : الربانيون : العلماء الفقهاء السادة ، واحدهم : رباني •

قال الشاعر :

لو كنت مُرْتَهَنًا فِي الْقُوسِ أَفْتَنِي مِنْهَا السَّكَّالُمُ وَرَبَّانِي أَحْبَارِ

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : القُوسُ : صومعة الراهب . وأفْتَنِي ، لغة تميم . وفْتَنِي ، لغة قيس .

قال جرير :

لَا وَصَلَ إِذْ صَرَمْتُ هِنْدٌ وَلَوْ وَقَفْتُ لَأَسْتَمِزَّ لَتْنِي وَذَا الْمُسْحَيْنِ فِي الْقُوسِ

أى صومعة الراهب . والرباني : مشتق من الرب ، وهو السيد . وفى كتاب الله : ﴿ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَرًّا ﴾ ، أى سيده .

قال ابن إسحاق : ﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ .

ما نزل فى أخذ الميثاق عليهم

قال ابن إسحاق : ثم ذكر ما أخذ الله عليهم ، وعلى أنبيائهم من الميثاق بتصديقه إذ هو جاءهم ، وإقرارهم ، فقال : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ إِنَّمَا أَنبِئُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ، ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ، قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ؟ قَالُوا أَقْرَرْنَا ، قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ إلى آخر القصة .

سعيهم في الوقيعة بين الانصار

قال ابن إسحاق : ومَرَّ شَأْسُ بْنُ قَيْسٍ ، وكان شيخاً قد عسا ، عظيم الكُفْر شديد الضَّغْن على المُسلمين ، شديد الحسد لهم ، على نَفَرٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأوس والخزرج . في مجلس قد جَمَعَهُمْ ، يتحدَّثون فيه ، ففاظه ما رأى من أَلْفَتِهِمْ وجماعتهم ، وصَلاح ذاتِ بَيْنِهِمْ على الإسلام ، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية فقال : قد اجتمع مَلَأُ بنى قَيلة بهذه البلاد ، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملأُهم بها من قرار . فأمر فتى شاباً من يَهُودَ كان معهم ، فقال : اعمدْ إليهم ، فاجلسْ معهم ، ثم اذكر يومَ بُعَاث وما كان قَبْلَهُ وأنشدهم بعضَ ما كانوا اتقاؤوا فيه مِنَ الأشعار .

شئ عن يوم بعث

وكان يوم بُعَاث يوماً اقتتل فيهِ الأوس والخزرجُ ، وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج ، وكان على الأوس يومئذِ حُضَيْرُ بْنُ سِمَاكٍ الأشْهَلِي ، أَبُو أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ ؛ وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البَيَاضِي ، فمُتِلَا جميعاً .

قال ابن هشام : قال أبو قيس بن الأسلت :

على أن قد فُجِعْتُ بِذِي حِفَاظٍ فَعَاوَدَنِي لَهُ حُزْنٌ رَصِينُ

فَإِمَّا تَقْتُلُوهُ فَإِنَّ عَمْرَأَ أَعْضَىٰ بِرَأْسِهِ عَضْبَ سَنِينَ

وهذان البيتان في قصيدة له . وحديث يوم بُعث أطول مما ذكرت ،
ولما معنى من استقصائه ما ذكرت من القَـطـع .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : سنين : مسنون ، من سنَّه ، إذا شجذه .

قال ابن إسحاق : ففعل . فعكَّـم القومُ عند ذلك وتنازعُوا وتفاخروا
حتى تَوَاثب رجالان من الحَيَّين على الرُّكـب ، أوس بن قَيْظَى ، أحد بني
حارثة بن الحارث ، من الأوس ، وجَبَّار بن صخر ، أحد بني سَلَمَة من الخزرج ،
فتَقَفَا ولا ثم قال أحدهما لصاحبه : إن شئتم رَدَدْنَاهَا الْآنَ جَذَعَة ، ففضب
الفریقان جميعا ، وقالوا : قد قَعَلْنَا ، موعِدكم الظَّاهِرَة - والظَّاهِرَة : الحرّة -
السَّلاحَ السَّلاح . فخرجوا إليها ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخرج إليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم ، فقال :
يا معشر المسلمين ، الله الله ، أبدو عوى الجاهليَّة وأنا بين أظهركم بعد أن
هداكم الله للإسلام ، وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمرَ الجاهلية ، واستنقذكم
به من الكُفـر ، وألَّف به بين قلوبكم ، فمرف النـومُ أنها نَزَعَة من الشيطان ،
وكيدٌ من عدوهم ، فَبَسَكُوا وعانقَ الرجالُ من الأوس والخزرج بعضهم
بعضا ، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مُطِيعين ،
قد أطفأ الله عنهم كَيْدَ عَدُوِّ الله شَأْس بن قيس . فأنزل الله تعالى في شَأْس
ابن قيسٍ وما صنع : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ،

وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبِخُونَهَا عِوَجًا ، وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ ۚ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾

وأنزل الله في أوُس بن قنِطى وجَبَّار بن صخر ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا عمَّا أدخل عليهم شأسُ من أمر الجاهلية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ نُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ، وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١١﴾ . . . إلى قوله تعالى : ﴿ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ .

ما نزل في قولهم : « ما آمن إلا شرارنا »

قال ابن إسحاق : وأما أسلم عبد الله بن سلام ، وثعلبة بن سَعِيَّة ، وأُسَيْد ابن سَعِيَّة ، وأسد بن عُبَيْد ، ومن أسلم من يهود معهم ، فأمنوا وصدقوا ورغبوا في الإسلام ، ورسخوا فيه ، قالت أحبارُ يهود ، أهل الكفر منهم : ما آمن بمحمد ولا اتبعه إلا شرارنا ، ولو كانوا من أختيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا إلى غيره . فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : ﴿ لَيْسُوا بِسَوَاءٍ ، مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : آناء الليل : ساعات الليل ، وواحدها : إني . قال
 الْمُتَفَخِّلُ الْهَذَلَى ، واسمه مالك بن عُوَيْر ، يرثى أئيلة ابنه :
 حُلُوْ وَمَرَّ كَعَطْفِ الْقَدَحِ شَيْمَتُهُ فِي كُلِّ إِنِّي قَضَاهُ اللَّيْلُ يَنْتَعِلُ
 وهذا البيت في قصيدة له . وقال كبيد بن ربيعة يصف حمار وخش :
 يَطْرَبُ آنَاءَ النَّهَارِ كَأَنَّهُ غَوَى سَقَاهُ فِي التَّجَارِ نَدِيمُ
 وهذا البيت في قصيدة له ، ويقال : إني مقصور فيما أخبرني يونس .

﴿ يَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ، وَيَنْهَوْنَ
 عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ، وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ .

ما نزل في نهي المسلمين عن مباطنة اليهود

قال ابن إسحاق : وكان رجال من المسلمين يواصلون رجالا من اليهود ،
 لما كان بينهم من الجوار والخلف ، فأنزل الله تعالى فيهم ينهام عن مباطنتهم :
 ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ ، لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا
 وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ، قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تَخْفَى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ،
 قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ * هَازِنُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ ،
 وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ، وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ﴾ ، أى تؤمنون بكتابتكم ،
 وبما مضى من الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابتكم ، فأنتم كنتم أحق
 بالبغضاء لهم منهم لكم ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا

تَعْلَمُكُمْ الْأَمِيلَ مِنَ الْغَيْظِ ، قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ ﴿١﴾ إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ .

ما كان بين أبي بكر وفنحاص

ودخل أبو بكر الصديق بيت المدراس على يهود ، فوجد منهم ناسا كثيرا قد اجتمعوا إلى رجل منهم ، يقال له فنحاص ، وكان من علمائهم وأخبارهم ، ومعه خبر من أخبارهم ، يقال له : أشيع ، فقال أبو بكر لفنحاص : ويحك يا فنحاص ! اتق الله وأسلم ، فوالله إنك لتعلم أن محمدا رسول الله ، قد جاءكم بالحق من عنده ، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والإنجيل ، فقال فنحاص لأبي بكر : والله يا أبا بكر ، ما بنا إلى الله من فقر ، وإنه إلينا لفقير ، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا ، وإننا عنه لأغنياء ، وما هو عنا بغنى ، ولو كان عنا غنيا ما استقرضنا أموالنا ، كما يزعم صاحبكم ، ينهاكم عن الربا ويُعطينا ، ولو كان عنا غنيا ما أعطانا الربا . قال فغضب أبو بكر ، فصرَب وجه فنحاص ضربا شديدا ، وقال : والذي نفسي بيده ، لولا العهد الذي بيننا وبينكم ، لضربتُ رأسك ، أي عدو الله قال : فذهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انظر ما صنع بي صاحبك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله ، إن عدو الله قال قولا عظيما ، إنه زعم أن الله فقير وأنهم أغنياء ، فلما قال ذلك غضبتُ لله مما قال ، وضربتُ وجهه . فوجد ذلك فنحاص ، وقال : ما قلتُ ذلك . فأنزل الله تعالى فيما قال فنحاص ردّا عليه ، وتصديقا لأبي بكر : ﴿ أَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ

وَنَحْنُ أَغْنِيَاهُ ، سَنَكْتُمُ مَا قَالُوا ، وَقَتَلْنَاهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ، وَنَقُولُ
ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾

ونزل في أبي بكر الصديق رضى الله عنه ، وما بلغه في ذلك من الغضب :
﴿ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ رِوَايَاتٍ مِمَّنْ الَّذِينَ
أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا . وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ .

ثم قال فيما قال فنحاص والأخبار معه من يهود : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ، فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ
ظُهُورِهِمْ ، وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ، فَيُبْسَ مَا يَشْتَرُونَ * لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ
يَفْرَحُونَ بِمَا أُتُوا ، وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ
بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . بمعنى فنحاص ، وأشيع
وأشباههم من الأخبار ، الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زيّنوا
للناس من الضلالة ، ويحبّون أن يحمّدوا بما لم يفعلوا ، أن يقول الناس :
علماء ، وليسوا بأهل علم ، لم يحملوهم على هُدًى ولا حق ، ويحبّون أن يقول
الناس قد فعلوا .

أمرهم المؤمنين بالبخل

قال ابن إسحاق : وكان كرزدم بن قيس ، حليف كعب بن الأشرف ،
وأُسامة بن حبيب ، ونافع بن أبي نافع ، وبحري بن عمرو ، وحَيَّ بن أخطب ،
ورفاعه بن زيد بن الثابت ، يأتون رجالا من الأنصار كانوا يُخالطونهم ،

يَنْتَصِحُونَ لَهُمْ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَقُولُونَ لَهُمْ :
لَا تُنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ فَإِنَّا نَخْشَى عَلَيْكُمْ الْفَقْرَ فِي ذَهَابِهَا ، وَلَا تُسَارِعُوا فِي النِّفْقَةِ
فإنَّكُمْ لَا تَنْدَرُونَ عِلَامَ يَكُونُ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ : ﴿ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ
وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ أى من
التوراة ، التى فيها تصديق ما جاء به محمدٌ صلى الله عليه وسلم ﴿ وَأَعْتَدْنَا
لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا . وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ ،
وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ . . . إلى قوله : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ
بِهِمْ عَلِيمًا ﴾ .

جحدهم الحق

قال ابن إسحاق : وكان رِفاعَةُ بن زَيْد بن التابوت من عُظماء يهود ، إِذَا كَلَّمَ
رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - لَوَى لِسَانَهُ ، وَقَالَ : أُرْعِنَا سَمْعَكَ يَا مُحَمَّد ، حَتَّى
تُفْهَمَكَ ، ثُمَّ طَمَعَنَ فِي الْإِسْلَامِ وَعَابَهُ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالََةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا ، وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾ مِنَ الَّذِينَ
هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ، وَبِقَوْلُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ
غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا ، (أى راعنا سمعك) ﴿ لَيًّا بِالسِّتْرِ ، وَطَمَعًا فِي الدِّينِ ،
وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا ، لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ
وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

وَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رُؤَسَاءَ مِنْ أَحْبَابِ يَهُودَ ، مِنْهُمْ :

عبد الله بن صوريا الأعور، وكُفِبَ بن أسد، فقال لهم: يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا، فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جئتكم به لحق، قالوا: ما نعرف ذلك يا محمد: فاجحدوا ما عرفوا، وأصرُّوا على الكفر، فأنزل الله تعالى فيهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا، أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام: نَطْمِسُ: نَمْسَحُهَا فَنَسْوِيهَا، فلا يُرى فيها عينٌ ولا أنفٌ ولا قَم، ولا شيء مما يُرى في الوجه، وكذلك ﴿فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ . الطموس العين: الذي ليس بين جفنيه شق. ويقال طَمَسْتُ الْكِتَابَ وَالْأَثَرَ، فلا يُرى منه شيء. قال الأخطل، واسمه العوث بن هُبيرة بن الصلت التغلبي، يصف إبلا كلفها ما ذكر:

وَتَكَلِّفْنَاهَا كُلَّ طَامِسَةِ الصُّوَى شَطَوْنٍ تَرَى حِرْبَاهَا يَتَمَلَّمُ

وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن هشام: واحدة الصُّوَى: صُوءَة . والصُّوَى: الأعلام التي يُسْتَدَلُّ بها على الطرق والمياه .

قال ابن هشام: يقول: مُسِحَتْ فاستوت بالأرض، فليس فيها شيء نأى . . .

النفر الذين حزبوا الأحزاب

قال ابن إسحاق : وكان الذين حزبوا الأحزاب من قُريش و غطفان و بنى قريظة حُيَيَّ بن أخطب ، وسلام بن أبي الحقيق ، أبو رافع ، والربيع بن الربيع . ابن أبي الحقيق ، وأبو عمار ، ووخوح بن عامر ، وهوذة بن قيس . فأما ووخوح ، وأبو عمار ، وهوذة ، فمن بنى وائل ، وكان سائرهم من بنى النضير . فلما قدموا على قُريش قالوا : هؤلاء أحبار يهود ، وأهل العلم بالكتاب الأول ، فسألهم : دينُكم خير أم دين محمد ؟ فسألهم ، فقالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أهدى منه ومن اتباعه . فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَسِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الجِبتُ (عند العرب) : ما يُعبد من دون الله تبارك . وتعالى . والطاغوت : كل ما أضلَّ عن الحق . وجمع الجبت : جُبوت ؛ وجمع الطاغوت : طاغيت .

قال ابن هشام : وبلغنا عن ابن أبي نجيح أنه قال : الجِبتُ : السحر ؛ والطاغوت : الشيطان :

﴿ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ .

قال ابن إسحاق : إلى قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمْ ﴾

اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ، فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ، وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا .

إنكارهم التنزيل

قال ابن إسحاق : وقال سُكَيْن وعَدَى بن زَيْد : يا محمد ، ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى . فأنزل الله تعالى في ذلك من قولها : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ، وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا . وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ ، وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ، وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا . رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حِجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا .

ودخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة منهم ، فقال لهم : أما والله إنكم لتعلمون أني رسول من الله إليكم ؛ قالوا : ما نعلمه ، وما نشهد عليه . فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم : ﴿ اسْكُنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ ، وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا .

اجتماعهم على طرح الصخرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير يستعينهم في دية العامريين اللذين قتل عمرو بن أمية الضمري . فلما خلا بعضهم ببعض قالوا : لن نجدوا محمداً أقرب منه الآن ، فمن رجل يظهر على هذا البيت ، فيطرح عليه صخرة فيرمي بها منه ؟ فقال عمرو بن جحاش بن كعب : أنا ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فانصرف عنهم . فأنزل الله تعالى فيه ، وفيما أراد هو وقومه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذْ كُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ أَنْ يَنْبَسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ .

ادعائهم أنهم أحباء الله

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نيمان بن أضاء ، وبخري بن عمرو ، وشأس بن عدي ، فكلّمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى الله ، وحدثهم نعيمته ؛ فقالوا : ما نخوفنا يا محمد ، نحن والله أبناء الله وأحباؤه ، كقول النصراني . فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ، قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّثْلُ بَشَرٍ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ، وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ .

إنكارهم نزول كتاب بعد موسى عليه السلام

قال ابن إسحاق : ودعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يهود إلى الإسلام ورغبهم فيه ، وحذّرم غيرَ الله وعقوبته ، فأبَوْا عليه ، وكفّروا بما جاءهم به ، فقال لهم مُعَاذُ بْنُ جَبَل ، وسَمْعُدُ بْنُ عُبادَةَ وَعُقْبَةُ بْنُ وَهَب : يا معشرَ يهود ، اتّقوا الله ، فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله ، ولقد كنتم تدكرونه لنا قبلَ مَنبئِهِ ، وتَصِفُونَهُ لَنَا بِصِفَتِهِ ، فقال رافعُ بْنُ حُرَيْثَةَ ، وَوَهْبُ بْنُ يَهُوذَا : ما قلنا لكم هذا قطّ ، وما أنزلَ اللهُ من كتابٍ بعد موسى ، ولا أرسلَ بشيراً ولا نذيراً بعده . فأنزلَ اللهُ تعالى في ذلك من قولها : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

ثم قصّ عليهم خبرَ موسى وما لقي منهم ، وانتقاضهم عليه ، وما ردّوا عليه من أمر الله حتى تاهوا في الأرض أربعين سنة عقوبة .

رجوعهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم في حكم الرجم

قال ابن إسحاق : وحدثني ابنُ شهاب الزهري أنه سمع رجلاً من مُزينة من أهل العلم ، يحدث سَعِيدُ بْنُ الْمَسِيْب ، أن أبا هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُمْ : أن أحبارَ يهودَ اجتمعوا في بيتِ المِدرّاس حينَ قدّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وقد زنى رجلٌ منهم بعد إحصائه بامرأةٍ من يهودَ قد أَحْصَنَتْ ، فقالوا : ابغثوا بهذا الرجل وهذه المرأة إلى محمد ، فسلّوه كيف الحكمَ فيهما ، وولّوه

الحكم عليهما ، فإن عمل فيهما بعملكم من التَّجْبِيَةِ - والتَّجْبِيَةِ : الجلدُ بجِل من ليف مَطْلِيّ بقار ، ثم تَسْوَدُّ وجوههما ، ثم يُحْمَلَانِ عَلَى حَمَارَيْنِ ، وَتُجْعَلُ وجوههما من قَبْلِ أَدْبَارِ الْحَمَارَيْنِ - فَاتَّبِعُوهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ مَلِكٌ ، وَصَدَقُوهُ ، وَإِنْ هُوَ حَكَمَ فِيهِمَا بِالرَّجْمِ فَإِنَّهُ نَبِيٌّ ، فَاحْذَرُوهُ عَلَى مَا فِى أَيْدِيكُمْ أَنْ يَسْلَبَ كُمُوهُ . فَاتَّوَّهُ ، فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ ، هَذَا رَجُلٌ قَدْ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ بِامْرَأَةٍ قَدْ أَحْصَنَتْ ، فَاحْكَمْ فِيهِمَا ، فَقَدْ وَائِيْنَاكَ الْحَكَمَ فِيهِمَا . فَخَشَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَتَى أَحْبَارَهُمْ فِي بَيْتِ الْمَدْرَاسِ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ يَهُودٍ أَخْرِجُوا إِلَىٰ عُلَمَاءِكُمْ ، فَأَخْرَجَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صُورِيَا .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني بعضُ بنى قُرَيْظَةَ : أَنَّهُمْ قَدْ أَخْرَجُوا إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ مَعَ ابْنِ صُورِيَا ، أَبَا يَاسِرَ بْنَ أَخْطَبٍ ، وَوَهْبَ بْنَ يَهُوذَا ، فَقَالُوا هَؤُلَاءِ عُلَمَاؤُنَا . فَسَأَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، نِمُ حَصَلَ أَمْرُهُمْ ، إِلَى أَنْ قَالُوا لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ صُورِيَا : هَذَا مِنْ أَعْلَمَ مَنْ بَقِيَ بِالتَّوْرَةِ .

قال ابن هشام : من قوله : « وَحَدَّثَنِي بَعْضُ بَنِي قُرَيْظَةَ - إِلَى أَعْلَمَ مَنْ بَقِيَ بِالتَّوْرَةِ » مِنْ قَوْلِ ابْنِ إِسْحَاقَ ، وَمَا بَعْدَهُ مِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي قَبْلَهُ .

فَخَلَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَكَانَ غُلَامًا شَابًّا مِنْ أَحَدِهِمْ سِنًا فَأَلْظَمَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْأَلَةَ ، يَقُولُ لَهُ : يَا بَنَ صُورِيَا ، أَتُنْشِدُكَ اللَّهَ وَأَذْكَرُكَ بِأَيَامِهِ عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ حَكَمَ فِيمَنْ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ بِالرَّجْمِ فِي التَّوْرَةِ ؟ قَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ ، أَمَا وَاللَّهِ يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّهُمْ لَيَعْرِفُونَ أَنَّكَ أَنْبَى مُرْسَلٍ وَلَكِنَّهُمْ يَحْسُدُونَكَ . قَالَ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عليه وسلم . فأمر بهما فرُجِمَا عند باب مسجده في بني غَنَمِ بن مالك بن النَجَّار .
ثم كفر بعد ذلك ابن صُورِيَا ، وَجَعَدَ نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا مَحْزَنُكَ
الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا : آمَنَّا بِأَقْوَاهِمِمْ وَلَمْ تُؤْمِنِمْ
قُلُوبُهُمْ ، وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاءُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاءُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ
يَأْتُواكَ ﴾ أى : الذين بَعَثُوا منهم من بَعَثُوا وتَخَلَّفُوا ، وأَمَرُوهم بما أَمَرُوهم به
من تحريف الحُكْمِ عن مَوَاضِعِهِ . ثم قال : ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ
مَوَاضِعِهِ ، يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ ، وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ ﴾ ، أى الرجم
﴿ فَاحْذَرُوا ﴾ إلى آخر القصة .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن يزيد بن رُكَّانَةَ عن إسماعيل بن طلحة
بن إبراهيم ، عن ابن عباس ، قال : أَمَرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بِرَجْمِهِمَا ،
فرُجِمَا بباب مسجده ، فلما وجد اليهودى مسَّ الحِجَارَةَ قام إلى صاحبتِهِ ، فَجَنَفَا
عليها ، بقيها مسَّ الحِجَارَةَ ، حتى قُتِلَا جَمِيعَا .

قُل : وكان ذلك مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في تحقيق الزنا
منهما .

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كَيْسَانَ ، عن نافع مَوْلَى عبد الله
ابن عمر عن عبد الله بن عمر ، لَمَّا حَكَّمُوا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فيهما ،
دَعَاهُم بالتوراة ، وَجَلَسَ حَبْرٌ مِنْهُمْ يَتْلُوها ، وقد وضع يده على آية الرجم ،

قال : فضرِب عبدُ الله بن سلام يدَ الخبر ، ثم قال : هذه يانبيُّ الله آيةُ الرجم ، يَأْبَى أَنْ يَتْلُوها عَلَيْكَ ، فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وَيَحْكُم يامُفْشَرِيهود ! ما دَعَاكُمْ إِلَى تَرْكِ حُكْمِ الله وَهُوَ بِأَيْدِيكُمْ ؟ قال : فقالوا : أَمَا والله إنه قد كانَ فينا يُعْمَلُ بِهِ ، حتَّى زَنَى رجلٌ مِنَّا بعدَ إحصائه ، من بُيُوتِ الملوكِ وأهلِ الشَّرَفِ ، فَمَنَعَهُ المَلِكُ مِنَ الرَّجْمِ ، ثم زَنَى رجلٌ بَعْدَهُ ، فَأَرَادَ أَنْ يَرْجُمَهُ ، فقالوا : لا والله ، حتَّى تَرْجُمَ فلانا ، فَلَمَّا قالوا لَهُ ذلكَ اجتمعوا فَأَصْلَحُوا أَمْرَهُمْ عَلَى التَّجْبِيَةِ ، وَأَمَاتُوا ذِكْرَ الرِّجْمِ وَالْعَمَلِ بِهِ . قال : فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ أَحْيَى أَمْرَ الله وَكِتَابَهُ وَعَمَلَ بِهِ ، ثم أَمَرَ بِهِمَا فَرُجِمَا عِنْدَ بَابِ مَسْجِدِهِ . قال عبدُ الله بن عمر : فَكَنتَ فِيمَنْ رَجَّمَهُمَا .

ظلمهم في الدية

قال ابن إسحاق : وَحَدَّثَنِي دَاوُدُ بْنُ الْحَصِينِ عَنْ عِكْرَمَةَ ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّ الْآيَاتِ مِنَ الْمَائِدَةِ الَّتِي قَالَ اللهُ فِيهَا : ﴿ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ، وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَصْرِفُوا شَيْئًا ﴾ * وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ إِنَّمَا أَنْزَلَتْ فِي الدِّيَةِ بَيْنَ بَنِي النَّضِيرِ وَبَيْنَ بَنِي قُرَيْظَةَ ، وَذَلِكَ أَنَّ قَتْلَى بَنِي النَّضِيرِ ، وَكَانَ لَهُمْ شَرَفٌ ، يُؤَدُّونَ الدِّيَةَ كَامِلَةً ، وَأَنَّ بَنِي قُرَيْظَةَ كَانُوا يُؤَدُّونَ نِصْفَ الدِّيَةِ ، فَتَعَاكُمُوا فِي ذَلِكَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْزَلَ اللهُ ذَلِكَ فِيهِمْ ، فَحَمَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْحَقِّ فِي ذَلِكَ ، فَجَعَلَ الدِّيَةَ سَوَاءً .

قال ابن إسحاق : فأن الله أعلم أى ذلك كان .

قصدهم الفتنة برسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن أسد ، وابن صُلُوبا ، وعبد الله بن صُورِيا ، وشَّاس بن قيس ، بعضهم لبعض : اذهبوا بنا إلى محمد ، اعلنا نقتنه عن دينه ، فإنما هو بشر ، فأتوه ، فقالوا له : يا محمد ، إنا قد عرَفْتُنا أُنبا أُنبا يهود وأشرافهم وسادتهم ، وأنا إن اتبعناك اتبعناك يهود ، ولم يخالفونا ، وأن بيننا وبين بعض قومنا خصومة ، أفنجاكم إياك فتقضى لنا عليهم ، ونؤمن بك ونصدقك ، فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم . فأنزل الله فيهم : **وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ، وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ، وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ۖ أَفَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۖ** .

جحودهم نبوة عيسى عليه السلام

قال ابن إسحاق : وأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر منهم : أبو يامر ابن أخطب ، ونافع بن أبي نافع ، وعازر بن أبي عازر ، وخالد ، وزيد ، وإزار ابن أبي إزار ، وأشبع ، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **﴿ نُوْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ، وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى ،**

وَمَا أُوْتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٠﴾ . فلما ذكر عيسى بن مريم جحدوا نبوته ، وقالوا : لانؤمن بعيسى بن مريم ولا بمن آمن به . فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْفَعُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِن قَبْلُ ؛ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ ﴾ .

ادعائوهم أنهم على الحق

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع بن حارثة ، وسلام بن مشكم ، ومالك بن الصيف ، ورافع بن خزيمة ، فقالوا : يا محمد ، ألسن تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه ، وتؤمن بما عندنا من التوراة ، وتشهد أنها من الله حق ؟ قال : بلى ، واسكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ الله عليكم من الميثاق فيها ، وكتمتم منها ما أمرتم أن تبشروه للناس ، فبرئت من إحدائكم ؛ قالوا فإنا نأخذ بما في أيدينا ، فإنا على الهدى والحق ، ولا نؤمن بك ، ولا نتبعك ، فأنزل الله تعالى فيهم : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ كَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ، وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ، وَآيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ، فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ .

إشراكهم بالله

قال ابن إسحاق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم النحام بن زيد ،

وَقَرَدَمَ بْنِ كَعْبٍ ، وَبَحْرَى بْنِ عَمْرٍو ، فَقَالُوا لَهُ : يَا مُحَمَّد ، أَمَا تَعْلَمُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا غَيْرَهُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، بِذَلِكَ بُعِثْتُ ، وَإِلَى ذَلِكَ أَذْعُو . فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ وَفِي قَوْلِهِمْ : ﴿ قُلْ : أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ، قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأَنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ، أَلَا إِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى ، قُلْ لَا أَشْهَدُ ، قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ ، وَإِنِّي بَرِيءٌ ، مِمَّا تُشْرِكُونَ . الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ، الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

نهيہ تعالیٰ للمؤمنین عن موادتهم

وكان رفاعه بن زيد بن التابوت ، وسويد بن الحارث قد أظهرهما الإسلامَ ووافقا . فكان رجالٌ من المسلمين يوادّونهما . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمَا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِمًا مِمَّنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ ، وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ . . . إلى قوله : ﴿ وَإِذَا جَاءَكُمْ فَأَلَوْا آمَنًا ، وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴾ .

سؤالهم عن قيام الساعة

وقال جَبَلُ بْنُ أَبِي قُشَيْرٍ ، وَشَمْوِيلُ بْنُ زَيْدٍ ، لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا مُحَمَّد ، أَخْبِرْنَا ، مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا كَمَا تَقُولُ ؟ فَأَنْزَلَ

الله تعالى فيهما ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّ، لَا يُحِيطُ بِهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ، نَزَّلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً، يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ، وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ .

تفسير بن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : أَيَّانَ مُرْسَاهَا : متى مُرْسَاهَا . قال قيس بن الخدّادية الخزاعي :

جَنَّتْ وَخَفَى السَّرَّ بَيْنِي وَبَيْنَهَا لِأَسْأَلُهَا أَيَّانَ مَنْ سَارَ رَاجِعُ ؟

وهذا البيت في قصيدة له . ومرساها : منهاها ، وجمعه : مَراس . قال السكيت بن زيد الأمدى :

والمُصِيدِينَ بَابَ مَا أَخْطَأَ الدَّاسُ مَسُومُ وَمُرْسَى قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ

وهذا البيت في قصيدة له . ومُرْسَى السفينة : حتى تنهى . وحَفَى عنها - على التقديم والتأخير - يقول : يسألونك عنها كَأَنَّكَ حَفِيٌّ بِهِمْ ، فتخبرهم بما لا تخبر به غيرهم . والحَفَى : ألَبَرَ التمهيد . وفي كتاب الله : ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ . وجمعه : أَحْفِيَاء . وقال الأعشى بنى قيس بن ثعلبة :

فَإِنْ تَسْأَلْنِي عَنِ فَيَارُبِّ سَائِلٍ حَفَى عَنِ الْأَعَشَى بِهِ حَيْثُ أَضْمَعِدَا

وهذا البيت في قصيدة له . والحَفَى أيضا : المُسْتَجْفَى عن عِلْمِ الشَّيْءِ ، المبالغ في طلبه .

ادعائهم أن عزيرا ابن الله

قال ابن إسحاق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ،
ونعمان بن أوفى أبو أنس ، ومحمود بن دحية ، وشأس بن قيس ، ومالك ،
ابن الصيف ، فقالوا له : كيف ننبئك وقد تركت قبلتنا ، وأنت لا تزعم أن
عزيراً ابن الله ؟ فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ
عُزَيْرُ ابْنُ اللَّهِ ، وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ، ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ
يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ، قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ .
إلى آخر القصة .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : يضاھون : أى يشاكل قولهم قول الذين كفروا ، نحو
أن تحدث بحديث ، فيحدث آخر بمثله ، فهو يضاھيك .

طلبهم كتاباً من السماء

قال ابن إسحاق : وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم محمود بن سعيحان ،
ونعمان بن أضاء ، وبجرى بن عمرو ، وعزير بن أبي عزير ، وسلام بن
مشكم ، فقالوا : أحق يا محمد أن هذا الذى جئت به لحق من عند الله ، فإنه
لأنراه متسقاً كما تنسق التوراة ؟ فقال : لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :
أما والله إنكم لتعترفون أنه من عند الله . تجدونه مكتوباً عندكم فى التوراة ،

ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما جاءوا به ؛ فقالوا عند ذلك ،
وهم جميع : فنحاص ، وعبد الله بن صوريا ، وابن صلوبا ، وكنانة بن الربيع
ابن أبي الحقيق ، وأشيع ، وكعب بن أسد ، وشمویل بن زيد ، وجبل بن عمرو
ابن سكينه : يا محمد ، أما يمدك هذا إنس ولا وجن ؟ قال فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم : أما والله إنكم لتعملون أنه من عند الله ، وإني لرسول الله ،
تجدون ذلك مكتوبا عنكم في التوراة ؛ فقالوا : يا محمد ، فان الله يصنع لرسوله
إذا به من ما يشاء ويقدر منه على ما أراد ، فَأَنْزِلْ عَلَيْنَا كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ نَقْرُوهُ
وَنَعْرِفُهُ ، وإلا جئناك بمثل ما تأتي به . فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ وَفِيمَا قَالُوا :
﴿ قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ
لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَآؤُكَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الظهير : العون . ومنه قول العرب : تظاهروا عليه ، أى
تعاونوا عليه . قال الشاعر :

يَا سَمِيَّ النَّبِيِّ أَصْبَحْتَ لِلدَّيْنِ قَوَامًا وَلِلْإِمَامِ ظَهِيرًا
أى عونًا ؛ وجمعه : ظهراء .

سؤالهم له صلى الله عليه وسلم عن ذى القرنين

قال ابن إسحاق : وقال حُيَيُّ بن أخطب ، وكعب بن أسد ، وأبو رافع
وأشيع ، وشمویل بن زيد ، لعبد الله بن سلام حين أسلم : ماتكون النبوة

في العرب ولا يكنّ صاحبك ملك . ثم جاءوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه عن ذي القرنين فقصّ عليهم ما جاءه من الله تعالى فيه ، ممّا كان قصّة على قريش ، وهم كانوا ممن أسر قريشاً أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، حين بعثوا إليهم النضر بن الحارث ، وعقبة بن أبي معيط .

تهجمهم على ذات الله

و غضب الرسول صلى الله عليه وسلم لذلك

قال ابن إسحاق : وحُدِّثت عن سعيد بن جبير أنه قال : أتى رهط من يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، هذا الله خلق ، الخلق ، فمن خلق الله ؟ قال : فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخ لونه ، ثم ساورهم غضباً لربه . قال : فجاءه جبريل عليه السلام فسكّنه ، فقال : خفّض عليك يا محمد ، وجاءه من الله بجواب ما سألوه عنه : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ .

قال : فلما تلاها عليهم ، قالوا : فصِفْ لنا يا محمد كيف خلقه ؟ كيف ذراعه ؟ كيف عَصَدُه ؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم أشدّ من غضبه الأوّل ، وساورهم . فأتاه جبريل عليه السلام ، فقال له مثل ما قال له أوّل مرّة ، وجاءه من الله تعالى بجواب ما سألوه . يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَالسَّمَوَاتُ

مَطَوِيَّاتٌ بَيِّمِيهِ ، سُجَّانُهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ .

قال ابن إسحاق : وحدثني عتبة بن مسلم ، مولى بني تيم ، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يوشك الناس أن يتساءلوا بينهم حتى يقول قائلهم : هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله ؟ فاذا قالوا ذلك فقولوا : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ ثم ليتفل الرجل عن يساره ثلاثا ، وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم » .

تفسير ابن هشام لبعض الغريب

قال ابن هشام : الصمد : الذي يُصمد إليه ، ويُفزع إليه ، قالت هند بنت مَعْبُد بن نضلة تنبكي عمرو بن مسعود ، وخالد بن نضلة ، عمهما الأسديين ، وهما اللذان قتل النعمان بن المنذر الأخمي ، وبني الغرييين اللذين بالكوفة عليهما :

أَلَا بَكَرَ النَّاعِي بِخَيْرَى بَنِي أَسَدٍ بَعَمْرُو بْنُ مَسْعُودٍ وَبِالسَّيِّدِ الصَّمَدِ

بدء الأذان

ذكر حديث^(١) عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه ، هكذا ذكره ،

(١) قال الترمذي : لا نعرف له عن النبي — ص — شيئا يصح إلا هذا الحديث ، وكذا قال ابن عدى ، وخطأ الحافظ في الإصابة من قال ذلك وذكر أنه جمع له ستة أو سبعة أحاديث في جزئه مفرد .

وأكثر الناس يقولون : زيد بن عبدربه ، وثعلبة أخو زيد ذكر حديثه عندما شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه في الأذان ، فقال بعضهم : ناقوس كنا قوس النصارى ، وقال بعضهم : بوق كبوق اليهود ، وفي غير السيرة أنهم ذكروا الشُّبُورَ ، وهو البوق . قال الأَصْمَعِيُّ للمُفَضَّل ، وقد نازعه في معنى بيت من الشعر ، فرفع المفضل صوته ، فقال الأَصْمَعِيُّ لو نَفَخْتَ في الشُّبُور ما نفعك ، تكلم كلام النمل وأصِـب !! .

وذكروا أيضاً القُنع وهو القَرْن ، وقال بعضهم : هو تصحيف إنما هو القُنعُ والقُنعُ أولى بالصواب ^(١) ، لأنه من أُنْعِ صَوْتَهُ إذا رَفَعَهُ ، وقال بعضهم : بل نوقد ناراً ، ورففها ، فإذا رآها الناس أقبلوا إلى الصلاة ، وقال بعضهم : بل نبعث رجلاً ينادى بالصلاة ، فبينما هم في ذلك أرى عبد الله بن زيد

(١) يذكر ابن الأثير أنها رويت بالباء والتاء والثاء والتون ، وأشهرها وأكثرها : النون . قال الخطابي : سألت عنه غير واحد من أهل اللغة ، فلم يثبتوا لي على شيء واحد . — ثم ذكر مثل ما قاله السهيلي في اشتقاقه — ويقول الزحشرى : أو لأن أطرافه أُنْعَت إلى داخله ، أى عطفت ، وقال الخطابي عن القنع إنه سمي بهذا لأنه يقنع فم صاحبه ، أى يستره ، أو من قُبِعَت الجِوَالِق والجِراب إذا قُبِعَت أطرافه إلى داخل . وقيل : القنع من قَشَع في الأرض : إذا ذهب ، وقيل : القنع ، وهو دود يكون في الخشب . قال الخطابي : ومدار هذا الحرف على هشيم ، وكان كثير اللحن والتحريف على جلاله عمله في الحديث هذا ويقول الدكتور بوست عن البوق عند اليهود : آلة موسيقية على هيئة القرن كانوا يصوتون بها في الأعياد ، وعند إعطاء علامة الحرب ، وما أشبه ، وكانت أبواق الكهنة من الفضة . .

الرؤيا التي ذكر ابن إسحاق ، فلما أخبر بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأمره أن يُلقبها على بلال ، قال : يا رسول الله أنارأيتهما ، وأنا كنت أحبها لنفسى ، فقال : ليؤذن بلال ، ولتقيم أنت ، ففي هذا من الفقه جواز أن يؤذن الرجل ، ويقيم غيره وهو معارض لحديث زياد بن عبد الله الصدقي حين قل له النبي - صلى الله عليه وسلم : مَنْ أذن فهو أحق أن يُقيم ^(١) ، في حديث طويل إلا أنه يدور على عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي وهو ضعيف ^(٢) ، والأول أصح منه . قال أبو داود : وتزعم الأنصار أن عبد الله بن زيد حين رأى النداء كان مريضاً ، ولولا ذلك لأمره رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) عن زياد بن الحارث الصدقي قال قال رسول الله ﷺ ، يا أخا صدام . أذن ، قال : فأذنت . وذلك حين أضاء المجر ، قال : فلما توضأ رسول الله ﷺ قام إلى الصلاة ، فأراد بلال أن يقيم ، فقال رسول الله ﷺ ، يقيم أخو صدام . فإن من أذن فهو يقيم . رواه الخمسة إلا النسائي واللفظ لأحمد .
(٢) وثقه يحيى بن سعيد القطان ، قال أحمد : حديثه منكر . قال يعقوب . ابن شعبة : رجل صالح من الأميين بالمعروف ، وقال ابن عدى : عامة ما برويه لا يتابع - عليه . قال البخاري : هو مقارب الحديث مات سنة ١٥٦ هـ خلاصة تذهيب السكالك . وقال الترمذي عن هذا الحديث : إنما نعرفه من حديث الإفريقي ، وهو ضعيف عند أهل الحديث ضعفه يحيى بن سعيد القطان وغيره . وقال أحمد : لا أكتب حديث الإفريقي . قال : ورأيت محمد بن إسماعيل يقوى أمره ، ويقول : هو مقارب الحديث ، والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم أن من أذن فهو يقيم . وكان سفيان الثوري يعظمه نيل الأوطار - ص ٢ ص ٥٦ ط عثمان خليفة .
وهناك تناقض بين نقل الخزرجي في التذهيب ، وبين ما في نيل الأوطار في حكم يحيى بن سعيد . وحديث « فأقام هو » ، وأذن بلال ، في إسناده محمد ابن عمر الرافعي ، وهو ضعيف ضعفه القطان وابن نمير ويحيى بن معين .

بالأذان ، وقدمت تكلمت العلماء في الحكمة التي خصت الأذان بأن رآه رجل من المسلمين في نومه ، ولم يكن عَنْ وَحْيٍ من الله لنبيه كسائر العبادات والأحكام الشرعية ، وفي قول النبي - صلى الله عليه وسلم - له : إنها لرؤيا حق ، ثم بنى حكم الأذان عليها ، وهل كان ذلك عن وحى من الله له ، أم لا ؟ وليس في الحديث دليل على أن قوله ذلك كان عن وَحْيٍ ، وتكلموا : لِمَ لم يُؤذَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ وهل أذن قط مرة من عمره دهره أم لا ؟ .

فأما الحكمة في تخصيص الأذان برؤيا رجل من المسلمين ولم يكن عن وحى فلأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أُرِيَهُ ليلة الإسراء ، وَأُتِمِعَهُ مَشَاهِدَةً فوق سَبْعِ سَمَوَاتٍ^(١) ، وهذا أقوى من الوحي ، فلما تأخر فرض الأذان إلى المدينة ، وأرادوا إعلام الناس بوقت الصلاة تَأَيَّثَ الوحي حتى رأى عبد الله الرؤيا ، فوافقت ما رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم ؛ فلذلك قال : إنها لرؤيا حق إن شاء الله ، وعلم حينئذ أن مُراد الحق بما رآه في السماء ، أن يكون سُنَّةٌ في الأرض^(٢) ، وقوى ذلك عنده موافقة رؤيا عمر الأنصاري

(١) رواه الزوار في مسنده ، وفي إسناده : زباد بن المنذر الهمداني أو الهندي أبو الجارود الأنعمى الكوفي رأس الجارودية مبتدع ضال . كذبه ابن معين . وقال عنه كذاب عدو الله وإثمهم ابن حبان بالوضع . وقال الذهبي وابن كثير : هذا الحديث من وضعه ، فكيف يستند السبيل إلى حديث مثل هذا؟ وفي هذا الحديث يزعم أن النبي صعد إلى ما فوق السماء بالبراق .

(٢) كل هذا يفتنيه - على بيت عنك بوث . يتمش في صورة حديث لعن الله مفتريه ..

مع أن السكينة تنطق على لسان عُمرَوا اقتضت الحكمة الإلهية أن يكون الأذان على لسان غير النبي صلى الله عليه وسلم من المؤمنين ، لما فيه من التنويه من الله لعباده ، والرفع لذكره ، فلأن يكون ذلك على غير لسانه أنوره به وأفخم لشأنه ، وهذا معنى بَيِّن فإن الله سبحانه يقول : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ فَمِنْ رَفَعِ ذِكْرَهُ أَنْ أَشَادَ بِهِ عَلَى لِسَانٍ غَيْرِهِ . فإن قيل : وَمَنْ رَوَى أَنَّهُ أَرَى النَّدَاءَ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ ، قلنا : هو في مسند أبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار .

حدثنا أبو بكر محمد بن طاهر الإشبيلي سماعاً وإجازةً عن أبي علي الفسائي عن أبي عمر النعمري بإسناده إلى البزار ، قال البزار : نا محمد بن عثمان بن مخلد ، نا أبي عن زياد بن المنذر ، عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده ، عن علي بن أبي طالب - رضى الله عنه - قال : لما أراد الله أن يُعَلِّمَ رَسُولَهُ الْأَذَانَ أَنَاهُ جَبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدَابَّةٍ يُقَالُ لَهَا الْبُرَاقُ ، فَذَهَبَ يَرْكَبُهَا ، فَاسْتَصْعِبَتْ ، فَقَالَ لَهَا جَبْرِيلُ : اسْكُنِي فَوَاللَّهِ مَا رَكِبْتُ عَبْدٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال : فركبها حتى انتهى إلى الحجاب الذي يلي الرحمن - تبارك وتعالى - قال : فبينما هو كذلك ، إذ خرج ملكٌ من الحجاب ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يا جبريل مَنْ هَذَا ؟ فقال والذي بعثك بالحق إني لأقرب الخلق مكاناً ، وإن هذا الملكَ ما رأيته مُنْذُ خُلِقْتُ قَبْلَ سَاعَتِي هَذِهِ ، فقال ؟ الملك : الله أكبر ، الله أكبر قال ف قيل له من وراء الحجاب صدق عبدى أنا أكبر أنا أكبر ، ثم قال الملك أشهد أن لا إله إلا الله ، قال : ف قيل له من وراء الحجاب صدق عبدى أنا الله لا إله إلا أنا ، قال : فقال

لِلْمَلَكِ : أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ . قَالَ : فَقِيلَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ صَدَقَ عَبْدِي أَنَا أُرْسِلْتُ مُحَمَّدًا ، قَالَ الْمَلَكُ حَتَّى عَلَى الصَّلَاةِ ، حَتَّى عَلَى الْفَلَاحِ ، ثُمَّ قَالَ الْمَلَكُ : اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ ، قَالَ : فَقِيلَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ : صَدَقَ عَبْدِي أَنَا أَكْبَرُ أَنَا أَكْبَرُ ، ثُمَّ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، قَالَ : فَقِيلَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ : صَدَقَ عَبْدِي أَنَا لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، قَالَ : ثُمَّ أَخَذَ الْمَلَكُ بِيَدِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَدَّمَهُ فَأَمَّ أَهْلَ السَّمَاءِ ، فِيهِمْ آدَمُ وَنُوحٌ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ : يَوْمَئِذٍ أَكَمَلَ اللَّهُ لِمُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الشَّرَفَ عَلَى أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ .

قال المؤلف : وَأَخْلَقَ بِهَذَا الْحَدِيثِ أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا لَمَّا يَنْفَضُّدُهُ وَيُشَاكِلُهُ مِنْ أَحَادِيثِ الْإِسْرَاءِ فِيْمَجْمُوعِهَا يَحْصُلُ أَنَّ مَعَانِيَ الصَّلَاةِ كُلِّهَا وَأَكْثَرُهَا ، قَدْ جُمِعَ بِهَا ذَلِكَ الْحَدِيثُ ، أَعْنَى الْإِسْرَاءِ ، لِأَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ - رَفَعَ الصَّلَاةَ الَّتِي هِيَ مُنَاجَاةٌ عَنْ أَنْ تُفَرَّضَ فِي الْأَرْضِ ، لَكِنْ بِالْحَضْرَةِ الْمُقَدَّسَةِ الْمُطَهَّرَةِ ، وَعِنْدَ الْكَعْبَةِ الْعَالِيَا ، وَهِيَ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ ، وَقَدْ ذَكَرْنَا طَرَفًا مِنْ هَذَا الْفَرَضِ ، وَنَبْذًا مِنْ هَذَا الْمَقْصِدِ فِي شَرْحِ حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ وَيَنْضَافُ إِلَيْهَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ ذِكْرُ الْأَذَانِ الَّذِي تَضُمُّنُهُ حَدِيثُ الْبَزَارِ مَعَ مَا رَوَى أَيْضًا أَنَّهُ مَرَّةً وَهُوَ عَلَى الْبَرَقِ بِمَلَائِكَةِ قِيَامٍ ، وَمَلَائِكَةِ رُكُوعٍ ، وَمَلَائِكَةِ سُجُودٍ وَمَلَائِكَةِ جُلُوسٍ ، وَالْكُلُّ يُصَلُّونَ لِلَّهِ ، فَجُمِعَتْ لَهُ هَذِهِ الْأَحْوَالُ فِي صَلَاتِهِ ، وَحِينَ مَثَلُ بِالْمَقَامِ الْأَعْلَى ، وَدَنَا فِتْدَلَى إِلَيْهِمْ أَنْ يَقُولَ : التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ إِلَى قَوْلِهِ : الصَّلَوَاتُ لِلَّهِ ، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ، فَقَالَ السَّلَامُ

علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فقالت الملائكة أشهد أن لا إله إلا الله ،
وأشهد أن محمداً رسول الله ، فجمع ذلك له في تشهده .

وانظر بقلبك كيف شُرِعَ له عليه السلام ولأمته أن يقولوا تسع مرات
في اليوم والليلة في تسع جلسات في الصلوات الخمس بعد ذكر التحيات : السلام
علينا ، وعلى عباد الله الصالحين ، فيحيون ويحيون تحية من عند الله مباركة
طيبة ، ومن قوله : السلام علينا كما قيل لهم ، فسلموا على أنفسكم تحيةً من
عند الله ، ومن ثم قال : الطيبات المباركات ، كما في رواية ابن عباس في التشهد
انظر إلى هذا كله كيف حيا وحيي تسع مرات ، حَيَّته ملائكة كل سماء ،
وحَيَّاهم ، ثم ملائكة الكرسي ، ثم ملائكة العرش ، فهذه تسع ، فجعل
التشهد في الصلوات على عدد تلك المرات التي سلمَ فيها وسُلمَ عليه ، وكلها تحيات
لله ، أي : من عند الله مباركة طيبة ، هذا إلى نكبت ذكرناها في شرح سُبحَانَ
الله وبحمده ، فإذا جمعت بعض ما ذكرناه إلى بعض عرَفت جملة من أسرارِ
الصلوة وفوائدها الجليلة دون الخفية ، وأما بقية أسرارها وما تضمنته أحاديثُ
الإسراء من أنوارها ، وما في الأذان من لطائف المعاني والحكم ، في افتتاحه
بالتكبير وختمه بالتكبير مع التكرار ، وقول : لا إله إلا الله في آخره ،
وأشهد أن لا إله إلا الله في أوله ، وما تحت هذا كله من الحكم الإلهية التي
تملأ الصدور هيمية وتُنَوِّرُ القلوب بنور المحبة ، وكذلك ما تضمنته الصلاة
في شفعها ووثريها والتكبير في أركانها ، ورفع اليدين في افتتاحها ،
وتخصيص البقعة المكرَّمة بالموجَّه إليها ، مع فوائد الوضوء من الأحداث لها ،
فإن في ذلك كله من فوائد الحكمة ، ولطائف المعرفة ما يزيد في تلجج الصدور .

وَيَكْجُلُ عَيْنَ الْبَصِيرَةِ بِالضِّيَاءِ وَالنُّورِ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ نَنْزِعَ فِي ذَلِكَ بِمَنْزَعِ
فَلَسَفِيٍّ أَوْ مَقَالَةٍ بِدْعِيٍّ ، أَوْ رَأْيٍ تَجَرَّدَ مِنْ دَلِيلٍ شَرْعِيٍّ ، وَلَكِنْ
بِتَلَوِيحَاتٍ مِنَ الشَّرِيعَةِ ، وَإِشَارَاتٍ مِنَ الْكِتَابِ وَاللِّسَانِ يَعْضُدُ بَعْضُهَا بِمَعْضَا ،
وَيُنَادِي بَعْضُهَا بِتَصْدِيقِ بَعْضٍ : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ
اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ النساء ٨٢ . لَكِنْ أَضْرَبْنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ عَنْ بَثِّ هَذِهِ
الْأَسْرَارِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَخْرُجُ عَنِ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ ، وَيَشْغَلُ عَمَّا صَدَدْنَا إِلَيْهِ فِي أَوَّلِ
الْكِتَابِ ، وَوَعَدْنَا بِهِ الْفَاظِرَ فِيهِ مِنْ شَرْحِ لُغَاتٍ وَأَنْسَابٍ وَأَدَابٍ ، وَاللَّهُ
المستعان .

وَقَدْ عُرِفَتْ رُؤْيَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ وَكَيْفِيَّتُهَا بِرَوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ رَضِيَ عَنْهُ ،
وَلَمْ تُعَرَفْ كَيْفِيَّةُ رُؤْيَا عُمَرَ حِينَ أَرَى الْنَدَاءَ ، وَقَدْ قَالَ : قَدْ رَأَيْتُ مِثْلَ الَّذِي رَأَى ،
لَكِنْ فِي مُسْنَدِ الْحَارِثِ بَيَانٌ لَهَا . رَوَى الْحَارِثُ [بْنُ أَبِي أُسَامَةَ] فِي مُسْنَدِهِ (١)
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ : أَوَّلُ مَنْ أُذِّنَ بِالصَّلَاةِ جَبْرِيلُ أَدْنَى
بِهَا فِي سَمَاءِ الدُّنْيَا فَسَمِعَهُ عُمَرُ وَبِلَالٌ فَسَبَقَ عُمَرُ بِلَالًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَخَبَّرَهُ بِهَا ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِبِلَالٍ : سَبَقَكَ بِهَا عُمَرُ ، وَذَكَرَ
بَاقِي الْحَدِيثِ . وَظَاهَرُ هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ عُمَرَ سَمِعَ ذَلِكَ فِي الْيَقَظَةِ ، وَكَذَلِكَ رُؤْيَا
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ فِي الْأُذَانِ رَأَاهَا ، وَهُوَ بَيْنَ النَّائِمِ وَالْيَقَظَانِ : قَالَ : وَلَوْ شِئْتُ
لَقُلْتُ : كُنْتُ يَقْظَانًا (٢) .

(١) رَوَاهُ بِسَنَدٍ وَاهٍ عَنْ كَثِيرِ الْحَضَرِيِّ .

(٢) فِي رَوَايَةِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ عِنْدَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ : وَلَوْ قُلْتُ : إِنِّي لَمْ أَكُنْ

فصل : وأما قولُ السائل : هل أذن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بنفسه قَطُّ ، فقد روى الترمذى من طريقٍ يدور على عمر بن الرماح ^(١) يرفعه إلى أبي هريرة ^(٢) أن رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - أذن في سفرٍ ، وصلى بأصحابه ، وهم على رَوَاحِلِهِمْ ، السماء من فوقهم والِبِلَّة من أسفلهم ، فنَزَعَ بعضُ الناس بهذا الحديث إلى أنه أذن بنفسه ، وأسندهُ الدَّارَقُطْنِي بإسناد الترمذى إلا أنه لم يذكر عُمرَ بنَ الرماح ، ووافقه فيما بعده من إسنادٍ ومُتَنٍ ، لكنَّهُ قال فيه :

= وهذا للنفس أن تلح في معرفة كيف كان ينادى للصلاة قبل الهجرة ؟ يحزم ابن المنذر بأنه عليه الصلاة والسلام كان يصلى بغير أذان منذ فرضت الصلاة بمكة إلى أن هاجر إلى المدينة إلى أن وقَّع التشاور في ذلك . ولكن توجد بعض الأحاديث عند الطبراني والدارقطني وغيرهما تدل على أنه شرع في مكة . غير أن رجال السند يضعفون هذه الأحاديث . على أن الحرية الرحبية التي من بها الله على نبيه وأصحابه في المدينة توحى بأن الحاجة إلى الإعلام بالصلاة راحت تلح على النفوس ، وكانت القسوة الباغية من قریش تسكبها في النفس ، ولا تدع لها قبل الهجرة باباً تنطلق منه .

(١) هو ابن ميمون بن بحر بن سعد الرماح البلخي أبو علي أو سعد هو الرماح ، فنسبه إلى جده الأعلى قاضي بلخ المتوفى سنة ١٧١ روى له الترمذى ، ووثقه ابن معين وأبو داود

(٢) الحديث عند الترمذى والدارقطني من حديث يعلى بن مرة بن وهب الثقفي عن بايع تحت الشجرة ، فسبقت السبيل حفظه ، أو سبق مستعمله قلمه ، لأنه كان ضريراً . الزرقاني على المواهب ص ٣٨٠ > ١ وقال الترمذى عن الحديث : غريب تفرد به عمر بن الرماح ، ولا يعرف إلا من حديثه .

فقام المؤذن ، فأذن ، ولم يقل : أذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمُتَّصِلُ
يَقْضَى عَلَى الْمُجْمَلِ الْمُحْتَمَلِ ، والله أعلم .

حديث صرمة بن أبي أنس

واسم أبي أنس : قَيْسُ بْنُ صِرْمَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَدِيٍّ بْنِ عَمْرِو بْنِ غَنَمٍ (١)
ابنِ عَدِيٍّ بْنِ النَّجَّارِ الْأَنْصَارِيِّ ، وهو الذي أنزل الله فيه ، وفي عُمر رضى الله
عنهما : ﴿ أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَّامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ البقرة : ١٨٧ إلى قوله :
﴿ وَعَفَا عَنْكُمْ ﴾ فهذه في عمر ، ثم قال : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾ إلى آخر الآية ،
فهذه في صِرْمَةَ بْنِ أَبِي أَنْسٍ (٢) ، وذلك أن إتيان النساء ليلاً في رَمَضَانَ

(١) في الإصابة : عامر بن غانم . وفيه أيضاً : صرمة بن أنس ، ويقال :
ابن أبي أنس ، ويقال : ابن قيس وكنيته : أبو قيس . وفي حرف القاف يقول
قيس بن صرمة ، وقيل : صرمة بن مالك أبو صرمة . وقيل : قيس بن أنس
أبو صرمة . وفرق ابن حبان بين قيس بن مالك وقيس بن صرمة ، فقال في كل
منهما له صحبة . وفي جمهرة ابن حزم عن بني عدي بن النجار منهم : صرمة
بن أبي أنس ، واسم أبي أنس : قيس بن صرمة بن مالك بن عدي بن النجار أسلم ،
وهو شيخ كبير ، وكان قد رفض الأوثان في الجاهلية ، وعنه : أنس بن صرمة
الشاعر ، وهو الذي يقول « ثوى في قریش بضع عشرة حجة . . . الخ ، ص ٣٣٠
ط أولى .

(٢) ورد مثل هذا في حديث رواه أحمد وأبوداد والحاكم من طريق
عبد الرحمن بن أبي ليلى ، ولكن هذا لم يسمع من معاذ ، ورواية البخاري على
اختصارها عظيمة هنا ، فقد زوى بسنده عن أبي إسحاق قال : سمعت البراء
« رضى ، لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله ، وكان جال =

كَانَ مُحَرَّمًا عَلَيْهِمْ فِي أَوَّلِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ النَّوْمِ ، وَكَذَلِكَ الْأَكْلُ وَالشَّرْبُ
كَانَ مُحَرَّمًا عَلَيْهِمْ بَعْدَ النَّوْمِ (١) فَأَمَّا عُمَرُ ، فَأَرَادَ امْرَأَتَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَقَالَتْ لَهُ :
إِنِّي قَدْ نَمْتُ ، فَقَالَ : كَذَبْتَ ثُمَّ وَقَعَ عَلَيْهَا ، وَأَمَّا صِرْمَةُ فَإِنَّهُ عَمِلَ فِي حَائِطِهِ
وَهُوَ صَائِمٌ ، فَجَاءَ اللَّيْلُ وَقَدْ جَهَّدَهُ الْكَلَالُ فَعَلَبَتْهُ عَيْنُهُ قَبْلَ أَنْ يَفْطُرَ ، فَجَاءَتْهُ
امْرَأَتُهُ بِطَعَامٍ كَانَتْ قَدْ صَنَعَتْهُ لَهُ ، فَوَجَدَتْهُ قَدْ نَامَ ، فَقَالَتْ لَهُ : الْخَيْبَةُ لَكَ حَرُمٌ
عَلَيْكَ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ فَبَاتَ صَائِمًا ، وَأَصْبَحَ إِلَى حَائِطِهِ يَعْمَلُ فِيهِ ، فَمَرَّ بِهِ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَهُوَ طَلِيحٌ قَدْ جَهَّدَهُ الْعَطَشُ مَعَ مَا بِهِ مِنَ
الْجُوعِ وَالنَّصَبِ ، فَسَأَلَهُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَخْبَرَهُ بِقِصَّتِهِ فَقَالَ
لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الرُّخْصَةَ ، وَجَاءَ بِالْفَرَجِ . بَدَأَ
بِقِصَّةِ عُمَرَ لِفَضْلِهِ ، فَقَالَ : ﴿ فَالآنَ بَاشِرُوهَن ﴾ ثُمَّ بَصِرْمَةُ فَقَالَ : ﴿ وَكُلُّوْا
وَاشْرَبُوا ﴾ قَالَ بَعْضُ أَشْيَاخِ الصُّوفِيَّةِ : هَذِهِ الْعَنَايَةُ مِنَ اللَّهِ أَخْطَأَ عُمَرُ خَطِيئَةً
فَرُجِحَتْ الْأَمَةُ بِسَبَبِهَا (٢) .

= يَخُونُونَ أَنْفُسَهُمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى : (عَلَّمَ اللَّهُ أَنْفُسَكُمْ كَنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ ،
فَنَابَ إِلَيْكُمْ) الْآيَةُ .

(١) وَقِيلَ : كَانَ إِلَى صَلَاةِ الْعِشَاءِ ، أَوْ بِنَامِ .

(٢) الرِّوَايَةُ الصَّحِيحَةُ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ وَكَانَ رِجَالُ يَخُونُونَ أَنْفُسَهُمْ ، فَهِيَ لَيْسَتْ
بِخَطِيئَةٍ . وَلَا أَخْطَأَ عُمَرُ وَحْدَهُ ، وَإِنْ صَحَّ الْحَدِيثُ الَّذِي يُنْسَبُ إِلَى عُمَرَ هَذَا .

من شرح شعره :

وذكر من شعر صرمة :

فأوصيكم بالله والبر والتقى وأعراضكم والبر بالله أول

يرفع البر على الابتداء ، وأول خبر له ، وقد يحتمل في الظاهر أن يكون ظرفاً في موضع الخبر ، ولكن لا يجوز ذلك في هذه الظروف المبنية على الضم أن تكون خبر المبتدأ ، لا تقول : الصلاة ، قبل إلا أن تقول : قبل كذا ، ولا الخروج بعد إلا أن تقول : بعد كذا ، وذلك لسرّ دقيق قد حوّم عليهما ابن جني (١) فلم يصيب المفضل ، والذي منع من ذلك أن هذه الغايات إنما تعمل فيها الأفعال الملقوطة بها لأنها غايات لأفعال متقدمة ، فإذا لم تأت بفعل يعمل فيها ، لم تكن غايةً لشيء مذكور ، وصار العامل فيها معنوياً ، وهو : الاستقرار ، وهي مضافة في المعنى إلى شيء ، والشيء المضاف إليه معنوي ، لا لفظي ، فلا يدل العامل المعنوي على معنوي آخر ، إنما يدل عليه الظاهر اللفظي ، فتأمل ، فالضمة في أول على هذا حركة إعراب ، لا حركة بناء ، ولو قال : ابدأ بالبر أول لكانت حركة بناء ، لكن من رواه : والبر بالله أول بخفض الراء من البر فأول حينئذ ظرف مبني على الضم يعمل فيه : أوصيكم وفيه : وإن أنتم أمعزتم فتعففوا ، الإمعاز : الفقر (٢) .

(١) أنظر ص ٣٦٢ - ٢ الخصائص لابن جني .

(٢) في رواية - كما ذكر الخشنى - أمعزتم : أي أصابتكم شدة ، من قولهم

رجل ما عز ومعز أي شديد .

ومن شعره :

سَبِّحُوا اللَّهَ شَرْقَ كُلِّ صَبَاحٍ طلعت شمسه وكلّ هلالٍ

الشرق : طلوع الشمس ، وهو من أسمائها أيضا ، وكذلك الشَّرْق بفتح
الراء وكلّ هلال بالنصب على الظرف ، أى : وقت كلّ هلال ، ولو قلت فى
مثل هذا : وكلّ قمر على الظرف ، لم يجز ، لأن الهلال قد أُجْرِى مُجْرِى المصادر
فى قولهم : الليلة الهلال ؛ فلذلك صح أن يكون ظرفا لأن المصادر قد تكون
ظروفا لمعانٍ وأسرارٍ ليس هذا موصفا لذكرها ، ولو خففت وكلّ هلال عطفًا
على صباح ، لم يجز لأن الشرق لا يضاف إلى الهلال كما يضاف إلى الصباح .

وفيه :

وله شَمَسَ النصارى

يعنى دين الشَّامِسة (١) ، وهم الرُّهْبَانُ لأنهم يُشَمُّونَ أنفسهم ، يريدون .
تعذيب النفوسِ بذلك فى زعمهم .

وفيه :

يَا بَنِي الْأَرْحَامِ لَا تَقْطَعُوهَا

بنصب الأرحام ، وهو أجود من الرفع فى هذا الموضع للنهى .

وقوله :

وَصِلُوهَا قَصِيرَةً مِنْ طَوَالٍ

(١) الشماس : خادم الكنيسة ، ومرتبته دون القسيس .

وقد أملينا فيها في غير هذا الكتاب ما نعيده ههنا بحول الله ، وأملينا أيضاً في معنى الرَّحِمِ واشتقاق الأم لإضافة الرَّحِمِ إليها ، ووضعها فيه عند خالق آدم وحواء ، وكون الأم أعظم حظاً في البرِّ من الأب ، مع أنها في الميراث دونه أسراراً بدیعة ، ومعاني لطيفة أودعناها كتاب الفرائض وشرح آيات الوصية ، فلتنظر هنالك .

وأما قوله : قصيرةٌ مِنْ طوَالٍ ، فيحتمل تأويلين أحدهما : أن يريد : صَلُّوا قِصَرَها من طوَالِكُمْ ، أى : كونوا أنتم طوالاً بالصَّلَّةِ والبرِّ إن قصرت هي ، وفي الحديث : [أنه قال لأزواجه] : أَسْرَعُكُمْ لِحُوقِ ابْنِي : أطولكن يداً [فاجتمعن يتناولن ، فطالهن سَوْدَةٌ ، فماتت زينب أولهن] أراد الطَّوْلُ بالصدقة والبر ، فكانت تلك صفته زينب بنت جَحْش^(١) . والتأويل الآخر : أن يريد مدحا لقومه بأن أرحامهم قصيرةٌ بالنسب ، ولكنها من قوم طواله كما قال :

أَحَبُّ مِنَ النِّسْوَانِ كُلِّ طَوِيلَةٍ لَهَا نَسَبٌ فِي الصَّالِحِينَ قَصِيرٌ
وقال الطائي :

أَنْتُمْ بَنُو النَّسَبِ الْقَصِيرِ وَطُولِكُمْ بَادٍ عَلَى الْكِبَرِ وَالْأَشْرَافِ
وَالنَّسَبُ الْقَصِيرُ : أن يقول : أنا ابنُ فلانٍ فيُعرف ، وتلك : صفة

(١) المعنى في الحديث : أمدكن يداً بالعطاء من الطول ، فظننه من الطول . وكانت زينب تعمل بيدها وتصدق به . النهاية لابن الأثير .

الأشراف ، ومن ليس بشريف لا يُعرف حتى يأتيَ بِنسبةٍ طَوِيلَةٍ يبلُغُ بها رأسَ القَبِيلَةِ . وقد قال رُوَيْبَةُ : قال لى النَّسَابَةُ : مَنْ أَنْتَ أَنْتَسِبُ ، فقلت : رُوَيْبَةُ بنَ العَجَّاجِ ، فقال : قَصَّرتَ وعُرِفْتَ . وقوله :

إِنْ خَزَلَ التَّخُومَ ذُو عُقَالٍ

التَّخُومُ : جمع : تَخُومَةٌ ، ومن قال : تُخَمُّ في الواحد ، قال في الجمع تُخُومُ بضم التاء (١) ، وأراد بها الأُرْفَ [أو الأُرْثَ] وهى الحدود ، وقال أبو حنيفة : التَّخُومُ والتَّخُومُ : حُدُودُ البلادِ والقرى ، ولم يذكر في حدود الأخقال الأُرْفَ . والعُقَالُ . ما يمنع الرجل من المشى ، وبمعناها يريد أن الظلم يُخَلِّفُ صاحبه وبمعناه عن السَّباقِ ، ويَحْدِسُهُ في مَضَائِقِ الاختِلاقِ .

وذكر قصيدته اليائية ، وقال فيها : فَطَأُ مُعْرِضًا . البيت ، قال ابن هشام : هو لأَفْنُونُ التِّغْلَبِيِّ ، واسمه صُرَيْمُ بن مَعَشَرٍ [بن ذُهل بن تميم بن عمرو ابن عمره بن مالك بن حَبِيب بن عمرو بن غَنَم بن تغلب (٢)] . قال المؤلف وسمى أفنونا في قول ابن دُرَيْدٍ لبیت قاله فيه :

(١) يرى الفراء أنها بضم التاء ، ويرى السكاني أنها بفتحها ويقول أبو عبيد: أصحاب العربية يقولون : هى التخوم بفتح التاء ويجعلونها واحدة ، وأما أهل الشام فيقولون : التخوم يجعلونها جمعا ، والواحد : تخم . وقال ابن برى تخوم وتخوم وزبور وزبور ، وعذوب وعذوب - بالفتح أو الغم - فى هذه الأحرف الثلاثة . وينسب هذا البيت أيضاً إلى أحيحة بن الجلاح .

(٢) وأفنون بضم الاول أو فتحه ، وفى مؤتلف الآمدى أن اسمه : ظالم .

مَنْيَتَنَا الْوُدَّ يَا أَفْنُونَ مَظْنُونَةٌ (١)

أو نحو هذا اللفظ . والأفْنُونُ : الغُصْنُ الناعم ، والأفْنُون أيضاً العجوز الغائية ، وأفْنُون هو الذى يقول :

لو أننى كنتُ من عَادٍ ومن إِرَمٍ
لَمَّا وَقَوْا بأخيهم من مُهَوَّلَةٍ
أَنَّى جَزَوْا عَمِيراً سُوءَى بفعلهم
أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تُعْطَى الْعُلُوقُ بِهِ
غَذَى بِهِمْ وَلَقَمَانٍ وَذَى جَدَنٍ
أَخَا السَّكُونِ وَلَا جَارُوا عَنِ السَّنَنِ
أَمْ كَيْفَ يَجْزُو نَفْسِي السُّوءَى مِنَ الْحَسَنِ
رِثْمَانُ أَنْفٍ إِذَا مَاضٍ بِاللَّيْنِ (٢)

(١) فى سمط الآله :

مَنْيَتَنَا الْوُدَّ يَامُضْنُونَ مَضْنُونَا أَزْمَانَنَا إِنْ لَشَبَابٍ أَفْنُونَا
وبعض الشطرة الأخيرة فى الاشتقاق لابن دريد . انظر ص ٦٨٤ السمعط ،

ص ٢٣٦ الاشتقاق

(٢) البيت الاول فى اللسان ، وفيه : د ولقمانا وذاجدن ، وفى المفضليات للضبي ص ٣٠ ط ١٣٢٤ هـ ، وفى البيان والتبيين ٢ ص ٩ ط ١٣٦٧ هـ . وبيت فيهم ، ومن لقمان أوجدن ، وعدة القصيدة فى المفضليات تسمة أبيات ، ومنها فى البيان أربعة الابيات التى ذكرها السبلى ، ومنها فى أمالى القالى البيت الثالث والرابع ص ٥١ ط ٢ ص ٢ . وفى سمط الآلى ورد قبل البيت الثالث بيتان آخران . وفى البيان والتبيين عن رثمان د أصله : الرقة والرحمة والرهوم أرق من الرهوف ، فقال : د رثمان أنف ، كأنها تبر ولدها بأنفها وتمنعه اللبن ، ص ٩ ط ٢ وفى معنى اللبيب لابن هشام ورد البيتان الثالث والرابع . وفيه عن العلوق : الناقة التى علق قلبها بولدها ، وذلك أنه ينحر ، ثم يحشى جلده تبنا ، ويجعل بين يديها لقشمة ، فتدبر عليه ، فى تسكن إليه مرة وتنفرد عنه أخرى ، وهذا البيت يفسد لمن يعد بالجميل ، ولا يفعله ، لانطواء قلبه على ضده . هذا وقد نقل عن الكسائى أنه يرى رفع رثمان على أنها بدل من ما ، كما يرى نصبها بتعطى ، وجورها على أنها بدل من الهاء ، أما الاصمعى وابن السكراى فى الرفع . انظر =

وقول ابن هشام في البيتين : قَطَأَ مُعْرِضًا والذي بعده أنهما لأفنون .
 التَّغْلِبِيَّ مذكور عند أهل الأخبار ، ولها سبب ذكرها أن أفنونا خرج
 في ركب ، فروا بَرَبَوَةَ تعرف : بالإلهة (١) ، وكان الكاهن قبل ذلك
 قد حدثه أنه يموت بها ، فربها في ذلك الركب ، فلما أشرفوا عليها وأُعْلِمَ
 باسمها ، كَرِهَ المرورَ بها ، وأبوا أصحابه إلا أن يَمُرُّوا بها ، وقالوا له : لا تنزل
 عندها ، ولكن تَجُوزُهَا سَفِيًّا ، فلما دنا منها بركت به ناقته على حَيَّة ، فنزل
 لينظر فَنَهَشَتْهُ الحَيَّةُ ، فمات ، فَقَبَرَهُ هنالك ، وقيل في حديثه : إنه مَرَّ بها ليلاً ،
 فلم يعرف بها حتى رَبَضَ البَعِيرُ الذي كان عليه ، وعلم أنه عند الإلهة فَجَزِعَ ،
 فقيل له : لا بأس عليك ، فقال فَلَمْ رَبَضَ البَعِيرُ ، فأرسلها مثلاً . ذكره يعقوب ،
 وعندما أحس بالموت قال هذين البيتين اللذين ذكر ابن إسحاق وبمدهما :
 كَفَى حَزَنًا أَنْ يَرَحَلَ الرَّكْبُ غُدْوَةً وَأَتَرَكَ فِي جَنْبِ الْإِلَهِةِ ذَوَا (٢)

تسمية اليهود الذين نزل فيهم القرآن

ذكر فيهم جُدَيَّ بن أخطب ، بالجيم ، وهو أخو حُيَّ بن أخطب ،

== ص ٤٠ ح ١ معنى القليب ط ١٣٢٨ والابيات مشروحة بالتفصيل في المفضليات ،
 وخزانة الادب للبغدادى .

(١) الإلاهة على وزن الفعالة : قارة بالسماوة من دار كلب ، وهى بين ديار
 تغلب والشام .

(٢) أنظر عن القصة ص ١٨٦ > ١ معجم ما استعجم .

وَأَمَّا حُدَيِّ بِالْحَاءِ ، فَذَكَرَهُ الدَّارُ قُطْنِي فِي نَسَبِ عُمَيْيَةِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابِ
ابْنِ حُدَيِّ التَّمِيمِيِّ فَارِسِ الْعَرَبِ .

وَذَكَرَ عَزِيزُ بْنُ أَبِي عَزِيزٍ وَأَلْفَيْتُ بِحِطِّ الْحَافِظِ أَبِي بَحْرٍ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ
يَقُولُ عَزِيزُ بْنُ أَبِي عَزِيزٍ ، بَزَائِينَ قَيْدَنَاهُ فِي الْجُزْءِ قَبْلَ .

وَذَكَرَ ثَعْلَبَةُ بْنُ الْفِطَيَّوْنَ وَالْفِطَيَّوْنَ كَلِمَةً عِبْرَانِيَّةً ، وَهِيَ عِبَارَةٌ عَنْ كُلِّ
مَنْ وَلِيَ أَمْرَ الْيَهُودِ ، وَمَلَكَهُمْ ، كَمَا أَنَّ النَّجَاشِيَّ عِبَارَةٌ عَنْ كُلِّ مَنْ مَلَكَ
الْحَبَشَةَ ، وَخَاقَانَ مَلَكَ التُّرْكِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْ هَذَا الْبَابِ جُمْلَةٌ .

وَذَكَرَ فِيهِمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنُ صُورِيَا^(١) الْأَعُورَ ، وَكَانَ أَعْلَمَهُمْ بِالتَّوْرَةِ ،
ذَكَرَ النَّقَّاشُ أَنَّهُ أَسْلَمَ لِمَا تَحَقَّقَ مِنْ صِفَاتِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي التَّوْرَةِ ،
وَأَنَّهُ هُوَ وَلَيْسَ فِي سِيرَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ ذِكْرُ إِسْلَامِهِ .

يهود المدينة :

فصل : وقوله : وَمِنْ يَهُودِ بَنِي زُرَيْقٍ ، وَمِنْ يَهُودِ بَنِي حَارِثَةَ ، وَذَكَرَ
قِبَائِلَ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَإِنَّمَا الْيَهُودُ بَنُو إِسْرَائِيلَ ، وَجُمْلَةٌ مِنْ كَانَ مِنْهُمْ بِالْمَدِينَةِ
وَخَيْبَرَ إِنَّمَا هُمْ [بَنُو] قُرَيْظَةَ [وَبَنُو] النَّضِيرَ وَبَنُو قَيْمُقَاجَ ، غَيْرَ أَنَّ فِي الْأَوْسِ
وَالنَّخْزَرَجِ مَنْ قَدْ تَبَهَّوْهُ ، وَكَانَ مِنْ نَسَائِهِمْ مَنْ تَنَذَّرُ إِذَا وَلَدَتْ إِنْ عَاشَ
وَلَدُهَا أَنَّ تَهَوَّدَهُ ، لِأَنَّ الْيَهُودَ عِنْدَهُمْ كَانُوا أَهْلَ عِلْمٍ وَكِتَابٍ ، وَفِي هَؤُلَاءِ

(١) فِي الْأَصْلِ : صُورِي ؛ وَالتَّصْوِيبُ مِنَ الْقَامُوسِ . وَفِيهِ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ هَذَا
أَسْلَمَ مِمَّ كَفَرَ .

الأبناء الذين تهودوا نزلت ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ البقرة : ٢٥٦ حين أراد آباؤهم إكراههم على الإسلام في أحد الأقوال^(١) .

السحر المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم

وأما لبيد بن الأعصم ، الذي ذكره من يهود بني زُرَيْقٍ ، وقال : هو الذي أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه يعني من الأخذ ، وهي ضرب من السحر . في الخبر أن القاسم بن محمد بن الحنفية ، كان مؤخذاً عن مسجد النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يستطيع أن يدخله ، وكان لبيد هذا قد سحر رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، وجعل سحره في مشطٍ ومشاطة .

(١) الحديث مروي عن ابن عباس : كانت المرأة تكون مقلاة فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده ، فلما أجليت بنو النضير كان فيهم من أبناء الانصار ، فقالوا : لاندع أبناءنا ، فأنزل الله عز وجل : (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) رواه أبو داود والنسائي جميعاً عن بNDAR به ، ومن وجوه آخر عن شعبة به نحوه ، ورواه ابن أبي حاتم وابن حبان في صحيحه . وهكذا ذكر مجاهد وسعيد بن جبير والشعبي والحسن البصري وغيرهم . وبسند آخر روى ابن إسحاق عن ابن عباس نفسه أنها نزلت في رجل من الانصار من بني سالم بن عوف يقال له : الحصيني كان له ابنان نصرانيان ، وكان هو رجلاً مسلماً ، فقال للنبي ﷺ : ألا أستكرهما . فانهما قد أياها إلا النصرانية ، وقيل غير ذلك . ويقول ابن كثير في تفسير الآية : لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام ، فانه بين واضح جلي دلالته وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه . . . وقد ذكروا أن سبب نزول هذه الآية في قوم من الانصار ، وإن كان حكمها عاماً ،

وروى : مُشَاقَّةٌ بالقاف ، وهى مُشَاقَّةُ الكَتَّان ، وَجُفٌّ طَلْعَةٌ^(١) ذِكْرٌ ، هى فَحَّالُ النخل ، وهو ذُكَارُهُ . وَالْجُفُّ : غلافُ الطَّلْعَةِ ، ويكون لغيرِها ، ويقال للجُفِّ القِيْقَاءُ وتُسَمَّعُ منه آنيةٌ يقال لها : القَلَاتِلُ [جمع : تَلَقَلَةٌ] قاله أبو حنيفة . ودفعه فى بئرِ ذى أَرْوَانَ ، وأكثرُ أهلِ الحديثِ يقولون : ذَرْوَانٌ تحتِ رَأُوفَةِ البئرِ [أو أَرْوَقَتِهَا] ، وهى صخرة فى أسفلهِ يقفُ عليها المائِجُ^(٢) ، وهذا الحديثُ مشهورٌ عند الناس ، ثابتٌ عند أهلِ الحديثِ ، غيرَ أنى لم أجد فى الكتبِ المشهورةِ : كم كَيْتَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - بذلك السحرُ ، حتى شَفِئى منه ، ثم وقعت على البيانِ فى جامعِ مَعْمَرِ بنِ رَاشِدٍ . رَوَى مَعْمَرٌ عن الزُّهْرِيِّ ، قال : سَجَرِ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سنةً يُحَلُّ إليه أنه يفعلُ الفعلَ ، وهو لا يفعله^(٣) ، وقد طَعَنَتِ المعتزلةُ فى هذا الحديثِ وطوائفُ من أهلِ البدعِ ، وقالوا لا يجوز على الأنبياء أن يُسَحَّرُوا ، ولو جاز أن يُسَحَّرُوا ، لجاز أن يُجَنُّوا . وَزَعَّ بعضهم بقوله عز وجل : ﴿ وَاللَّهُ يَعَصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ والحديثُ ثابتٌ خَرَّجَهُ أهلُ الصحيح ، ولا مَطْنٌ فيه من جِهَةِ النقلِ ، ولا من جِهَةِ العقلِ ، لأن العِصْمَةَ إِنَّمَا وَجَّهَتْ لَهُمْ فى عقولهم وأديانهم ، وأما أبدانهم ، فإنهم مُيَبَّتُونَ فيها ، ويخلص إليهم بالجراحة والضرب والسوم والقتل ،

(١) الطلعة : القطعة من طلع النخل ، والطلع : غلاف يشق الكوز ينفتح عن حب منضود ، فيه مادة لإخصاب النخلة

(٢) الراعوفة أيضا صخرة تكون على رأس البئر يقوم عليها المستقى ، والمائج : المستقى .

(٣) أليس التخييل تخليطا أو اختلاطا عقليا ؟

والأخذة التي أخذها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من هذا الفن ، إنما كانت في بعض جوارحه دون بعض (١) .

وأما قوله سبحانه : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ فإنه قد روى أنه كان

(١) لمرض هنا بعض روايات الحديث . روى الإمام أحمد بسنده عن زيد ابن أرقم قال : سحر النبي - صلى الله عليه وسلم - رجل من اليهود ، فاشتكى لذلك أياما ، قال : فجاءه جبريل فقال : إن رجلا من اليهود سحرك ، وعقد لك عقدا في بشر كذوكذا ، فأرسل إليها من يحى بها ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستخرجها ، فجاءه بها ، فخلها ، قال : فقام رسول الله ص ، كأنما نشط من عقال ، فاذا ذكر ذلك اليهودي ، ولا رآه في وجهه حتى مات . ورواه النسائي عن هناد عن أبي معاوية محمد بن حازم الضرير . ويثبت الحديث أن رسول الله ص ، اشتكى أياما لكن لم يذكر ما اشتكى منه ، ولا تحدث عن المشط والمشاطة ولا شيء مما ورد . ويقول ابن الأثير عن التعبير بكأنما نشط من عقال أن التعبير بنشط ليس بصحيح ، والصواب : أنشط يقال : نشطت العقدة إذا عقدتها ، وأنشطتها وأنشطتها : إذا خللتها . . أقول : وهذا التعبير يؤكد أن ما أصاب النبي ص ، كان يشمل كل جسده .

أما البخاري فيروى بسنده عن عائشة قالت : كان رسول الله ص ، سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ، ولا يأتين . قال سفيان : وهذا أشد ما يكون من السحر ، إذا كان كذا . فقال يا عائشة أعلمت أن الله قد أفناني فيما استفتيته فيه . أثنائي رجلان فقمعد أحدهما عند رأسي ، والآخر عند رجلي ، فقال الذي عند رأسي للآخر . ما بال الرجل ؟ قال مطبوب و المطبوب : المسحور ، قال : ومن طبه ؟ قال ليبيد بن أعسم ، رجل من بني زريق حليف اليهود ، وكان منافقا ، قال : وفيم ؟ قال : في مشط ومشاطة . قال : وأين ؟ قال : في جف طلعة ذكر تحت رعوة في بر ذروان . قالت : فأنى البر ، حتى استخرجه . فقال : هذه البر التي أريتها ، وكان ماء نقاعة الحناء ، وكان نخلها رموس الشياطين ، قال فاستخرج ، فقلت : =

== أفلا تفسرت ، فقال : أما الله فقد شفاني ، وأكره أن أثير على أحد من الناس شراً ، وأسند من حديث عيسى بن يونس وأبي ضمرة أنس بن عياض ، وأبي أسامة ، ويحيى القطان ، وفيه قالت : حتى يخيل إليه أنه فعل الشيء ، ولم يفعله ، وعنده ، فأمر بالبئر ، فدفنت ، وذكر رواية عن هشام أيضا ابن أبي الزناد ، واليث بن سعد ، وقد رواه مسلم من حديث أبي أسامة حماد بن أسامة ، وعبد الله ابن نمير ، ورواه أحمد عن عفان عن وهب عن هشام به ، ورواه الإمام أحمد أيضا عن إبراهيم بن خالد عن معمر عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت : لبث النبي صلى الله عليه وآله ستة أشهر يرى أنه يأتي ولا يأتي ، فاتاه ملسكان ، فجلس أحدهما عند رأسه ، والآخر عند رجله ، فقال أحدهما للآخر : ما باله ؟ قال : مطبوب ، قال : ومن طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم ، وذكر تمام الحديث .

وفي بعض الروايات ورد أن الرسول صلى الله عليه وآله أرسل عليا والزبير وعمار ابن ياسر . وأنهم وجدوا فيه وترا معقودا فيه اثنا عشر عقدة مغروزة بالإبرة ، فأنزل الله السورتين ، فاجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة .

ورواية البخاري ومسلم . لم تتحدث عن جبريل ، وإنما عن رجلين . ، ثم هي تؤكد أنه صلى الله عليه وآله كان مطبوبا ، أي مسحورا . وأنه كان يرى أنه يأتي النساء ، ولا يأتيهن ، وأنه أنى الرقية . ورواية أحمد عن إبراهيم بن خالد تثبت أنه ظل ستة أشهر يرى أنه يأتي ، ولا يأتي .

كما نجد في بعض روايات الحديث ما يفيد أن الرسول صلى الله عليه وآله أرسل من يجيء بالسحر ، وفي غيرها ضده .

هذا والسحر — كما يقول الراغب — يقال على معان ، الأول : الخداع وتخييلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المشعوذ بصرف الأبصار عما يفعله لحفة يد ، وما يفعله الثمام بقول مزخرف عائن للأجماع . وعلى ذلك : (سحر وأعين الناس) (يخيل إليه من سحرهم) . . الثاني استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه كقوله : (هل أنبيئكم على من تنزل الشياطين ؟ تنزل على كل أفاك أئيم) وعلى ذلك قـوله : (ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر) . والثالث : ما يذهب إليه الاغتام ، وهو اسم لفعل يزعمونه أنه من قوته بغير ==

= الصور والطبائع ، فيجمل الإنسان حمارا ، ولا حقيقة لذلك عند المحصلين .
وفد تصور من السحر تارة حسنه ، فقيل : إن من البيان لسحرا ، وتارة :
دقة فعله ، حتى قالت الأطباء : الطبيعة ساحرة ، وسموا الغذاء سحرا من حيث
أنه يدق ويلطف تأثيره ، وعند ابن فارس في مقاييسه : « السين والحاء والراء :
أصول ثلاثة متباينة ، أحدها : عضو من الاعضاء ، والآخر : خدع وشبهة ،
والثالث : وقت من الاوقات » . ثم يقول عن السحر : « قال قوم هو لإخراج
الباطل في صور الحق ، ويقال : هو الخديعة ، هذا معنى السحر في اللغة التي
شرفها الله ، فنزل بها القرآن .

ولنتدبر معا بعض ماورد في القرآن مما لهذا الامر صلة وثيقة به . يقص
ربنا سبحانه قول مرسى للسحرة في قوله جل شأنه : (فلما ألقوا قال موسى :
ما جئتم به السحر ، إن الله سيبيطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين) يونس : ٨١ .
والمعنى واضح وضوح الحق في القرآن . هو أن الله سبحانه يبطل السحر الذي
يحمى به السحرة ضد النبوة . وتدبر ختام الآية الكريمة . ويقص الله سبحانه ما قاله
المشركون عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : (يقول الظالمون : إن تتبعون إلا
رجلا مسحورا . انظر كيف ضربوا لك الأمثال ، فضلوا ، فلا يستطيعون .
سبيلا) الإسراء : ٤٧ ، ٤٨ فهت الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه رجل مسحور
هو قول الظالمين الذين ضلوا ، فلا يستطيعون سبيلا ، وقد ورد هذا المعنى أيضا
في سورة الفرقان : (وقال الظالمون : إن تتبعون إلا رجلا مسحورا . انظر كيف
ضربوا لك الأمثال فضلوا ، فلا يستطيعون سبيلا) الفرقان : ٨ ، ٩ .

كما يقص الله سبحانه أن فرعون قد هت موسى (إني لأظنك يا موسى
مسحورا) الإسراء : ١٠١ . والمعجب هنا أن فرعون على حقه وجوده
وتوحش الظلم في أعماله وأعماله قال أظنك ، ونسمع من يؤكد أن النبي صلى الله
عليه وسلم يسحره يهودى ، وبطل النبي د ص ، مسحورا ستة أشهر ، وهو يرى
الشيء عين نقيضه ، وإحساسه بما يوفق الإحساس للغامد بقوة إحساس مختلط .
ماذا يدل عليه الزعم بأنه كان يرى أنه بأتى النساء ، ولا يأتيهن ؟ يدل على أنه قد
تجرد من كل تمييز ولهذا قال سنيان : وهذا أشد ما يكون من السحر . إذا كان =

== مثل هذا اليهودى القذر اليد والدين واللوم يهيمن بذجله على خير نبي ، هو خير ولى ، وخير صديق ، فاذا بقى من نبوة تقاوم ؟ وإذا كان الله سبحانه قد قال لإبليس (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ، إلا من اتبعك من النافرين) الحجرات : ٢٤ ، أفىكون لجنده عليهم سلطان ؟ إن الشيخ السبيلى يزعم أن الأمر كان يتعلق بحسد النبي د ص ، لا بعقله ١١ كيف يزعم هذا ، وهو يروى عن روى أنه كان يروى أنه يأتى النساء ، ولا يأتين ؟ وإذا كان هذا ليس تخليطاً عقلياً ، وغمة فكرية وشعورية ، فاذا يكون التخليط ، وكيف تكون الغمة الفكرية الشمورية ، وكيف نقله فرعون والظالمين في بهت صفوة الخلق أجمعين ؟ وإذا كان قد ورد في رواية متفق عليها أنه كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ، وما فعله ؟ وستة أشهر ؟

إن أجل ما يمتاز به الرسل — صلوات الله وسلامه عليهم — تلك اليقظة العقلية التى لا تغفل عن عوار فى الكفر أو الخلق أو الشعور ، والتى لا يتصور مطلقاً فيها التسوية بين الشيء ونقيضه ، فكيف استطاع يهودى بمشط ومشاطة أن يجعل هذه اليقظة العقلية الملهمة الرائعة خرفاً ؟ ثم إننا لم نسمع ، طلقاً فيها روى — أن الرسول د ص ، قد احتبس عن أصحابه ستة أشهر بسبب هذا الخرف ، أو يمكن أن نظن أنه يلتقى بالناس ويخاطبهم . ، ويعلمهم ويهديهم ، وهو بهذا الخرف ، أو بهذا الوسواس ، أو بهذا الشعور النفسى المخطم ، أو بهذا الحطام من بقايا رجل يختاره الله لختم النبوة ، ثم يدعه لليهودى قذر يسيطر على فكره وعاطفته وتمييزه ، فهى الشيء عين نقيضه ؟ .

إننا حين نفترض صحة الحديث ، فأنى أتصور الأمر كما يأتى : أصيب عليه الصلاة والسلام بمرض ما لم يمسس به نباهة عقل ، ولا تألق فكر ، ولا لإشراق روح ، ولا تسمى وعى إلى أعلى الذرى التى تكون لافق الوعى الإنسانى ، فإياك إذا كانت تهديه أضواء النبوة ، وتحلق به هدايتها ؟ وأتصور أن اليهودى قام بهذا السحر ، وأن الذى كان بالرسول — صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن أتصور أنه أثر ==

يُحْرَسُ فِي الْغَزْوِ ، حَتَّى نَزَاتْ هَذِهِ الْآيَةُ ، فَأَمَرَ حُرَّاسَهُ أَنْ يَنْصَرِفُوا عَنْهُ ،
وَقَالَ : لَا حَاجَةَ لِي بِكُمْ ، فَقَدْ عَصَمَنِي اللَّهُ مِنَ النَّاسِ ^(١) ، أَوْ كَمَا قَالَ .

فقہ هدیہ السحر :

وَأَمَّا مَا فِيهِ مِنَ الْفَقْهِ ، فَإِنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ لَهُ : هَلَّا تَنْشَرْتَ ، فَقَالَ : أَمَّا أَنَا
فَقَدْ شَفَانِي اللَّهُ ، وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا ، وَهُوَ حَدِيثٌ مُشْكِلٌ
فِي ظَاهِرِهِ ، وَإِنَّمَا جَاءَ الْإِشْكَالُ فِيهِ مِنْ قِبَلِ الرُّوَاةِ ، فَإِنَّهُمْ جَمَعُوا جَوَابَيْنِ

= من سحر اليهودى القدر ، وإنما عائشة - رضى الله عنها - هى التى ربطت بين
سحر اليهودى حين علت بما فعله ، وبين ما أصيب به النبى صلى الله عليه وسلم ،
ولا سيما وقد كان الأمر بالمدينة ، وفيها اليهود الذين كانوا يصورون للناس أن
لسحرم القدرة التى لا تقاومها قوة .

أريد أن أقول شيئاً آخر . ليس من الخير أن نقول سنداً فيه محاولة لهدم أقوى
سند فى الوجود . سند النبوة الخاتمة لخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم .
وليست العصمة التامة لأحد ، والله وحده هو الذى يعصمنا .

(١) الذى فى الصحيحين وأحمد أن عائشة - رضى الله عنها - كانت تحدث أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم سهر ذات ليلة ، وهى إلى جنبه ، قالت : فقلت :
ما شأنك يا رسول الله ؟ قال لبيت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرسنى الليلة . قالت :
فبينما أنا على ذلك إذ سمعت صوت السلاح ، فقلال من هذا ، فقال : أنا سعد
ابن مالك ، فقال : ما جاء بك ؟ قال : جئت لأحرسك يا رسول الله ، قالت :
فسمعت غطيظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نومه . وفى بعض الروايات أن
أن هذا حدث ذات ليلة مقدمه المدينة على أثر هجرته لإليه ، وبعد أن بنى بعائشة
فى السنة الثانية . أما ما رواه السهيلي فقد ورد فيما روى ابن أبى حاتم والترمذى
مما قال : وهذا حديث غريب .

لـكـلامين كلاما واحداً ، وذلك أن عائشة قالت له أيضا : هَلَّا اسْتَخَرَجْتَهُ ،
أى : هَلَّا اسْتَخَرَجْتَ السَّحَرَ مِنَ الْجُنْفِ وَالْمُشَاظَةِ ، حَتَّى يَنْظُرَ إِلَيْهِ ، فَذَلِكَ
قال : وَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا ، قال ابن بطال : كَرِهَ أَنْ يُخْرِجَهُ . فَيَتَعَلَّمُ
منه بعضُ الناس ، فذلك هو الشر الذي كَرِهَهُ .

قال المؤلف : ويجوز أن يكون الشرُّ غيرَ هذا ، وذلك أن الساحر كان
من بنى زُرَيْقٍ ، فلو أظهر سحرَه للناس ، وأراهم إياه لأَوْشَكَ أَنْ يُرْبِدَ طَائِفَةٌ
من المسلمين قتلَه ، ويتمصَّب له آخرون من عَشِيرَتِهِ فَيَمُوتُ شَرًّا كما نَرَى في حديثِ
الإِفْكِ مِنَ الشَّرِّ مَا سِيَأْتِي بَيَانُهُ .

وقول عائشة : هَلَّا اسْتَخَرَجْتَهُ هو في حديثين رواهما البُخَارِيُّ جَمِيعًا ،
وأما جوابه لها في حديث : هَلَّا تَنْشَرْتُ : بقوله أما أنا فقد شَفَانِي اللهُ ، وجوابه
لها حين قالت : هَلَّا اسْتَخَرَجْتَهُ : بأن قال : أَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا ،
فلما جمع الراوى بين الجوابين في حديث واحد اسْتَفْتَقَ الْكَلَامُ ، وإذا
نُظِرَتْ الْأَحَادِيثُ مُتَفَرِّقَةً تُبَيِّنَتْ ، وعلى هذا النحو شَرَحَ هَذَا الْحَدِيثَ
ابنُ بَطَالٍ .

وأما الفقه الذى أشرنا إليه فهو لإباحة النَّشْرِ^(١) من قول عائشة :
هَلَّا تَنْشَرْتُ ، ولم يَنْكُرْ عليها قَوْلُهَا .

(١) النشرة : ضرب من الرقية والعلاج يعالج به من كان يظن أن به مسا
من الجن ، سميت نشرة ، لأنه يفشُرُ بها عنه ما خامرهُ من الداء . وقال الحسن :
نشرة من السحر ، وقد نشرت عنه تنشيروا .

وذكر البخاري عن سعيد بن المسيب أنه سئل عن النشرة للذي يؤخذ عن أهله ، فقال : لا بأس لم ينه عن الصلاح ، إنما نهى عن الفساد ، ومن استطاع أن ينقّم أخاه فليفعل . ومن الناس من كره النشرة على العموم ، ونزع بحديث خرّجه أبو داود مرفوعاً : أن النشرة من عمل الشيطان ، وهذا - والله أعلم - في النشرة التي فيها الخواتم والعزائم ، ومالا يفهم من الأسماء العجمية^(١) ، ولولا الإطالة للخرجة لنا عن غرضنا لقدرنا الرخصة بالآثار ، وهذا القدر كاف ، والله المستعان . وكانت عقد السّحر أحد عشر عُقْدَةً ، فأنزل الله تعالى المعوذتين أحد عشر آية ، فأحلت بكل آية عُقْدَةً^(٢) ، قال تعالى : ﴿ ومن شرّ النّفّاثاتِ نى العُقَدِ ﴾ ولم يقل النّفّاثين ، وإنما كان الذي سحره رجلاً^(٣) والجواب : أن الحديث قد رواه إسماعيل الفاذي ،

(١) من يتأمل فيما قيل عنه إنه رقى شرعية يحدّ دعاء إلى الله سبحانه ، فلم تسمى هذه الدعوات الطيبات نشرات أورقي ؟ وللأسمين ما لهما من إيجاء غير طيب بل إيجاء يغلب أن يكون خبيثاً ، بل إن الكثير من الرقي هو عين الشرك . فلنقل : إن المفروض هو الدعاء ، بدلا من القول : إن الرقي أو النشرات مباحة ، فنزاع بالناس إلى اتخاذ أحط وسائل الشرك قربا إلى الله !!

(٢) هذا مما روى بلا إسناد ، وفي حديثه نكارة وغرابة ، ورغم هذا ففي الحديث أنها اثنتا عشرة عقدة !! أما الآيات ، فإحدى عشرة ١١ .

(٣) يقول بعض المفسرين قولاً طيباً : المراد بالنفث في العقد : لإبطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حله . ويقول الشيخ حامد الفقى رحمه الله تعليقا على تفسير ابن القيم للمعوذتين : النفث الذي يليق بعظمة بلاغة القرآن ، وفخامة أسلوبه : هو نفث المفسدين مسمومهم بالكذب والغيبة والنميمة وقالة السوء ، في عقد الصلوات بين الناس . حتى ينكروا عرى =

وزاد في روايته أن زينب اليهودية أعانت كبيد بن الأغقم على ذلك السحر ،
مع أن الأخذة في الغالب من عمل النساء وكيدهن .

إسلام عبد الله بن سلام

سَلَام هو بتخفيف اللام ، ولا يوجد من اسمه سَلَام بالتخفيف في المسلمين
لأن السَلَام من أسماء الله ، فيقال عبد السَلَام ، ويقال سَلَام بالتشديد ،
وهو كثير ، وإنما سَلَامٌ بالتخفيف في اليهود ، وهو والد عبد الله بن
سَلَام منهم .

ذكر فيه قول عمته خالدة أهو النبي لدى كنا نخبر أنه يُبْعَثُ مع نَفْسِ
السَّاعَةِ ، وهذا الكلام في معنى قوله عليه السلام : إني لأجد نَفْسَ السَّاعَةِ بين
كتفي ، وفي معنى قوله : ﴿ نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ ومن كان
بين يدي طالبيه ، فنَفْسُ الطالب بين كفتيه^(١) ، وكان النَّفْسَ في هذا الحديث

== الزوجية والمودة والرحمة وغيرها ، وشر وضرر هذا في الناس أكثر جدا من
شر من يقولون : إنهم سحرة ، ص ٥٧١ التفسير القيم ط ١ . وقيل عن تأنيث
النفائات أن المراد : النفوس : أقول : وهذا هو الاوفق ، وليعم كل نافث
ونافثة .

(١) فسر ابن الأثير القول بقوله : أي بعثت وقد حان قيام الساعة وقرب . .
فأطلق النفس على القرب ، وقيل معناه أنه جعل للساعة نفسا كنفس الإنسان ،
أراد : أني بعثت في وقت قريب منها أحس فيه بنفسها كما يحس بنفس الإنسان
إذا قرب منه ، يعني : بعثت في وقت بانئت أشراتها فيه ، وظهرت علاماتها ،
ويروى في نسيم الساعة . وفي الترمذي : بعثت في نفس الساعة ، فسبقتها ، كما
سبقت هذه ، وأشار بأصبعه السبابة والوسطى . .

عبارة عن الفتن المؤذنة بقيام الساعة ، وكان بدؤها حين ولى أمته ظهره .
 خارجا من بين ظهرانيهم إلى الله تعالى ، ألا تراه يقول فى حديث آخر : وأنا
 أمان لأمتي ، فإذا ذهبت أمتي ما يؤعدون ، فكانت بعده الفتنة ثم
 الهرج^(١) المتصل بيوم القيامة ، ونحو من هذا قوله عليه السلام : بُعِثْتُ أنا
 والساعة كَهَاتَيْنِ^(٢) ، يعنى السَّابَّةَ والوُسْطَى ، وهو حديث يرويه أنس بن
 مالك ، وابن بُرَيْدَةَ عن أبيه ، وجُبَيْرِ بن مُطْعِم ، وجابر بن سُمْرَةَ وأبو هُرَيْرَةَ .
 وسَهْل بن سعد كلَّهم عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفى حديث
 سهل سَبَقَتْهَا بما سَبَقَتْ هذه هذه ، يعنى : الوُسْطَى والسَّابَّةَ ، وفى بعض ألفاظ
 الحديث : إن كَادَتْ لَتَسْبِقُنِي . ورواه أيضا : أبو جُبَيْرَةَ فقال : قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم : جِئْتُ أنا والساعة كهاتين سبقتها كما سبقت هذه هذه فى
 نفس من الساعة ، أوفى نفس الساعة ، خرجها الطبرى بجميع أسانيدها ،
 وبعضها فى الصحيحين ، وفى بعضها زيادة على بعض .

وخالدة بنت الحارث قد ذكر إسلامها ، وهى مما أغفله أبو عمر فى كتاب
 الصحابة ، وقد استدر كناها عليه فى جملة الاستدراكات التى ألحقناها بكتابه .

وذكر حديث مُحْزِرِيق ، وقال فيه : مُحْزِرِيقٌ خيرُ يهودَ ، ومُحْزِرِيقٌ مسلمٌ ،
 ولا يجوز أن يقال فى مسلم : هو خير النصارى ، ولا خير اليهود ، لأن أفعال
 من كذ إذا أضيف فهو بعض ما أضيف إليه . فإن قيل : وكيف جاز هذا ؟ قلنا :

(١) الهرج : القتل .

(٢) متفق عليه .

لأنه قال خير يهود ، ولم يقل خير اليهود ، ويهود اسم علم ككنموذ ، يقال :
لأنهم نسبوا إلى يهود بن يعموب ، ثم عُرِّبَت الذال دالا ، فإذا قلت : اليهود
بالألف واللام ، احتمل وجهين النسب والدين الذي هو اليهودية^(١) ، أما النسب
فعلى حد قولهم التَّيْمُ في التَّيْمِيَّينَ وأما الدين فعلى حَدِّ قولك : النصرارى
والجوسُ أعنى : أنها صِفة ، لا أنها نَسَبٌ إلى أب . وفي القرآن لفظاً ثالث ،
لا يتصور فيه إلا معنى واحد ، وهو للَّذِينَ دون النسب ، وهو قوله سبحانه :
﴿ وَقَالُوا : كُونُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى ﴾ البقرة : ١٣٥ . بحذف الياء ، ولم يقل :
كونوا يهود لأنه أراد التَّهَوُّدَ ، وهو التَّدَيُّنُ بدينهم ، ولو قال : كونوا يهوداً
بالتدين ، لجاز أيضاً على أحد الوجهين المتقدمين ، ولو قيل لقوم من العرب :
كونوا يهودَ بغير تنوين ، لكان محالاً ، لأن تبدلَ النَّسَبِ حقيقة محال ،
وقد قيل في هود : جمع هاند^(٢) ، وهو في معنى ما قلناه ، فلتعرف الفرقَ بين
قولك هوداً بغير ياء ، ويهوداً بالياء والتنوين ، ويهودَ بغير تنوين ، فإنها
تفرقة حسنة صحيحة والله أعلم . ولم يُسَلِّم من أخبار يهودَ على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلا اثنان . وقد جاء في الحديث : لو اتبعني عَشْرَةٌ من اليهود
لم يبق في الأرض يهودى إلا اتبعني^(٣) . رواه أبوهريرة . وسمع كعبُ الأخبار

(١) ليس ديننا إلهيا ، إنما هو من افتراء شهوات حاخاميم اليهود وأحبارهم .

(٢) تاب ورجع إلى الحق ، وقد مثلوها في الجمع بحائل وعائط ، من النوق .
مفرد حول وعوط .

(٣) في الجامع الصغير للسيوطي : لو آمن بي عشرة من اليهود ، لآمن بي
اليهود ، وذكر أن البخارى خرجه .

أبا هريرة يحدث ، فقال له : إنما الحديث : اثنا عشر من اليهود ، ومصدق ذلك في القرآن (وبمئنا منهم اثني عشر نقيبا) فسكت أبو هريرة . قال ابن سيرين : أبو هريرة أصدق من كعب قال يحيى بن سلام كلاهما : (صدق) ؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أراد : لو اتبعني عشرة من اليهود بعد هذين اللذين قد أسلما .

ذكر المنافقين

فصل : وذكر نبتلاً من المنافقين ، قال : وكان أذلم ، والأذلم الأسود الطويل من كل شيء . وقيل لجماعة النمل : دبلم ، لسوادهم من كتاب العين . وذكر الحارث بن سويد ، وقتله للمجذر بن زيد . واسم المجذر : عبد الله ، والمجذر : الغليظ الخلق (١) .

وذكر أن الله تعالى أنزل في الحارث بن سويد وارتداده : كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم ﴿ آل عمران : ٨٦ ﴾ فقيل : إن هذه الآية مقصورة على سببها مخصوصة بمن سبق في علم الله أنه لا يهديه من كفره ، ولا يتوب عليه من ظلمه ، وإلا فالتوبة مفروضة ، وقد تاب قوم بعد ارتدادهم ، فقبلت توبتهم . وقيل ليس فيها نفي لقبول التوبة ، فإنه قال : كيف يهدي الله ، ولم يقل لا يهدي الله ، على أنه قد قال في آخرها : (والله لا يهدي القوم الظالمين) وذلك يرجع إلى الخصوص ، كما قدمنا أو إلى معنى الهداية في الظلمة التي عند الصراط بالنور

(١) في الاشتقاق لابن دريد : رجل مجذر : قصير متقارب الخلق .

التام يرم القِيامة ، فان ذلك مُتَّفِعٌ عَنْ مات غير قائب من كفره وظلمه .
والله أعلم (١) .

ذكر حديث بشير^(٢) بن أبيرق سارق الدرعين

وذكر ان الله أنزل فيه : ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ أَنْفُسَهُمْ ﴾ النساء : ٧٧ الآية : وكان من قصة الدرعين ، وقصة بشير أن بنى أبيرق ، وهم ثلاثة بشير ومبشر وبشر^(٣) فقبوا مشربة^(٤) أو نقبها بشير وحده على ما قال ابن إسحاق ، وكانت المشربة لرِقاغة بن زيد ، وسرقوا أدرعاه ، وطعما فمتر على ذلك ، فجاء ابن أخيه قَعَادَة بن النُّعْمان يشكو بهم إلى رسول

(١) روى النسائي والحاكم وابن حبان وابن جرير عن ابن عباس قال : كان رجل من الأنصار أسلم ، ثم ارتد ، ولحق بالشرك ، ثم ندم ، فأرسل إلى قومه : أن صلوا لي رسول الله : هل لي من توبة ، فنزلت : (كيف يهدي الله) . الآية ، فأرسل إليه قومه ، فأسلم . وأخرج عبد الرزاق أنها نزلت في حق الحارث ابن سويد ، وأنه حسن إسلامه بعد ارتداده .

وأذكر هنا معاني بعض ما تركه السهيلي من شرح السيرة للخشني . الشمر دلات : الإبل الطرال . والوهج : شدة الحر . بجاد بن عثمان : بالنون والباء ، وقيدته الدار قطن بالباء . . . ثائر شعر الرأس : مرتفعه . أسفع : السفعة : حمرة تضرب إلى سواد .

(٢) قيدته الدار قطن بضم الباء . وفي السيرة بفتحها .

(٣) في الأصل بشير وهو خطأ . وفي تفسير الطبري ضبط بشير بضم الباء ويقول الخشني : وقع هنا بشير ، بفتح الباء ، وقال الدار قطن : إنما هو بشير بضم الباء .

(٤) بضم الراء وفتحها : الغرفة .

الله - صلى الله عليه وسلم - فجاء أسيد بن عروة بن أبيرق إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله ، إن هؤلاء عمدوا إلى أهل بيتهم أهل صلاح ودين ، فأبنوهم بالسرقة ، ورؤم بهم من غير بينة ، وجعل يجادل عنهم حتى غضب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على قتادة ورعاة ، فأنزل الله تعالى : ﴿ ولا تجادل عن الذين يختلون أنفسهم ﴾ النساء ١٠٧ الآية ، وأنزل الله عز وجل : ﴿ ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرم به بريئاً ﴾ النساء ١١٢ وكان البريء الذي رموه بالسرقة لييد بن سهل : قالوا : ما سرقتاه ، وإنما سرقه أبيد بن سهل ، فبرأه الله ، فلما أنزل الله تعالى فيهم ما أنزل ، هرب ابن أبيرق السارق إلى مكة ، ونزل على سلافة بنت سعد بن شهيد^(١) ، فقال فيها حسان بن ثابت بيتاً ، يعرض فيه بها ، فقالت : إنما أهديت لي شعر حسان ، وأخذت رخله ، فطرحته خارج المنزل^(٢) ، وقالت : حلفت وسدقت وخرقت^(٣) إن بت في منزلي ليلة سوداء ، فهرب إلى خيبر ، ثم إنه نكب بيتاً ذات ليلة ، فسقط الحائط عليه فمات . ذكر هذا الحديث بكثير من ألفاظه الترمذي ، وذكره

(١) في تفسير الطبري : بنت سعد بن سهل ، وفي تفسير ابن كثير : بنت سعد بن سمية .

(٢) في تفسير الطبري ، فوضعت على رأسها ، ثم خرجت فرمته بالابطح .

(٣) الحالقة : التي تحلق شعرها عند المصيبة . وهي في الأصل : حلفت وفيها ورد من حديث أنه لعن من النساء الحالقة والسالقة والخارقة . وفي اللسان في مادة حلق : وفي حديث ليس منا من سلق أو حلق أو خرق ، أي ليس من سنتنا رفع الصوت في المصائب ولا حلق الشعر ، ولا خرق الثياب . . وسلافة تدعو على نفسها بهذه الأشياء .

الكشّي والطبري بألفاظ مختلفة ، وذكر قصة موته يحيى بن سلام في تفسيره .
 ووقع اسمه في أكثر التفاسير : طُعْمَة بن أُبَيْرِق^(١) وفي كتب الحديث :
 بشير بن أُبَيْرِق ، وقال ابن إسحاق في رواية يونس بن بكير عنه : بشير
 أبو طُعْمَة فليس طعمة إذاً اسماً له ، وإنما هو أبو طُعْمَة ، كما ذكر ابن إسحاق
 في هذه الرواية والله أعلم . وفي رواية يونس أيضاً أن الحائط الذي سقط
 عليه كان بالطائف لا بجنير ، كما قال ابن سلام ، وأن أهل الطائف قالوا حينئذ :
 ما فارق محمداً من أصحابه من فيه خير . والأبيات التي روى بها حسن المرأة ،
 وهي من بني عمرو بن عوف ، وقد تقدم اسمها :

وماسارق الدرّعين إذ كنت ذا كرا بذى كرم من الجبال أودعة
 وقد أنزلته بنت سعد فأصبحت يغازعها جاراتها وتنازعها
 ظننتم بأن يخفى الذي قد صنعت وفيكم نبيّ عنده الوحي واضعه

وقع هذا البيت في كتاب سيديّويه^(٢) . وذكر الشعر والخبر بطوله ابن
 إسحاق في رواية يونس عنه .

(١) هو كذلك في تفسير الطبري .

(٢) في سيبويه ص ٢٤٢ ط ١ « وفينا نبي ، ويقول شارح شواهد :
 الشاهد فيه جرى قوله واضعه على النبي د ص ، مع إعادة الضمير على الوحي ، وهو
 لا يحتمل القلب كما تقدم في الباب ، وقد رد عليه هذا التقدير وجعل الضمير عائداً
 على الذي قد صنعت على تقدير : وفينا نبي واضع ما قد صنعت ، لا على الوحي كما قدره
 والحجة لسيبويه أن رده على الوحي أولى لأنه يريد : يضع فينا ما يوحى إليه ، فيثبتنا
 بعينهكم على الحقيقة ، وإذا رد الضمير على الذي كان الذي ير . واضع الذي صنعت =

فصل : وأنشد ابن هشام :

لَدَمَ الْوَلِيدَ وراءَ الْغَيْبِ بِالْحَجَرِ

والبیت لثیم بن أبی ابن مُقبل ، واللَّدْمُ : الضربُ ، والغیب : العارُ من الأرض .

باب إخراج المنافقين :

وذكر ابن إسحاق في باب إخراج المنافقين من المسجد أبا محمد ، وقال : هو رجل من بنى النجار ، ولم يُعرفه بأكثر من هذا ، وهو : أبو محمد مسعود . ابن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار^(١) ، يعدُّ في الشاميين ، وهو الذي زعم أن الوترَ واجب ، فقال عبادة : كذب أبو محمد ، وهو معدود في البدریین عند الواقدي وطائفة ، ولم يذكره ابن إسحاق فيهم .

== مطلقا دون ربطه بالوحي الذي هو كشف الحقيقة ، والوضع هنا البشر والبث : أقول : وما أظن حسانا ينطق بالبيت الثاني ، فهو لا يتفق مع أدب الصحابة . وهو قد فُلف لم تقم عليه بيعة .

(١) في الإصابة : مسعود بن أوس بن أصرم بن زيد الخ . وقال ابن عبد البر أدخل الواقدي وابن عمارة بين أوس وأصرم زيدا آخر . وفي جمهرة ابن حزم ص ٢٢٩ كما في الروض . ويقول جعفر المستغفرى : أبو محمد الذي كذبه عبادة في وجوب الوتر اسمه : مسعود بن زيد بن سبيع . هذا وقد وهم ابن عبد البر فزعم أن ابن إسحاق لم يذكره في البدریین ، وهو قد ذكره فيمن شهدا من بنى زيد بن ثعلبة

ذكر ما أنزل الله في المنافقين :

فصل : وذكر ما أنزل الله في المنافقين والأخبار ومن يهود من صدر
سورة البقرة ، واستشهد ابن هشام على الرّيب بمعنى الرّيبة بقول خالد بن زهير
ابن أخت أبي ذؤيب ، واسم أبي ذؤيب : خُوَيْلِدُ بنُ خَالِدٍ ، والرجز الذي
استشهد ببیت منه :

يا قوم مالي وأبا ذؤيب كنت إذا أتيت من غيب
بِشْمِ عَطْفِي وَيَمْسُ ثَوْبِي كأنني أربته بِرَيْبِ

وكان أبو ذؤيب قد اتهمه بأسرأته ، فلذلك ، قال هذا .

وذكر ابن إسحاق : والذين يقيمون الصلاة ، وأغفل التلاوة : وإنما هو :
(الذين يؤمنون بالغيب ، ويقيمون الصلاة) البقرة : ٣ . وكذلك وجدته مُدْبِئًا
عليه في حاشية الشيخ : وفي الإيمان بالغيب أنوال ، منها أن الغيب ههنا ما بعد
الموت من أمور الآخرة ، ومنها : أن الغيب : القدر ، ومنها قول من قال : إن
الغيب القاب ، أي يؤمنون بقلوبهم ، وقيل : يؤمنون بالغيب ، أي بالله عز وجل ،
وأحسن ما في هذه الأقوال قول الربيع بن أنس ، أي : يؤمنون بظاهر الغيب ،
أي : ليسوا كالمنافقين الذين يؤمنون إذا لقوا الذين آمنوا ويكفرون إذا غابوا
عنهم ، ويُدلُّ على صحة هذا التأويل : بسياقة الكلام ، مع قوله عز وجل (يخشون
ربهم بالغيب) فلا يحتمل قوله : يخشون ربهم بالغيب إلا تأويلا واحداً ،
قاله يرد ما اختلف فيه . وقوله سبحانه : لا ريب فيه ، وقد ارتاب فيه كثير

من الناس ، قيل : هو على الخصوص في المؤمنين ، أى لاريب فيه عند . قال المؤلف : رضى الله عنه : وهذا ضعيف لأن التبرئة تعطى العموم ، وأصح منه : أن الكلام ظاهره الخبر ، ومعناه : النهى ، أى : لاترتابوا ، وهذا النهى عام لا يخص ، وأدق من هذا أن يكون خبراً مخضاً عن القرآن ، أى : ليس فيه ما يُريب ، تقول : رابى منك كذا وكذا ، إذا رأيت ما تنكر ، وايس في القرآن ما تنكره العتول . والريب ، وإن كان مصدراً فقد يُعبر به عن الشيء الذى يُريب ، كما يُعبر بالضيف عن الضائف ، وبالطيف عن الخيال الطائف ، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى : ﴿ لَيَوْمَ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ فهذا خبر ، لأن النهى لا يكون في موضع الصفة .

وقوله : لا ريب فيه في موضع الصفة ليوم ، والحياة بعد الموت ايس فيه ما يُريبك ، لأن من قدر على البدئة ، فهو على الإعادة أقدر ، وايس الريب بمعنى الشك على الإطلاق ، لأنك تقول : رابى منك رائب ، ولا تقول شكى ، بل تقول : ارتبت كما تقول شككت ، فالأرتياب : قريب من الشك^(١) .

وذكر قول الله سبحانه ﴿ في قلوبهم مَرَضٌ ﴾ وأصل المرض : الضعف

(١) يقول الراغب في مفرداته : الشك : اعتدال التقيضين عند الإنسان وتساويهما . والريب : أن تتوهم بالشيء أمراً ، فيشكك عما تنوهمه ويقول الإمام ابن تيمية في كتابه مقدمة في أصول التفسير ص ١٦ « ومن قال لاريب : لا شك ، فهذا تقريب ، وإلا فالريب فيه اضطراب وحركة كما قال : دعى ما يريبك إلى ما لا يريبك . فكما أن اليقين ضمن السكون والطمأنينة ، فالريب ضده ، ط السلفية

وُفُتُور الأَعْضَاءِ، وَهُوَ هَاهُنَا ضَعْفُ الْيَقِينِ، وَفُتُور الْقَلْبِ عَنْ كَدِّ النَّظَرِ، وَعُطِفَ:
فَزَادَهُمُ اللَّهُ، وَإِنْ كَانَ الْفِعْلُ لَا يُعْطَفُ عَلَى الْأَسْمِ، وَلَا عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْجُمْلَةِ،
لَوْ قُلْتُ: فِي الدَّارِ زَيْدٌ، فَأَعْطَيْتَهُ دِرْهَمًا لَمْ يَجِزْ، وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ:
فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ كَمَعْنَى مَرَضَتْ، قُلُوبُهُمْ صَحَّ عَطَفُ الْفِعْلِ عَلَيْهِ.

وَذَكَرَ قَوْلَهُ سُبْحَانَهُ: يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَوَمِ فِي التَّلَاوَةِ، فَقَالَ: يَا أَهْلَ
الْكِتَابِ، كَمَا وَوَمِ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ. وَبَنُو إِسْرَائِيلَ: هُمُ بَنُو يَعْقُوبَ، وَكَانَ
يُسَمَّى: إِسْرَائِيلَ، أَيْ سَرِيءُ اللَّهِ^(١) لَكِنْ لَمْ يُذَكَّرُوا فِي الْقِرَاءَةِ إِلَّا
أَضْيَعُوا إِلَى إِسْرَائِيلَ، وَلَمْ يُسَمَّوْا فِيهِ: بَنُو يَعْقُوبَ، وَمَتَّى، ذُكِرَ إِبْرَاهِيمُ
وِإِسْحَاقُ وَيَعْقُوبُ لَمْ يُسَمَّ إِسْرَائِيلَ، وَذَلِكَ لِحُكْمَةِ فُرْقَانِيَّةٍ، وَهُوَ أَنَّ الْقَوْمَ
لَمَّا خُوطِبُوا بِعِبَادَةِ اللَّهِ، وَذُكِّرُوا بِدِينِ أَسْلَافِهِمْ مَوْعِظَةً لَهُمْ، وَتَنْبِيْهَا مِنْ
غَفْلَتِهِمْ تُشَمُّوْا بِالْأَسْمِ الَّذِي فِيهِ تَذَكُّرَةٌ بِاللَّهِ، فَإِنْ إِسْرَائِيلَ اسْمٌ مُضَافٌ إِلَى

(١) فِي قَامُوسِ الدُّكْتُورِ بُوْسْتِ أَنْ مَعْنَى إِسْرَائِيلَ هُوَ: الْأَمِيرُ الْمُجَاهِدُ مَعَ
اللَّهِ، ثُمَّ أُطْلِقَ هَذَا اللَّقْبُ عَلَى جَمِيعِ ذُرِّيَةِ يَعْقُوبَ إِلَى حِينِ انْفِصَالِ عَشْرَةِ الْأَسْبَاطِ
عَنْ بَيْتِ دَاوُدَ وَتَحْيِيزِهِمْ بِمُلْكَةٍ وَحْدَهَا، فَأُطْلِقَ عَلَيْهَا بِمُلْكَةِ إِسْرَائِيلَ تَمِيْزًا لَهَا
عَنْ بِمُلْكَةِ يَهُوذَا. وَالْعَجِيبُ الْغَرِيبُ أَنَّ الْإِسْصَاحَ الثَّالِثَ وَالثَّلَاثِينَ مِنْ سَفَرِ
التَّسْكُونِ يَقْصُ أَنْ اللَّهَ لَقِبَ يَعْقُوبَ بِإِسْرَائِيلَ بَعْدَ أَنْ صَارَعَ اللَّهَ — وَهُوَ فِي صُورَةِ
إِنْسَانٍ — يَعْقُوبَ، وَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ ضَرْبَ حَقٍّ فَخَذَهُ، فَانْخَلَعَ حَقٌّ فَخَذَ
يَعْقُوبَ فِي مِصْرَاعَتِهِ مَعَهُ، وَقَالَ: أَطْلُقْنِي. لِأَنَّهُ قَدْ طَلَعَ الْفَجْرُ، فَقَالَ: لَا أَطْلُقُكَ
إِنْ لَمْ تَبَارِكْنِي، فَقَالَ لَهُ: مَا اسْمُكَ؟ فَقَالَ: يَعْقُوبَ، فَقَالَ: لَا يَدْعَى اسْمُكَ
فِيمَا يَبْعَدُ يَعْقُوبَ، بَلْ إِسْرَائِيلَ لِأَنَّكَ جَاهَدْتَ مَعَ اللَّهِ وَالنَّاسِ وَقَدَّرْتَ، فَقَرَأَتْ ٢٦ —
٢٩ أَوَّلًا يَعْرِفُ اللَّهُ اسْمَ يَعْقُوبَ؟ أَوْ يَبْلُغُ الْعَدْوَانَ عَلَى اللَّهِ هَذَا الْحَدَّ؟

الله تعالى في التأويل . ألا ترى : كيف تنبّه على هذا المعنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - حين دعا إلى الإسلام قوما ، يقال لهم : بنو عبد الله ، فقال لهم : يا بنى عبدِ الله ، إن الله قد حسنَ اسمَ أبيكم يُحرّضهم بذلك على ما يقتضيه اسمُهم من العبوديّة لله ، فكذلك قوله سبحانه : يا بنى إسرائيل إنما ورد في معرض التذكير لهم بدين أبيهم ، وعُبوديّة الله ، فكان ذكرُهم بهذا الاسم أليقَ بمقام التذكير والتخريض من أن يقول لهم : يا بنى يعقوب ، ولما ذكر مَوْهَبته لإبراهيم وتبشيره بإسحاق ، ثم يعقوب كان لفظُ يعقوب أولى بذلك المقام ، لأنها مَوْهبة بعقب أخرى ، وبُشري عقب بها بُشري وإن كان اسمُ يعقوب عبرانيّاً ، ولكن لفظه موافق للعربي في العقب والتمقيب ^(١) ، فانظر مُشاكلة الاسمين للمقامين ، فإنه من باب النظر في إيجاز القرآن وبلاغة ألفاظه وتنزيل الكلام في منازل اللاتفة به .

حديث أبي ياسر بن أخطب :

فصل : وذكر ابنُ إسحاق حديثَ أبي ياسر بن أخطب وأخيه حي بن أخطب حين سمعا المص ^(٢) ونحوها من الحروف ، وأنهم أخذوا تأويلها من حروف أنجد إلى قوله : لعله قد جمع لحمد وأمه هذا كله : قال المؤلف : وهذه

(١) في الإصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين عن عيسو بن إسحاق وأمه تلدهما : وبعد ذلك خرج أخوه ، ويده قابضة بعقب عيسو ، فدعى اسمه : يعقوب .

(٢) أنفرا مكا : ألف لام ميم صاد .

القول من أحبار يهود ، وما تأولوه من معاني هذه الحروف محتمل ، حتى الآن أن يكون من بعضِ مادات عليه هذه الحروف المقطعة ، فإن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يكذبهم فيما قالوا من ذلك ، ولا صدقهم ^(١) . وقال في حديث آخر : لا تُصدِّقوا أهل الكتاب ، ولا تُكذِّبُوهم ، وقولوا : آمنا بالله وبرسوله ^(٢) ، وإذا كان في حدِّ الاحتمال وَجَبَ أن يُفحصَ عنه في الشريعة هل يُشير إلى صحته كتاب أو سنة ، فوجدنا في التنزيل ﴿ وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدُّون ﴾ ووجدنا في حديث زمِّل الخُزاعي حين قص على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رؤيا ، وقال فيها : رأيتك يا رسول الله على منبرٍ له سبعُ درجات ، وإلى جنبه ناقة عَجَفَاء ، كأنك تبعثها ، ففسر له النبيُّ صلى الله عليه وسلم الناقة بقيام الساعة التي أنذر بها ، وقال في المنبر : ودرجاته الدنيا : سبعةُ آلاف سنة بعثت في آخرها ألفا ، والحديث وإن كان ضعيف الإسناد ، فقد روى موقوفاً على ابن عباس من طريق صحاح ، أنه قال : الدنيا سبعةُ أيام كل يوم ألف سنة ، وبعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في آخر يوم منها . وقد مضت منه سنون ، أو قال : مِثُون ، وصحَّح أبو جعفر الطبري هذا الأصل ، وعضده بآثار ، وذكر قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بُعِثْتُ أنا والساعة

(١) كلام يهود خرف وشعبذة ، فكيف يصدق . هذا والحروف المقطعة التي افشحت بها السور أربعة عشر حرفاً بحذف المكرر منها بجمعها قولك : د نص حكيم قاطع له سر ، وهي نصف الحروف عـ د د ا ، وتشتمل على أصناف أجناس الحروف .

(٢) هذا إذا كان لا يخالف نصاً صحيحاً أو عقلاً صحيحاً .

كهايتين (٢) ، وإنما سَبَقَتْهَا بما سَبَقَتْ هذه هذه ، يعنى : الوسطى والسَّبَّابة ، وأورد هذا الحديث من طرق كثيرة صححها وأورد منها قوله عليه السلام : ان يُعْجِزَ الله أن يؤخَّرَ هذه الأمة نصفَ يوم ، يعنى : خمسمائة عام ، وقد خرَّج ، هذا الحديث الأخير أبو داود أيضاً . قال الطبرى : وهذا فى معنى ما قبله يشهد له وبينه فإن الوسطى تزيد على السَّبَّابة بنصف سُبُعِ أَصْبَعٍ ، كما أن نصف يوم من سبعة نِصْفِ سَبْعٍ . قال المؤلف : وقد مضت الخمسمائة من وفاته إلى اليوم بَدَيْفٍ عليها ، وليس فى قوله : ان يُعْجِزَ الله أن يؤخَّرَ هذه الأمة نصفَ يوم ما ينفى الزيادة على النصف ، ولا فى قوله : بعثت أنا والساعة كهاتين ما يقطع به على صحة تأويله ، فقد قيل فى تأويله غير هذا ، وهو أن ليس بينه وبين الساعة نبى غيره ، ولا شرع غير شرعه مع التقريب لحينها ، كما قال سبحانه : ﴿ أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ ، ﴿ وَآتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ وإلكن إذا قلنا : إنه - عليه السلام - بُعِثَ فى الألف الآخر بعد ما مضت منه سنون ، ونظرنا بعدُ إلى الحروف المقطعة فى أوائل السور ، وجدناها أربعةَ عَشَرَ حرفاً يجمعها : قولك

ألم يسطع نص حق كره

ثم نأخذ العدد على حساب أبى جادٍ ، فنجد : ق مائة ، و : ر مائتين ، و : س ثلاثمائة ، فهذه ستمائة ، و : ع سبعين ، و : ص ستين ، فهذه سبعمائة

وثلاثون ، و : ن خمسين ، و : ك عشرين ، فهذه ثمانمائة ، و : م أربعين ،
و : ل ثلاثين ، فهذه ثمانمائة وسبعون ، و : ي عشرة ، و : ط تسعة ، و : ا
واحد ، فهذه ثمانمائة وتسعون ، و : ح ثمانية ، و : ه خمسة ، فهذه تسعمائة
وثلاثة ، ولم يُسَمَّ الله سبحانه في أوائل السور إلا هذه الحروف ، فليس يبعد
أن يكون من بعض مُقْتَضِيَّاتِهَا وبعض فوائدها الإشارةُ إلى هذا العدد من
السنين لما قامناه في حديث الألف السابع الذي بعث فيه عليه السلام ، غير أن
الحسابَ محتمل أن يكون من مبعثه ، أو من وفاته ، أو من هجرته ، وكلُّ
قريبٍ بعضه من بعض ، فقد جاء أشرطُها ، ولكن لا تأنيكم إلا بَفْتَةٍ^(١) ،
وقد روى أن المتوكل العباسي سأل جعفرَ بن عبد الواحد القفاصي ، وهو عباسي
أيضاً : عما بقي من الدنيا ، فحدثه بحديث يرفعه إلى رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - أنه قال : إن أحسنتُ أمتي ، فبقاؤها يومٌ من أيام الآخرة ، وذلك
ألف سنة ، وإن أساءت ، فنصفُ يوم ، ففي هذا الحديث تنعيم للحديث المتقدم
وبيان له ؛ إذ قد انقضت الخمسمائة ، والأمة باقية والحمد لله^(٢) .

معاني الحروف في أوائل السور :

فصل : ولهذه الحروف في أوائل السور معانٍ جَمَّةٌ وفوائد لطيفة ، وما كان
الله تعالى يُنَزِّلُ في الكتابِ مالا فائدة فيه ، ولا ليخاطب نبيّه وذوِي البابِ

(١) هذا من قول الله . وهي تضرب كل ما ذكر السهيلي عن دلالة الحروف
العددية ، وتدفعه بأنه خرف يهودي وقد كذب الواقع ما خرفوا به :

(٢) كيف يجعل من حجته الأساطير والسيكيد المحموم من أحقاد اليهود ؟

من صحبه بما لا يفهمون ، وقد أنزله بيانا للناس ، وشفاء لما في الصدور ، ففي تخصيصه هذه الحروف الأربعة عَشَرَ بالذكر دون غيرها حكمةٌ بل حِكْمٌ ، وفي إنزالها مُقَطَّعة على هيئة التهجِّي فوائِدُ علمية وفقهية ، وفي تخصيصه إياها بأوائل السور ، وفي أن كانت في بعض السُور ، دون بعضِ فوائِدُ أيضاً ، وفي اقتران الألف باللام ، وتقديمها عليها معاني وفوائِدُ ، وفي إرداف الألف واللام بالميم تارةً ، وبالراء أخرى ، ولا توجد الألف ، واللام في أوائل السور ، إلا هكذا مع تكررها ثلاث عشرة مرة فوائِدُ أيضاً ، وفي إنزال الكاف قبل الهاء ، والهاء قبل الياء ثم العين ثم الصاد من كم يعص^(١) معاني أكثرها تنبيه عليها آيات من الكتاب ، وتبين المراد بها لمن تدبرها . والتدبرُ والتذكر واجبٌ على أولى الألباب ، والحوُصُ في إيراد هذه المعاني ، والقصدُ لإيضاح ملاح لي عند الفكر والنظر فيها ، مع إيراد الشواهد على ذلك من كتاب وأثر وعربية ونظري يخرجنا عن مقصود الكتاب وينأى بنا عن موضوعه والمراد به ، ويقتضى إفراد جزء أشرح ما أمكن من ذلك ، ولعله أن يكون ، إن ساعد القدر ؛ والله المستعان ، وهو ولي التوفيق ، لا شريك له .

ذكر تحويل القبلة :

فصل : وذكر تحويل القبلة ، وما قالته جماعة يهود حين قالوا : يا محمد ما ولّاك عن قبلتك ، وهم السفهاء^(٢) من الناس ، فيهم نزات هذه الآية .

(١) نقرأ هكذا : كاف ما يا عين صاد .

(٢) يرى الزجاج أن السفهاء هم المشركون ، ويرى مجاهد أنهم أحبار اليهود ،

وقال : سيقول بلفظ الاستقبال لتقدم العلم القديم بأنهم سيقولون ذلك ، أى : لم
آسرهم بتحويلها إلا وقد علمت أن سيقولون ما قالوه ، وقد ذكرنا في حديث
المجرة ، قصة البراء بن معرور فوائده في معنى تحويل القبلة ، فلتنظر هنالك (١)
وأنشد في تفسير الشطر بيت ابن أحر :

تعدو بنا شطرَ جَمْعٍ وهى عاقِدةٌ قد قاربَ العَقْدُ من إيفادِها الحَقْبَا

وأنفيتُ في حاشية الشيخ على هذا البيت ما هذا نصه . قال من إيفادها :
من إشرافها ، كذا قال محمد بن عبد الله البرقي ، وقال كَارَبَ موضعَ قَارَبَ ،
ووقع في شعر ابن أحر :

تعدو بنا عُرْضَ جَمْعٍ وهى مُوقِدةٌ قد قاربَ العُرْضُ من إيفادِها الحَقْبَا

تعدو : من العدو بنا وبرحلى : يعنى غلامه . عُرْضَ جَمْعٍ : يعنى مكة ،
وعُرْضَ أحب إلى ، وعُرْضُ : كثرة الناس ، عن الأصمى ، ومُوقِدةٌ ، أى :

يرى السدى أنهم المنافقون . ويقول ابن كثير قوله حق : والآية عامة في
هؤلاء كلهم .

وفى البخارى أنه صلى ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ، وكذلك فى مسلم
وعند ابن أبي حاتم . ويحكى القرطبي فى تفسيره عن عكرمة وأبي العالية والحسن
البصرى أن التوجه إلى بيت المقدس كان باجتهاده عليه السلام ، يرى ابن عباس
وغيره أن التوجه كان بأمر الله . وقد سبق ذكر شيء عن هذا .

(١) بقول البيضاوى : وفائدة تقديم الإخبار به : توطئتين النفس
ولإعداد الجواب .

مشرفة. أوفد : إذا أشرف ، وروى غيره : وهى عاقدة ، يريد عنقها لا ويتها (١) والغرض : البطان وهو حزام الرجل. من إيفادها ، أى إشرافها ، وقد اقتادت : نصبت عنقها وعصرت بذنبها وتحامصت ببطنها فحرب كل واحد من الغرض والحقب من صاحبه بذلك. هنا انتهى ما كتبه الشيخ على هذا البيت وأوردته وقبل البيت :

أنشأت أسأله عن حال رِفْقَتِهِ فقال : حَى فَإِنَّ الرِّكْبَ قَدْ نَصَبَا (٢)

ما أنزل الله في بنى قينقاع

فصل : وذكر ما أنزل الله سبحانه في بنى قينقاع ، وقولهم للنبي صلى الله عليه وسلم : لو حاربنا ، لعلمت أننا نحن الناس : ﴿ قل : للذين كفروا سَتُعْلَبُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ تَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأَى الْعَيْنِ ﴾ فقرأه : يَرَوْنَهُمْ بالياء ، فعناه أن الكفار يرون المؤمنين مثليهم ، وإن كانوا أقل منهم لما كثروهم بالملائكة . فإن قيل : وكيف وهو يقول في آية أخرى : ﴿ وَيُقْلِلْكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ ﴾ قيل : كان هذا قبل القتال عندما حَزَرَ الكفار المؤمنين ، فأروهم

(١) في اللسان : ناقة عاهد : تعقد بذنبيها عند اللفاح ، وظبي عاهد : واضع عنقه على عجزه قد عطفه للنوم . وفي شرح السيرة لأبي ذر الحاشنى : ناقة عاهد : إذا عقدت ذنبها بين فخذيها في أول ما تحمل .

(٢) في اللسان :

أنشأت أسأله ما بال رفقة حى الجمول ، فإن الركب قد ذهب وحى : حث ودعاء .

قليلًا ، فتجاسروا عليهم ثم أمدم الله بالملائكة ، فأروهم ، كثيرًا فانهمزموا ،
وقيل : إن الماء في يَرَوْنَهُمْ عائدة على الكفار ، وإن المؤمنين رأَوْهم مثلهم ،
وكانوا ثلاثة أمثالهم ، فَقَلَّاهُمْ في عيون المؤمنين ، وأما من قرأها بالتاء ، فيجوز
أن يكون الخطاب لليهود ، أى تَرَوْنَ المشركين يوم بدرٍ مثلي المؤمنين ، وذلك
أنهم كانوا ألفًا ، فانخذل عنهم الأخنسُ بن شريقِ بنى زُهْرَةَ ، فصاروا
سبعائة أو نحوها ، ويجوز أن يكون الخطاب للمشركين ، أى : ترون أيها
المشركون المؤمنين مثلهم ، حين أمدم الله بالملائكة فيعود الكلام إلى المعنى
الأول الذى قدمناه في قراءة من قرأ بالياء . وفى الآية تَخْلِيْطٌ عن الزَّراءِ أَضْرَبْنَا
عن ذكره ^(١) ، وجُلُّ ما ذكرناه آنفًا مذكور في التفاسير بألفاظ مختلفة .

وذكر ابنُ هشام في الربانيين أنهم العلماء الفقهاء السادة وفى البخارى عن
بعض أهل العلم قال: الربانيون الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره ، وقيل
نسبوا إلى علم الرب والفقهاء فيما أنزل وزيدت فيه الألف والنون لتفخيم الاسم ،
وأنشد ابن هشام :

(١) ذكر الفراء هذا فى كتابه معانى القرآن ص ١٩٤ > طدار الكتب . وقد
خطأ القرطبى الفراء فى قوله إن معنى أحتاج إلى مثله أنك محتاج إليه وإلى مثله .
قال القرطبى عن هذا إنه بعيد غير معروف فى اللغة .

هذا وقد قرأنا فى بعض كتبهم . والباقيون : لياه . وإذا كان الخطاب لليهود ،
فيحتمل أن تكون الإشارة إلى وقائع أخرى حدثت لبني إسرائيل مثل قصة
طالوت مع جالوت . . وقيل : إن الرائيين والمرئيين هم المقاتلون فى سبيل الله
فالمعنى أنهم يربون أنفسهم مثلى ما هم عليه عددًا .

لو كنت مُرْتَبَةً فِي الْقُوسِ أَفْتَنِي مِنْهَا الْكَلَامُ وَرَبَّانِي أَخْبَارِ

وقال : القُوس : الصومعة ، ومن كلام العرب : أنا بالقُوسِ وأنت بالقُوسِ^(١) ، فكيف نجتمع ؟ وقال في أفتنى : هي لغة تميم ، وفرّق سيبويه بين فتنته وأفتنته ، وجمله من قول الخليل ، قال أفتنته : صيرته مُفْتَنًا أو نحو هذا ، وفتنته ، جعلت فيه فِتْنَةً^(٢) ، كما تقول : كجَلَلْتُهُ جعلت في عينيه كجَلًّا ، ومال هذا الفرق إلى أن فتنته صرّفته ، فجاء على وزنه ، لأن المفتون مَصْرُوفٌ عن حَقٍّ ، وأفتنته بمعنى أضلّته وأغويته ، فجاء على وزن ماهو في معناه ، وأما فتنت الحديد في النار ، فعلى وزن فتلت ، لا غير ؛ لأنها في معنى : خَبَرْتَهَا ، وبلّوْثُهَا ونحو ذلك^(٣) .

(١) القرعوس : القاع الاملس الغليظ الاجرد الذي ليس عليه شيء . . وقد سبق الكلام عن هذا في الجزء الأول . ويرى سيبويه أن العرب زادوا ألفا ونوناً في الرباني ، لأنهم أرادوا تخصيصه بعلم الرب دون غيره ، كأن معناه صاحب علم بالرب دون غيره من العلوم ، وهو كما يقال : رجل شعراني ولحياني ورقباني إذا خص بكثرة الشعر وطول اللحية ، وغلظ الرقبة ، فاذا نسبوا إلى الشعر قالوا : شعري ، وإلى الرقبة قالوا : رقبتي ، وإلى اللحية : لحيي . أقول : وأحسن ما قيل في تعريفه . العالم العامل المعلم .

(٢) وفي اللسان أيضاً : فتن الرجل بالمرأة ، وافتن ، وأهل الحجاز يقولون : فتنته المرأة إذا ولّته وأحبها وأهل نجد يقولون : أفتنته . وعند الحشني : فتن لغة قيس ، وأفتن لغة تميم . ومرتبنا وتروى : مرتبنا .

(٣) في مفردات الراغب الأصفهاني : أصل الفتن : إدخال الذهب في النار . لتظهر جودته من رداءته . وفي معجم ابن فارس عن مادة الكلمة أنها تدل على ابتلاء واختبار . . وفتنت الذهب بالنار : إذا امتحنته . . وأنكر الأصمعي : =

تفسير آناء الليل:

فصل وذكر ابن هشام في تفسير آناء الليل ، قال : واحد الآناء إني ، واستشهد عليه بقول الهذلي ^(١) ، ثم أغرب بما حدثه به يونس ، فقال : ويقال إني فيما حدثني يونس بن حبيب ، وهذا الذي قاله آخراً هو لغة القرآن ، قال الله تعالى : (غير ناظر بن إناءه) .

ذكر حمل منه الآيات المنزلة في قصص الأخبار :

فصل : وذكر ابن إسحاق جُملاً من الآيات المنزلة في قصص الأخبار ومسائلهم كلها واضحة ، والتسكلم عليها يخرج عن غرض الكتاب إلى تفسير القرآن ، وفي جملتها قوله تعالى ﴿ أَيَّانُ مُرْسَاهَا ﴾ وقال الفراء في أيَّان : هي كلمتان ، جعلت واحدة ، والأصل : أيَّ آن ، والآن والأوان بمعنى واحد ، كما يقال : راح وربَّاح ، وأنشد :

== أفن . هذا وبيت جرير الذي في السيرة هو هكذا في اللسان :

لأرسل إذ صرفت هند ولو وقفت لاستفتفتني وذالمسحين في القوس

وبعده :

قد كنت تروا لنا يا هند فاعتبرى ماذا يريك من شبي وتقويى

(١) بيت المتنخل رواية أخرى في اللسان هي :

السالك الشفر مخشياً موارده بكل إني قضاء الليل ينتعل

ورواية السيرة وردت في اللسان ، وفيها مرته بدلا من شيمته ، وسبق بيان

إني وشيمته : طبيعته .

نَشَاوَى تَسَاَقَوْا بِالرَّيَّاحِ الْمُقَلَّلِ (١)

وقد ذكر المروى في أبيان وجهها آخر ، قال يجوز أن يكون أصله : أبوان فاندغمت الياء في الواو مثل قِيَّام .

وذكر آية التَّيِّهِ وحبس بنى إسرائيل فيه أربعين سنة عقوبة من الله تعالى لخالفتهم أمره حين فزعوا من الجبارين أعظم أجسامهم ، وقال لهم رجلان وهما يُوْشَعُ بْنُ نُونٍ من سَبْطِ يَوْسُفَ ، وكالبُ بْنُ يَوْفِيَا من سَبْطِ يَامِينَ (٢) اذْخُلُوا

(١) البيت في اللسان لأمري القيس في مادة ريج وفي مادة أين قال : أنشد أبو القمقام ، وشطرته الأولى :

ورواية الشطرة الثانية في المقامات بشرح الزوزنى : كان مكال الجواء عدية
صبحن سلافا من رحيق مقلل

والراح والرياح بفتح الراء : الحُر ، وقد أنشد اللسان البيت في ريج ، وأين .
وبقية كلام الفراء أن الآن حرف بنى على الألف واللام ، ولم يخلعا منه . وزك
على مذهب الصفة ، لأنه صفة في المعنى واللفظ . ويرى أن الآن أصلها الأران ،
لخلفت منها الألف ، وغيرت واوها إلى الألف .

(٢) بين القرآن القصة بجملة لكن لم يرد فيه اسم يوشع وكالب لكن ورد
ذكرهما في أسفار العهد القديم . ويقول الدكتور بوست عن يوشع إنه خليفة
موسى ، وهو ابن نون من سبط أفرام ولد في مصر ، وكان أولا خادم موسى ،
واسمه في الأصل : هو شع . . وكان هو وكالب الرجلين اللذين تكلما بالحق
بخصوص البلاد التي تجسوسها . وانظر سفر الخروج والعدد . وكالب عندهم هو
ابن يفتة — بفتح الياء وضم الفاء وتضعيف النون مع فتح القزى أحد الجواسيس
الإثني عشر الذين أرسلهم موسى إلى أرض كنعان . ويجب أن نأخذ ما يقصه علينا بنو
إسرائيل بحذر بالغ ، ونقد بصير . وحسبنا قصص القرآن الكريم .

عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ﴿ فلما عصَوْها دعا عليهم موسى ، فتأهوا ، أى تحيروا ، وكانوا ستمائة ألف مقاتل ، فتأهوا فى سِتَّةِ فَراسِخَ من الأرض ، يمشون النهار كله ، ثم يُنسون حيث أصبحوا ، ويُضبحون حيث أمسوا . وفى تلك السنين أنزل عليهم المن والسلوى ، لأنهم شغلوا عن المعاشِ بالقيِّه فى الأرضِ ، وأُقيمت عندهم ثيابهم لا تَخْلَقُ ، ولا تَتَسَخُّ ، وتطول مع الصغير ، إذا طال ، وفيها استسقى لهم موسى ، فأَمَرَ أن يأخذَ حجراً من الطُّور ، فيضربه بعصاه ، فانفجرت منه اثنتا عشرة عَيْنًا ، وفيها ظَلَّلَ عليهم الغمامُ لأنهم كانوا فى البرِّيَّةِ ، فُظِّلُوا من الشمسِ ، وذلك أن موسى كان نَدِم حين دعا عليهم لما رأى من جهدهم وحيرتهم فى التيه ، فكان يدعو الله لهم فى هذه الأمور ؛ لئلا يهلكوا فى التيه جوعاً أو عُرْباً أو عطشاً ، فلما آسى عليهم قال الله له : ﴿ لَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ أى : الذين فَسَقُوا أى : خرجوا عن أَمْرِك . ومات فى أيام التيه جميعُ كبارهم إلا يُوشَعَ وكابَ فما دَخَلَ الأرضَ على الجبارين إلا خَلَوْفُهُمْ وأبناؤُهُمْ ، وقيل : إن موسى مات فى تلك السنين أيضاً ولم يشهد الفتحَ مع يُوشَعَ ، وقيل : بل كان مع يُوشَعَ حين افتتحها (١) .

(١) أصل قصة التيه فى القرآن . أما هذه التفصيلات ، فمن أسفار بنى إسرائيل .

ذكر المرحوم من اليهود

فصل : وذكر المرحومة من اليهود ، وأن صاحبها الذي رُجم معها حقاً عليها بنفسه^(١) ليقبها الحجارة . حَتَّى بالحاء تقيده في إحدى الروايتين عن أبي الوائليد ،

(١) يقول الدكتور بوست في قاموسه عن الرجم في العهد القديم : « نوع من أنواع العقاب كان كثير الاستعمال لمقاصدة المجرمين الأشقياء حتى إذا لم يذكر نوع القصاص فالغالب أنه الرجم ، فكان يرمي المجرمون وعبيدة الأصنام ومدنسو البيت ومرتكبو الفحشاء والمتمردون من البنين ، فيخرج بالمرجم إلى خارج المدينة ، وحسب زعم البعض كان يربط ، وأول من يبدأ برجمه الشهود ، والارجح أنهم كانوا ينزعون ثيابهم لكي يتمكنوا من إجراء العمل بقوة ونشاط ، مادة رجم وة - ورد في سفر التثنية من العهد القديم ما يأتي : « إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل ، فوجدوها رجل في المدينة واضطجع معها ، فأخرجوهما كليهما إلى باب تلك المدينة ، وارجموهما بالحجارة حتى يموتا الفتاة من أجل أنها لم تصرخ في المدينة ، والرجل من أجل أنه أذل امرأة صاحبه » ، لإصحاح ٢٢ فقرة ٣٢ - ٣٤ . كما ورد في الإصحاح المتتم للعشرين من سفر اللاويين من العهد القديم ما يأتي : « وإذا زنى رجل مع امرأة ، فإذا زنى مع امرأة قريبة ، فإنه يقتل الزاني والزانية ، وإذا اضطجع رجل مع امرأة أبيه ، فقد كشف عورة أبيه ، لإنهما يقتلان كلاهما ، دمه عليهما ، وإذا اضطجع رجل مع كته - والسكنة امرأة الإبن أو الأخ — فإنهما يقتلان كلاهما ، قد فعلا فاحشة دمه عليهما ، وإذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة فقد فعلا كلاهما رجسا لإنهما يقتلان دمه عليهما ، وإذا اتخذ رجل امرأة وأوها ، فذلك رذيلة بالنار يحرقونه وإياهما لكيلا يكون رذيلة بينكم ، وفيه أيضاً أن المرأة التي تزعم أن فيها جاننا يجب أن ترمي بالحجارة وكذلك الرجل . . أما الرجم فحكمه لم يرد في القرآن والزعم بأنه كان ثم نسخ لفظه وبقي حكمه دعوى بلا بينة ، والقرآن حين ذكر حد الزنى في سورة النور لم يفرق بين محسن وغير محسن بل جاء بالوصف ، ورتب : =

وكذلك في النوطاً من رواية يحيى ، فجعل يحنى عليها ، وفي الرواية الأخرى عن
أبي الوليد : جَنَّا بالجم والهمز ، وعلى هذه الرواية فسرهُ أبو عبيد ، والجناء :
الانحناء^(١) ، قال الشاعر عَوْفُ بْنُ مُحَلَّم :

وَبَدَلْتَنِي بِالشَّطَاطِ الْجَنَّا وَكُنْتُ كَالصَّعْدَةِ تَحْتَ السَّنَانِ^(٢)

وفي حُثْوَةٍ عليها من الفقه : أنهما لم يكونا في حُفْرَتَيْنِ ، كما ذهب إليه
كثير من الفقهاء في سُنَّةِ الرَّجْمِ ، وكذلك رَوَى عن علي رحمه الله ، أنه

== عليه العقوبة ، (إزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم
بهما رافة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) ولكن ورد في بعض
الاحاديث أنه حدث رجم .

(١) في القاموس : جَنَّا عليه كجعل وخرج جنواً ، وجنأ : أكب كأجنأ ،
وجانأ ، وتجانأ . وفي النهاية لابن الأثير : أجنأ يجنأ : إجنأ ، وفي رواية أخرى :
فلقد رأيته : يجانأ عليها مفاعلة من جانأ يجانأ .

(٢) أول القصيدة :

يا ابن الذي دان له المشرقان طرا ، وقد دان له المغربان
إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعى إلى ترجمان
وبدلتنى بالشطاط الجنأ وكنت كالصعدة تحت السنان

وعدة القصيدة في أمالي القالي : عشرة أبيات ، وسببها أن عوفاً دخل على
عبد الله بن طاهر ، فسلم عليه عبد الله ، فلم يسمع ، فأعلم بذلك . فزعموا أنه
ارتجل هذه القصيدة . . وعوف يكنى أبا محم أو أبا المنهال ، وهو شاعر مجيد من
من شعراء الدولة الهاشمية . والشطاط : حسن القوام والاعتدال . والصعد :
العتاة المستوية انظر ص ١٥٠ . الا . الى ط ٢ و ١٩٨ سمط اللالى للبكرى .

حفر لشرّاحة بنت مالك الهمدانية حين رجمها . وأما الأحاديث فأكثرها على ترك الحفر للرجوم ، واسم هذه المرجومة : بُسْرَةُ فيما ذكر بعض أهل العلم ، وفي قصتهما أنزل الله : ﴿ وكيف يُحْكَمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ ﴾ الآية إلى قوله : ﴿ يحكم بها النبيون الذين أسلموا ﴾ ، يعني محمداً ، ومن حكم بالرجم قبله ، لأنه حكم بالرجم لأولئك اليهود الذين تحاكموا إليه ، والربّانيون . يعني : عبد الله بن سلام وابن صوري من الأخبار بما استُحفظوا من كتاب الله ، لأنهم حفظوا أن الرجم في التوراة ، لكنهم بدّلوا وغيروا ، وكانوا عليه شهوداء ؛ لأنهم شهدوا بذلك على اليهود إلى قوله : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله ﴾ فحكم بالرجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا يبين لك أن الرجم في القرآن ، وعلى هذا فسرّه مالك فيما بلغني ، ولذلك قال عليه السلام للرجلين : لأحكمنّ بينكما بكتاب الله ، فحكم بالرجم ، كما في الكتاب المنزّل على موسى وعلى محمد صلى الله عليهما ، وقد قيل في معنى الحديث أقوال غير هذا ، والصحيح ما ذكرنا (١) .

(١) روى البخاري ومسلم ومالك وغيرهم أن اليهود جاءوا إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا ، فقال لهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ما تجدون في التوراة في شأن الرجم ؟ فقالوا : نفضحهم ، ويجلدون ، قال عبد الله بن سلام : كذبتم ، إن فيها الرجم ، فأثروا بالتوراة ، ففشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم ، فقرأ ما قبلها وما بعدها ، فقال له عبد الله بن سلام : ارفع يدك ، فرفع فإذا آية الرجم ، فقالوا صدق يا محمد ، فيها آية الرجم ، فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم — فرجما ، فرأيت الرجل يحنى على المرأة يقيها الحجارة ، هذا لفظ البخاري . ونستطيع أن نفهم من هذا أن رسول الله — ص — ، إنما رجع إلى حكم التوراة ، لأنه لم يكن قد نزل حكم

واستشهد ابن هشام في تفسير الجهرة بقول أبي الأخرز الحِماني ، واسمه :
عَتِيبَةُ ، وَحِمَانُ هُوَ ابْنُ كَعْبٍ ^(١) بن سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ ، فقال :
يَجْهَرُ أَفْوَاهُ الْمِيَاهِ السَّدَمُ

يقال : ماء سِدَامٍ إِذَا غَطَاهُ الرَّمْلُ ، وَجَمْعُهُ : سُدَمٌ ، وَجَمْعُهُ عَلَى سَدَمٍ .
غَرِيبٌ ، وَيُقَالُ أَيْضًا سِدَامٌ وَأَسْدَامٌ ^(٢) وَنَحْوُ مِنْ قَوْلِهِ يَجْهَرُ قَوْلُ عَائِشَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي أَبِيهَا . وَاجْتَهَرَ لَهُمْ عَيْنُ الرَّوَاءِ ^(٣) ، وَأَنْشَدَ فِي تَفْسِيرِ الْقَوْمِ
وَأَنَّهُ الْبُرْ :

== الزنا ، وإلا لبادرهم ببيان حكم الله الذي في القرآن قبل أن يسألهم عن حكم الله
الذي في التوراة التي يمين عليها القرآن . وكل روايات الحديث توحى بهذا المعنى
وقصر وصف الربانيين على ابن سلام وابن صوري ، وقصر وصف المسلمين
على ما قصره عليه . كل هذا لادليل عليه . فلم لا يعمم معنى الآية ، فيتناول كل
أنبياء بني إسرائيل الذين حكموا بالتوراة من بعد موسى ، وكل الربانيين ؟
ثم أين آية الرجم في القرآن حتى يصدق ما ذهب إليه السهيلي ؟

(١) في الباب لابن الأثير : حان ، وهي قبيلة من تميم ، وهو حان
ابن عبد العزيز بن كعب الخ بزيادة عبد العزيز عما في الروض .

(٢) في اللسان : ماء سدم - بفتح السين والدال - وسدم - بفتح فكسر -
وسدم - بضم فضم - وسدوم - بضم السين والدال - مندق ، والجمع : أسدام
وسدام بكسر السين في هذه ، وقد قيل الواحد والجمع في ذلك سواء . والرجز في
السيرة : يَجْهَرُ أَجْوَاهُ .

(٣) في النهاية لابن الأثير : اجتهر دفن الرواء هو بالفتح والمد : الماء
الكثير ، وقيل : العذب الذي فيه للواردين رى .

فَوْقَ شِيزَى مِثْلَ الْجَوَابِي عَلَيْهَا قِطْعٌ كَالْوَذِيلِ فِي نَقِيٍّ قَوْمٍ

الشِّيزَى : خشب أسود تُصنع منه الجفان [مفردھا : جَفَنَة ، وهى القصعة ،
والجوابى : جمع جابية : الحوض يُجْبى فيه الماء للإبل] ، والوذيل : جمع
وذيلة وهى السبيكة من الفضة . قال الشاعر :

وَتُرَيْكٌ وَجْهًا كَالْوَذِيلِ لَارِيَّانٍ مَمْلُوءٌ وَلَا جَنَمَ

ومنه قول عمرو بن العاص لمعاوية : أما والله لقد أُلْقِيَتْ أَمْرَكَ ، وهو
أَشَدُّ انْفِصَاحًا مِنْ حُقِّ الْكَهُولِ . كذاك رواه الهروى ، وقال ابن قتيبة :
الْكَهْدَلُ ، فما زلتُ أُرْمُهُ بِوَذَائِلِهِ ، وَأَصِلُهُ ، بِوَصَائِلِهِ ، حتى تَرَكْتُهُ عَلَى
مِثْلِ فَلَكَةِ الْمُدْرِ . حُقُّ الْكَهُولِ : بيت العنكبوت ، وكما قاله الهروى ، قاله
أبو عمر الزاهد فى كتاب الياقوت ، كما وقع فى غريب الحديث لِقُتَيْبِىَّ قاله
أبو عبد الله بن القزاز فى الكتاب الكبير ، قال : الْكَهْدَلُ : العنكبوت ، وقيل
فى الْكَهُولِ إنه تَدَى الْعَجُوزِ ، وفى المين : الوذيلة : الْمِرْآةُ (١) ، وقيل فى الْقَوْمِ :
إنه الثَّوْمُ ، واختاره ابن قتيبة ، واحتج بأنه فى مُصَحَّفِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ :
وِثْمُهَا ، ولا حجة فى هذا لما ذكره أبو حنيفة فى النبات : أن الثَّوْمَ ، هو الْبُرَّةُ ،

(١) فى النهاية لابن الأثير عن الكهول : رواها الأزهري بفتح الكاف
وضم الهاء ، وقال : هى العنكبوت ، ورواها الخطابي والزحشرى بسكون الهاء
وفتح الكاف والو و ، وقالوا : هى العنكبوت . . وقال القتيبي : أما حق الكهدل ،
فلم أسمع فيه شيئا من يروثن بعله ، بلغنى أنه بيت العنكبوت ، ويقال : إنه تَدَى
العجوز ، وقيل : للعجوز نفسها ، وحقا : ثديها .

وأنه يقال بالفاء وبالثاء ، ومن الشاهد على التّوم وأنه البرّ قول أبي أَحِيحةَ
ابن الجُلّاح ، وقيل هو لأبي مُحَجَّنِ الثَّقَفِيُّ :

قد كنت أغنى الناس شخصا واحدا

سكن المدينة عن زراعة قوم^(١)

وأنشد في بعض ما قَسَرِيت الأخطل ، قال : وهو الغوثُ بن هُبَيْرَةَ
ابن الصَّلْت^(٢) ، يُكنى أبا مالكٍ ، والمعروف : غِيَاثُ بن الغوثِ بن هُبَيْرَةَ
ابن الصَّلْت ، وُسِّى : الأخطل لقوله :

لَعَمْرُكَ إِنِّي وابني جُعِيلٌ وأُمهُمَا لَأَسْتَارُ لَيْسِمُ

كل أربعة إِستَار^(٣) قيل : إن كعبَ بن جُعِيل قال له في خبر جرى بينهما ،

(١) نسبه الاخفش إلى أبي محجن ، وروايته في اللسان هكذا :

قد كنت أحسبني كأغنى واحد نزل المدينة عن زراعة قوم

(٢) الأخطل في سبط الآلى : غياث بن غوث ، وفي ديوانه برواية السكري :

غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو بن سيجان بن العذولس بن عمرو بن مالك بن
جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، وفي الأغاني ابن الطارقة ، ويقال :
ابن السحيان بن عمرو بن العذولس . وعن المدائني : غوث بن مسلمة بن طارقة
انظر ص ٤٤ من السبط .

(٣) وقيل الإِستار : رابع أربعة . وقيل هو معرب عن الفارسية ، وأصله

جهار ، ويجمع أساتير ، وقال أبو حاتم : ثلاثة أسائر . . ويقول ابن قتيبة
عن الأخطل : وسمى الأخطل ، من الخطل ، وهو استرخاء الأذنين . .
قال شارحه ابن السيد : لا أعلم أحدا ذكر أن الأخطل كان طويلا الأذنين
مسرخيهما ، والمعروف أنه لقب الأخطل لبذاته وسلطة لسانه ، وذلك أن ابني

والأخطل يومئذ غلامٌ يقرّزِمُ ، أَى : كما يَبْتَدِي ^(١) يقول :

قُبِّحَ ذاكَ الوجهُ غِبَّ الحُمَةِ ^(٢)

فقال الأخطلُ ، ولم يَكُنْ

وفعلَ كعبُ بن جُعيلٍ أمه ^(٣)

فقال جُعيلٌ : إنك لأخطلٌ ^(٤)

جميل احتسكا إليه مع أمهما ، فقال البيت الذي ذكره السهيلي ، فقيل : إنه لأخطل
فلومه هذا اللقب .

(١) القرزمة : أن يقول الشعر في أول أمره قبل أن يستحكم طبعه ، وتقوى
قريحته .

(٢) في الأغاني : شاهد هذا الوجه الخ ، وفي خزانة الأدب ويل لهذا الوجه

(٣) في الأغاني : بدل د وفعل ، كلمة يقبح ذكرها وقد استبدلها السهيلي ،
ولهذا قال : ولم يكن يعني أن الأخطل ذكرها صريحة .

(٤) الخبر بطوله في الأغاني ص ٢٨ > ٨ ط لبنان ، وانظر خزانة البغدادي
ص ٣٠٨ وما بعدها > ١ طبع دار المصور .

تم بحمد الله
الجزء الرابع ويليه الجزء الخامس
ان شاء الله

وأوله : ﴿ ذكر نصارى بجران وما أنزل الله فيهم ﴾

فهرس

الجزء الرابع من الروض الأنف

الرقم	الموضوع	الرقم	الموضوع
٥	المقدمة	٢٣	من أسواق العرب
٧	كفاية الله أمر المستهزئين «س»	٢٥	ما أنزل الله في الربا
٨	الوليد وأبو أزيهر	٢٦	وفاة أبي طالب ووصيته
١١	ثورة لمقتل أبي أزيهر	٣١	تفسير المثنى في سورة ص
١٢	آية الربا من البقرة	٣٢	تتابع المصائب بموت خديجة
١٣	الهم بأخذ ثأر أبا أزيهر	٣٣	الرسول يسمى إلى لطائف «س»
١٣	عمل أم غيلان	٣٣	موقف ثقيف من الرسول ص «س»
١٣	من المؤذنين لرسول الله	٣٦	أمر جن نصيبين
١٤	ما عاناه الرسول ص بعد وفاة	٣٦	عرض رسول الله ص نفسه على
	أبي طالب وخديجة «س»		القبائل
١٥	ما حدث بين النبي «ص» وبين	٣٨	العرض على بني كلب
	أبي طالب والمشركين «س»	٣٨	«س» «س» «س» حنيفة
١٦	الرسول يرجو أن يسلم أبو طالب	٣٨	«س» «س» «س» عامر
١٧	ما نزل فيمن طلبوا العهد على	٣٩	عرض على العرب في المواسم
	الرسول عند أبي طالب «س»	٤٠	حديث سويد بن صامت
١٧	عن المستهزئين وملكان	٤٢	إسلام إياس بن معاذ وقصة
١٩	حديث الوليد بن المغيرة		أبي الحيسر «س»
١٩	عن مقتل أبي أزيهر وموقف درس	٤٣	الرسول مع نفر من الخزرج
٢٠	عن أطراف ومن أحكامه أن		عند العقبة «س»
٢٢	شعر الجون		

الرقم	الموضوع	الرقم	الموضوع
٤٤	أسماء الخزرجيين الذين التقوا بالرسول عند العقبة «س»	٨٢	عهد الرسول عليه الصلاة والسلام على الأنصار «س»
٤٥	خروج النبي ص إلى الطائف	٨٢	أسماء النقباء الاثني عشر وتمام خبر العقبة «س»
٤٨	نور الله ووجهه	٨٣	النقباء من العقبة «س»
٥٦	خبر عداس	٨٥	النقباء من الأوس «س»
٥٧	جن نصيبين	٨٥	شعر كعب بن مالك عن النقباء «س»
٥٩	ذكر عرض نفسه على القبائل	٨٦	ما قاله العباس بن عباد للخزرج قبل المبايعة «س»
٦٠	عرض نفسه على كندة	٨٧	أول صحابي ضرب على يد الرسول في بيعة العقبة الثانية «س»
٦٠	في هذا الكتاب تممة لفائده	٨٨	أشيطان وبيعة «العقبة» «س»
٦٥	حديث سويد بن صامت	٨٨	الرسول لا يستجيب لطلب الحرب من الأنصار «س»
٦٦	ذكر بحلة لقمان	٨٩	مجادلة جلة قريش الأنصار في شأن البيعة «س»
٦٧	ذكر قدوم أبي الحيسر	٩٠	قريش تطلب الأنصار وتأسر سعد بن عباد «س»
٦٨	بدء إسلام الأنصار	٩٠	خلاص سعد بن عباد «س»
٧١	بيعة العقبة الأولى «س»	٩٧	هجرة مصعب بن عمير
٧٣	رجال العقبة من الأوس	٩٨	أول جمعة
٧٣	رجال العقبة الأولى من بني عمرو «س»	٩٩	نقيع الخضات
٧٣	بيعة العقبة	١٠٠	الجمعة
٧٤	مصعب بن عمير وفد العقبة	١٠٦	لفظ الجمعة
٧٤	أول جمعة أقيمت بالمدينة	١٠٦	أيام الأسبوع
٧٥	إسلام سعد بن معاذ وأسيد ابن حضير «س»		
٨١	إسلام عبد الله بن عمرو		
٨١	أمرأتان في البيعة		
٨٢	أعباس والأنصار		

الرقم	الموضوع	الرقم	الموضوع
١٠٩	إسلام سعد بن معاذ وأسيب	١٤٧	الإذن لمسلمي مكة بالهجرة «س»
	ابن حضير	١٤٨	المهاجرون إلى المدينة
١١٠	هل يغتسل الكافر إذا أسلم	١٤٨	هجرة أبي سلمة وزوجته
١١١	من شرح شعر ابن الأسيات		وحديثها عما لقيها «س»
١١٢	ذكر البراء بن معمر، وصلاته إلى القبلة	١٥٠	هجرة عامر وزوجه وهجرة
	قبلة الرسول ص		بني جحش «س»
١١٣	أم عمار وأم منيع في بيعته	١٥٤	إسلام عمرو بن الجموح وصنمه
١١٨	العقبة الأخرى	١٥٥	تفسير بعض الأنساب
	قول البراء بن معمر	١٥٩	ذكر خديج بن سلامة البلوي
١١٩	ترجمة البراء	١٦١	متى أسلم عثمان بن أبي طلحة
١٢١	والهدم الهدم	١٦٢	هجرة بني جحش
١٢٣	من ولي النقباء	١٦٣	الشعر الذي تمثل به أبو سفيان
١٢٥	تفسير بعض ما وقع في وجدته	١٧٠	هجرة عمرو وقصة عياش معه «س»
١٢٨	تذكير فعيل وتأنيها	١٧١	كتاب عمر إلى هشام بن العاصي
١٢٩	من ألقاب الطريل	١٧٢	الوليد بن الوليد وعياش وهشام
١٣٠	معاني الكلمات	١٧٢	منازل المهاجرين بالمدينة
١٣١	حول فصيدة حسان	١٧٤	منزل حمزة وزيد وأبي رثاء
١٣٣	قصة صنم عمر وبن الجموح «س»	١٧٥	وأبنته وأبنته وأبي كعبه «س»
١٣٤	إسلام عمرو بن الجموح		خبر الندوة وهجرة الرسول
١٣٥	شروط البيعة في العقبة الأخيرة		صلى الله عليه وسلم «س»
١٣٥	أحباء من شهد العقبة	١٧٦	الملا من قريش يتشاورون في
١٣٨	من شهد بها من باحارث	١٧٨	أمر الرسول ص «س»
	ابن الخزرج «س»	١٨٠	بما يقال عن ليلة الهجرة «س»
١٤٦	نزول الأمر لرسول الله ص		الآيات التي نزلت في تربص
	في القتال «س»	١٨١	المشركين بالنبي «س»
			الهجرة إلى المدينة «س»

الرقم	الموضوع	الرقم	الموضوع
١٨٢	الذين كانوا يعلبون بالهجرة «س»	٢٠٧	مكة والمدينة
١٨٢	الرسول ص وأبو بكر في النار «	٢٠٨	حديث الغار
١٨٢	الذين قاموا بقتل الرسول في الغار «س»	٢١٥	الرد على الرافضة فيما بهتوا به
١٨٣	لم سميت أسماء بذات النطاقين «س»	٢١٦	أبا بكر
١٨٤	راحلة النبي ص «	٢١٧	معية الله مع رسوله وصاحبه
١٨٤	أبو جهل يضرب أسماء بفت	٢١٧	حديث سراقه بن مالك بن جعشم
١٨٥	أبي بكر «س»	٢٢٠	السكناني
١٨٥	غير الجنى الذي تغنى بمقدم	٢٢٠	حديث أم معبد
١٨٥	الرسول ص «س»	٢٢٥	نسب أم معبد وزوجها
١٨٥	نسب أم معبد «س»	٢٢٨	طريق الهجرة «س»
١٨٦	آل أبي بكر بعد هجرته «	٢٢٩	النزول بقباء «
١٨٦	خبر سراقه بن مالك «	٢٣٠	المنازل التي نزلت بقباء «
١٨٨	هجرة عمر وعياش	٢٣٢	سهيل بن جندب وامرأة مسلحة «
١٩١	قول هشام بن العاص	٢٣٢	بناء مسجد بقاء «
١٩١	زول طلحة وصهيب على خبيب بن إساف	٢٣٣	القبائل تعترضه لينزل عندها «
١٩٢	أبو كبشه	٢٣٣	ميرك النفاقة بدار بني مالك
١٩٦	سالم مولى أبي حذيفة	٢٣٤	ابن النجار «س»
١٩٨	اجتماع قريش للتشاور في أمر النبي ص	٢٣٤	المسجد والمسكن «س»
٢٠٢	إذن الله سبحانه لنبيه بالهجرة	٢٣٤	عمار والفتنة الباغية «س»
٢٠٤	لم اشتريت الراحلة	٢٣٥	ارتحاج على «
٢٠٥	ذكر ابن اسحاق في غير رواية	٢٣٥	مشادة عمار «
٢٠٦	بكاء الفرج من أبي بكر	٢٣٥	الرسول ص يوصي بعمار «
		٢٣٦	إضافة بنساء أول مسجد إلى
		٢٣٦	عمار «س»
		٢٣٦	الرسول ص في بيت أبي أيوب «
		٢٣٧	تلاحق المهاجرين «

الرقم	الموضوع	الرقم	الموضوع
٢٣٨	قصة أبي سفيان مع بني حنشل «س»	٢٨٠	من قصة أبي سفيان مع بني حنشل
٢٣٨	انتشار الإسلام ومن بقي على	٢٨١	الخطبة
	شركه «س»	٢٨٢	الحب
٢٣٩	الخطبة الأولى	٢٨٦	من شرح الخطبة
٢٣٩	« الثانية	٢٨٩	كتاب رسول الله ص فيما بينه وبين
٢٤٠	كتاب المواعدة لليهود		اليهود
٢٤٤	المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار	٢٩٠	متى دخل اليهود يثرب ؟
٢٤٦	بلال يوصي بديوانه لأبي رويحه	٢٩١	اسم يثرب
٢٤٦	« أبو أمامة	٢٩٣	تفسير على ربعاتهم
٢٤٧	بلاد في طريق الهجرة	٢٩٤	من كلمات الكتاب
٢٥١	قصة أوس بن حجر	٢٩٦	المؤاخاة بين الصحابة
٢٥٣	متى قدم الرسول من المدينة	٢٩٧	نسب أبي الدرداء
٢٥٣	كلثوم بن الهدم	٢٩٨	نسب المزع
٢٥٤	تأسيس مسجد قباء	٢٩٨	مؤاخاة حاطب بن أبي بلنعة
٢٥٥	التاريخ العربي	٢٩٩	خبر الأذان «س»
٢٥٧	من ودخلوها على الزمان	٢٩٩	رؤيا عبد الله بن زيد
٢٦٠	تحليل وتلخيص	٣٠٠	رؤيا عمر في الأذان
٢٦١	المربد وصاحبه	٣٠١	ما كان يقوله بلال في الفجر
٢٦٢	حول بديان المسجد	٣٠١	أبو قيس بن أبي أنس
٢٦٤	سمية أم عمار	٣٠٥	الاعداء من يهود
٢٦٦	إضافة بناء المسجد إلى عمار	٣٠٥	عن يهود بنى النصير
٢٦٦	أطوار بناء المسجد	٣٠٦	من يهود بنى ثعلبة
٢٦٧	بيوت النبي صلى الله عليه وسلم	٣٠٦	من يهود بنى قينقاع
٢٧٨	حب حباب	٣٠٧	من يهود بنى قريظة
٢٧٩	الشوم	٣٠٧	من يهود بنى زريق
٢٧٩	مصير منزل أبي أيوب	٣٠٧	من يهود بنى حارثة

الرقم	الموضوع	الرقم	الموضوع
٣٠٨	من يهود بنى عمرو «س»	٣٢١	من أسلم من أجاريهود نفاقا «س»
٣٠٨	من يهود بنى النجار »	٣٢١	من بنى قينقاع »
٣٠٨	اسلام عبد الله بن سلام »	٣٢٢	طرد المنافقين من مسجد الرسول
٣١٠	حديث تخيير يق »		صلى الله عليه وسلم «س»
٣١٠	شهادة عن صفية »	٣٢٤	مازل من البقرة في المنافقين
١١١	من اجتمع إلى يهود من منافق		ويهود ما نزل في الاحبار «س»
	الانصار منافقوا بنى	٣٢٦	ما نزل في منافق الاوس والخزرج
	عمرو «س»	٣٢٧	تفسير ابن هشام لبعض الغريب »
٣١١	منافقو حبيب »	٣٣٥	دعوى اليهود قلة العذاب في
٣١١	من نفاق جلاس »		الآخرة ورد الله عليهم «س»
٣١٣	ارتداد الحارث بن سويد	٣٣٧	تفسير ابن هشام لبعض الغريب »
	وغدره «س»	٣٤١	سؤال اليهود الرسول، وإجابته
٣١٤	منافقو بنى ضبيعة »		لهم عليه الصلاة والسلام «س»
٣١٤	منافقو بنى لوزان »	٣٤٢	إنكار اليهود نبوة داود عليه
٣١٥	منافقو بنى ضبيعة »		السلام ورد الله عليهم «س»
٣١٥	معتب وابنا حباب بدر بنون	٣٤٣	كتابة صلى الله عليه وسلم إلى
	وايسوا منافقين «س»		يهود خيبر «س»
٣١٦	من بنى ثعلبة »	٣٤٤	تفسير ابن هشام لبعض الغريب »
٣١٦	من بنى أمية »	٣٤٥	ما نزل في أبي ياسر وأخيه »
٣١٦	من بنى عبيد »	٣٤٧	كفر اليهود به ص بعد استفتائهم
٣١٧	من بنى النبيت »		وما نزل في ذلك «س»
٣١٨	من بنى ظفر »	٣٤٧	ما نزل في نكران مالك بن الصيف
٣١٩	من عبد الاشهل »		العهد اليهم بالنبي «س»
٣٢٠	من الخزرج »	٣٤٨	ما نزل في قول أبي صلوبا
٣٢٠	من بنى چشم »		«ما جئتنا بشيء نعرفه» «س»
٣٢٠	من بنى عوف »	٣٤٨	ما نزل في قول ابن حريملة ووهب »

الرقم	الموضوع	الرقم	الموضوع
٣٤٨	تفسير ابن هشام لبعض الغريب «س»	٣٥٧	ما نزل في أخذ الميثاق عليهم «س»
٣٤٩	ما نزل في صدحى وأخيه الناس	٣٥٨	سعيهم في الواقعة بين الأنصار «
	عن الإسلام «س»	٣٥٨	شيء عن يوم بعث
٣٤٩	تنازع اليهود والنصارى عند	٣٥٩	تفسير ابن هشام لبعض الغريب «
	الرسول صلى الله عليه وسلم «س»	٣٦٠	ما نزل في قولهم «ما آمن إلا شرارنا» «
٣٥٠	ما نزل في طلب ابن حريملة أن	٣٦١	تفسير ابن هشام لبعض الغريب «
	يكلمه الله «س»	٣٦١	ما كان في نبي المسلمين عن مباطنة
٣٥٠	ما نزل في سؤال ابن صوريا		اليهود «س»
	للنبي عليه الصلاة والسلام	٣٦٢	ما كان بين أبي بكر وفنحاص «س»
	بأن يهود «س»	٣٦٢	أمرهم المؤمنين بالبخل
٣٥١	مقالة اليهود عند صرف القبلة	٣٦٤	جحدهم الحق
	إلى الكعبة «س»	٣٦٥	تفسير ابن هشام الغريب «
٣٥٢	تفسير ابن هشام لبعض الغريب «س»	٣٦٦	النفر الذين حزبوا الأحزاب «
٣٥٣	كنائهم ما في التوراة من الحق «	٣٦٦	تفسير ابن هشام لبعض الغريب «
٣٥٣	جوابهم للنبي عليه الصلاة والسلام	٣٦٧	أنكارهم التنزيل «
	حين دعاهم إلى الإسلام «س»	٣٦٨	جئناهم على طرح الصخرة على
٣٥٤	جمعهم في سوق بنى قينقاع «		رسول الله ص «س»
٣٥٤	دخوله ص بيت المدراس «	٣٦٨	أدعاهم أنهم أحباء الله «
٣٥٥	اختلاف اليهود والنصارى في	٣٦٩	أنكارهم نزول كتاب بعد موسى
	إبراهيم عليه السلام «س»		عليه السلام «س»
٣٥٥	ما نزل فيما هم به بعضهم من الإيمان	٣٦٩	رجوعهم إلى النبي ص في حكم الرحم «
	غداة والكفر عشية «س»	٣٧٢	ظلمهم في الدية «
٣٥٦	ما نزل في قول أبي رافع والنجراني	٣٧٢	نصدهم الفتنة برسول الله ص «
	وأريد أن نعبدك كما تعبد	٣٧٣	جحدهم نبوة عيسى عليه السلام «
	النصارى عيسى «س»	٣٧٤	أدعاهم أنهم على الحق «
٣٥٧	تفسير ابن هشام لبعض الغريب «س»	٣٧٤	إشراكهم بالله «

الرقم	الموضوع	الرقم	الموضوع
٣٧٥	نفيه تعالى للمؤمنين عن موادتهم «س»	٣٩٧	يهود المدينة
٣٧٥	سؤالهم عن قيام الساعة «س»	٣٩٨	السحر المنسوب إلى النبي ص
٣٧٦	تفسير ابن هشام لبعض الغريب «س»	٤٠٤	فقه حديث السحر
٣٧٧	ادعائهم أن عزيراً ابن الله «س»	٤٠٧	لإسلام عبد الله بن سلام
٣٧٧	طلبهم كتاباً من السماء «س»	٤١٠	ذكر المنافقين
٣٧٨	تفسير ابن هشام لبعض الغريب «س»	٤١١	ذكر حديث بشير بن أبيرق سارق
٣٧٨	سؤالهم له ص عن ذى القرنين «س»		الدرين
٣٧٩	تهجمهم على ذات الله وغضب الرسول	٤١٥	ذكر ما أنزل الله في المنافقين
	ص لذلك «س»	٤١٨	حديث أبي ياسر بن أخطب
٣٨٠	تفسير ابن هشام لبعض الغريب «س»	٤٢١	معاني الحروف في أوائل السور
٣٨٠	بدء الآذان	٤٢٢	ذكر تحويل القبلة
٣٨٩	حديث صرمة بن أبي أنس	٤٢٤	ما أنزل الله في بني قينقاع
٣٩١	من شرح شعره	٤٢٧	تفسير آناه الليل
٣٩٦	تسمية اليهود الذين نزل فيهم القرآن	٤٢٧	ذكر جل من الآيات المعزلة في
			قصص الاحبار

